عبد الجبار علوان

الشواهد والاستشهاد في النحو

رسالة «ماجستير» أشرف عليها المرحوم الاستاذ كمال ابراهيم

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب
رقم تسلسل التعضيد (٥٥) للسنة الدراسية ١٩٧٥-١٩٧٦

الطبعة الاولى

١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

مطبعة الزهراء - بغداد

عبد الجبار علوان النايلة

الشواهد والاستشهاد في النحو

رسالة «ماجستير» أشرف عليها المرحوم الاستاذ كمال ابراهيم

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب
رقم تسلسل التعضيد (٥٥) للسنة الدراسية ١٩٧٥ـ١٩٧٦

الطبعة الاولى

١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م

مطبعة الزهراء ـ بغداد

الاهـــداء

اهــدي هذا الكتاب الى من شـــد الله تعالى بها ازري :
زوجتي المخلصة ، المرأة الفاضلة ، السيدة بدرية الحاج عباس السعدي ٠

المؤلف

ذكرى وعرفان

تطلع هذه الرسالة على القراء ، فلا يشهد مطلعها استاذنا الفاضل كمال ابراهيم الذي اشرف عليها ، فقد انتقل الى رحمة الله تعالى ، حين تهيئتها للمناقشة في حزيران سنة ١٩٧٣م •

كان المرحوم كمال استاذا لين العريكة ، مثال الخلق النبيـــل والسجايا الحميدة ، والتواضع الجم ، وقد فقدنا بموته عالما فاضلا ، رحب الفكر ، واسع المعرفة ، علما من اعلام العربية •

لقد أودى الموت بحياة (الانسان) الذى تبنى ــ بحماس ــ فكرة جالت في خاطري ، واعانني على رسم خطوطها العريضة ، وامدنى بتوجيهـــه وتسديده ونصحه ، حتى اصبحت هذه الرسالة التى بين يديك ايها القارىء الكريم حقيقة واقعة ، وقد فقدت بموته (الشاهد) الذى كان يقوّم كل فصل من فصولها بما فيه من نقص لحقائقه ، واستيعاب لمسائله ، واستيفاء لمصادره ، لأنه كان يعلم حق العلم مقدار ما لقيته من عناء مضن ، وما بذلته من جهد ، حتى اتممتها في ظروف قاهـــرة ، محاولا التوفيق ــ جهد الامكان ــ بين عملي في وظيفتي ، ودراستي ، وتدبير مهام بيتي ورعاية اطفالي ، واعطاء كل ما يستحقه من اهتمام وتدبير خلال مدة ليست بالقصيرة • رحم الله (ابا سنا) واسكنه فسيح جنانه وانا لله وانا اليه راجعون •

عبدالجبار علوان النايلة

تقــــديم

عزيزي القارىء :

هذا الكتاب (رسالة جامعية) قدمت الى كلية الآداب بجامعة بغداد ، وكان المؤمل ان تناقش في حزيران سنة ١٩٧٣ ، الا أن وفاة الاستاذ كمــال ابراهيم (المشرف على الرسالة) حالت دون ذلك حيث نوقشت صباح يوم الاربعاء المصادف ١٦ من ذى الحجة سنة ١٣٩٣هـ الموافق للتاسع من كانون الثانى سنة ١٩٧٤م من قبل لجنة المناقشة برياسة الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائى وعضوية الاستاذ الدكتور مهدى المخزومى والاستاذ المشارك ابراهيم الوائلى ، ونالت درجة ماجستير آداب في اللغة العربية/النحو بتقدير «جيد جدا» •

وها انذا اضعه بين يديك ، عزيزى القارىء لتعرف العوامل والاسباب التى أدت الى صعوبة النحو على الدارسين ، وبعده عن واقع الحياة وعلاج ذلك ، فان نال من لدنك حسن قبول ، ووقع من نفسك موقعا حسنا ، فذلك ما ابتغيه واسعى اليه ، وان اعرضت عنه يكفيني فخرا انني ساهمت مساهمة ولو ضئيلة في خدمة لغتنا الكريمة ، لغة القرآن الكريم ، والله حسبي ونعم الوكيل •

عبد الجبار النايلة

بغداد في : ٢٣ من رجب الاصم سنة ١٣٩٦ هـ
٢٠ تموز سنة ١٩٧٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه استعين

المقـــدمة

تؤلف (الشواهد) جانبا مهما من النحو ، حيث انها موضع استنباط القواعد ، اذ كان (الشاهد) حجة النحوي في اثبات صحة القاعدة النحوية وتقريرها ، أو تجويز ما جاء مخالفا القياس ، او الرد على المخالف وتفنيد رأيه واظهار ضعف مذهبه النحوى ، أو عدم جوازه ... الخ ولهذا : ان دراستها وكيفية استشهاد النحويين بها تبيّن الاسس التى ارتكز عليها النحويون وما طرأ على النحو من تغير وتطور في مسيرته الطويلة خـــلال نموه وتكامله ونضجه ، أبعده غـير قليل عن طبيعته وعن الغاية التى ارادها له واضعوه الأُوَل ، حتى تباعد ما بينـه وبين واقع الحياة ، وصارت دراسته عبءا ثقيلا على ناشئتنا ، يدرسونه سـنين عددا ، ثم لا يفيدون منه في تقويم السنتهم وكيفية استعمال لغة الأجداد الامجاد . وهذا ما دفعني الى دراسة هذا الموضوع لاهميته في النحو ولانه موضوع بكر لم تسبق دراسته .

لقد وضع العلماء القدامى كتبا ضخمة في (الشواهد النحوية) ، غير انهـا كانت شروحا لها كنسبتها الى قائليها او ذكر منشديها من العلمـــاء ، واعرابها وتعيين موضع الشاهد فيها ، كما كانوا يقتصرون فيها على شواهد كتاب نحوى غالبا . أما موضوع هذا البحث فهو جديد وطريف اذ لم تسبق دراسة الشواهد بمثل هذه الطريقة وهذا المنهج من الشمول والاستيعاب ، فالمنهج الذى اتبعته في دراستها هو : ابراز اهميتها في النحو ، وتبيان نوعيتها ، وكيفية استشهاد النحويين بالقرآن الكريم وقراءاته ، وبالحديث الشريف ، وبالشعر والرجز بصورة عامة ، مع التوسع في بحث شواهد واستشهاد ابرز نحاة البصرة والكوفة ، لان الرسالة تقوم على دراسة ركن من أركان النحو ، ونحويو المدرسة الاولى (البصرية) هم الذين بدأوا في دراسة النحو ، ووضعـوا اصوله ، واسـتخرجوا شـواهده ،

وسنّوا قوانين الاستشهاد بها ، ثم ساهم معهم ــ بعد زمن ــ نحويو المدرسة الثانية (الكوفية) فاتبعوا بعض سننهم في الاستشهاد بالشواهد ، وخالفوهم في كثير منها، ثمّ جاء بعدهم النحويون الآخرون من أهل (بغداد) والاقطار الاخرى ، فلم يأتوا بشيء جديد في هذا الصدد ، الا ما كان من قيامهم بشرح الشواهد ووضع المدونات فيها ، او اضافة شواهد جديدة الى النحو ، أو قيام آخرين بعرض المسائل التى اختلف فيها البصريون والكوفيون وبسط شواهدهم فيها ومناقشة استشهادهم ثم ترجيح هذا الرأي على ذاك ، أو خروج بعضهم على اجماع النحاة المتقدمين ، كتجويزهم الاستشهاد بالمحدثين ، وظهور الخلاف بينهم في القرنين السابع والثامن الهجريين حول الاستشهاد بالحديث وانقسامهم الى ثلاث فئات . وقد تطرقت الى كل هذا وفصلت القول فيه جهد الامكان وفيما له مساس مباشر بالموضوع . وفيما يلى عرض موجز لمحتويات الرسالة :ــ

تقع الرسالة في : اربعة فصول ، يتقدمها تمهيد وتتلوها خلاصة للبحث ونتائجه . تناولت في التمهيد تمصير المدينتين (البصرة) و (الكوفة) وتطورهما وازدهارهما واختلافهما في الموقع وعناصر السكان واثر ذلك في اختلاف عقليتهما والاتجاه الذى سلكته كل منهما في دراسة النحو واستخدام الشواهد ، ثم ذكرت سبب وضع النحو وانتهيت الى أن البصرة هى اول مدينة وضعت اساس النحو ، ثم تلتها الكوفة بعد قرن تقريبا ، اذ كانت منصرفة الى علوم القرآن ورواية الشعر وجمع ذخائر العرب الادبية ، ثم تطرقت الى اعتماد النحاة على الشواهد في اقامة مسائل النحو ، وبيّنت تعريفه في اللغة والاصطلاح ، وأهميته في تثبيت القاعدة النحوية وتقريرها ، واهتمام النحويين بالشواهد وتوفر بعضهم على حفظ كثير منها. الفصل الاول : في الشواهد النحوية ، وهو دراسة مفصلة لها ، حيث ذكرت فيه نوعية

الشاهد ، واعتماد النحويين على الشعر في شواهدهم واسباب ذلك ثم أوضحت تاثير الرواية على الشواهد وظهوره في اختلاف النحاة في روايتها وفي نسبتها الى قائليها ، وفي وجود الشواهد المجهولة والمصنوعة ، وذكرت موقف العلماء منها ، ثم ناقشت نسبة النحاة الشواهد الى قائليها ، واوردت احصاءا لشواهد نحاة مختلفي المذاهب غير منسوبة الى قائليها وبيّنت ان وجود شواهد مجهولة في النحو يجعل السبيل ممهدة امام النحاة للاستشهاد بالشواهد المصنوعة • وبعد ان انتهيت من ذلك مضيت الى ذكر (استشهاد النحويين بالشواهد) فكان هذا موضوع الفصول : الثاني والثالث والرابع ، تحدثت في الفصل الثاني على منهج البصريين والكوفيين العام في الاستشهاد بالشواهد ، قدمت له ذاكرا عدم وجود منهج موحد اتبعه جميع النحاة البصريون وخالفهم فيه الكوفيون ، بل هو سمة عامة وسمت المنهجين ، ثم ذكرت تأثر النحو البصري بالبيئة البصرية التى ظهر فيها المعتزلة وأخذهم بعلم المنطق ، وظهور علم الكلام ، وتأثر النحو البصري بتلك البيئة وبعلوم غريبة عن طبيعته دخيلة عليه ، مما أدى الى أخذ البصريين بالقياس وتوسعهم فيه فأخذوا يعللون الظواهر اللغوية تعليلا منطقيا ، ثم ذكرت معللا قيامهم بتأويل الشواهد ، أو حملهم اياها على الضرورة او الشذوذ ، كما ناقشت موقف البصريين والكوفيين من السماع والقياس • أما في الفصل الثالث فقد تكلمت فيه على استشهاد البصريين والكوفيين بالقرآن الكريم وقراءاته ، واخضاع البصريين نصوصه لاقيستهم مع اعترافهم بأنه ذروة في الفصاحة وبيّنت سبب ذلك • ثم تحدثت على القراءات وعلاقتها بلهجات القبائل العربية ، وموقف نحاة البصرة الأولين منها ، وتطوّر النحو على أيدي نحاة توسّعوا في القياس مما جعلهم يخضعون القراءات المعتمدة على الرواية الى القياس ، حيث ادى عملهم هذا الى تخطيء كبار القراء ورميهم رواتها بالوهم أو قلة الضبط • وبيّنت خطأ ذلك

الاتجاه ، ثم عرّجت على استشهاد الكوفيين بالقراءات وأخذهم بها ، وموقف متأخري النحاة الحميد كابن مالك وأبي حيان منها • ثم كان الفصل الرابع والاخير : مخصصا للكلام على استشهاد النحاة بالحديث ، حيث بينت فيه موقف متقدمي النحويين منه ، وظهور الخلاف في القرنين السابع والثامن الهجريين بين النحاة وانقسامهم الى ثلاث فئات : فئة اجازت الاستشهاد به مطلقا ، وفئة منعته ، وفئة توسطت بينهما ، فجوزت الاستشهاد بالأحاديث التى اعتني بنقل ألفاظها ، ثم اثبت وهي حجج مانعي الاستشهاد به ، واوضحت أن عدم الاستشهاد بالحديث معناه حرمان اللغة من فيض من المفردات ومختلف الأساليب وطرق الاستعمال اللغوي ثم قدّمت خلاصة للبحث والنتائج التى توصلت اليها •

اضافة الى ما تقدم قمت بأعمال لا تمس جوهر البحث ولكنها ـ كما اظن ـ من متمماته واكماله وهى :

١ ـ ذكر وفيات العلماء الذين ورد ذكرهم في الرسالة • ٢ ـ ايراد ايضاحات مختصرة عمن لهم يكن مشتهرا في ايامنا هذه من رجال النحو والقراء والشعراء وغيرهم • ٣ ـ ذكر اسماء السور والآيات القرآنية التى اوردتها او التي جاءت في النصوص المقتبسة • ٤ ـ ذكر اسماء قائلي الشواهد غير المجهولة ، التى استشهد بها العلماء خالية من النسبة • ٥ ـ شرح المفردات وبيان معانيها في اللغة والاصطلاح • ٦ ـ تحقيق بعض الاحاديث التى استشهد بها النحاة وبيان مراجعها في كتب الحديث •

أما المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها فكثيرة جدا ، واغلبها قديمة ليست مفهرسة ولا محققة بينها بعض المخطوطات ، ولا اكتم ما بذلته من جهد مضن في سبيل العثور عليها ومراجعتها واستخلاص ما فيها • وقد اخذت قراءتهـا مني وقتا طويلا زاد على مدة كتابة الرسالة ، وهذا شيء طبيعي اذ لابد لمن يتصدى

لدراسة الشواهد النحوية والاستشهاد بها في النحو بصورة شاملة من الاعتماد على مصادر ومراجع كثيرة ، ويمكن تقسيم ما اعتمدت عليه منها الى خمسة مجاميع :

١ ـ كتب اللغة والنحو والشواهد والأمالي • ٢ ـ كتب الطبقات والتراجم والتواريخ العامة وتواريخ الأدب والدراسات الأدبية والدواوين الشعرية • ٣ ـ كتب علوم القرآن الكريم وقراءاته وتفاسيره • ٤ ـ كتب الحديث الشريف • ٥ ـ المجلات والمحاضرات •

أما أهم المراجع التى اعتمدت عليها كثيرا في البحث فهي :

١ ـ كتاب سيبويه ، وهو غني عن التعريف ، ويكفي القول إنه : اقدم ما وصلنا من كتب النحو ، ويمثل قمة التطور الذي وصل اليه النحو البصري على يدي أبي بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) المتوفى سنة ١٨٨ هـ وهو (البحر) الذي تجمعت فيه شواهد البصريين منذ وضعهم النحو حتى زمنه • واعتمدت على نسخة مطبعة بولاق طبعت سنة ١٣١٦هـ وهي أصح الطبعات ، كما رجعت الى النسخة التى حققها الاستاذ عبدالسلام هارون ، وقد اشرت في الهوامش اليها بكلمة (هارون) ، وما لم اشر اليها بشيء فهي نسخة بولاق •

٢ ـ المذكر والمؤنث ، والأيام والليالي والشهور ، والمنقوص والممدود ، ومعاني القرآن وجميعها لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ واهمها (المعاني) فهو اضافة الى كونه من أقدم تفاسير القرآن واعظمها شأنا ضم بين دفتيه كثيرا من مسائل النحو الكوفية ، وآراء الفراء والكسائي فيها ، أما الكتب الثلاثة الاخرى فرسائل صغيرة في اللغة والنحو ، وقد احتوت الكتب الاربعة على شواهد الفراء التى سمعها من فصحاء الاعراب والرواة الكوفيين كالمفضّل الضبّي الى جانب شواهد اخرى انشدها (ابو جعفر الرواسي المتوفى سنة

١٨٧هـ)[١] ، و (علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ) و (يونس بن حبيب البصرى المتوفى سنة ١٨٣هـ) مما سمعوه من العرب واستشهد بها الفراء .

٣ ــ الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧هـ وهو كتاب فريد في بابه ومن احسن ما وضعه العلماء في العربية ، ذكر فيه احدى وعشرين ومائة مسألة من المسائل التى اختلف فيها البصريون والكوفيون ، وبيّن وجهة نظرهم وعرض شواهدهم في المسائل ووجهة نظر البصريين فيها وفي شواهد الكوفيين ، وقد احتوى على (٥٠٢) اثنين وخمسمائة شاهد من شواهد البصريين والكوفيين .

٤ ــ كتب طبقات النحاة وتراجمهم واهمها : (مراتب النحويين) لأبي الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي المتوفى سنة ٣٥١هـ . وهو وان كان يميل الى البصريين الا أن رواياته التى اقامها على السند صادقة ، ويعد مصدرا اصيلا لتراجم النحاة ، وقد رأيت أن اغلب من كتب في هذا الموضوع نقل عنه كياقوت في (معجمه) والقفطي في (الانباه) والسيوطي في (البغية) ، كذلك كان شأن كتاب (طبقات النحويين واللغويين) لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ . ويختلف عنه بأنه اقامة على الطبقات ومدارس النحو ، واهتم بذكر مواليد ووفيات العلماء ، على حين كان اللغوى يذكر مراتب العلماء حسب مكانتهم في العلم وأخذهم بالرواية متسلسلا بالبصريين من أبي الاسود الدؤلي حتى نحاة بغداد ذاكراً نحاة الكوفة ورواتها .

٥ ــ الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم ، وهو يعد ذخيرة من ذخائر

---

(١) اسمه محمد بن الحسن بن ابي سارة ، وتلقيبه بالرؤاسي خطأ شائع كما ذكر المرحوم الاستاذ كمال ابراهيم في محاضراته (مدرسة الكوفة النحوية) على طلبة الماجستير سنة ١٩٦٨/٦٧ . وصوابه ما اثبت في اعلاه نسبة الى قبيلة (بني رواس) وهم بطن من سليم ، ذكر ذلك ابو عمر الزاهد . (انظر لسان العرب ــ دأدأ ــ ٦٩/١) .

العرب ، اذ احتوى على كثير من تراجم العلماء واماكنهم وكتبهم في جميع العلوم والفنون الى سنة ٣٧٧هـ كما ذكر فيه ابن النديم كثيرا من أسماء فصحاء الاعراب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، وكان صادقا في رواياته يتحرى الصدق ويتتبع ما يكتبه من خطوط العلماء ، وأكثر من كتب من الباحثين العرب والمستشرقين رجع الى كتابه ٠

٦ ـ شروح الشواهد واهمها (خزانة الادب) لعبدالقادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ وهو شرح لشواهد (رضي الدين الاستراباذي ت ٦٨٦هـ) في شرحه على كافية ابن الحاجب ، والخزانة اسم على مسمّى ، فهي اضافة الى ما حوته من شروح الشواهد التي بلغت (٩٥٧) سبعة وخمسين وتسعمائة شاهد كتسمية قائلها وذكر تراجمهم ، وتبيين موضع الشاهد فيها ، والغرض الذي استشهد به ، وذكر من انشدها او استشهد بها من العلماء البصريين والكوفيين وغيرهم ، كانت مقدمة (البغدادي) الضافية لها تمدّ الباحثين بمعلومات غزيرة وقيّمة عن الاستشهاد بالشواهد على اختلافها ، واختلاف وجهات نظر العلماء فيها ٠

٧ ـ كتب النحاة المتأخرين من شراح الفية ابن مالك وكتب ابن هشام الاندلسي المتوفى سنة ٧٦١هـ (مغني اللبيب وشرح شذور الذهب وشرح قطر الندى وشرحه على الالفية) ٠ وكتب جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ وأهمها كتاب (المزهر) فهو من الكتب اللغوية المهمة ولا يستغني باحث في العربية عنه اذ ضم بين دفتيه جميع فنون اللغة ، وكل ما كتب عن الرواية العلمية وطرق الاخذ والتحمّل ، ومعرفة المصنوع والفصيح والمطّرد والشاذ من الشواهد ٠ وأهميته الاخرى تبرز من خلال ما نقله السيوطي بأمانة من كتب العلماء بعضها مفقود ككتاب الالفاظ والحروف للفارابي مثلا ، وبعضها مخطوط أو نادر يصعب الحصول عليه ٠ كذلك كان كتابه الآخر (الاقتراح في علم اصول النحو) تحفة قيّمة ومصدرا مهما لمن يبحث في الاصول النحوية ، والسيوطي وان كان في كتبه كثير النقل من كتب العلماء السابقين ، الا انه اضاف اليها من علمه الشيء الكثير

فهو عالم ومؤرخ وأديب ، يكتب المادة العلمية الجافة باسلوب شيق سهل فيسر على القارىء فهمها واستيعابها .

والى جانب المصادر العربية القديمة رجعت الى مصادر دراسات المستشرقين ، وهي وإن لم تفدني فائدة كبيرة فيما يخص (الشواهد والاستشهاد) الا انها اعانتني كثيرا في تفسير ظواهر اللغة تفسيرا علميا .

كذلك رجعت الى مؤلفات باحثين فضلاء من المحدثين كان لهم السبق في دراسة بعض جوانب الموضوع ، اخص بالذكر منهم المرحوم الشيخ احمد الاسكندري ، والمرحوم الاستاذ طه الراوي ، والاستاذ الدكتور مهدي المخزومي والاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي ، والاستاذ الشيخ محمد الطنطاوى ، والاستاذ الشيخ محمد الخضر حسين .

هذه اهم المراجع والمصادر التى اعتمدت عليها ، وهناك مصادر اخرى كثيرة لم اذكرها لضيق المجال ، مكتفيا بذكرها في هوامش الرسالة خالية من اسماء المؤلفين ـ الا المصادر المتشابهة في الاسم خشية اللبس ـ وذلك لكثرة المراجع والمصادر التى ازدحمت بها الهوامش ، وقد ذكرتها مفصلا المعلومات عنها في ثبت ضمها آخر الرسالة كما هى العادة المتبعة .

وبالرغم مما قرأته من مراجع ومصادر فاني وجدت جدبا في كل ما يعود للكوفيين من شواهد او استشهاد ، لان معظم المدونات التى وضعوها لم تصل الينا ، كما أن صعوبات كثيرة واجهتني عند بحثي استشهاد البصريين الاوائل او شواهدهم ، لان الكتب التى وضعها دارسو النحو الاولون ليست معروفة لدينا سوى عناوينها ، وبعض الروايات عنها ، ولاجل البحث والتحقيق عن شواهد الكوفيين والبصريين الاوائل واستشهادهم ، كان ينبغى لي التتبع المستمر والبحث الطويل في كتب التراجم والطبقات والامالي ، وكتب النحاة المتأخرين وشروح الشواهد ، بغية التقاط ما تناثر هنا وهناك فيما يخص الموضوع ، وان كانت

لا تشفي غليل الباحث ، كما ان الصعوبات الاخرى التي لقيتها انما كانت لاختلاف طبيعة المنهج وتشعبه ، فمن فصل يتعلق بالنحو الى آخر يتصل بالقرآن او بالقراءات او بالحديث او بالشعر ، او بالرواية ، وهكذا • وفي كل ذلك يحتم علي الواجب ان افي الموضوع حقه ، وأسد نقصه • ولا ازعم بأني قلت القول الفصل في البحث ، واحطت به خبرا من كل جوانبه ، اذ ان الرسالة من السعة والشمول بمكان ، والكمال لله وحده ، (ولكل كلام وجه وتأويل ، ومن التمس عيبا وجده)، كما قال ابن رشيق القيرواني في (عمدته ١/١٠٢) ، فهي لا تعدو محاولة لخدمة هذه اللغة الكريمة ، العزيزة على قلبي •

ولابد لي ـ وقد انهيتها بعد عناء طويل وجهود مضنية ـ ان اتقدم بالشكر والامتنان الى من افضل علي بمعونته ومساعدته على اختلاف هذه المعونة ، وفي طليعتهم استاذي الجليل كمال ابراهيم الذي لم يأل جهدا بحسن توجيهه وتسديده وكثرة تشجيعه •

كما اشكر الاستاذ زهير غازى زاهد الذي اعارني مخطوطة (اعراب القرآن) لابي جعفر النحاس ، دون سابق معرفة به ، والاستاذ جعفر هادى الكريم الذى اعارني رسالته الجامعية (مذهب الكسائي في النحو) وبعض كتبه الخاصة ، والاستاذ طارق الجنابي الذى اعارني (مقدمة كتاب الانصاف) لكوتولد فايل ، والاستاذ عزيز حمزة الذى ساعدني في ترجمة خلاصة الرسالة الى اللغة الانكليزية •

كذلك اشكر الاخوان الذين قدموا لي التسيلات وساعدوني في الحصول على (المراجع والمصادر) اللازمة لبحث الرسالة السادة : خلدون الوهابي ، امين مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد سابقا ، وصالح الحيدرى امين مكتبة الخلاني العامة ، ونورى المفتي أمين المكتبة القادرية مع موظفيها ،

وسعد سليم عباس ومهدى حمزة السماوى الموظفين في مكتبة المتحف العراقي .

وفق الله الجميع لما فيه تقدم العلم في قطرنا العزيز . .

عبدالجبار علوان النايلة

بغداد في : { ٢٥ ربيع الاول ١٣٩٣هـ
٢٨ نيسان ١٩٧٣م }

تمهيــد

مصّرت المدينتان (البصرة) و (الكوفة) في العـــراق ، في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض)(١) . وقد اختلفتا في الموقع وعناصر السكان ، فبنيت البصرة على طرف البادية الشرقي «في اقصى بلاد العرب وأدنى بلاد العجم»(٢)، على مقربة من الأبلّة ميناء العراق القديم(٣) على الخليج العربي ، وكان اغلب من نزلها من العرب الممعنين في البداوة ــ عدا قريش ــ وهم من مضر كقيس وتميم، ومن ربيعة كبكر ، وتيم الرباب وبني ضبيعة ، ثم تبعتهم قبيلة الازد اليمانية بعد ذلك(٤) .

اما الكوفة فقد بنيت «بأدنى بلاد فارس واقصى بلاد العرب»(٥) ، «بين الحيرة [عاصمة العرب المناذرة قبل الاسلام] ونهر الفـــرات»(٦) ، واغلب من سكنها من العرب كان من القبائل اليمانية كمذحج وهمدان وحمير وطيء وكندة وأشعر وجذام وأزد(٧) ، الى جانب قليل من قبائل ربيعة ومضر(٨) ، «فقد نزلت (مضر)

---

(١) تم تمصير البصرة في ارجح الروايات سنة ١٤هـ/٦٣٥م ، وتمصير الكوفة سنة ١٧هـ/٦٣٨م على الارجح ، انظر (فتـــوح البلدان ٢٨٤ و ٣٥٤) و (تاريخ الرسل والملوك ٥/٢٣٧٧ ، ٢٣٨٩/٢٤٨١ ، ٢٤٨٦) و (المعارف لابن قتيبة ٥٦٣) و (الكامل في التاريخ ٢/٣٨٧ ، ٥٢٧) و (البداية والنهاية ٤٨/٧) و (معجم البلدان ٤٣٢/١) و (مختصر كتاب البلدان ١٨٨) .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٥/٢٣٧٩ ، الكامل في التاريخ ٢/٤٨٦ .

(٣) الاخبار الطوال ١١٧ ، تاريخ الرسل والملوك ٥/٢٣٨٤ .

(٤) انظر الاخبار الطوال ١٤٦ــ١٤٧ وتاريخ الرسل والملوك ٧/٤٥٠ وخطط الكوفة ١٢ و ٣٨ .

(٥) البيان والتبيين ١/٣٢ــ٣٣ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٥/٢٤٨١ ، الكامل في التاريخ ٢/٢٨٨ .

(٧) الاخبار الطوال ٢٩٩ــ٣٠٠ وانظر خطط الكوفة لماسينيون ١٧٦ وتاريخ الكوفة ١٨٠ــ١٨١ .

(٨) انظر فتوح البلدان ٢٨٥ .

بالبصرة ، وسكنت (حمير) الكوفة»[٩] ، اى ان اكثر من سكن البصرة من عرب شمال الجزيرة ، وسكنت الكوفة اكثرية من عرب الجنوب[١٠] .

كان تأسيس البصرة والكوفة في بادىء الامر لتكونا معسكرين لحماية مؤخرة الجيوش العربية الزاحفة نحو الفتح وامدادها بالعدة والعدد ، ثم تحولت بالتدريج الى مدينتين متكاملتين لهما كل مزايا المدن ، فما لبثا بعد انشائهما بقليل ان ارتقتا في سلم الرقي والتحضر بسرعة هائلة حتى اصبحتا بعد زمن من اهم المراكز الحضارية في العالم الاسلامى ، « اجتذبتا اليهما صنوفا شتى من الناس من بوادى العرب ومن المدن والقرى العربية وممن دخل في الاسلام او لم يدخل من ضروب الملل والنحل والقوميات ، وبخاصة من اهل فارس وما جاورها ، جاءوا للاقامة في ظل مجتمع كبير فيه مجالات متسعة للعمل واكتساب الرزق يسوده حكم اسلامي عادل ، يتسم بالطمأنينة والاستقرار ، والى جانب كل ذلك حركة فكرية عظيمة زاخرة بألوان من الثقافات ، ولاسيما علوم اللغة العربية والعلوم الاسلامية عامة»[١١] ، فاشتهرت البصرة بعلوم الدين كالتفسير والحديث والفقه ، وعلم الكلام ، وعلوم العربية ، واشتهرت الكوفة بعلوم القراءات ، ورواية الشعر وجمع ذخائر العرب الادبية . وكان لاختلاف المدينتين في الموقع الجغرافي وفي عناصر السكان العرب واحتكاكهم بالاقوام الاجانب الذين ساكنوهم ثم اقتباس ما ورثوه من حضارات سابقة ومعارف قديمة ، ووقائع الاحداث التاريخية في كل منهما اثر في اختلاف الاتجاه الثقافي والفكرى للبلدين ، حيث اتجه رجال العلم فيهما اتجاها مغايرا للاتجاه الآخر في الاشتغال بالعلوم التى اشتهرت كل مدينة

---

(٩) مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ٦٦ والمضريون ينتسبون الى مضر ابن عدنان ، والمؤرخون العرب يستعيضون عن تسمية (المضريين) بأسماء البطون كقريش وقيس وبكر وتغلب وتميم (مختصر تاريخ العرب ٦٤)

(١٠) انظر فتوح البلدان ٢٨٥ .

(١١) الكسائى ، للاستاذ كمال ابراهيم ، مجلة الاستاذ ، كلية التربية ـ جامعة بغداد المجلد ١٣ سنة ١٩٦٦ (ص٣ مستلات من المجلة) .

فيها ، «فان البصرة التى امتاز اهلها بنصيب اكبر من خلوص العروبة وقلة الاختلاط ، وان وجد بينهم بعض علماء الفرس الواسعي الثقافة ، استطاعت ان تخطو في عهد اقدم ، وعلى نحو ايسر واسهل الى دراسة المواد اللغوية دراسة علمية منظمة كما يرى المستشرق الالماني (فلوجل) ،[١٢] • وسنرى عند الكلام على الاستشهاد بالشواهد كيف كان لموقع البصرة والكوفة من التأثير البالغ في اختلاف المنهج العام للمدرستين النحويتين البصرية والكوفية في الاستشهاد بالشواهد والقياس عليها •

لم يكن بالعرب في جاهليتهم وصدر الاسلام حاجة الى الشواهد او الاستشهاد في اللغة ، اذ كانوا يتكلمون اللغة على الوجه الصحيح بالسليقة التى ربّوا عليها ، وعندما بدأت بوادر اللحن تظهر على الالسنة في البصرة نتيجة اختلاط العرب بالاعاجم ، ووقع في القرآن الكريم ، فكّر المخلصون من الغيارى على اللغة العربية في وضع الضوابط والقوانين حفظا لها من الفساد والذوبان في لغات الامم الاخرى ، ثم ضياعها • ولابد لمن يبتغى وضع قواعد للغة ما من استقراء كلام اهلها ، ليتمكن من كشف اسرارها ومعرفة خصائصها بالسماع من الناطقين بها والنقل عنهم ، ومن ثم تقعيد القواعد لكي تكون اقرب الى واقع اللغة ، وعندما بدأت الدراسات الاولى للنحو شرع (البصريون) باستقراء اللغة واستخراج (الشواهد) التى يستندون اليها عند وضعهم القواعد ، فاتخذوا (السماع) من العرب الفصحاء وسيلة لاستقرائها وجمع الشواهد ، وكانوا ــ وهم في الاصل من قبائل ممعنة في البداوة ــ حريصين على تنقية اللغة وحفظها حرصا شديدا ، وهذا ما دفعهم الى وضع النحو ، كما دفعهم الى التشدّد في (السماع) ، فلم يسمعوا الا من الفصحاء بشروط مشددة ، فكانوا لا يأخذون الا عن الثقات من الرواة ، او فصحاء الاعراب ، كما حددوا سماعهم من قبائل قليلة كانت تقطن في بوادى وسط وشرق الجزيرة «كقيس وتميم واسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض

---

(١٢) مقدمة الانصاف ، كوتولد فايل ص١ •

الطائيين ، ولم يأخذوا عن حضري ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الامم حولهم كلخم ، وغسان ، واياد ، او تغلب والنمر او بكر او ازد عمان ....»(١٣) .

من المتفق عليه ان (البصرة) اول مدينة عربية اسلامية قامت فيها الدراسات النحوية واللغوية ، فقد «كان لاهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية»(١٤) . قال ابن النديم : «انما قدمنا البصريين اولا لان علم العربية عنهم أخذ» (١٥) ، وبعد ان سار النحو في طريق النمو ، وارتقى في سلّم الرقي ، وكاد يصل حد النضج ، حيث ظهر فيه علماء وسّموا ابوابه ، ومدوا قياسه ، واستخرجوا شواهده مما سمعوه من أفواه العرب أو من مروياتهم من الشعر والرجز ومأثور الكلام ، كما وضعوا الكتب النحوية معتمدين فيها على شواهد من القرآن الكريم وكلام العرب الموثوق بعربيتهم ، وسنّوا قوانين الاستشهاد وبم يستشهدون وعمّ يأخذون حتى تميز طابع المدرسة البصرية النحوية ، بعد كل هذا التطور الذى حصل للنحو على ايدي البصريين . بدأ الكوفيون في دراسة النحو بالتلمذة لائمة البصريين «فكان كثير من رجال العلم الكوفيين يشدّون الرحال الى حلقات الدرس في البصرة ، وكان بعض اهل العلم من البصريين يقصد الى الكوفة ويتصدر للتدريس فيها»(١٦) ، «وكان النحو الكوفي في الفترة الاولى لا يختلف في شيء يذكر عن نحو البصريين»(١٧) ، وقد تميّز النحو الكوفي وظهر الاختلاف بين الكوفيين والبصريين بعد قيام ابى الحسن علي بن حمزة الكسائي «المتوفى سنة

---

(١٣) المزهر ١/١٢٨ ، الاقتراح في علم اصول النحو ١٩-٢٠ .
(١٤) طبقات فحول الشعراء ١٢ .
(١٥) الفهرست ١٠٢ .
(١٦) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٥٧ .
(١٧) مدرسة الكوفة النحوية ، محاضرات للاستاذ كمال ابراهيم على طلبة الماجستير سنة ١٩٦٨/٦٧ .

١٨٩هـ» [١٨] بدراسة النحو ، فالكسائي يعتبر المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة النحوية[١٩] ، فهو «عالم اهل الكوفة وامامهم غير مدافع»[٢٠] . تلك المدرسة التى اختلفت مع المدرسة البصرية في كثير من الاصول ، كالسماع والقياس ، وفي الرواية ، وفي المصادر التى تستقى منها الشواهد ، وفي المنهج العام في الاستشهاد بالشواهد والقياس عليها اختلافا كبيرا ، سيأتي ذكره مفصلا في فصول الرسالة .

وتعتبر مدرسة البصرة «أقدم من مدرسة الكوفة بنحو مائة سنة»[٢١] ، ويرجع سبب تأخر الكوفيين في دراسة النحو الى انهم انصرفوا في بادىء الامر الى كتابة السير والمغازي ورواية الشعر وجمعه ، كما وجهوا اهتمامهم الى القرآن الكريم فعنوا برواية حروفه واشتغلوا بقراءته واقرائه ، وقد استوعب الكوفيون كثيرا من القراءات الشائعة والقليلة ، فكان اكثر أئمة القراءة الاولين في الكوفة كأبي عبدالرحمن السلمي «المتوفى سنة ٧٤هـ»[٢٢] . وزر بن حبيش الاسدى «المتوفى سنة ١٣٧هـ» [٢٣] ، وقد فازوا بقصب السبق في هذا المضمار بين جميع امصار الاسلام ، فلم يكن لاي مدينة من المدن الاسلامية الكبيرة المعروفة يومئذ غير قارىء واحد من القراء السبعة على حين كان للكوفة وحدها ثلاثة من السبعة وهم : عاصم بن ابي النجود[٢٤] ، وحمزة بن حبيب الزيات[٢٥] ، وعلي بن حمزة الكسائي[٢٦] ، وقد ظهر اثر هذا الاتجاه العلمي الكوفي نحو القراءات

---

(١٨) مراتب النحويين ٧٥ ، وفيات الاعيان ٢/٤٥٨ .
(١٩) انظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة ٣٩٥ .
(٢٠) مراتب النحويين ٧٤ .
(٢١) تاريخ الاسلام السياسي ٣/٣٥٣ .
(٢٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤١٤ .
(٢٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٩٤ .
(٢٤) انظر غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٤٦ .
(٢٥) انظر المصدر نفسه ١/٢٦١ .
(٢٦) انظر المصدر نفسه ١/٥٣٧ ـ ٥٣٨ .

في شواهد واستشهاد الكوفيين بعد دراستهم النحو وتكوين مدرستهم ، حيث اعتمدوا على القرآن الكريم وقراءاته الشائعة والشاذة في الاستشهاد واقاموا كثيرا من مسائلهم النحوية مستندة الى آيات القرآن الكريم وقراءات القراء ، كما اعتمد منهجهم العام على الرواية والسماع ، متأثرين بمنهج القراءة وسيأتي ذكر ذلك تفصيلا •

لا غنى لكل نحوى من شاهد يستشهد به ليسند قاعدته ، ويؤيد به وجهة نظره ، ويدعم به مذهبه في مسألة ما ، لاسيما اذا كان فيها اختلاف في الاراء ، او كانت خارجة عن القياس • فما معنى (الشاهد) في اللغة والاصطلاح ؟

للشاهد معان مختلفة[٢٧] ، ففي اللغة هو : اللسان ، من قولهم : لفلان شاهد حسن ، اى لسان مبين وتعبير حسن • والشاهد : هو من علم امرا فيذكر ما علم ، أو من يؤدي ما عنده من الشهادة • والشهادة : هي الخبر القاطع • وهو في النحو : « ما يذكر[٢٨] لاثبات القاعدة ، كآية من التنزيل ، أو قول من اقوال العرب الموثوق بعربيتهم ، والمثال : ما يذكر لايضاح القاعدة وايصالها الى فهم المستفيد ، ولو بمثال مصنوع[٢٩] ، والفرق بين الشاهد والمثال بالعموم والخصوص من وجه ، فان كل ما يصلح شاهدا يصلح مثالا من غير عكس»[٣٠] • والحجة : البرهان وقيل : الحجة : ما دوفع به الخصم • وقال الازهرى : «الحجة : الوجه الذى يكون به الظفر عند الخصومة ، والحجة : الدليل والبرهان ، وجمع الحجة حجج وحجاج ، واحتج بالشيء : اتخذه حجة»[٣١] •

---

(٢٧) انظر لسان العرب (شهد) ٣/٢٣٩ وما بعدها •
(٢٨) في الاصل : الشاهد هو الجزئي الذى يذكر •••
(٢٩) في الاصل : «بمثال جعلي» •
(٣٠) اتحاف الامجاد فيما يصح به الاستشهاد ، الورقة ١ وجه •
(٣١) لسان العرب (حجج) ٣/٣٣٨ • ويذكر النحويون في كتبهم قبل الشاهد الشعرى كلمة «وانشد» أو «وينشد» حين لا يذكرون قائل الشاهد • والنشيد : رفع الصوت ، وانشاد الشعر هو القاؤه ، وكانت ومازالت عادة ملقي الشعر ان يرفع صوته عند الالقاء فسمي منشدا ، (لسان العرب _ نشد) ٣/٤٢٢ _ ٤٢٣ •

ومن هنا كان على النحوى الذى يريد اثبات قاعدته أن يأتي بشاهد او حجة لتكون دليلا ساطعا وبرهانا صادقا وخبرا قاطعا على صحة قاعدته • ويبـدو ان العلماء كانوا مطالبين بالشواهد ـ ادبيا ـ على كل ما يقررونه من قواعد أو يقولونه من آراء اذا كانت غير مألوفة او غير مشهورة • قال ابو بكر بن الانبارى الكوفي «المتوفى سنة ٣٢٨هـ»(٣٢) : «فأما معنى الضجر فانه لا يحتاج الى شاهد لشهرته عند الناس»(٣٣) ، وقال ايضا : «فكون (لا) بمعنى الجحد [النفي عند البصريين] لا يحتاج الى شاهد»(٣٤) •

اما الاحتجاج او الاستشهاد في النحو : « فيراد به اثبات صحة قاعدة ، او استعمال كلمة او تركيب ، بدليل نقلي صح سـنده الى عربي فصيـح سـليم السليقة»(٣٥) ، واستشهاد النحويين يكون : اما بدليل نقلي (السماع) ، او بدليل عقلي (القياس) • والاول هو الاهم ، لان القواعد تؤخذ من واقع اللغة ، ومحاكاة لنطق اهلها «وهل القواعد الا استقراء الشواهد»(٣٦)• وليس ادل على اهميـة الشاهد (الدليل النقلي) في تثبيت القاعدة النحوية وتقريرها ان القياس وحده (الدليل العقلي) ، غير كاف اذا لم يسنده الشاهد البيّن ، وهو ما دعاه النحويون بـ (فساد الاعتبار) ، وهو كما اوضحه ابو البركات عبدالرحمن بن محمـد الانبارى البصرى «المتوفى سنة ٥٧٧هـ»(٣٧) : الاستدلال بالقياس على مسألة نحوية في مقابلة النص من العرب(٣٨) ، ولبيان ذلك فان أى مسألة من المسائل تمسّك البصريون فيها بالقياس وحده (الدليل العقلي) ، وأيّد الكوفيون وجهـة نظرهم فيها بكثير من الشواهد (الدليل النقلي) كانت كفتها ارجح فيها ، كاختلافهم

---

(٣٢) الفهرست ١١٨ •
(٣٣) الاضداد ١٠٧ •
(٣٤) الاضداد ٢١١ •
(٣٥) في اصول النحو ٦ •
(٣٦) المباحث اللغوية في العراق ١٢ •
(٣٧) بغية الوعاة ٢/٨٨ •
(٣٨) الاغراب في جدول الاعراب ٥٤ •

في (ترك صرف ما ينصرف لضرورة الشعر) حيث لم يجوّز البصريون ذلك ، وقالوا : «ان الاصل في الاسم الصرف ، فلو جوزنا ترك صرف ما ينصرف لادى ذلك الى ان نردّه عن الاصل الى غير اصل ، فوجب الا يجوز قياسا على مد المقصور » • قال الانبارى : هذا استدلال بالقياس في مقابلة النص عن العرب في ترك الصرف ، وهو لا يجوز ، ثم اورد عدة شواهد سمعت عن العرب الفصحاء في ترك الصرف للضرورة[٣٩] ، وهكذا ثبتت القاعدة بالدليل النقلي ورجحت على القاعدة المؤيدة بالدليل العقلي •

للشاهد اهمية كبيرة في علم النحو ، فهو جانب مهم من جوانبه ، فلم يكن بعيدا عن الصواب من قال : «ان الشاهد في علم النحو هو النحو»[٤٠] ، وكانت قيمة العالم تتجلى في معرفته بالشواهد ، واستخراجه لها من الكلام الفصيح ، واستحضاره اياها عند الحاجة ، وكان هذا شأن العلماء البصريين ، فقد كانوا يستكثرون منها ويحفظونها ويأتون بها عند حاجتها ومناسبتها • قال الاصمعي : «سألت ابا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة ، فأجابني فيها بالف حجة»[٤١] ، فقد كانوا يولون الشواهد اهتماما زائدا ، وكان من بينهم حفظة للكثير من الشواهد كأبي عمرو بن العلاء والاصمعي وابي عبيدة وابي زيد الانصارى « الذى انفرد بالنحو وشواهده»[٤٢] ، والخليل الذى دفعه اهتمامه بالشواهد الى تصنيف كتاب خاص بها[٤٣] ، ولابد ان نشير الى سيبويه الذى اهتم بالشواهد اهتماما كبيرا • وسنأتي على ذكر شواهده تفصيلا عند الكلام على شواهد البصريين •

كذلك «كان للكوفيين ـ بوجه خاص ـ عناية فائقة بالشواهد ، وكان من

---

(٣٩) الاغراب في جدل الاعراب ٥٤ • وانظر الانصاف في مسائل الخلاف ٥١٣/٢ •

(٤٠) هو الشيخ محمد الطنطاوى ، نشأة النحو ١٩٢ •

(٤١) وفيات الاعيان ١٣٦/٣ •

(٤٢) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ٤٢٧/١ •

(٤٣) انظر الفهرست ٧١ وانباه الرواة ٣٣٠/١ وروضات الجنات ٢٧٢ •

بين اصحاب الكسائي والفراء وثعلب حفظة لهذه الشواهد»[٤٤] ، وليس ادل على ذلك من قول ابي العباس احمد بن يحيي ثعلب ان : «علي بن المبارك الاحمر[٤٥] كان يحفظ اربعين الف بيت شاهد في النحو» [٤٦] ، كما كان ابوبكر ابن الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن[٤٧] . ومن يطالع كتابه (الاضداد) يرى أنه : «جاء بالعجيب من اراجيز العرب وشواهد الشعر والحديث والقرآن في كثرة بالغة ، واسهاب كثير»[٤٨] ، ومما يدل على اهتمام الكوفيين بالشواهد قول ثعلب : «ما ندمت على شيء كندمي على ترك سماع الشواهد التي كان يرويها ابو مسحل الاعرابي[٤٩] ، عن علي بن المبارك الاحمر»[٥٠] . «وقد قلّت شواهد النحو واللغة بعد ذهاب الرواة وعفاء مجالسهم ، حتى صارت تشبه الآثار التاريخية في الضنّ بها والحرص عليها وتداولها كما هي ، لأن قيمتها في نفس الحالة التي عليها ، ومنشأ ذلك من تناقل الكتب بالرواية والاقتصار على مافيها في تحقيق الاسناد العلمي»[٥١] . » وقد اشتهر من المتأخرين بالاكثار من تلك الشواهد والاتساع في حفظها (محمد بن مالك الاندلسي) صاحب الالفية»[٥٢] «المتوفي سنة ٦٧٣ هـ»[٥٣] .

---

(٤٤) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٣٨١ .

(٤٥) في (معجم الادباء ١٣/٥) : هو علي بن الحسن الاحمر . وقيل : علي بن المبارك ، مات قبل الفراء ، قيل : سنة ١٩٤هـ وكذا جاء في بغية الوعاة ١٥٩/٢ .

(٤٦) انباه الرواة ٣١٤/٢ ، نزهة الالباء ٦٤ ، معجم الادباء ١١/١٣ .

(٤٧) انظر طبقات النحويين واللغويين ١٧١ وانباه الرواة ٢٠٢/٢ ومعجم الادباء ٣٠٧/١٨ .

(٤٨) الاضداد ، مقدمة المحقق ح .

(٤٩) هو عبدالوهاب بن احمد روى عن علي بن المبارك اربعين الف بيت شاهد في النحو (بغية الوعاة ١٢٣/٢) .

(٥٠) طبقات النحويين واللغويين ١٤٨ .

(٥١) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ٣٦٩/١ ـ ٣٧٠ .

(٥٢) المصدر نفسه ٣٧٠/١ .

(٥٣) بغية الوعاة ١٣٤/١ .

للشواهد اهمية لدى جميع العلماء على اختلاف مذاهبهم النحوية ، وكانوا يقوّمون اعتمادهم عليها في كتبهم ، فهـذا احمد بن فارس[٥٤] يقـول : «وقد فسرنا ما لاح من ذلك واتجه ، ودللنا على الاصح من ذلك بشواهد من غير احالة»[٥٥] . وكلما كانت الشواهد صحيحة مستقاة من افواه العرب الفصحاء ، كان الكتاب مقبولا لدى العلماء ، ولذلك كان العلماء ينوهون بذلك في مقدمات كتبهم . قال أبو منصور الازهرى «المتوفى سنة ٣٧٠هـ»[٥٦] في مقدمة كتابه تهذيب اللغة : «جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب والفاظهـا ، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها ، والاستشهاد بشواهد اشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها ، التى احتج بها اهل المعرفة المؤتمنون عليها»[٥٧] ، والسيوطى يقول : «وقد كنت اريد ان اضع شرحا واسعا كثير النقول طويل الذيول جامعا للشواهد والتعاليل»[٥٨] . وقد طعن على ابي بكر الزبيدى «المتوفى سنة ٣٧٩»[٥٩] في كتابه مختصر كتاب العين للخليل فقيل : « انه أخلّ بالكتاب كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح اشعار العرب»[٦٠] . وكلما كانت الشواهد وفيرة وصحيحة ، وروايتها صادقة كان الظفر بفوز الرأى بالقبول لدى العلمـاء ، ورسوخ القاعدة وثبوتها . قال ابو بكر بن الانبارى : «فاما معنى الشك فاكثـر من ان تحصى شواهده»[٦١] . والسبب هو ما تقدم ذكره عن اهمية الشواهد اذ

---

(٥٤) هو ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازى (نسبة للري) القزويني الهمذاني ، من ائمة اللغة والنحو في القرن الرابع ، توفي سنة ٣٩٥هـ (بغية الوعاة ١/٣٥٢) .

(٥٥) مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله سبحانه ٦ .

(٥٦) بغية الوعاة ١/٢٠ .

(٥٧) تهذيب اللغة ١/٦ .

(٥٨) همع الهوامع ١/٢ .

(٥٩) بغية الوعاة ١/٨٥ .

(٦٠) المزهر ١/٥٤ .

(٦١) الاضـداد ١٤ .

ان مدار العلم على الشاهد والمثل ـ كما قال الجاحظ ـ[٦٢] •

كان الاهتمام بالشواهد لدى كافة الطبقات ، وكان العالم الذى يحسن استحضار الشاهد عند الحاجة ويأتي به في موضعه ، يرتفع قدره لدى الحاكمين وتعلو منزلته عندهم ، ذكر جمال الدين بن هشام الانصارى «المتوفى سنة ٧٦١هـ»[٦٣] : « ان رجلا كان يسامر المنصور (العباسي) ، وكان لا يتكلّم الا اذا سئل ، واذا اجاب ، اجاب من غير زيادة في الجواب ، فبينما هما راكبان اذ مرّا ببيت عاتكة • فسأله المنصور عنه ، فقال : هو بيت عاتكة الذى يقول فيه الشاعر :

يا بيت عاتكة التى اتعزّل ... حذر العدى وبه الفؤاد موكّل

فأمر ان يعطى ما رسمه له فورا ، فلما سئل المنصور عن السبب • قال : « هذا رجل لا يتكلّم الا لحكمة وقد زاد على الجواب بالاستشهاد»[٦٤]• ولشدة اهتمامهم بالشاهد استخدامهم اياه وتطلبهم له في كل امر ، فالخليفة العباسي (الواثق) لم يقتنع بتفسير ابي محلم السعدى[٦٥] لكلمة (مَرْت) سمعها من هاتف في منامه ، بأنها الارض القفر التى لا نبت فيها ، بل طلب منه شاهدا على تفسيره ، فأنشده بيتا لبعض بني اسد :

ومَرْت مروراة يحار بها القطا ... ويصبح ذو علم بها وهو جاهل[٦٦]

---

(٦٢) البيان والتبيين ١/٢٢٣ •
(٦٣) بغية الوعاة ٢/٦٩ •
(٦٤) موقد الاذهان وموقظ الوسنان ١٦٨ •
(٦٥) من الاعراب الفصحاء الذين اخذ عنهم البصريون •
(٦٦) نور القبس ٢١١ ، بغية الوعاة ١/٢٥٧ •

الفصل الأول

الشــواهد النحــوية

الفصل الاول

الشـــواهد النحـــوية

نوعية الشواهد :

عند تأملنا في الشواهد النحوية عامة نجد ان الغالب عليهــــا (الشعر) ، ثم يأتي بعده (النثر) • ففي أى كتاب نحوي نقرأ نجـــد الشـــواهد الشعرية هي الاكثر ، فآيات من القرآن الكريم ، فشيء من الحديث النبوي[1] ، وقليل من الامثال والحكم ونبذ من كلام العرب ، فالشعر هو المنبع الذى استقى منــه النحاة على اختلاف مذاهبهم واماكنهم وأزمانهم معظم شواهدهم ، ومع ان هذا لا يحتاج الى دليل ، الا انني توخيا للدقة في التحري اقدّم بعض احصاءات لشواهد كبار النحاة ، فكتاب (سيبويه) وهو يعدّ اعظم كتاب شـــامل لمباحث النحو ، كما كان الاساس الذى اعتمد عليه وعلى شواهده معظم النحويين : قد ضمّ (١٠٥٠) خمسين وألف شاهد من الشعر[2] ، على حين لا توجد فيه ســـوى آيات قليلة اذا قرنت بالشعر ، اذ تقل عن (٤٠٠) اربعمائة آية[3] ولو نظرنا في

---

(١) اذا كان النحوى يجيز الاستشهاد بالحديث •

(٢) كما ذكر ابو عمر الجرمي : انظر طبقات النحويين واللغويين ٧٧ •

(٣) روي عن ابي عثمان المازني ان بعض اهل الذمة بذل له مائة دينار على ان يقرئه كتاب سيبويه فامتنع عن ذلك مع ما كان به من شدة احتياج فلامه تلميذه المبرد فأجابه بان الكتاب مشتمل على ثلثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله تعالى فلا ينبغي تمكين ذمي من قراءتها (درة الغواص ٤٣ ، وفيات الاعيان ١/٢٥٥ ، مغني اللبيب ٢/١٢٤) • وحسب احصاء أجراه الاستاذ على النجدى ناصف لشواهد سيبويه ظهر له ان عدة الشواهد من القـرآن الكريم : ٣٧٣ ومن الشعر : ٨٧١ ومن الرجز : ١٩٠ ، فجملة الشعر والرجز : ١٠٦١ «وربما كان هذا الفرق في الشعر بين الرقم الذى ذكره الجرمي والاحصاء الاخير آت من اضافات العلماء شواهد من انشادهم على الكتاب وقت قراءتهم له وقيام النساخ بانتساخها مع صلب الكتاب» • (سيبويه امام النحاة ص٢٣٥) •

شواهد كتاب (المقتضب) لابي العباس المبرد ، «وهو اقدم ما وصل الينا في النحو ، والصرف بعد كتاب سيبويه»[٤] لوجدنا ان شواهده الشعرية بلغت (٥٦١) واحدا وستين وخمسمائة شاهد ، على حين كانت شواهده القرآنية اقل من ذلك[٥] .
اما شواهد كتاب (حلية المقصود في المقصور والممدود) لابي البركات الانبارى فكانت (٢٦) ستا وعشرين آية و (١١) احد عشر حديثا ، و (٤) اربعة امثال على حين كانت الشواهد الشعرية (٦٧) سبعة وستين شاهدا . وكانت شواهد أبي بكر ابن الانبارى الكوفي المذهب في كتابه (الاضداد) : (٢٧٠) سبعين ومائتي آية و (٥٢) اثنين وخمسين حديثا ، على حين بلغت الشواهد الشعرية (٧٧٥) خمسة وسبعين وسبعمائة شاهد اضافة الى الرجز الذى بلغ (٩٩) تسعة وتسعين رجزا . وشواهده في كتابه الآخر (شرح القصائد السبع الطوال) كانت كما يأتى : (٢٥٠) خمسون ومائتا آية من القرآن الكريم ، و (٣١) واحد وثلاثون حديثا شريفا و (٤٣) ثلاثة واربعون مثلا ما بين جاهلي واسلامي ، على حين بلغت الشواهد الشعرية (٩٤٥) خمسة واربعين وتسعمائة شاهد . وكانت شواهد ابن جني – في المحتسب مثلا – « كثيرة لكن يشيع فيها التكرار ، لتكرر مقتضيات الاستشهاد بها ، وجملتها من الشعر ، وفيها قليل من حديث الرسول وكلام البلغاء والامثال السائرة»[٦] . من هذا الكشف عن شواهد نحاة من مختلف المذاهب والازمنة يتضح ان اعتماد النحاة كان على الشعر بالدرجة الاولى . على انه مما يحمد النحويون عليه استشهادهم بالامثال « فهى النموذج النثرى الوحيد الذى اطمأنوا اليه في صحة الاستشهاد»[٧] ، «ويمكن عدها من بقايا اقدم النثر العربى ، لما يبدو

(٤) المقتضب ، مقدمة المحقق ص٥ .
(٥) المقتضب/انظر مقدمة المحقق ص١١٥–١١٦ .
(٦) المحتسب / مقدمة المحققين ص١٤ .
(٧) الخليل بن احمد الفراهيدى ٧٩ .

من أن بعضها كان سائرا مشهرا في الجاهلية»[٨] • وتعتبر «من آداب العرب الهامة لانها تجرى على ألسنتهم مجرى الشعر ، وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح»[٩] • وقد اجتمعت فيها «ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه»[١٠] ، وايجاز اللفظ مع وفاء الدلالة ساعدا في احتفاظ الحكم والامثال بصيغتها الاصلية[١١] ، فمن الامثال الكثيرة التى دارت في كتب النحو وتداولها النحويون مستشهدين بها قولهم : (اللهم ضبعا وسبعا)[١٢] و (شتى تؤوب الحلبة)[١٣] و (لو ذات سوار لطمتني) [١٤] ، و (عسى الغوير ابؤسا)[١٥] ، و (في بيته يؤتى الحكم)[١٦] و (تسمع بالمعيدى خير من أن تراه)[١٧] وقد روى بثلاث روايات : تسمع •••• [١٨] وان تسمع •••• [١٩] ولان تسمع ••••[٢٠] وقد استشهدوا به على رواياته الثلاث ••• ومع أن

---

(٨) تاريخ الادب العربى ، بروكلمان ١/١٢٩ •

(٩) تاريخ آداب اللغة العربية ،جرجي زيدان ١/٤٦ ـ ٤٧ •

(١٠) المزهر ١/٢٨٨ •

(١١) انظر تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ٢١٢ •

(١٢) الكتاب ١/١٢٩ •

(١٣) المقتضب ٤/١٦٩ ، وانظر مجمع الامثال ١/٣٧١ وفيه : شتى يؤوب الحلبة •

(١٤) المقتضب ٣/٧٧ ، اللامات ١٣٧ ، وانظر مجمع الامثال ٢/١٢٢ و ١٥٢ •

(١٥) الكتاب ١/٢٤ ، المقتضب ٣/٧٠ ، ٧٢ وانظر مجمع الامثال ١/٤٧٧ •

(١٦) المقتضب ٤/١٠٢ ، الانصاف ١/١٠٨ وانظر مجمع الامثال ٢/١٩ •

(١٧) مجمع الامثال ١/١٣٦ •

(١٨) الشعر والشعراء ٢٤٢ •

(١٩) سر صناعة الاعراب ١/٢٨٥ ، البيان والتبيين ١/٢٠١ •

(٢٠) امالي الزجاجي ١٢٨ـ١٢٩ • قال الشنقيطي شارح الكتاب في (هامش ص١٢٩) : « اختلف في هذا المثل اختلافا كثيرا في روايته وفيمن قاله وفيمن قيل فيه • وفيه روايتان وتتولد منهما روايات اخر ، والاشهر : تسمع بالمعيدي (بضم العين) وحذف أن قاله أبو عبيدة • وروي بنصبها على اضمار أن وهو شاذ يقتصر على السماع •••» •

الأمثال ، لا يمكن عدها من النثر الفني الذي يقصد فيه التجويد [٣١] فلم يكن استشهاد النحويين بها وبالقرآن الكريم وبكلام العرب المنثور كثيرا .

لم اعتمد النحويون في الاستشهاد على الشعر أكثر ؟

لابد أن هناك ما دفع النحاة إلى اتخاذ الشعر مصدرا رئيسا لاستنباط القواعد منه ، فما هو السبب ؟

الظاهر أن عدة أسباب جعلت النحاة يلتفتون إلى هذا الاتجاه ، منها :

كثرة المنظوم من الشعر في نفوس العرب في الجاهلية والإسلام، حيث كانوا ينشدونه في كل مكان ثم حفظه منهم ويحفظونه ويتداولونه ، فقد كان الشعر ديوانهم ومرجع أنسابهم وسجل مفاخرهم ووقائعهم ، ولما جاء الإسلام بقيت له المنزلة نفسها حيث كان المسلمون ينشدونه حتى في المساجد ، ويتمثلون به عند تعجبهم أمرا من أمورهم . ثم جاء نصهم (القرآن الكريم) بالاستشهاد بالشعر ؛ ففي القرآن كلمات غريبة يحتاج المفسر عند بيان معناها إلى الاستشهاد بنوع من كلام العرب ، ليعلم أن النص لم يخرج عن حدود اللغة العربية فيشكك في صحة النص [٣٢] . قال ابن فارس : والشعر حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه وغريب حديث رسول الله (ص) وحديث صحابته والتابعين [٣٣] . وقد ذكر أن ابن عباس كان إذا سئل عن شيء في العربية قرأ سؤالا من القرآن الكريم فسره [٣٤] ، وكان اعتماده على الشعر - عند التفسير - في الاستشهاد على معاني الكلمات الغريبة ، فابن عباس ، قد [illegible]

---

(٣١) دراسات في اللغة ٢٤ .
(٣٢) أثر القرآن في الشعر العربي ٢٠٤ .
(٣٣) الصاحبي في فقه اللغة ٣٠ .
(٣٤) [illegible] ٣٦٣/٢ .

يسبق اليه وهو شرح الفاظ القرآن والاستدلال عليها بما جاء في شعر العرب . فالاحتجاج بالشعر في تفسير وتوضيح مفردات القرآن لم يكن معروفاً قبل اجوبة ابن عباس لنافع الازرق»(٢٥) ، فقد روي عنه انه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر(٢٦) . وكان يقول : « اذا اشكل عليكم شيء من القرآن فارجعوا فيه الى الشعر فانه ديوان العرب»(٢٧) . وعن عكرمة قال : « رأيت عبدالله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه : (والليل وما وسق)(٢٨) . فقال ابن عباس : وما جمع . فقال نافع : اتعرف ذلك العرب ؟ قال ابن عباس : اما سمعت قول الراجز :

ان لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا»(٢٩)

« ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه انه [أى ابن الأزرق] سأله عن معنى (الم ذلك الكتاب)(٣٠) . فقال ابن عباس : تأويله هذا القرآن هكذا جاء . قال ابو عبيدة : ولا احفظ عليه شاهدا عن ابن عباس ، وانا احسبه انه لم يقبله الا بشاهد»(٣١) . فقد كان كلما يسأله عن تفسير آية يسأله عن الشاهد (٣٢) ، وقد سلك طريق ابن عباس تلميذه (عكرمة) فكان « اذا سئل عن شيء مـــن

---

(٢٥) سؤالات نافع بن الازرق/مقدمة محقق الكتاب ص٥ .

(٢٦) انظر الفاضل ١٠ والاضداد ٣٣ وفضائل القرآن ٦٨ ومقدمتان في علوم القرآن ١٩٨ والاتقان ٢/٥٥ .

(٢٧) الفاضل ١٠ ، غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٤٦ ، وانظر العمدة ١/٣٠ .

(٢٨) سورة الانشقاق آية ١٧ .

(٢٩) الكامل ٢/١٤٠ ، الفاضل ١٠ ، الاضداد ٣٣ .

(٣٠) سورة البقرة من الآية ١ .

(٣١) الكامل ٢/١٤٢ – ١٤٣ وفي قول ابي عبيدة دليل أى دليل على اهمية الشواهد في تفسير الآيات او تقرير القواعد او تجويز الآراء أو ردها وتفنيدها ... الخ .

(٣٢) انظر الكامل ٢/١٤٠ ، ١٤١–١٤٥ .

مشكل القرآن يفسره ويستدل عليه ببيت من شعر العرب»[٣٣] .

وكان الفقهاء يفتون بالشعر كما روي ذلك عن الحسن البصرى حيث افتى رجلين مستعينا بشعر الفرزدق[٣٤] ، كذلك فعل (الشعبى)[٣٥] وغيرهما من الفقهاء[٣٦] .

ومن الاسباب ايضا قلّة النثر الذى وصل النحاة عن العصر الجاهلى الذى تطمئن اليه انفسهم ، «فلم يؤثر عن الجاهليين نصوص نثرية كثيرة كما هي الحال في الشعر»[٣٧] كما ان النحاة كانوا يعتقدون «أن رواية الشعر أدق من رواية النثر ، وان تذكر المنظوم ايسر من تذكر المنثور ، وان احتمال التغيير والتبديل في الشعر اقل من احتماله في المروي من النثر ، وذلك لحرصهم على تصوير الاساليب العربية في ادق صورها»[٣٨] . وقد تردد ذلك في المصادر القديمة ، فابن رشيق يقول : « قد اجتمع الناس على ان المنثور في كلامهم اكثر ، واقلّ جيدا محفوظا ، وان الشعر اقل ، واكثر جيدا محفوظا»[٣٩] ، كما انهم ذكروا « أن حفظ الشعر أهون على النفس واذا حفظ كان اعلق وأثبت وكان شاهدا ، وان احتيج الى ضرب المثل كان مثلا»[٤٠] .

ومنها «ان النحاة كانوا ينظرون الى الشعراء الذين يعتد برواية شعرهم نظرة تقرب من التقديس ولا يجوز ان يتصور احد صدور الخطأ عن احد من

---

(٣٣) الاشباه والنظائر ٣/٩٨ .
(٣٤) انظر طبقات فحول الشعراء ٢٨٤ والعمدة ١/٥٥ والاغانى ١٩/١٤ (بولاق)
(٣٥) انظر نور القبس ٢٤٣ .
(٣٦) انظر الحيوان ١/٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
(٣٧) دراسات في اللغة ٢٦ .
(٣٨) من اسرار اللغة ٢٥١ .
(٣٩) العمدة ١/٢٠ .
(٤٠) الحيوان ٦/٤٩٠ .

اولئك الشعراء ، فكل ما يقولونه حجة»[٤١] ، وهذا ما نراه في ايجاد الكثير من التأويلات والتخريجات لما ورد في شعر الاقدمين مخالفا القواعد النحوية دون رميهم بالخطأ في اغلب الاحيان .

لهذه الاسباب انصرف النحاة الى الشعر يستخرجون منه الشواهد ويعتمدون عليها في الاستشهاد متأثرين بالمفسرين والفقهاء الذين سلكوا هذه الطريق قبلهم ، ومستسهلين حفظه ، لانه اهون حفظا على النفس من النثر ، وقد وصلهم اوفر مما وصلهم من النثر ، فقد وجدوا «في بيوت الشعر الامثال ، والاوابد ، والشواهد»[٤٢] . فكان الشعر هو الحكم الفصل يتخذونه حجة فيما يختلفون فيه . علّق الجاحظ على اصل كلمة (عرس) واختلافهم في ذلك وكل أبدى رأيا فقال : «ومثل هذا لا يثبت الا بأن يستفيض في الشعر ويظهر في الخبر»[٤٣] . ومعنى كلامه واضح ان الشاهد الشعرى يثبت الرأي فيقبل من قبل الجمهور . وفي هذا دلالة على الاتجاه العام السائد ، وقد مر بنا كيف كان نافع الازرق لا يقبل تفسيرا لمعنى كلمة يراها غريبة عليه في القرآن من ابن عباس (رض) وهو الرجل الثقة حبر الامة الا أن يؤيد تفسيره بشاهد من شعر العرب . والنحاة ، وهم من هذا السواد من الناس لابد ان يتأثروا بما يحيطهم من الاتجاهات والا عدّوا خارجين على ما تعارف عليه الناس وشاذين عنهم ، ثم لا تقبل قوانينهم وقواعدهم . وليس معنى هذا انهم سايروا دون اقتناع بصحة ما سلكوه ، كلا فلقد وجدوا في الشعر المزايا التى اهلته لان يعتمد عليه بالدرجة الاولى ومنها ما تقدم ذكره عن سهولة حفظه ووفرته واحتمال التغير فيه اقل من النثر ... الخ.

---

(٤١) نحو التيسير ٥٠ .
(٤٢) البيان والتبيين ٢/٧ .
(٤٣) البخلاء ٢١٣ .

تأثير الرواية على الشواهد النحوية الشعرية

لقد اصاب النصوص الادبية ما اصابها من تزيّد وتحريف وانتحال ووضع الى طمس معالم كثير من الآثار والنصوص ، عند تداولها وتناقلها في رواية شفوية مدة اكثر من قرنين من الزمن قبل أن تدون في الكتب ، والاسباب كثيرة لا مجال لذكرها . ولما كانت الشواهد النحوية شعرية في الغالب ، فقد اصاب تلك الشواهد الكثير مما اعترى تلك النصوص ، وكان من تأثيره وجود الكثير من الشواهد مجهولة القائلين ، مع العديد من الشواهد الموضوعة ، واختلاف النحويين في نسبة قسم منها الى قائليها ، كما اختلفوا في رواية بعضها . وفيما يأتي تفصيل ما أثرته الرواية على الشواهد النحوية :

١ ـ الاختلاف في نسبة الشواهد الى قائليها :

اختلف النحاة في نسبة قسم كبير من الشواهد الى قائليها ، ومن يرجع الى الكتب النحوية وشروح الشواهد يجد الاختلاف بينهم ظاهرا ، فنحوي ينسب شاهدا لشاعر وذاك يردّ نسبته ، وينسبه لآخر ، وقد يؤول الامر الى أن ينسب الشاهد الى العديد من الشعراء ، وهذه على سبيل المثال بعض الشواهد ، كهذا الشاهد :

نحن بما عندنا وانت بما　　　عندك راض والرأي مختلف

الذى استشهد به (سيبويه) منسوبا الى قيس بن الخطيم [١] ، كذلك نسبه الاعلم الشنتمري [٢]، والعيني [٣]، وخالفهم بعض العلماء فنسبوه الى عمرو بن امريء القيس،

---

(١) الكتاب ٣٨/١ . استشهد به على حذف الخبر من المبتدأ ـ للاختصار ـ لدلالة الخبر الثانى عليه .

(٢) تحصيل عين الذهب ٣٨/١ .

(٣) المقاصد النحوية ٥٥٧/١ .

منهم ابن هشـام اللخمي وابن بري[4] ، والجاحـظ[5] ، والبغـدادي[6] .
اما ابو البركات الانباري فنسبه الى درهم بن زيد الانصاري[7] ، واستشهد به ابن هشام[8] وابن عقيل[9] دون ان ينسباه الى قائل . ومن ذلك ايضا اختلافهم في قائل هذا الشاهد :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك اذا فعلت عظيم[10]

اختلافا كثيرا ، فقد نسب في كتاب سيبويه للاخطل[11] ، وخالفه جماعة مـن العلماء والرواة فنسبوه الى المتوكل بن عبد بن نهشل الكناني الليني منهم : ابو عبيد القاسم بن سلام[12] ، وابو الفـرج الاصفهـاني[13] ، والمرزباني[14] ،

---

(4) المقاصد النحوية ١/٥٥٧ .
(5) البيان والتبيين ٣/٦٩ .
(6) خزانة الادب ٢/١٩٣ .
(7) الانصاف ١/٩٥ .
(8) مغني اللبيب ٢/١٦٤ .
(9) شرح ابن عقيل ١/٢١٢ . والبيت لم أجده في ديوان (قيس بن الخطيـم تحقيق الدكتور ناصر الاسد طبعة القاهرة ، وذكر المحقق في هامش ص٦٣ صبعة ابيات فيها البيت المذكور ، وقال : انها ليست لقيس وانما لعمرو بن امرىء القيس الخزرجي مستندا الى ماجاء في الاغانى ٣/١٩ ـ ٢٠ ، وخزانة الادب ٢/١٨٩ ـ ١٩٠ ، ولكني وجدته في قصـائد ذيل ديوان قيس بن الخطيم ص٨١ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور احمد مطلوب في القصيدة التى اولها :

نحن بغرس الوادي اعلمنا   منا بركض الجياد في السرف
نحن بما عندنا وانت بما   عنـدك راض والرأي مختـلف

(10) يستشهد به النحاة على نصب المضارع بعد واو المعية في جواب النهي بأن مضمرة وجوبا .
(11) الكتاب ١/٤٢٤ .
(12) خزانة الادب ٣/٦١٧ .
(13) الاغاني ١١/٣٩ (بولاق) .
(14) معجم الشعراء ٣٣٩ .

والآمدي [١٥] والزمخشري في المستقصي [١٦] وابن حمدون [١٧] . كما نسبه ابو علي الحاتمي لسابق البربري [١٨] ، وفي شـــواهد (من) للزمخشري انه لحسان [١٩] ، ونقله السيوطى من تاريخ ابن عساكر يسنده الى ابن رواحة : انه للطرماح بن حكيم [٢٠] ، وقد استشهد به جمع من النحاة دون أن ينسبوه الى قائل معيّن ، منهم الفراء [٢١] ، وابن هشام الانصارى [٢٢] وابن عقيل [٢٣]، والاشموني [٢٤] ، ونسبه آخرون الى ابي الاسود الدؤلى . قال العيني : «قائله هو ابو الأسود الدؤلي ، ويقال الاخطل وليس بصحيح . وقال ابن يسعون : الصحيح عندى كونه للمتوكل أو لأبي الاسود وهما كنانيان ، وقد رأيته في شعر كل واحد منهما ألا انه لم يثبت في شعر ابي الأسود المشهور عند الرواة . وقال ابن هشام اللخمي في شرح ابيات (الجمل) : الصحيح انه لأبي الاسود من قصيدته التى اولها :

تلفى اللبيب محسّدا لم يجترم   شتم الرجـال وعرضـه مشتوم

فان صح ما ذكر عن المتوكل فانه اخذ البيت من شعر ابي الاسود والشعراء كثيرا ما تفعل ذلك » [٢٥] . وقال السيوطي : « المشهور انه لأبي الاسود الدؤلي،

(١٥) المؤتلف والمختلف ٢٧٣ .
(١٦) خزانة الادب ٣/٦١٧ .
(١٧) التذكرة ٣٢ .
(١٨) المقاصد النحوية ٤/٣٩٣ ، خزانة الادب ٣/٦١٧ .
(١٩) شرح شواهد المغنى ٢/٧٨٠ .
(٢٠) المصدر نفسه ٢/٧٨٠ .
(٢١) معاني القرآن ١/٤٠٨ .
(٢٢) مغنى اللبيب ١/١٧٩ ، شرح قطر الندى ٧٧ ، شرح شذور الذهب ١٠٨، اوضح المسالك ٣/١٧٥ .
(٢٣) شرح ابن عقيل ٢/٢٧٨ .
(٢٤) شرح الاشموني ٣/٥٦٦ .
(٢٥) المقاصد النحوية ٤/٣٩٣ ـ ٣٩٤ ، خزانة الادب ٣/٣١٨ .

وقد وقع في قصيدة للمتوكل بن عبدالله الليثي ، فعزاه بعضهم اليه . فاما ان يكون من توارد الخواطر أو سرقه منه ، فانه متأخر عنه»[٢٦] . كذلك نسبه الى ابي الاسود الاعلم الشنتمري في شرحه لشواهد الكتاب[٢٧] ، والامير في حاشيته على المغني[٢٨] ، والسيد محمد العاملي في شرحه لشواهد ابن الناظم[٢٩] .

أرأيت كيف كان اختلافهم في نسبة شاهدين نحويين الى قائليهما ؟ . وقيل في تبرير الاختلاف في الشاهد الثانى «إن البيت في عدة قصائد»[٣٠] . فما الذي جعله في عدة قصائد ؟ أليس بتأثير ما اصاب الرواية من تحريف وتغيير؟ . ولم يكن اختلاف النحاة في نسبة هذين الشاهدين فحسب بل اختلفوا في نسبة الكثير منها ، اكتفي بالاشارة الى قسم منها وهو قليل من كثير ، كالشاهد :

هذا لعمركم الصغار بعينه   لا أم لي إن كان ذاك ولا أب[٣١]

و أمرتك الخير فافعل ما أُمرت به   فقد تركتك ذا مال وذا نشب[٣٢]

و كفى بنا شرفا على من غيرنا   حبّ النبي محمد ايّانا[٣٣]

---

(٢٦) شرح شواهد المغني ٢/٧٧٩ .
(٢٧) تحصيل عين الذهب ١/٤٢٤ .
(٢٨) حاشية الامير على المغني ١/١٧٩ .
(٢٩) الشواهد على شرح الفية ابن مالك لابن الناظم ٣٨٨ . وعند مراجعتي ديوان ابي الاسود ظهر ان البيت مثبت في (الديوان تحقيق عبدالكريم الدجيلي ص٢٣٢) في القصيدة التى اولها :
حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه   فالقوم اعداء له وخصوم
كما وجدته في (ديوانه تحقيق محمد حسين آل ياسين ص٥١) .
(٣٠) خزانة الادب ٣/٣١٨ .
(٣١) انظر الكتاب ١/٣٥٢ وخزانة الادب ١/٢٤١ـ٢٤٤ والشواهد لابن الناظم ٣٨٨ .
(٣٢) انظر الكتاب ١/١٧ وتحصيل عين الذهب ١/١٧ وخزانة الادب ١/١٦٤ـ١٦٦ .
(٣٣) انظر المقاصد النحوية ١/٤٨٦ .

و لبيك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح[٣٤]

و نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا[٣٥]

الواقع ان النحاة غير مسؤولين عن هذا الاختلاف ، ولكنهم مسؤولون عن اعتمادهم على الشعر كثيرا في الاستشهاد ، وهذا الشعر جاءهم بطريق الرواية الشفوية ، وقد تداوله الرواة مدة طويلة قبل تدوينه ، فأصابه ما اصابه من تغير وتحريف ، اما سهوا ونسيانا ، أو قصدا ، وادى الى اختلاف الرواة والعلماء في نسبة الشعر الى قائليه ، «فلم تتوصل ابحاثهم الى اجوبة صريحة فيما يتعلق بنقطتين غامضتين هما : نسبة القصائد ، وتحقيق صحتها»[٣٦] • وكيف يمكنهم ذلك وقد اختلفوا ـ احيانا ـ في اسم شاعر ، كاختلافهم ـ مثلا ـ في اسم النابغة الجعدي[٣٧] • ومن امثلة ذلك ما ذكره ابن سلام عن اختلاف العلماء في نسبة قصيدة في وصف المطر منها :

دان مسف فويق الارض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

فمن بنجوته كمن بمحفله والمستكن كمن يمشي بقرواح

حيث جعلها يونس لعبيد ، فلما قدم المفضل صرفها الى اوس بن حجر[٣٨] • ومن ذلك اختلافهم في بيت عزاه يونس للنابغة الجعدي وهو :

مـن سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما

---

(٣٤) انظر الكتاب ١/١٤٥ ، وتحصيل عين الذهب ١/١٤٥ ، وخزانة الادب ١/١٥٢ •

(٣٥) انظر المقاصد النحوية ١/٤٢٦ـ٤٢٧ •

(٣٦) تاريخ الادب العربى ، ريجيس بلا شير ١٣٩ •

(٣٧) انظر الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ٣/٢٩١ •

(٣٨) انظر طبقات فحول الشعراء ٧٦ـ٧٧ والهيدب : ما تدلى منه كهدب الثوب وخمله • والمحفل : حيث يحتفل السيل : اى يجتمع ماؤه • والقرواح : هي الارض البارزة للشمس ، اي الارض المكشوفة •

فنسبه ابو عبيدة لامية بن ابي الصلت . كذلك فعل خلف الاحمر[٣٩] .

وقد كان ما كان من امر العصبية القبلية وأثرها البالغ في الوضع والانتحال حيث كانت كل قبيلة تغير على شعر تدّعيه لشاعرها[٤٠] ، من ذلك مثلا ما ذكره الاصمعي أن يزيد بن ضبة مولى ثقيف «قال الف قصيدة اقتسمتها العرب فذهبت بها»[٤١] . فهذا الخبر على مافيه من المبالغة ، يعطي فكرة واضحة على اغارة القبائل على الشعر وانتحاله ونسبته الى غير قائليه ، وقد ادّى هذا الى ان القصائد أو الابيات صارت تروى في قبائل متعددة فتنسبه كل قبيلة لشاعرها . فلما قام العلماء والرواة بجمع الشعر واللغة بالسماع من العرب ، حيث سمعوا من قبائل مختلفة ، كانوا يسمعون البيت او الابيات او القصيدة منسوبة في هذه القبيلة لزيد وفي اخرى لعمرو ، فكانت نتيجة ذلك ان اختلف العلماء في قائلي الشعر ، والامثلة كثيرة على ذلك لا يتسع المجال لذكرها . ففى كتاب السيرة النبوية ـ مثلا ـ رد ابن هشام نسبة ابيات من الشعر نسبها محمد بن اسحاق وبيّن قائليها مستعينا بروايات العلماء الثقات[٤٢] ، كما انكر ابو عبيد البكرى نسبة كثير من الشعر الذى نسبه ابو علي القالي في اماليه وردّ عليه وبيّن قائليه[٤٣] . كما كان للرواية الشفوية تاثير كبير على الاختلاف في نسبة الشعر الى قائليه ، لما يعتري الذاكرة من نسيان اسماء الشعراء وقد ساعد على ذلك تشابه اسماء عدد من الشعراء كمن سمي بامرىء القيس والاعشى ونصيب والطرماح[٤٤] ، ومما يؤيد هذا قول الآمدي : «ولسنا نقصد الى تحديد من اسمه الحصين من الشعراء

---

(٣٩) انظر طبقات فحول الشعراء ١٠٦ .

(٤٠) انظر النقائض لابي عبيدة ٢/١٦٣ وطبقات فحول الشعراء ٣٩ـ٤٠ ، ١٧٩، ومعجم الشعراء ٣٠٥ والكامل ١/١٩٨ .

(٤١) فحولة الشعراء ٣٣ .

(٤٢) انظر السيرة النبوية م٢/٢١٠ و ٢١١ و ١٣١ و ١٣٢ و ٢٦٩ مثلا .

(٤٣) انظر التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه ٢٣ و ٢٦ و٣٧ و ٧٨ و ٩١ و ١١٢ و ١٢٦ .

(٤٤) انظر المزهر ٢/٢٨٤ـ٢٨٥ .

لكثرتهم(٤٥)، . وقوله : « وفي الشعراء كثير من يقال له زهير(٤٦) وسعد(٤٧) وقيس(٤٨) وسراقة(٤٩)» .

لهذه الاسباب مجتمعة اختلط بعض الشعر على العلماء فأخطأوا في نسبته لأصحابه ، قال الجاحظ : « فأما ما انشد من قول اوس بن حجر :

فانقض كالدريّ يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

فليس يرويه لأوس الا من لا يفصل بين شعر اوس بن حجر وشريح بن أوس»(٥٠) . وهذا الشاهد :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا

على شهرته للزباء ، وقد استشهد به الكوفيون فجعلوه حجتهم في تجويز تقديم الفاعل على فاعله(٥١) ، وهم فيه المبرد فنسبة الى قصير صاحب جذيمة(٥٢) . وهذا الشاهد ايضا :

شلت يمينك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

عزاه ابن هشام الانصاري في شواهده الى (صفية) زوجة الزبير بن العوام ، وتبعه على ذلك طائفة(٥٣) . على حين ان الأسانيد الصحيحة تردّه ، فقد اخرج الحاكم

(٤٥) المؤتلف والمختلف ١١٨
(٤٦) المصدر نفسه ١٩٠ .
(٤٧) المصدر نفسه ١٩٨ .
(٤٨) المصدر نفسه ٣٥٥ .
(٤٩) المصدر نفسه ١٩٨ .
(٥٠) الحيوان ٦/٤٨٨ .
(٥١) الموفي في النحو الكوفي ١٨ ، وانظر في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٤ .
(٥٢) الكامل ١/٢٩٠ .
(٥٣) شرح شواهد المغني ١/٧٢ .

في المستدرك بسند صحيح من طريق هشام بن عروة عن أبيه ان عاتكة بنت زيد ابن عمرو بن نفيل قالته في ابيات ترثي زوجها الزبير بن العوام»(٥٤) .

كما كان التصحيف أحد أسباب الاختلاف ، فربما يتغير اسم الشاعر بفعل التصحيف ، كما روي عن اختلافهم في اسم شاعر قديم ورد اسمه في شعر امريء القيس ، ودرس شعره ، فرواه الاصمعي : خذام ، ورواه ابو عبيدة جذام ، ورواه راو آخر حزام(٥٥) . كذلك اختلفوا في اسم والد الشاعر (مالك بن حريم الهمذاني) فجعله المبرد مصغرا بخاء معجمة (خريم) وكان ينسب في ذلك الى التصحيف ، وجعله ابن قتيبة (حريم) بالحاء . اما ابو عبدالله بن نفطويه فقال هو : (خزيم)(٥٦) . ومما يدل على تأثير التصحيف في اختلاف العلماء باسماء الشعراء وما يجر بالتالى الى اختلافهم في نسبة الشعر الى قائليه ، ما ذكره العسكري في (باب ما يشكل ويصحف من اسماء الشعراء) حيث قال : «هو باب صعب لا يضبطه الا كثير الرواية غزير الدراية ، قال ابو الحسن بن عبدوس الارجاني ، وكان فاضلا متقدما : كنا ببغداد ، والعلماء متوافرون وفيهم الزجاج وابو موسى الحامض وابو محمد الانبارى والبريدي وغيرهم ، فاختلفوا في اسم شاعر هو (حريث بن مخفّض) فكتبنا اربع رقاع الى اربعة من العلماء ، فأجاب كل منهم بما يخالف الآخر . ولم يعرفه الا ابن دريد»(٥٧) .

كان العلماء يتشبثون بأية وسيلة تساعدهم في نسبة الشعر الى قائليه كالاستعانة بالوزن والقافية فيردّون البيت الى قصيدته المشهور قائلها ، أو باتجاه الشاعر وانصرافه الى النظم في غرض واحد كالغزل مثلا دون غيره كهذا البيت الشاهد :

---

(٥٤) شرح شواهد المغني ١/٧١ .
(٥٥) التنبيه على اوهام ابي علي القالي في اماليه ٣٩ـ٤٠ .
(٥٦) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ٣/٤٣٥ .
(٥٧) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢/٣٧٠ .

أسرب القطا هل من يعير جناحه ؟ لعلي الى من قد هويت اطير

فقد اختلفوا في نسبته بين شاعرين نظما في الغزل هما مجنون بني عامر والعباس ابن الاحنف على ان نسبته للثاني اشهر[٥٨] ، ومن هنا نرى كثيرا من اشعار كثيّر عزة تنسب الى مجنون ليلى • ومما يلاحظ ان البيت الغزلي ينسب الى الشاعر المشهور بحب احدى النساء اذا ورد اسم محبوبته فيه عند عجزهم عن معرفة قائله كهذا البيت الشاهد في تقديم المفعول المحصور بالا :

تزودت من ليلى بتكليم ساعة فما زاد الا ضعف مابي كلامها

«نسبه كثير من العلماء لمجنون بني عامر ، ولا يوجد في ديوانه ، ولعل السر في نسبتهم البيت له ذكر (ليلى) فيه»[٥٩] • وهذا الشاهد ايضا :

الا اصطبار لسلمى ام لها جلد ؟ اذا الاقي الذى لاقاه امثالي

«نسبه بعضهم الى مجنون بني عامر ذاكرا موضع سلمى (ليلى)»[٦٠] • وهذا البيت الشاهد ايضا :

لميّة موحشا طلل يلوح كأنه خلل

«من روى أوّله : لعزة موحشا ••• الخ قال انه لكثير عزة ، منهم ابو علي الفارسي في (التذكرة القصرية) ومن رواه : لمية موحشا ••• قال انه لذي الرمة • فان عزة اسم محبوبة كثيّر ، وميّة اسم محبوبة ذي الرمة ••• وقد قيل : انه لكثيّر عزة»[٦١] •

الواقع ان الاختلاف في نسبة الشواهد الى قائليها لم ينفرد به نحويو مدرسة

(٥٨) انظر المقاصد النحوية ١/٤٣١ •
(٥٩) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ١/٤١٦ •
(٦٠) الشواهد على شرح ابن الناظم ١٢٥ •
(٦١) خزانة الادب ١/٥٣٢_٥٣٣ •

دون اخرى ، بل هو ظاهرة عمت الشواهد النحوية لجميع النحاة ، فمن بين شواهد الزمخشري في كتابه (المفصّل) (٢٢) اثنان وعشرون شاهدا اختـــلف النحاة في قائليها[٦٢] ، وبين شواهد ابن هشام في شرح القطر (٦) ستة شواهد[٦٣] ، كما ان من بين شواهد ابن عقيل (١٤) اربعة عشر شاهدا[٦٤] . على ان البصريين كانوا حريصين على نسبة الشواهد الى قائليها الحقيقيين كما في مبادرة ابي عمر الجرمي أو أبي عثمان المازني الى نسبة شواهد كتاب سيبويه[٦٥] ، وسيأتي تفصيـله . وكذلك في قيام العلماء على مدى العصور بشرح الشواهد ونسبتها الى قائليها وتبيان روايتها، كقيام محمود بن احمد العيني ٨٥٥هـ بشرح شواهد شروح الفية ابن مالك، وتبيين روايتها ونسبتها الى قائليها في كتابه (المقاصد النحوية) كذلك قام جـــلال الدين السيوطي ٩١١هـ بشرح شواهد مغني اللبيب لابن هشام الانصارى وتوضيـح روايتها الصحيحة ونسبتها الى قائليها ، كما قام عبدالقادر البغدادى ١٠٩٢هـ بشرح شواهد رضي الدين الاستراباذي في شرحه لكافية ابن الحاجب ونسبتها الى قائليها ، وارجاعها الى قصائدها وتقديم تراجم شـــعرائها ، وذكر مـــن استشهد بها من النحاة الى آخر ما يتعلق بها من توضيحات ، كما بيّن شواهد سيبويه ، المعلومة والمجهولة ، كل ذلك في كتاب ضخم في اربعة مجلدات كبار ، وسم بـ (خزانة الادب ولب لباب لسان العرب) .

---

(٦٢) انظر المفصل ١٠ و ٢٠ و ٦٦ و ٧٠ و ٧٥ و ١١٨ و ١١٩ و ١٣٢ و ١٣٦ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٧ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٦٥ و ١٦٨ و ٢٣٥ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٣١ و ٣٦١ و ٣٧١ .

(٦٣) انظر شرح قطر الندى ١٤ و ١٥ و ٢١ و ١٤٩ و ٢٥٧ و ٢٩١ .

(٦٤) انظر شرح ابن عقيل ٤٦/١ و ٦٤ و ١٢٥ و ٢٢٧ و ٣١٣ و ٣٤٢ و ٣٦٢ و ٣٦٦ و ١٣٦/٢ و ١٥٧ و ١٥٩ و ٢٠٩ و ٤٠٨ و ٤٣٠ .

(٦٥) انظر طبقات النحويين واللغويين ٧٧ و بغية الوعاة ٢٢٩/٢ .

٢ ـ الشواهد المجهولة :

في النحو كثير من الشواهد المجهولة القائل ، التى لم يستطع العلماء ان يعزوها الى قائل معلوم ، فلا يكاد يخلو منها أى كتاب نحوي صغر أم كبر . ونضرب مثلا لذلك كتاب سيبويه ـ اكبر كتاب في النحو واهمها ـ فقد ضمّ بين شواهده (٥٠) خمسين شاهدا مجهولة القائلين [٦٦] ، ومثال على الكتاب النحوي الصغير (منازل الحروف) للرماني فبين شواهده البالغة (٣٠) ثلاثين شاهدا ، (٥) خمسة شواهد مجهولة[٦٧] ، وفي عدة احصاءات اجريتها لشواهد بعض الكتب النحوية وجدت انها تضم بين دفتيها كثيرا من الشواهد المجهولة ، فبين شواهد الزمخشري في (المفصّل) (٤٢) اثنان واربعون شاهدا ، وبين شواهد ابن هشام في (المغني) البالغة (٨٧٩) تسعة وسبعين وثمانمائة شاهد : (١٨٨) ثمانية وثمانون ومائة شاهد مجهول قائلوها ، وبين شواهد ابن عقيل (٩٩) تسعة وتسعون شاهدا من مجموع (٣٥٩) تسعة وخمسين وثلاثمائة . وهنالك شواهد ليس لها سوابق أو لواحق ولم تنسب الى قائل معين ، وقائلوها مجهولون رغم البحث والتفتيش ، كثير مما تناثر في كتب النحو ، يستشهد بها النحويون منها على سبيل المثال هذه الشواهد :

غفرنا وكانت من سجيتنا الغفر[٦٨]

و : من يعن بالحمد لا ينطق بما سفه ولا يحد عن سبيل المجد والكرم[٦٩]

---

(٦٦) انظر طبقات النحويين واللغويين ٧٧ وبغية الوعاة ٢/٢٢٩ .

(٦٧) انظر منازل الحروف ٥١ و ٥٤ و ٥٦ و ٦٤ .

(٦٨) الخصائص ١/١٤ استشهد به ابن جني في تأنيث ما أنث لذهابه الى المعنى ، وذكره في اللسان (غفر) ٥/٢٦ دون نسبة وقال : انه أنث الغفر لانه في معنى المغفرة .

(٦٩) استشهد به كثير من النحاة دون نسبة ، وليس له سوابق أو لواحق انظر : اوضح المسالك (باب الموصول) ١/١١٩ ، وشرح الاشموني (باب الموصول) ١/٧٨ .

و : صاح شمر ، ولا تزل ذاكر المو ت ، فنسيانه ضلال مبين[٧٠]

و : اقاطن قوم سلمى ام نووا ظعنا ان يظعنوا فعجيب عيش من قطنا[٧١]

و : لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم[٧٢]

واغلب شواهد التنازع مجهولة القائلين وليس لها سوابق او لواحق وهي نفسها تتردد في اغلب الكتب النحوية[٧٣] ، ومن الشواهد الطريفة هذا الشاهد :

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد

الذى استشهد به في علوم مختلفة على الرغم من جهل قائلة ، فقد « استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والبيانيون [علماء البلاغة] على عكس التشبيه ، والفقهاء والفرضيون على دخول الابناء في الميراث والوصية والوقف ، وعلى ان الانتساب الى الآباء ، ولم يعزه احد منهم الى قائله»[٧٤] .

---

(٧٠) اوضح المسالك ١/١٦٥ (باب الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر) ، شرح ابن عقيل ١/٢٣٠ (باب كان واخواتها) ، شرح الاشموني ١/١١٠ (باب كان واخواتها) .

(٧١) شرح شذور الذهب ٦٥ (باب المبتدأ والخبر) ، اوضح المسالك ١/١٣٤ (باب المبتدأ والخبر) ، شرح الاشموني ١/٨٩ (باب الابتداء) .

(٧٢) شرح ابن عقيل ١/٢٣٧ (باب كان واخواتها) ، اوضح المسالك ١/١٧٠ (باب الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر) . شرح الاشمونى ١/١١٢ (باب كان واخواتها) .

(٧٣) انظر شواهد هذا الباب ـ مثلا ـ في كتاب الرد على النحاة ١١٦ وما بعدها وشرح ابن عقيل ١/٤٦٧ـ٤٧١ ، واوضح المسالك ٢/٢١ـ٣٣ ، وشرح الاشموني ١/٢٠١ـ٢٠٦ .

(٧٤) شرح شواهد المغنى ٢/٨٤٨ .

ان وجود مثل هذه الشواهد في النحو جاء نتيجة الاعتماد على الطريقة الشفوية في تناقل وتداول الآثار والنصوص الادبية مدة اكثر من مائتي عام قبل تدوينها ، حيث ظل الرواة والناس يتداولونها معتمدين على الذاكرة ، التى يعتريها النسيان ، فكان ما ذكرنا من تأثير ذلك على الشواهد حيث اختلف العلماء في نسبة كثير منها الى قائليها كما جهلوا اسماء قائلى قسم آخر من الشواهد ، ويظهر ان السبب في جهل قائليها ، ان هذه الشواهد ربما كانت في الاصل ابياتا مفردة ، او في قطع شعرية قالها اعراب مغمورون ، لم ينصرفوا الى الشعر انصرافا تاما فيشتهروا به ، فأهمل الرواة ذكر قائليها ، ولهذا درست اسماؤهم ، ونسيت بمرور الازمان بسبب الطريقة الشفوية في الرواية •

واذا كان الاختلاف قد وقع ــ كما ذكرنا فيما سبق ــ بين العلماء في نسبة شعر شعراء مشهورين ، فكيف حالهم بالأبيات المفردة او المقطعات التى تفرد بها بعض الاعراب المغمورين الذين لم ينصرفوا الى الشعر ويشتهروا به ؟ فهذه الشواهد اليتيمة التى ليست لها سوابق ولا لواحق ربما جاء قسم منها عن هذه الطريق ، ولا يبعد ان قسما منها كان معروفا قائله وقت الاستشهاد به ثم نسي بمرور الزمن ، وذهاب الذين كانوا يعرفونه ، والدليل على هذا ان بعض الباحثين استطاعوا أن يعرفوا قائلى بعض ابيات سيبويه الخمسين المجهولة ، وسيأتى تفصيله • كما لايبعد ان قسما آخر قد صنع على ايدى الرواة الوضاعين وجاز على العلماء ، لدقة الصنعة فيه •

٣ ــ الاختلاف في رواية الشواهد :

وقع اختلاف في رواية قسم من الشواهد النحوية حيث رويت بروايات مختلفة ، وهذا الاختلاف ليس له اهمية اذا كان لا يمس موضع الاستشهاد ، اما المهم فهو ذلك التغير الذى يقع في موضع الاستشهاد في الشاهد بحيث يترتب عليه

عدم الاستشهاد به على الرواية الثانية وعدم جواز القاعدة النحوية التى بنيت عليه، ولهذا كثر الاخذ والرد بين النحاة حول صحة الاستشهاد ببعض الشواهد .
من ذلك مثلا استشهاد سيبويه في (باب ما اجري على موضع غير لا على ما بعد غير) بقول عقيبة الاسدي :

فلسنا بالجبال ولا الحديدا(١)

على جواز حمل المعطوف على الموضع(٢) . وقد رد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب جماعة منهم العسكري وابن عبد ربه «والتدمري في شرح ابيات الجمل»(٣) . قال ابو الحسن العسكري : « ومما غلط فيه النحويون من الشعر ، ورووه موافقا لما ارادوه ، روي عن سيبويه ، احتجاجه في سبق الاسم المنصوب على المخفوض قول الشاعر :

معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وغلط على الشاعر ، لان هذه القصيدة مشهورة ، وهي مخفوضة كلها...»(٤) .
ومما قاله احمد بن عبد ربه : «وانما قاله الشاعر على الخفض والشعر كله مخفوض فما كان يضطره ان ينصب هذا البيت ويحتال على اعرابه بهذه الحيلة الضعيفة ؟ ...»(٥) . وعدّ البغدادي المبرد ممن رد رواية سيبويه(٦) . والواقع

---

(١) الكتاب ١/٣٧٥ .
(٢) قال الاعلم الشمنتري : « استشهد به سيبويه على جواز حمل المعطوف على موضع الباء وما عملت فيه لان معنى : لسنا بالجبال ولسنا الجبال واحد» . (تحصيل عين الذهب ١/٣٤) ، وقد استشهد به على هذا الغرض في عدة مواضع من الكتاب ١/٣٤ ، ٣٥٢ ، ٣٧٥ ، ٤٤٨ .
(٣) شرح شواهد المغنى ٢/٨٧٠ .
(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢/٢٠٧ـ٢٠٨ وذكر (العسكري) ثلاثة ابيات من القصيدة مخفوضة الروي .
(٥) العقد الفريد ٤/٣٢ـ٣٣ .
(٦) انظر خزانة الادب ١/٣٤٣ .

ان المبرد روى رواية البيت كرواية سيبويه واستشهد به في عدة مواضع على الغرض نفسه الذى استشهد به سيبويه وهو (الحمل على الموضع)(٧) . والواقع ان سيبويه غير مخطيء في استشهاده بالبيت على رواية النصب ، اذ يظهر انه «روي مع ابيات منصوبة ومع ابيات مجرورة»(٨) . فالفراء يقول : « وينشد (الحديدا) خفضا ونصبا ، واكثر ما سمعته بالخفض»(٩) . واضطرب النحاة في رواية هذا الشاهد ، «فزعم السيرافي ان شعر عقيبة الأسدي يجوز في انشاد قوافيه الجر والنصب»(١٠) . اما ابو البركات الانباري فقال : « ومن زعم ان الرواية (ولا الحديد) بالخفض فقد اخطأ ، والروي المخفوض لا يكون مع الروي المنصوب في قصيدة واحدة»(١١) ، كذلك قال مثل قوله ابن هشام اللخمي في شرح ابيات الجمل(١٢) . وهذا كلّه من عيوب الرواية وتأثيرها على الشواهد ، بدليل قولهم في تعليل اختلافهم واضطرابهم في هذا البيت : «وليس ينكر ان يكون بيت من شعرين معا لان الشعراء قد يستعير بعضهم من كلام بعض وربما اخذ البيت بعينه ولم يغيره»(١٣) . وعليه فان سيبويه «غير متهم فيما نقله رواية عن العرب ، ويجوز ان يكون البيت من قصيدة منصوبة غير هذه المعروفة ، أو يكون الذى انشده ردّه الى لغته فقبله منه سيبويه منصوبة(١٤) فيكون الاحتجاج بلغة المنشد لا بقول الشاعر»(١٥) .

ومن ذلك ايضا مثل آخر على اختلاف روايات الشواهد وتأثيرها على الاستشهاد ، الشاهد :

---

(٧) انظر المقتضب ٣/٢٨١ و ٤/١١٢ و ٤/٣٧١ .
(٨) خزانة الادب ١/٣٤٤ .
(٩) معاني القرآن ٢/٣٤٨ .
(١٠) خزانة الادب ١/٣٤٤ .
(١١) الانصاف ١/٣٣٣ .
(١٢) انظر خزانة الادب ١/٣٤٤ .
(١٣) خزانة الادب ١/٣٤٤ .
(١٤) كذا وردت هذه العبارة ، واظنها زائدة ، أو (منصوبا) ليستقيم الكلام.
(١٥) تحصيل عين الذهب ١/٣٤ .

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقا شيئا اذا كان جائيا

الذى استشهد به سيبويه مرتين ، وقد اختلف استشهاده في المرتين تبعا لروايتيه ، ففي المرة الاولى استشهد به على رواية (ولا سابقا) منسوبا الى زهير بن ابي سلمى، على تنوين (سابق) ونصب ما بعده تشبيها بالفعل المضارع لانها في معناه[١٦] . وفي المرة الثانية نسب الى صرمة الانصارى وانشده « ولا سابق » ، استشهد به على عطف (سابق) على (مدرك) وجرّه على التوهم ، لان معناه : لست بمدرك[١٧] .

وقد رد بعض العلماء الرواية الثانية برواية أخرى ينتفي الاستشهاد بالبيت بمقتضاها ، لان البيت «يروى بالجر على التوهم وبالاضافة الى ياء المتكلم ورفع شيء فلا شاهد فيه»[١٨] . قال ثعلب في شرح ديوان زهير : «انكر الاصمعي كون هذه القصيدة لزهير»[١٩] . ورد السيوطي : «ورأيته في شرح ثعلب بلفظ : ولا سابقي شيء ، ولا شاهد فيه»[٢٠]. كذلك قال الشهاب الخفاجي قول السيوطي نفسه[٢١] . وروى ابن الشجري الشاهد : (ولا سابقا) ونسبه الى زهير وقال : «قيل هو لصرمة الانصارى ولا يشبه كلام زهير»[٢٢] . فمن يرويه (ولا سابق) يخفضه على تقدير الباء في (مدرك) ، لان الباء كثيرا ما تدخل على خبر ليس ، فكأنه قال : لست بمدرك ما مضى . وسيبويه يجرى مثل هذا على الغلط والتوهم[٢٣] . والبيت في ديوان زهير[٢٤] ، في القصيدة التى اولها :

---

(١٦) انظر الكتاب وتحصيل عين الذهب على هامشه ٨٣/١ .
(١٧) انظر الكتاب ١٥٤/١ .
(١٨) حاشية الامير علي المغني ٨٩/١ .
(١٩) شرح شواهد المغني ٢٨٤/١ـ٢٨٥ .
(٢٠) المصدر نفسه ٢٨٥/١ .
(٢١) انظر شرح درة الغواص ٧٧ .
(٢٢) مختارات ابن الشجري القسم الثانى/١١ .
(٢٣) انظر الكتاب وتحصيل عين الذهب على هامشه ١٥٤/١ .
(٢٤) طبعة بيروت ١٩٦٠ ص١٠٦ .

الا ليت شعري : هل يرى الناس ما ارى   من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا(٢٥)

وهو على غير رواية سيبويه بالجر على التوهم ، وانها عـلى روايته الثانيـة « ولا سابقا »(٢٦) .

ومن ذلك يتبين ان رواية سيبويه للشاهد أصح ، وانه معذور ، اذ إن للبيت روايتين كما رأينا وعليهما استشهد سيبويه .

ان السبب في هذا الاخذ والرد بين النحاة هو ما تقدم ذكره عما اصاب المرويات من اختلاف وتغير طيلة المدة الطويلة التي روى فيها مشافهة ، وكان اعتماد الرواة فيها على الذاكرة التى يعتريها النسيان احيانا ، فقد «كان الشاعر يقول الشعر وينشده بعكاظ أو في غيرها من المواسم فيحفظه عنه من يسمعه من الاعراب ، ويذهبون به الى الاقطار فيقدمون ويؤخرون ويبدلون الالفاظ ، وربما حفظ السامع منهم بعض الشعر ولم يحفظ بعضه»(٢٧) .

يضاف الى هذا أن العرب كانوا مختلفى اللهجات ، وكانوا يتناشـدون الشعر الذى قيل في لهجة ادبية موحدة ، فينشد كل منهم على مقتضى لهجته التى نشأ عليها(٢٨) ، وبقي الشعر متداولا بين القبائل ، حتى زمن التدوين حيث سمع

---

(٢٥) ديوان زهير بن ابي سلمى ١٠٧ .

(٢٦) الكتاب ١/١٥٤ .

(٢٧) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/٤٥٢ .

(٢٨) قال ابن هشام في شرح الشواهد : «كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض وكل يتكلم على مقتضى سجيته التى فطر عليها ، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الابيات» (المزهر ١/١٥٥ ، الاقتراح ٢٨ ، شرح شواهد المغني ٢/٩٤٤) . وقال البغدادي : « ربما روي البيت الواحد من ابيات سيبويه وغيرها على اوجه مختلفة ، ربما لا يكون موضع الشاهد في بعضها او جميعها ولا ضير في ذلك ، لان العرب كان بعضهم ينشد شعره الآخر على مقتضى لغته التى فطره الله عليها ، وبسببه تكثر الروايات في بعض الابيات» (خزانة الادب ١/٨) .

الرواة من قبائل مختلفة ، فسجلوا روايات مختلفة للقصيدة أو الابيات . روي ان ابن الاعرابي انشد في مجلسه :

وموضع زبن لا اريد مبيته   كأني به من شدّة الروع آنس

«فقال له شيخ من اصحابه : ليس هكذا انشدتنا ، انما انشدتنا : وموضع ضيق . فقال : سبحان الله ! تصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم ان الزبن والضيق واحد[٢٩]، وقال (ابن جني)[٣٠] معقبا على هذه الرواية : «وهذا ونحوه ـ عندنا ـ هو الذي أدى الينا اشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة ، على معان متفقة ، وكان احدهم اذا اورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود ، كأنه لم يأت الا به ، ولا عدل عنه الى غيره ، اذ الغرض فيهما واحد ، وكل واحد منهما لصاحبه مرافد»[٣١] . ومثال ذلك ما وقع في شواهد النحو مما روي على لغات القبائل الشاهد المنسوب الى كعب بن سعد الغنوي :

فقلت : ادع اخرى وارفع الصوت جهرة   لعل ابي المغوار منك قريب

واستشهد به النحاة على هذه الرواية[٣٢] ، على ان الجر بـ لعل لغة عقيلية[٣٣] حكاها ابو زيد والاخفش والفراء [٣٤] ، وللشاهد رواية اخرى

---

(٢٩) الخصائص ٢/٤٦٧ .

(٣٠) هو ابو الفتح عثمان بن جني من ائمة النحو واللغة البغداديين في القرن الرابع الهجرى ، تلمذ لابي علي الفارسي ولازمه مدة طويلة ، توفى سنة ٣٩٢هـ (الفهرست ١٣٤ ، معجم الادباء ١٣/٨٣ ، وفيات الاعيان ٢/٤١٢).

(٣١) الخصائص ٢/٤٦٨ .

(٣٢) مغنى اللبيب ١/٢٢٢ واوضح المسالك ٢/١١٨ وشرح ابن عقيل ٢/٦ وشرح الاشموني ٢/٢٨٤ .

(٣٣) امالي المرتضى ٣/٦٠ ، العوامل المائة ٩١ ، تسهيل القوائد ٦٦ ، مغني اللبيب ١/٢٢٢ .

(٣٤) همع الهوامع ٢/٣٣ .

على ان لعل حرف نصب قال عنها ابو الحسن[٣٥] هي « الرواية المشهورة التى لا اختلاف فيها»[٣٦] ، لهذا انكر رواية الجر بعض النحاة «ومنهم ابو علي الفارسي وتأول البيت»[٣٧] • ويروى : « لعا لأبي المغوار منك قريب»[٣٨] • وفي هذا دليل على ان لهجات القبائل كان لها تأثير في اختلاف روايات الشواهد •

ومما روي من الشواهد موافقا للهجات القبائل قول الفرزدق :

ابني كليب إن عمّي اللذا   قتلا الملوك وفككا الاغلالا[٣٩]

حذف نون (اللذان) تخفيفا ، «وهو لغة بني الحارث بن كعب وبعض بني ربيعة»[٤٠] •

وقول ذى الرمة :

أعن ترسّمت من خرقاء منزلة   ماء الصبابة عن عينيك مسجوم؟

«أعن : اصلها : أأن ، وبنو تميم وبنو اسد تقلب الهمزة عينا في أنْ وأنّ خاصة ،[٤١] فيقولون » في نحو : اعجبني ان تفعل : عن تفعل ••• وكذا يفعلون

(٣٥) هو علي بن سليمان الاخفش الصغير في تعليقه على نوادر ابي زيد •

(٣٦) نوادر ابي زيد ٣٧ •

(٣٧) همع الهوامع ٢/٣٣ •

(٣٨) نوادر ابي زيد ٣٧ ف (لعا) رفع بالابتداء و (لابي المغوار) الخبر ، ولعا مقصور مثل : عصى ورحى ، وهذه كلمة تستعملها العرب عند العثرة والسقطة •

(٣٩) المقاصد النحوية ١/٤٢٣ ونسبه السيوطى في (شرح شواهد المغني ١/١٤٣) للاخطل •

(٤٠) المقاصد النحوية ١/٤٢٥ •

(٤١) طبقات فحول الشعراء ٤٧٧ــ٤٧٨ •

في أن المشددة فيقولون : اشهد عن محمدا رسول الله ، وتسمى عنعنة تميم»[٤٢].
وقول «ابي ذؤيب الهذلي :

شربن بماء البحر حتى ترفعت   متى لجج خضر لهن نئيج

أى (من لجج) ، وقول صخر الغي :

متى ما تنكروها تعرفوها   متى اقطارها علق نفيث

أى من اقطارها»[٤٣]. وهذان الشاهدان فيهما (متى) بمعنى (عن) على لغة هذيل .

كان من اثر الرواية في التغيرات التى حدثت في الشواهد أن رأينا النحاة يستشهدون بالشاهد الذى تصح روايته عندهم وان كانوا ذوي مذاهب مختلفة ، من ذلك مثلا تجويز الكسائى وبعض الكوفيين وابى عمر الجرمي وابي عثمان المازني وابي العباس المبرد من البصريين تقديم التميز على العامل فيه[٤٤]، مستشهدين على ذلك بقول الشاعر :

أتهجر ليلى بالفراق حبيبها ؟   وما كاد نفسا بالفراق تطيب[٤٥]

متفقين على رواية الشاهد بالشكل الذى يؤيد مذهبهم ، وقد صحت روايته عندهم ،

---

(٤٢) مغني اللبيب ١/ ١٣٠ـ١٣١ .
(٤٣) المقصور والممدود ، ابن ولاد ٢/ ١٠٣ واللجج : جمع لجة ، واللجة معظم الماء ، والنئيج : هو الصوت العالي المرتفع . والعلق : دم واقطارها : جهاتها الاربع والمعنى : من جهاتها الاربع دم منفوث .
(٤٤) المقتضب ٣/ ٣٧ ، الانصاف ٢/ ٨٢٨ ، اسرار العربية ٧٩ .
(٤٥) البيت من قصيدة للمخبل السعدى واسمه عبدالرحمن ، وعزاه بعضهم الى اعشى همدان وعزاه ابن سيدة الى قيس بن معاذ (الخصائص ٢/ ٣٨٦ ، شرح الشواهد الصغرى للعيني ٢/ ٢٠١ ، جامع الشواهد (باب الالف بعد الخاء) ، الشواهد على شرح ابن الناظم ٢١٤ .

وذهب مذهبهم من المتأخرين : ابن مالك[٤٦] وابن عقيل [٤٧] والسيوطي[٤٨] ، على ان الجمهور خالفوهم ذاهبين الى أن ذلك ضرورة شعرية[٤٩] ، كما ذكر أن للبيت رواية اخرى لا يكون البيت شاهدا بمقتضاها ، فعن الزجاج ان الرواية الصحيحة :

وما كان نفسي بالفراق تطيب[٥٠]

قال ابن جني : «فأما ما انشده المازني وتلاه فيه المبرد من قول المخبّل(السعدى) ، فنقابله برواية الزجاجي واسماعيل بن نصر وأبي اسحاق (الزجّاج) ايضا :

وما كان نفسي بالفراق تطيب

فرواية برواية ، والقياس من بعد حاكم» [٥١] . وقيل «روي كاد وكان وسلمى وليلى وتطيب بالتذاكير والتأنيث ونفسا ونفسي وتطيب بضم التاء من الاطابة فعلى هذا نفسا مفعوله وفاعله ضمير ليلى ، وفي كان أو كاد ضمير الشأن»[٥٢] . «ونقل انه في ديوانه : ولم تك نفسي» [٥٣] . وفيما تقدم دليل واضح على اختلاف النحاة في رواية الشواهد اختلافا كبيرا ، مما وسّع بينهم من شقة الخلاف في المسائل النحوية ، وقد أتى هذا من تأثير ما اتاب رواية النصوص من اختلاف فانعكس

---

(٤٦) شرح الاشموني ١/٢٦٦ .
(٤٧) شرح ابن عقيل ١/٥٦٥ .
(٤٨) جامع الشواهد (باب الالف بعد الخاء) .
(٤٩) شرح الشواهد الصغرى للعيني ٢/٢٠١ ، الشواهد على شرح ابن الناظم ٢١٥ .
(٥٠) الانصاف ٢/٨٣١ ، شرح الشواهد الصغرى للعينى ٢/٢٠١ ، الشواهد على شرح ابن الناظم ٢١٥ ، اسرار العربية ٧٩ .
(٥١) الخصائص ٢/٣٨٤ وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٢/٧٤ حيث يقول : ان الرواية : وما كاد نفسي بالفراق تطيب .
(٥٢) شرح الشواهد الصغرى للعينى ٢/٢٠١ .
(٥٣) المصدر نفسه ٣/٣٠١ .

واضحا على الشواهد النحوية ، حيث اصاب الاختلاف قسما منها .

وكان الاختلاف في روايات الشواهد على أشده بين البصريين والكوفيين لما مر بنا عن اختلاف المدرستين في الاصول . من ذلك مثلا اختلافهم في رواية بيت الفرزدق :

غداة أحلّت لابن أصرم طعنة   حصين عبيطات السدائف والخمر

حيث «رواه الكسائي والفراء وهشام [بن معاوية الضرير] وغيرهم برفع (الطعنة) ونصب (العبيطات) ورفع (الخمر) على معنى : والخمر كذلك ، أي والخمر احلتها الطعنة ايضا ... وروى البصريون البيت : برفع عبيطات ، وجعلوه مقلوبا ، تأويله : احلت عبيطات السدائف والخمر الطعنة»(٥٤) . وكان البصريون يتوخون الرواية الصحيحة للشواهد جهد الامكان فكانت قاعدتهم في الاعتراض على الاستدلال بالنقل في شيئين : الاسناد والمتن(٥٥) ، وكانوا يتحققون اولا من صحة الاسناد ، فاذا وجدوا ان اسناده لا شبهة فيه وان رجال السند ممن لا يشك في صدقهم ، انتقلوا الى المتن . واعتراضهم على المتن يكون من خمسة أوجه ـ كما ذكر أبو البركات الانباري ـ(٥٦) اهمها عندهم اختلاف رواية الشاهد(٥٧) . وهذا الوجه طالما استخدم في رد الكثير من الشواهد التي اوردها العلماء لتثبيت القاعدة وتأييد مذهبهم ، فردت قاعدتهم على اعتبار ان الشاهد المروي قد روي بوجه آخر لا يفيد الغرض الذي استشهد به ، كما مر بنا في الامثلة المتقدمة ، كما اعترض البصريون كثيرا على الكوفيين في المسائل المختلف فيها ، بأن رواياتهم لبعض الشواهد رويت برواية اخرى مخالفة لروايات

---

(٥٤) الاضداد ١٠١ .
(٥٥) الاغراب في جدل الاعراب ٤٦ ، لمع الادلة ١٣٦ .
(٥٦) الاغراب ٤٧ ، لمع الادلة ١٣٦ـ١٣٧ .
(٥٧) الاغراب ٤٧ ، لمع الادلة ١٣٦ .

البصريين[٥٨] . ولا تفوت الاشارة الى ان التصحيف اصاب الشواهد بعد حركة التدوين ، وقد كان العلماء من اللغويين والنحاة في حلقاتهم يحاولون محاولة جديّة في تثبيت الاوجه الصحيحة لرواية الشاهد مستعينين بخبرتهم وسعة اطلاعهم واستقرائهم .

ربما يتبادر الى الذهن سؤال وهو : هل التغير الذى حصل في روايات الشواهد النحوية ، بسبب عيوب الرواية ؟ أم ان قسما منه يعود الى تلاعب النحاة بالنصوص وتغيير روايتها على وجه يضمن الاستشهاد بها ؟ الواقع ان اشارات وردت عن تغيير بعض النحاة لبعض الشواهد بما يخدم القاعدة التى يبتغونها[٥٩] ، وربما يستدل على مقدرتهم على التغيير مما ذكر في (الموشح) عن بيت لابن هرمة جاء فيه المضارع مجزوما بعد لو وهو قوله :

ماذا بمنبج لو تنبش مقابرها   من التهدم بالمعروف والكرم

وقد سأل ابن دريد ابا حاتم عن سبب جزمه فقال : «قال قوم من النحويين كراهة كثرة الحركات ... قال ابو حاتم : ولو قال : (لو نبشت مقابرها) استراح من (تنبش) وكان كلاما فصيحا»[٦٠] . قال المبرد : «وحدثني المازني قال : سمعت العرب تقول : (لو غير ذات سوار لطمني) . ويقول النحويون : (لطمتني)»[٦١] .

---

(٥٨) انظر الانصاف ١/١٣٥ و ٢٩٤ و ٢/٤٥٥ و ٥٧١ و ٥٩١ مثلا .

(٥٩) قال الخليل في كتاب (العين ١/٩٥) : « ان النحارير منهم ربما ادخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنت» .

(٦٠) الموشح ٢٢٤_٢٢٥ .

(٦١) في مجمع الامثال ٢/١٢٢ : «لو ذات سوار لطمتني»ورواه القالي في (النوادر ١٨٧) : لو غير ذات سوار لطمتني ، وان القائل له هو حاتم الطائي ، وقد لطمته امرأة آسره في قصة طويلة . كذلك رواه الميداني في (مجمع الامثال ٢/١٥٢) على هذه الصورة الثانية .

فأخذت غير قل النحويين وتركت قول العرب»[٦٢] .

ومما ذكره العسكري ان النحويين غيروه مخالفين الرواة قول الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومه　　ومختبط مما تطيح الطوائح

وقد رواه الاصمعى وغيره (ليبك) على البناء للمعلوم[٦٣] .
وقول الشاعر :

فلئن قوم اصابوا عزّة　　وأصبنا من زمان رنقا
للقد كانوا لدى ازماننا　　لصنيعين لبأس وتقى

ورواية الرواة : فلقد كانوا .

وكذلك قول الآخر :

من كان لا يزعم اني شاعر　　فيدن مني تنهه المزاجر

انما هو فليدن مني ، وبه ايضا يصح الشعر»[٦٤] .

ولا ريب في ان النحاة حينما لجاوا الى تغيير بعض ابيات الشواهد انما كانوا يبتغون ان تكون القواعد مطردة تسير على نظام متسق ، فاذا اعترضهم عارض ما حاولوا تمهيده بما يكفل ذلك ، وهدفهم نبيل ودافعهم اصلاح اللغة ونفي الشوائب والشواذ عنها ، ولهذا ذهب نولدكه الى « ان كثيرا من الفرزدق الدقيقة بين اللهجات طمسها الشعراء المتجولون والنحويون ، ففى كثير من المواضع ، قد يكون هناك مثلا ـ بحسب العادة الأعرابية لقبيلة ما ـ حالة اعرابية مخالفة لما يعلمه النحاة ،

---

(٦٢) الفاضل ٤٢ قال محقق الكتاب : كذا الاصل ، والمعنى : «ان رواية النحاة أخذت وترك قول العرب لاجلها» اهـ . ويبدو أن كلمة (غير) زائدة .

(٦٣) انشده سيبويه في (كتابه ١/١٤٥) على البناء للمجهول ونسبه للحرث بن نهيك واستشهد به على هذه الرواية ، كذلك استشهد به ابن جني في (الخصائص ٢/٣٥٣) دون عزو لقائل وعلى البناء للمجهول .

(٦٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢/٢٠٨ـ٢٠٩ وانشده في لسان العرب (زجر) ٤/٣١٩ دون نسبة : فليدن مني ... وقال : ويروى : فيدن مني . اراد فليدن فحذف اللام تخفيفا .

وعندئذ تغيّر ، الا اذا كانت في قافية البيت»[٦٥] ، ومما ذكره ابو الحسن في تعليقه على نوادر ابي زيد شواهد رواها النحويون خلافا لرواية الرواة[٦٦] ، وقال : «وهذه اشياء ربما خطر ببال النحوي انها تجوز على بعد في القياس ، فربما غيّر الرواية»[٦٧] ، « كما ان الافراط في الحرص على صحة اللغة وصفائها في اوساط البصرة قد ادى الى اجراء بعض التصحيحات في الآثار المروية»[٦٨] .

ولا يمكن القول بأن جميع النحاة كانوا يقدمون على هذا العمل ولاسيما النحاة الاوائل الذين شادوا صرح هذا العلم الشامخ ، واذا وجد عندهم شيء من الشواهد التي رويت بروايات مخالفة لما استشهدوا به كما هو الحال عند سيبويه[٦٩] ، فذلك عائد الى الرواية والرواة ، وربما وقع عند النحاة الذين جاءوا بعدهم . واكثر ما وقع هذا عندما اشتد الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة وكثر الجدل والمناظرة فقصدوا بهذا التغيير توجيه الحجة والاعتماد على دليل ما . يؤيد هذا ما قاله سلمة لثعلب [٧٠] : « ان اصحابك ليس يحفظون ، فقال له ثعلب : كلا فلان حافظ ، فقال : يغيّرون الالفاظ ويقولون لي : قال الفراء كذا وقال كذا»[٧١] . وقد رد البصريون اغلب رواياتهم للشواهد النحوية ــ كما

---

(٦٥) اللغات السامية نولدكه ٧٥ .

(٦٦) انظر نوادر ابي زيد ٢٠٤ .

(٦٧) نوادر أبي زيد ٢٠٤ .

(٦٨) تاريخ الادب العربي ، ريجيس بلاشير ١٣٥ .

(٦٩) انظر رسالة الغفران ١٩١ ، ٢١٠ وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٢/٢٠٨ــ٢٠٩ .

(٧٠) هو ابو العباس احمد بن يحيى (ثعلب) من ائمة الكوفيين في اللغة والنحو ، ولد سنة ٢٠٠هـ ، حذق العربية منذ صغره ، وحفظ كتب الفراء كلها . الف كتبا كثيرة منها كتاب الفصيح ومجالس ثعلب ، توفي سنة ٢٩١هـ .

(٧١) مجالس ثعلب ١/١٦٥ .

تقدم ذكره ـ وها هو ذا المبرد يقول : « إن انشاد اهل الكوفة لقول جرير :

تمرّون الديار ولم تعوجوا   كلامكم عليّ اذا حرام

ورواية بعضهم له : اتمضون الديار ، ليسا بشيء ، والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة»(٧٢) . وقال ايضا : «قرأت على عمارة ابن عقيل بن بلال بن جرير :

مررتم بالديار ولم تعوجوا

فهذا يدلك على ان الرواية مغيّرة(٧٣) . وذكر ابن هشام ان ابن الشجري حرّف هذا الرجز فأنشده :

قم قائما قم قائما   اني عسيت صائما

«وانما قم قائما صدر رجز آخر يأتي في باب الحال ولا يتركب قوله اني عسيت صائما عليه بل اصله :

اكثرت في العذل ملحّا دائما   لا تكثرن اني عسيت صائما»(٧٤)

وقد وجهت تهمة تغيير الشواهد الى نحاة كبار كالمبرد الذى اتهمه علي بن حمزة البصري بأنه غيّر الرواية عمدا في ثلاثة ابيات مستشهدا بها على قصر

---

(٧٢) الكامل ١/٢٢ .

(٧٣) الكامل ١/٢٢ ، قال ابن هشام في شواهده : «انشده بعضهم : اغضون الرسوم ولا تحيا ، وفيه ايضا : حذف الجار والتقدير : (اتمضون عن الرسوم) » . قال السيوطي : وكذا رأيته في ديوانه . وقال شارحه : هو بمعنى اتتركون (شرح شـواهد المغني ١/٣١١ـ٣١٢) . قلت : « رأيت البيت في ديوانه ص ٥١٢ (اغضون الرسوم ولا تحيا) . كما رآه السيوطي » .

(٧٤) خزانة الادب ٤/٧٧ .

الممدود[٧٥] ، كما اتهم المعرى ابا علي الفارسي بأنه غيّر بعض ابيات لشعراء ورجاز مستشهدا بأقوالهم حسب روايته[٧٦] ، كما اتهمه ايضا ابو محمد الاسود في «نزهة الاديب» فيما ينقل عنه ابن هشام بأنه حرّف بيت عمر بن ابي ربيعة :

وطرفك اما جئتنا فاجبسنه كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

مستشهدا به على ان اصل (كما) (كيما) فحذفت الياء ونصب الفعل بها ، وان الصواب فيه :

اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر[٧٧]

انا لا نشك في ان هؤلاء النحاة المشار اليهم كانوا حراصا على عدم العبث

---

(٧٥) التنبيهات على اغاليط الرواة ١١٠ والابيات التى ذكرها علي بن حمزة هي : الاول منها للنمر بن تولب :

يسر الفتى طول السلامة والبقا فكيف ترى طول السلامة يفعل

فقصر (البقاء) ضرورة . والثانى ليزيد بن عمرو بن الصعق :

فرغتم لتمرين السياط وانتم يشن عليكم بالفنا كل مربع

فقصر (الفناء) وهو ممدود . وقول الطرماح :

واخرج امه لسواس سلمى لمعفور الضرا ضرم الجنين

فقصر (الضراء) والضراء ما وراك من شجر خاصة (انظر الكامل ١/١٢٧) وقال : «ان صحة الرواية هى في الاول : طول السلامة والغنى ، والثانى : بالقنا ، والثالث : لمعفور (الضنا) » .

(٧٦) انظر رسالة الغفران ٢٥٤ـ٢٥٥ . منها مثلا بيت ليزيد بن الحكم الكلابي حيث رفع فيه كلمة الماء وروايته (الماء) بالنصب :

فليت كفافا كان شرك كله وخيرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

(٧٧) مغني اللبيب ١/١٥٠ـ١٥١ ، شرح شواهد المغنى ١/١٧٧ ، حاشية السجاعي ٣١ .

بالمرويات فكيف يظن بهم هذا ؟ وهم الذين نذروا انفسهم لخدمة اللغة والعمل على صيانتها من كل عبث فعاشوا طوال العصور حراسا امناء لها يردّون المخطيء واللاحن ، وهذه الشواهد قد اتت اليهم بطريق الرواية ، وقسم كبير منها قد روي بروايتين او اكثر ، وكل منهم تمسك بالرواية التي صحت عنده ، ولهذا نجد الشاهد الذى روايته صحيحة عند عالم ، غير صحيحة عند آخر ، بتأثير الرواية ، خذ مثلا الشاهد :

فلا والله لا يلفى لما بي ولا للما بهم ابدا دواء[78]

استشهد به ابن هشام في حرف الكاف على احتمال تأكيد الحرف بحرف آخر ، على هذه الرواية[79] ، « واورده صاحب (منتهى الطلب) هكذا :

فلا والله لا يلفى لما بي وما بهم من البلوى دواء

وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه[80] . واذا كان هناك اتهام قد وجه الى قسم منهم فسببه ما ذكرنا عن اختلاف الروايات ، واذا وجد بعض شيء مما ذكر ، فهدف النحاة انما هو اصلاح ما شذ من المرويات بغية الحصول على القواعد المطردة. كذلك القول عما اصاب الشواهد من التركيب او التلفيق ، فربما جرى ذلك عن غير تصميم او قصد من العلماء وذلك للتشابه في الوزن او المعنى أو لاسباب

---

(٧٨) وهو من شواهد الفراء : قال في (معانيه ١/٦٨) : انشدني بعض بني اسد وذكر بيتين ثانيهما البيت الشاهد . والبيتان من قصيدة طويلة لمسلم بن معبد الوالبي كما ذكر محققو المعانى ١/هامش ص ٦٨ .

(٧٩) مغني اللبيب ١/١٥٥ .

(٨٠) شرح شواهد المغنى ١/٥٠٦ وجعله صاحب (التبيان في شرح الديوان ١/٢٩٤) من الشاذ المصنوع الذى لا يعرج عليه ، لان حرف الجر ـ على رأيه ـ لا يدخل على حرف الجر ، كذلك انكر ابن جني اجتماع حرفين لمعنى واحد (سر صناعة الاعراب ١/٢٨٣) ، وقال البغدادى : ان دعوى عدم اجتماع حرفين لمعنى واحد يبطلها قول الشاعر . ثم ذكر البيت (خزانة الادب ٤/٤٥٦) .

آخرى كهذا الشاهد مثلا :

ذاك حبيبي وذو يواصلني يرمي ورائي بأسهم وأسلمه[٨١]

الذى قال عنه العيني : «ان ابن مالك وابنه (ابن الناظم) ركبا صدر البيت على عجز بيت آخر ، فان الرواية فيه :

وانّ مولاي ذو يعيرني لا إحنة بيننا ولا جرمه

ينصرني منك غير معتذر يرمي ورائي بأسهم وأسلمه[٨٢]

وهذا الشاهد الذى استشهد به ابن هشام على هذا الشكل :

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها تجد ... ... [٨٣]

«هكذا وقع هذا الشاهد في نسخ الشرح ، واكمله السجاعى[٨٤] بقوله :

وتمام البيت : ... حطبا جزلا ونارا تأججا ... وليس هذا بصواب»[٨٥]

---

(٨١) قال العيني في (المقاصد النحوية ١/٤٦٤ـ٤٦٥) قائله هو بجير بن غنمة الطائي احد بني بولان عمرو بن الغوث بن طيء . وبولان حي من طيء وهو شاعر جاهلي مقل .

(٨٢) المقاصد النحوية ١/٤٦٥ وانظر شرح شواهد المغني ١/١٥٩ ــ ١٦٠ قال السيد محمد العاملي في (الشواهد على شرح ابن الناظم ٤٧) : « ان الجوهرى موافق لابن مالك وابنه فيما ذهبا اليه ، وان صح فليس الامر كما قال العينى فانهما جعلا عجز بيت عجز بيت آخر ، فليس قوله خليلي وذو يواصلني صدر بيت ركباه على عجز بيت كما لا يخفى» . والنتيجة على كل حال واحدة هى ما ذهبنا اليه عما اصاب بعض الشواهد من تركيب وتلفيق سهوا على ايدى النحاة .

(٨٣) شرح قطر الندى ٩٠ .

(٨٤) هو احمد بن احمد بن محمد السجاعي نحوي متأخر ، له حاشية على شرح القطر ، توفى سنة ١١٩٨ هـ (الاعلام ١/٨٩) .

(٨٥) سبيل الهدى ٩٠ـ٩١ .

فان البيت ركب من بيتين لشاعرين مختلفين ، الاول بيت لبيد بن ربيعة :

فأصبحت أنّى تأتها تلتبس بها   كلا مركبيها تحت رجلك شاجر(٨٦)

والثاني لشاعر آخر :

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا   تجد حطبا جزلا ونارا تأجّجا(٨٧)

كذلك الشاهد الذى استشهد به الكوفيون على دخول اللام في خبر لكن ، وهو شطر بيت لا يعرف له قائل ، الا انه جاء في شرح ابن عقيل بيتا كاملا ، وهو :

يلومونني في حب ليلى عواذلي   ولكنني من حبها لعميد

وقد اثار هذا تساؤل بعض الباحثين المعاصرين عما(٨٨) ، اذا كانت رواية الصدر على هذا الوجه مما نقله الشارح [ابن عقيل] أم وضعه من عند نفسه ام مما اضافه بعض الرواة قديما لتكميل البيت ؟ غير متدبر لما يجرّه هذا الفعل من عدم الثقة ، واذا كان الشارح هو الذى رواه فمن أى المصادر ؟ مع تظافر العلماء من قبله ومن بعده على ما ذكرنا(٨٩) . ومع ما يحمد عليه الباحث لحرصه الزائد على صيانة الشواهد وحفظها ، يظهر ان ابن عقيل رأى ان عمله على افتراض انه اكمل البيت ـ لا يمس موضع الاستشهاد ، فقد رأى شطر البيت غزليا ، فأضاف اليه الشطر الثاني في نفس المعنى جاعلا فيه اسم (ليلى) ككثير من ابيات صحيحة أو محمولة على مجنون بني عامر والله أعلم .

---

(٨٦) استشهد به سيبويه كما في اعلاه انظر الكتاب ٤٣٢/١ والبيت في ديوان لبيد ص٥٨ طبعة بيروت وفيه تلتبس : تبتئس . ورجلك : رجليك .

(٨٧) استشهد به سيبويه على هذه الصورة . الكتاب ٤٤٦/١ وانظر سبيل الهدى ٩١ .

(٨٨) هو الاستاذ محيي الدين عبدالحميد .

(٨٩) منحة الجليل ٣١٠/١ .

٤ ـ الشواهد المصنوعة :

في النحو كثير من الشواهد المصنوعة ، والمقصود بها : الشواهد التي يضعها صاحبها وينشدها على انها مما قاله العرب الفصحاء [٩٠] ، وهي في حقيقتها ابيات يتيمة ليس لها سوابق أو لواحق ، كما لا يعرف قائلها ، أو واضعها على الاغلب ، وتردد في كتب النحو بحيث لا يخلو منها أي كتاب نحوي [٩١] ، منها مثلا :

اضرب عنك الهموم طارقها　　ضربك بالسيف قونس الفرس [٩٢]

و　اذا ما الخبز تأدمه بلحم　　فذاك امانة الله الثريد [٩٣]

و　اقبل سيل جاء من أمر الله　　يحرد حرد الجنة المغلة [٩٤]

و　أسعد بن مال ألم تعلموا　　وذو الرأي مهما يقل يصدق [٩٥]

---

(٩٠) انظر المزهر ١/١٧٧ ٠

(٩١) انظر على سبيل المثال : الكتاب ١/٩٦ و ١٤٤ و ٣٣٧ و ٤٣٤ ومعاني القرآن ٢/٣٨٦ والمفصل ٨٥ و ٣٤٨ و ٣٦٤ ٠ وشرح المفصل ٢/١٦٨ والانصاف ٢/٥٦٨ وشرح الالفية لابن الناظم ٢٥٧ و ٢٦٦ ، واوضح المسالك ٤٧ وشرح ابن عقيل ١/٦٤ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٥٨ و ٢/١٦٨ ، ومغني اللبيب ٢/١٧٣ ، وشرح الاشموني ١/٣٩ و ٥٦ و ٢١٧ و ٢/٢٩٩ و ٣٢٧ و ٣٤٤ ٠

(٩٢) شرح شواهد المغني ٢/٩٣٢ قيل : قاله طرفة بن العبد ، وقال ابن بري : انه مصنوع عليه ٠ وقال ابن جني في (سر صناعة الاعراب ١/٩٣) عنه انه : « مدفوع مصنوع عند عامة اصحابنا » ٠ وفي نوادر ابى زيد ١٣ : « قال ابو حاتم انشدني الاخفش بيتا مصنوعا لطرفة » ٠ والشاهد فيه قوله (اضرب) اذ ان اصله اضربن بنون التوكيد الخفيفة ، فحذفها وابقى الفتحة علما عليها للضرورة ٠

(٩٣) الكتاب ١/٤٣٤ ، وفيه : ويقال وضعه النحويون ٠ واستشهد به سيبويه على رفع ما بعد اذا على مايجب لها لانها تخص وقتا بعينه وحرف الشرط يقتضى الابهام في الاوقات وغيرها ٠ وانظر ايضا الكتاب ٢/١٤٤ والمفصل ٣٤٨ ٠

(٩٤) الكامل ١/٣٣ ، ٢٩٠ ، امالي ابن الشجرى ١/٣٦٥ـ٣٦٦ ، خزانة الادب ٤/٣٤٣ وفيه حذف الف لفظ الجلالة للضرورة ٠

(٩٥) الكتاب ١/٣٣٦ قال سيبويه : وهو مصنوع على طرفة ، وهو لبعض العباديين والشاهد فيه ترخيم (مالك) في غير النداء للضرورة ٠

فما وال وما واح وما واس أبو زيد[1]

هم القائلون الخير والآمرونه اذا ما خشوا من محدث الامر معظما[2]

ولم يرتفق والناس محتضرونه جميعا وأيدي المعتفين رواهقه[3]

وقد تظافرت عدة اسباب على وجودها في النحو ، واهمها هو ما ذكره مؤرخو الادب ، عما دخل (الشعر) اثناء تداوله وروايته من الوضع على ايدى الرواة الوضاعين امثال خلف الاحمر وحماد الراوية وغيرهما ممن اشتهر بوضع الشعر ونسبته الى الشعراء الفحول ، فكما دخل الوضع في رواية الشعر واللغة بصورة عامة دخل في شعر الشواهد شيء غير قليل من هذا الوضع ، وجازت على كثير من النحاة وامتلأت بها كتبهم • ومن الشواهد النحوية التى ذكر العلماء واضعيها من الرواة هذا الشاهد :

ومنهل ليس له حوازق ولضفادي جمّه نقانق

الذى قيل انه مصنوع لخلف الاحمر[4] ، وهذه الابيات التى قال المفضل الضبي ان ابا الغول الطهوي انشدها له على انها لبعض اهل اليمن :

---

(١) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٧٩ • قال ابن خالويه انه مصنوع خبيث لاحتوائه على فعل واح من (ويح) وما صرفت العرب فعلا منه • وانظر المزهر ٢/٢٩ •

(٢) و (٣) الكتاب ٩٦/١ قال سيبويه : قبل الشاهدين : « وقد جاء في الشعر فزعموا انه مصنوع» • والشاهد فيهما هو الجمع بين النون والضمير في قوله : الآمرونه ومحتضرونه • وقال المبرد في (الكامل ٢١٣/١-٢١٤) كلاهما مصنوع • وانظر شرح المفصل ١٢٥/٢ •

(٤) الكتاب ٣٤٤/١ لم ينسب في كتاب سيبويه ، وقال الاعلم في (تحصيل عين الذهب ٣٤٤/١) : « ويقال هو مصنوع لخلف الاحمر» • وانظر المفصل ٣٦٤ والمفضل في شرح ابيات المفصل على هامشه ص٣٦٤ ، وقد وهم الشارح محمد النعساني في قوله : ان سيبويه عزاه لرجل من بني يشكر • والمنهل: المورد ، والحوازق : الجماعات •

أيّ قلوص راكب تراهــا	طاروا عليهن فشل عــلاها
واشدد بمثنى حقب حقواها	ناجيـــة وناجيـــا اباهـــا
ان اباهـــا وأبـــا اباهـــا	قد بلغا في المجد غايتاها

وقد قال ابو عبيدة لأبي حاتم انها من صنعة المفضل الضبي نفسه[٥] كذلك الشاهد الذى ينسب لزهير بن ابي سلمى وقد استشهد به الكوفيون على جواز استعمال (من) لابتداء الغاية في الزمان :

لمن الديار بقنّة الحجر	أقوين من حجج ومن شهر

قيل ان حماد الراوية صنعه مع بيتين آخرين والحقه بقصيدة زهير[٦] .

ومما ساعد على تسرّب الشواهد المصنوعة في النحو وتداول النحويين مثل هذه الشواهد ، هو وجود شواهد مجهولة لا يعـــرف قائلوها[٧] ، وقـد قبلها النحويون واستشهدوا بها في كتبهم ، مراعين النظر الى ثقة منشدها وصدقه ، على الرغم من المحاذير التى تتأتى من هذه الشواهد ، فلربما دسّت بينها شـــواهد مصنوعة ، تخفى على العلماء لدقة صنعتها ، واجادة واضعها محاكاة العرب اجادة

---

(٥) نوادر ابي زيد ١٦٤ ، جامع الشواهد (باب الالف بعد النون) ، الشواهد على شرح ابن الناظم ١١ـ١٢ .
(٦) انظر الاغاني ٥/١٧٣ وخزانة الادب ٤/١٢٩ .
(٧) ربما نسب بعضها الى الحيوانات . في (الكامل ١/٣٥٦) : «قال الجرمي : سألت ابا عبيدة عن قول الراجز :

اهدموا بيتك لا ابا لكا	وانا امشي الدألا حـوالكا

فقلت لمن هذا الشعر ؟ فقال : هذا يقوله الضب للحسل ايام كانت الاشياء تتكلم» . وهو من الشواهد النحوية انظر (الكتاب ١/١٧٦) والظاهر انه مصنوع صنعه احد الرواة او قاله احد الاعراب على لسان الحيوانات .

تامة ، ولهذا السبب كان اكثر شك العلماء يحوم حول الشواهد المجهولة التي لا يعرف قائلوها ، اذا كان فيها شيء من الغرابة أو الشذوذ ، كهذا الشاهد مثلا :

عليه من اللؤم سروالة فليس يرقّ لمستعطف[^8]

نجد اول تشكك (العيني) فيه كونه مجهولا ، فيقول : «انه مجهول» . ثم يقول : «وقيل مصنوع»[^9] . وشاهد آخر كمثال ثان :

تساوي عنزى غير خمس دراهم

قال عنه ابو حيان : «لا يعرف قائله بل لعلّه مصنوع»[^10] . ولذلك يزول شك العلماء في صنعة الشاهد حالما يعرفون قائله ، كهذا الشاهد :

رأيتك لما ان عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو[^11]

الذي ذكر (التوزي) عن بعضهم انه مصنوع فلا يحتج به ، ولما عرف (العيني) قائله وهو رشيد بن شهاب اليشكري[^12] صار من الشواهد المعتمد بها في الاستشهاد .

ان من الشواهد ما لا يعود وضعه الى الرواة الوضاعين ، بل «ربما صنعه

---

[^8]: قال البغدادي في (الخزانة ١/١١٣) : انشده الرضي على ان السراويل عند (المبرد) عربي وهو جمع سرواله . والسروالة قطعة خرقة . وهذا البيت قيل : مصنوع . وقيل قائله مجهول .
[^9]: المقاصد النحوية ٤/٣٥٤ . وقال ابن الناظم في (شرحه على الفية والده ابن مالك ص٢٦٦) : « وقيل هو مصنوع على العرب لا حجة فيه» .
[^10]: المقاصد ١/٢٤٧ . وقال العيني : هذا البيت انشده الفراء ولم يذكر قائله .
[^11]: يورده النحاة شاهدا على دخول أل على التمييز اضطرارا (انظر شرح ابن عقيل ١/١٥٨) .
[^12]: المقاصد النحوية ١/٥٠٢ـ٥٠٣ .

النحوي»[١٣] ، فقد اخذ النحاة «يتأولون مالم يجر على قواعدهم ، ويتكلفون في تخريجه ، بل ويضعون ابيات الشعر احيانا وضعا للاستشهاد عليه»[١٤] . قال ابو الحسن (الاخفش الصغير) : « وأخبرنا ابو العباس المازني عن الاصمعي انه انشدهم :

من يفعل الخير فالرحمان يشكره

قال : فسألته عن الرواية الاولى :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان[١٥]

فذكر : ان النحويين صنعوها»[١٦] . ثم قال الاخفش : «ولها نظائر ليس هذا موضع شرحها»[١٧] . مما يدل على وضعهم شواهد اخرى غير هذا الشاهد . ومن ذلك ايضا الشاهد الذى استشهد به سيبويه وذكر انه مما وضعه النحويون :

اذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك امانة الله الثريد[١٨]

ومن شواهد المفعول لأجله الشاهد الذى ذكر ابن مالك انه من منشدات النحويين:

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالت زمر الاعداء[١٩]

---

(١٣) الفعل زمانة وابنيته ٧٠ .

(١٤) ضحى الاسلام ٢/٢٨٣ .

(١٥) من شواهد سيبويه (الكتاب ١/٤٣٥) استشهد به على حذف الفاء الرابطة لجواب الشرط في الجملة الاسمية للضرورة ، ونسب في الكتاب الى حسان بن ثابت ، وفيه : سيان بدل : مثلان . ولم اجده في ديوانه الذى اصدرته دار صادر دار بيروت سنة ١٩٦١م . وهو مما اختلف العلماء في نسبته الى قائله وليس لحسان كما يظهر .

(١٦) النوادر في اللغة لابي زيد ٣١–٣٢ .

(١٧) المصدر نفسه ٣٢ .

(١٨) انظر الكتاب ١/٤٣٤ ، وقال الاعلم في (تحصيل عين الذهب على هامش الكتاب ١/٤٣٤) : «ويقال هو مما وضعه النحويون» .

(١٩) الشواهد على شرح ابن الناظم ١٦٦ .

والشاهد الذى يورده النحويون للاستشهاد به على حذف نون الوقاية من (من) و (عن) فيقال مني وعني بالتخفيف :

أيها السائل عنهم وعني   لست من قيس ولا قيس مني[٢٠]

قال عنه ابن الناظم انه من وضع بعض النحويين[٢١] .

وعند النظر الى الشواهد النحوية المصنوعة ، نجد ثلاث نقاط جديرة بالاعتبار :

الاولى : ان هذه الشواهد لا يعرف واضعوها في اغلب الاحوال ، فنجد عبارات غامضة تشير الى الوضع مثل : « ويقال وضعه النحويون»[٢٢] ، أو « فزعموا انه مصنوع»[٢٣] ، « وقيل انه مصنوع »[٢٤] .

الثانية : ان هذه الشواهد فيها من الغرابة والشذوذ الشيء الكثير .

الثالثة : ان النحويين استشهدوا بهذه الشواهد بالرغم من علمهم بأنها مصنوعة واشارتهم اليها ، وهذه احدى المآخذ عليهم .

ويظهر ان قضية صنع الشواهد لم ينفرد بها نحويو مدرسة دون اخرى ، فالبصريون الذين عرف عنهم انهم كانوا يتحرون الشواهد الصحيحة ، ويتوخون الروايات الصادقة وقد تشددوا في السماع غاية التشدد ، وقع عندهم بعض شيء من ذلك « بيت واحد أو ابيات قليلة مما لا تفتضح صنعته ، يضعونه لتوجيه الحجة

---

(٢٠) شرح ابن عقيل ١/١٠٠ .
(٢١) شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك ٢٧ .
(٢٢) انظر الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/٤٣٤ والشواهد على شرح ابن الناظم ٣١١ .
(٢٣) انظر الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/٩٦ .
(٢٤) انظر المقاصد النحوية ١/٢٤٧ ، ٤/٣٥٤ وأوضح المسالك ١/٤٧ ، وخزانة الادب ١/١١٣ .

وتزيين الخبر»[٢٥] .

فمن الواضعين بقلة قليلة جدا : الاصمعي ، وابو عيدة ، وقطـــرب[٢٦] وهذا ابو عمرو بن العلاء على جلالة قدره ومبلغ علمه قال في علته التي مات فيها : «والله ما كذبت فيما رويته حرفا ولا زدت فيه شيئا الا بيتا في شعر الاعشى ، فاني زدته فقلت :

وانكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث الا الشيب والصلعا[٢٧]

فألحقه الناس في شعر الاعشى»[٢٨] ، وها ان ابا علي القالي رواه في النوادر نسبا

---

(٢٥) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ١/٣٨٣ .

(٢٦) هو ابو علي محمد بن المستنير ، اخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصريين والقطر ب : دويبة تدب لا تفتر ، ويقال : ان سيبويه لقبه بذلك لمباكرته اياه في الاسحار ، فقال له يوما : ما انت الا قطرب ليل ... توفى سنة ٢٠٦ (الفهرست ٨٤) .

(٢٧) مجاز القرآن ١/٢٩٣ ، مراتب النحويين ١٤ ، مجالس العلماء ٢٣٥ ، نور القبس ٣٣-٣٤ ، الخصائص ٣/٣١٠ ، بغية الوعاة ٢/٢٣١ على ان الاستاذ محمد الخضر حسين في كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي ٢٧٦-٢٧٧) نفى هذه الرواية مستندا الى ان ابا عمرو كان رجلا صالحا ولم يرد عنه لا بيت واحد وهو قوله :

ان امرأ دنياه اكبر همه   لمستمسك منها بحبل غرور

والى ما رواه ابن عبد ربه في (العقد الفريد ٣/٤١٠) : «ان حمادا الراوية هو الذي صنع البيت والحقه بشعر الاعشى» . ومع الاعتقاد بتقى ابي عمرو وصلاحه فان القول ما قاله الاستاذ مصطفى الرافعي : ان رواية اعتراف ابي عمرو بوضعه البيت اوثق وأصح من رواية صاحب العقد (تاريخ آداب العرب ١/هامش ص ٣٨٣) ، يؤيد هذه الرواية المتواترة ان ابا عبيدة ذكر ان بشارا انكر هذا البيت قبل اعتراف ابي عمرو بعشر سنين (الاغاني ٣/٢٣ بولاق ، نور القبس ٣٤ ، مجالس العلماء ٢٣٥-٢٣٦) ، كما ان بيت : ان امرأ دنياه اكبر ... الذي قيل ان ابا عمرو لم يقل غيره ، انشده ثعلب باختلاف في صدره ونسبه الى الشويعر الحنفي وهو هاني بن توبة بن سهيم (المؤتلف والمختلف ٢١٠) .

(٢٨) مراتب النحويين ١٤ .

إيّاه للاعشى[٢٩] ، كما ان المرزباني نسبه للاعشى فيما عاب به من أشعاره[٣٠] ، كذلك نسبه احمد بن فارس مستشهدا به[٣١] ، والبيت في ديوان الاعشى في القصيدة التي مطلعها :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا   واحتلّت الغمر فالجدّين فالفرعا[٣٢]

ومن النحاة الذين اتهموا بوضع الشواهد (قطرب)[٣٣] ، وكان - كما يقول الأزهري - متّهما في رأيه وروايته عن العرب[٣٤] ، وكان الزجاج يهجّن من مذاهبه في النحو اشياء نسبه الى الخطأ فيها[٣٥] . كذلك كان رأي الكوفيين فيه ، فكان ابو العباس ثعلب لا يعبأ به[٣٦] . كما كان ابن السكّيت لا يوثقه ويظهر كذبه[٣٧] . ويظهر ان الاتهام كان بسبب روايته اشياء شاذه . من ذلك قوله : «ان بعض العرب يقولون : هؤلاء بالضم[٣٨] ، وان أل تأتي للاستفهام كقولهم : أل فعلت ؟ بمعني : هل فعلت؟ »[٣٩] ، وقد اشار العلماء الى وضعه للشواهد النحوية ، فقد انشد المبرد خمسة ابيات ذكر انها لرجل من خزاعة وينحلها كثير يرثي عمر بن عبدالعزيز واولها :

اما القبور فانهن أوانس   بجوار قبرك والديار قبور

وقد عقب ابو الحسن (الاخفش الصغير) بقوله : «الذى صح عندنا ان هذا الشعر

---

(٢٩) نوادر القالي ١٩٨ .
(٣٠) الموشح ٥٣ .
(٣١) تمام فصيح الكلام ٣٢ .
(٣٢) ديوان الاعشى ١٠٥ .
(٣٣) انظر نور القبس ١٧٨ وبغية الوعاة ١/٢٤٣-٢٤٤ والمزهر ١/٦٨ .
(٣٤) تهذيب اللغة ١/٢٧ .
(٣٥) المصدر نفسه ١/٣٠ .
(٣٦) المصدر نفسه ١/٢٧ .
(٣٧) انظر نور القبس ١٧٨ .
(٣٨) شرح شذور الذهب ٤٥ .
(٣٩) مغني اللبيب ١/٥٢ .

لقطرب النحوي»[٤٠] . ومن الشواهد النحوية التى ذكر العلماء ان (قطربا) صنعها هذا الشاهد :

اقبل سيل جء من عند اللَه   يحرد حرد الجنة المغلّة[٤١] .

ومن الشواهد التى انشدها الاخفش الاوسط (سعيد بن مسعدة) هذا الشاهد :

فزججتها بمزجة   زج القلوص أبي مزادة[٤٢]

قال عنه ابو حيان : انه مصنوع[٤٣] . وكان من العلماء من اتهم بالوضع لعظم حفظه اللغة واتساعه فيها ، كما كان العلماء يتهمون به (المبرد) ، وربما وضعوا له

---

(٤٠) الكامل ٢/٢٦٧ـ٢٦٨ .

(٤١) الكامل ١/٣٣ ، ٢٩٠ ، امالي ابن الشجرى ١/٣٦٦ ، المزهر ١/١١٠ ، خزانة الادب ٤/٣٤٣ . قال ابن الشجرى : ان حذف الفه انما استعمله قائل هذا الرجز للضرورة ، واسكن آخره للوقف عليه ، ورفق لامه لانكسار ما قبلها ، ولو لم يأت في قافية البيت الثاني المغلة ، لامكن ان يقول : جاء من امر اللاه ، فيثبت الفه ويقف على الهاء بالسكون (امالي ابن الشجرى ١/٣٦٥ـ٣٦٦) . وفي (الكامل ١/٣٣) قال ابو حاتم : هذه صنعة من لا احسن الله ذكره يعني قطربا . ونقل عن البيضاوى في (خزانة الادب ٤/٣٤١) : « حذف الف لفظ الجلالة لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين ، وقد جاء لضرورة الشعر :

الا لا بارك الله في سهيل» .

وكان بعض النحويين لا يقبلون ما تفرد قطرب بروايته من الشواهد لشذوذها . قال الانباري في (الانصاف ١/١٢١) : واما قول الكوفيين انه قد جاء عن العرب (نعيم الرجل) فهذا مما ينفرد بروايته ابو علي قطرب، وهي روايةشاذة . وقال ايضافي(الانصاف ٢/٧٢٨ـ٧٢٩): ولم يأتاجتماع الهمزتين في شئ من كلام العرب الا في بيت واحد انشده قطرب :

فانك لا تدري متى الموت جائي   ولكن اقصى مدة الموت عاجل

(٤٢) هذا الشاهد مما زاده الاخفش على شواهد سيبويه وقد كشف عنه الاعلم، (انظر الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/٨٨) .

(٤٣) منهج السالك ٣٠٤ .

كلمة لا اصل لها وطلبوا منه معناها ، فيجيبهم عن معناها ويردفه بالشاهد[٤٤] .

واذا كان البصريون الذين عرف عنهم تشددهم في قبول الشواهد وتشككهم في الروايات ، وقعت عندهم شواهد مصنوعة ، وروي عن بعض أئمتهم صنعها بقلة ، فمن المحتمل ان يكون الكوفيون الذين عرف عنهم تساهلهم في قبول المرويات وتوسعهم في السماع ، «لم يتحرجوا من الصنعة للاستشهاد» [٤٥] ، وقد اتهم من علمائهم ابو عمر الزاهد المعروف بالمطرز غلام ثعلب « المتوفى سنة ٣٤٥هـ »[٤٦] ، «وضعّفوا حكايته وانتسبوا به الى التزيّد»[٤٧] ، وقد كان أبو سعيد السيرافي يتهمه بالكذب [٤٨] . وقد عهدناهم يستشهدون بالشاهد النادر[٤٩] ، أو الشاذ[٥٠] ، او المجهول[٥١] ، أو المروي بروايات مختلفة[٥٢] ، كما انهم لم يتورعوا ـ احيانا ـ عن الاستشهاد بالشعر المصنوع ، كاستشهادهم ـ مثلا ـ بالشاهد :

قد صرّت البكرة يوما أجمعا

على توكيد النكرة المحدودة[٥٣] . واغلب الظن ان النظرة السيئة التى ينظر بها البصريون الى شواهد الكوفيين ، والى كثرة ما رمي به الكوفيون من قبل

---

(٤٤) انظر نزهة الالباء ١٥٠ .
(٤٥) تاريخ آداب العرب ، الرافعى ١/٣٨٣ .
(٤٦) الفهرست ١١٩ ، بغية الوعاة ١/١٦٦ .
(٤٧) الفهرست ١١٩ .
(٤٨) انظر البصائر والذخائر المجلد الثانى القسم الثانى / ٣١٨ .
(٤٩) انظر الانصاف ١/٢١٤ ، ٢/٤٥١ وشرح الاشموني ١/٣٥ .
(٥٠) الانصاف ١/٢١٤ ، همع الهوامع ١/٤٥ ، الاشباه والنظائر ٣/٤٩ .
(٥١) انظر الانصاف ٢/٤٥٦ .
(٥٢) خزانة الادب ١/٨٧ ، الشواهد على شرح ابن الناظم ٣١١ .
(٥٣) انظر امالي ابن الشجرى ١/١٧٩ .

البصريين من رواج الشعر المصنوع عندهم في الاستشهاد ، جعل ابن الشجرى يحترز من ذلك فيقدم للبيت الذى يستشهد به سابقه ولاحقه ويبيّن وزن قافيته ويقول : « لئلا يتوهم متوهم ان البيت مصنوع»(٥٤) .

زاد صنع الشواهد بعد قيام المنافسة بين علماء البصرة والكوفة اواخر القرن الثالث ايام ابى العباس (محمد بن يزيد) المبرد البصرى «المتوفى سنة ٣٨٠»(٥٥) وابي العباس (احمد بن يحيى) ثعلب الكوفي المتوفى سنة ٣٩١هـ . والسبب الذى كان يحملهم على الوضع هو ما تعارف عليه العلماء من الاعتماد على الشاهد عند اثبات قضية ما او ابداء رأي ، وقد تقدم ذكر اهميته لديهم «فالسماع الذى اتخذ سياجا للعربية من أن يعبث بها مهّد الى العبث بالكذب والاختلاق ، فان اكبر ما حمل العالم على الاختلاق هو السماع ، ضرورة ما كان من عدم الاطمئنان الا الى الشاهد والنص والرواية ، فكان اذا وضح له شيء من اسرار العربية يجد نفسه مضطرا ليثق الناس بما انتهى اليه ، وليسمع عنه ما يقول ان يدرّع بشاهد او بشواهد» (٥٦) ، لتكون حجته وجيهة ورأيه مقبولا ، وهذا هو السبب الذى الجأ العلماء الى صنع الشواهد ، وسنرى في الصفحات القادمة موقفهم من الشاهد المصنوع .

---

(٥٤) انظر أمالي ابن الشجري ١/٢٧٩ .
(٥٥) طبقات النحويين واللغويين ١٣٠ .
(٥٦) مقدمة لدرس لغة العرب ١٩٨ .

شـــواهد البصريين

شواهد البصريين الاوائل :

البصريون الاولون بناة النحو كانوا ممن اكثر من استعمال الشواهد ، وقد ساعدتهم في الحصول على الشواهد الوفيرة عدة امور ٠ منها : موقع البصرة عـلى طرف من البادية موطن الفصاحة ، ووجود القبائل العربية الفصيحة الضاربة في ظاهرها ، ووقوع المربد ملتقى الاعراب الفصحاء الى جانبها ، هذه الامور ساعدتهم في الحصول على المرويات بسهولة ، واستخراج الشواهد الصحيحة منها ، كما ساعد قرب البصرة من البوادى العربية العلماء على القيام برحلات موفقة الى تلك البوادى فشافهوا اهلها ، وسمعوا منهم واخذوا عنهم ، وقد جمعوا شواهد كثيرة مكّنتهم من اقامة قواعد هذا العلم واقرارها ٠ ولكن المرء لا يستطيع ان يعرف معرفة تامة شواهدهم ، وكيفية استشهادهم بها ، لان كتبهم التي ألفوها في هذا العلم لم تصل الينا ، وقد ذكرت المصادر القديمة اولى تآليف النحو وهي صحيفة ابي الاســـود الدؤلي «المتوفى سنة ٦٩هـ»[١] (التعليقة)[٢] وهى « أول ما كتب في الادب»[٣]، وقد أيد علي بن يوسف القفطي رؤيته لها[٤] ، غير «اننا لا نملك من هذه الوثائق ما نطمئن اليه في معرفة هذه الفترة التاريخية ، من عمر النحو»[٥] وشواهده الاولى ، « فاذا اراد المرء معرفة محتوياتها لم يحظ بما يشفي من ذلك بل فات العلماء معرفتها منذ المائة الرابعة مع شدة حرصهم عليها»[٦] ، وكان مما ساعد على

(١) طبقات فحول الشعراء ١٢ ، الشعر والشعراء ٢٨٠ ، الفهرست ٦٥ـ٦٦ ، طبقات النحويين واللغويين ١٣ ، الاقتراح ٨٢ ٠

(٢) طبقات النحويين واللغويين ١٩ ٠

(٣) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ١/ ٢٩١ ٠

(٤) انباه الرواة على انباه النحاة ١/٥ ولد القفطي سنة ٥٦٨هـ وتوفى سنة ٦٤٦هـ (بغية الوعاة ٢/٢١٢ ، وفوات الوفيات ٢/١٩٢) ٠

(٥) النحو العربي نقد وبناء ١٥ ٠

(٦) في اصول النحو ١٥٥ ٠

عدم المعرفة عن هذه الفترة شيئا يغني الباحث في معرفة الشواهد الاولى في النحو ، ان « علم الطبقة الاولى من النحاة البصريين كان محفوظا في صدورهم مرويا بألسنتهم ، وانما كان تدوينهم له كتابة اوراق لم تبلغ حد الكتب المنظمة المنفصلة ، او انها كانت كتبا مختصرة ، كالمختصر الذى ينسب لابي الاسود»[٧] (التعليقة) ، وكتاب (الهمز) الذى عمله عبدالله بن ابي اسحاق الحضرمي[٨] ، «المتوفى سنة ١١٧هـ»[٩] .

ثم نشط التأليف في الطبقة التى تلت هؤلاء النحاة ، ومن ابرز رجالها عيسى ابن عمر الثقفي « المتوفى سنة ١٤٩هـ»[١٠] وابو عمرو بن العلاء «المتوفى سنة ١٥٤هـ»[١١] والاخفش الاكبر[١٢] ، ولكن لم يصل الينا أيضا منهم شيء مما ألفوه ، فأبو عمرو لم يترك كتابا يذكر ، لأنه أحرق ما كان قد جمعه حينما تنسّك كما روي عنه[١٣] . كما عدمت تصانيف عيسى بن عمر التى بلغت نيفا وسبعين مصنفا في النحو كما زعم بعضهم[١٤] ، ومنها كتابان عرف اسماهما احدهما (الجامع)

---

(٦) في اصول النحو ١٥٥ .

(٧) تاريخ الادب العربي ، احمد الاسكندرى ٩٢-٩٣ .

(٨) مراتب النحويين ١٢ .

(٩) طبقات النحويين واللغويين ٢٧ .

(١٠) مراتب النحويين ٢١ ، طبقات النحويين واللغويين ٤١ ، معجم الادباء ١٦/١٤٦ .

(١١) مراتب النحويين ٣٠ ، طبقات النحويين واللغويين ٣٤ .

(١٢) هو عبدالحميد بن عبدالمجيد الملقب بالاخفش الاكبر ، ممن اخذ عنهم سيبويه ، لم يعرف تاريخ وفاته . والاخافش الذين اشتهروا بالنحو ثلاثة ، هذا اكبرهم ، والاوسط (سعيد بن مسعدة) المتوفى سنة ١١٥ هـ والاصغر (علي بن سليمان البغدادى) المتوفى سنة ٣١٥هـ (طبقات النحويين واللغويين ٣٥ ، ٧٦ ، ١٢٧) .

(١٣) انظر البيان والتبيين ١/٢٥٦ ونور القبس ٢٥ وغاية النهاية ١/٢٩٠ .

(١٤) مراتب النحويين ٢٣ ، انباه الرواة ٢/٣٧٥ .

والآخر (الاكمال)[١٥] ، وفيهما قال الخليل بن أحمد الفراهيدى «المتوفى سنة ١٧٠هـ»[١٦] :ـ

ذهب النحو جميعا كلّه　　غير ما أحـدث عيسى بن عمر

ذاك اكمال وهذا جامع　　وهما للناس شمس وقمـر[١٧]

ويظهر ان الخليل قرأهما على عيسى ، لأنه كان قد اخذ عنـــه[١٨] • قال ابن النديم : «وقد فقد الناس هذين الكتابين مذ المدة الطويلة ولم نقع الى احد علمناه ولا خبر احد انه رآهما»[١٩] ، كما قال السيرافي قولا مثل قول ابن النديم[٢٠] .

انه وان كان من غير الممكن الاطلاع على تلك الكتب لعدم وصولها الينـا الا ان ما يعرف عن طبائع الاشياء وخضوعها لسنّة النمو والارتقاء تجعلنا نقـــول انها كانت ممهدة لظهور الكتب الكبيرة في النحو ككتاب سيبويه ، كمـــا كانت متدرجة في مسائل علم النحو الذى تطور على ايدي هؤلاء المؤسسين حتى وصل غاية نضجه في كتاب سيبويه • واذا كان من غير الميسور معرفة شواهد البصريين الاوائل بسبب عدم وصول كتبهم ، فان الباحث المثابر لا يعدم بصيصا من النور يرشده الى الحقيقة ، فقد كان هؤلاء النحاة من القراء أو المشتغلين في خـــدمة القرآن الكريم ، وكانوا من الفصاحة بمكان ، كما وجدوا في وقت كان في البصرة من افراد القبائل العربية الفصيحة ، فكان استخراج الشواهد عليهم سهلا ميسورا،

---

(١٥)　مراتب النحويين ٢٣ •
(١٦)　الفهرست ٧٠ • في وفاته اختلاف : انظر وفيات الاعيان ٢/١٨ـ١٩ •
(١٧)　مراتب النحويين ٢٣ ، اخبار النحويين البصريين ٢٥ ، نزهة الالباء ١٣ـ١٤•
وفي المراتب روى البيت الاول :
بطل النحو الذى جمعتمو　　غير ما ألف عيسى بن عمر
(١٨)　اخبار النحويين البصريين ٢٥ ، نزهة الالباء ١٤ •
(١٩)　الفهرست ٦٩ •
(٢٠)　اخبار النحويين البصريين ٢٥ •

ولذا كان لهم فضلان : فضل جمع الشواهد النحوية الصحيحة ، لتشددهم في (السماع) وتحوطهم الكثير في قبول الرواية ، وفضل المساهمة في اقامة ابواب النحو حتى اكتملت ٠

اما المنابع الثرّة لشواهدهم ، فهو القرآن الكريم ، وكان اشتغالهم به يمكنهم من استخراج الشواهد النحوية منه بسهولة ، وليس ادل على ذلك من تخلّص ابي الأسود السريع مما رمي به من شكه في صواب حبه آل البيت لقوله :

فان يك حبّهم رشدا أُصبه   ولست بمخطيء ان كان غيا

واستشهاده بآية من التنزيل تثبت ان قوله لم يكن فيه شك(٢١) ٠ وكان تناول آيات القرآن والاستشهاد بها سهلا عليهم حتى لكأن الآية على شفاههم متهيأة لاتخاذها شاهدا ، قال يونس : « قدم الينا ابو عمرو طبق رطب ، فأكلنا ، فرفعت يدي ، فقال : كل ! فقلت : قد أحسبني ٠ فضحك واعجبه قولى ، وقال : هذا من قول الله عز وجل : (جزاء من ربّك عطاء حسابا)(٢٢) ، أى كافيا(٢٣) ٠ ومن

(٢١) كانت بين ابي الاسود وبين بني قشير ملاحاة بسبب اختلافه معهم في المذهب فقد كانوا ـ كما ذكر المبرد ـ عثمانية ، وكان ابو الاسود شيعيا ، فقال فيهم شعرا اوله :

يقول الارذلون بنو قشير   طوال الدهر لا تنسى عليا

وختمه بقوله :

فان يك حبهم رشدا اصبه   ولست بمخطىء ان كان غيا

فقيل له : اشككت يا ابا الاسود ؟ قال : ألم تسمعوا الله يقـول : (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أفترون الله شك ؟ (الكامل ٢/١٣١ ، امالي المرتضى ١/٢١٣ ، انباه الرواة ١/١٧) وقال ثعلب : في قوله تعالى : (وانا او اياكم لعلى هدى) كما تقول للرجل : احدنا كاذب او احدنا مخطىء ، تكذيبا جميلا (مجالس ثعلب ١/١٣٢) ٠

(٢٢) سورة النبأ آية ٣٦ ٠

(٢٣) نور القبس ٢٨ ٠

ذلك ما روي عن ابي عمرو[٢٤] انه سمع رجلا ينشد :

ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

انشده بفتح واو (يغو) فقال له ابو عمرو : اقومك ام اتركك تتكسع في طمّتك ؟ فقال : بل قوّمني ، فقال : قل : ومن يغـــو (بكسر الواو) ، الا ترى الى قول الله عزّ وجل : (فغوى) »[٢٥] . كما كان استشهادهم بالشواهد الصحيحـــة لشعراء معتد بفصاحتهم كثيرا ، كالجاهليين ، حتى انهم كانوا يعدون الشـــعراء الاسلاميين مولدين ولا يستشهدون بشعرهم ، كما هي الحال في موقف بعض ائمتهم كعبدالله بن ابي اسحاق وعيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء من شعراء اسلاميين كالفرزدق والكميت وذى الرمة ، وتركهم الاستشهاد بأقوالهم[٢٦] . كما كان الخليل لا يستشهد الا باشعار الجاهليين والاسلاميين ويترك المولدين ، وممـا استدلوا به على ان (كتاب العين) ليس كله من عمل الخليل وانما عمل بعضه وأتمّه بعض تلاميذه وجود شواهد شعرية في الكتاب لبعض المولدين ، لأن الخليل كما هو مشهور عنه لا يستشهد بالمولدين[٢٧] . قال العسكري : « وقد علمت في العين والحاء والخاء والراء وغيرها ، اكثر من اربعين بيتا للمحدثين ، مثل سليمان بن يزيد العدوى ، وصالح بن عبدالقدوس ، وسابق ، وبشار ومن في طبقتهم ، مما لم يكن الخليل يلتفت اليه ، ولا يستشهد بمثله»[٢٨] . فمن شواهد اوائل النحاة واستشهادهم قول ابي الاسود الدؤلي : «من العرب من يقول ، لولاي لكان كذا وكذا وقال الشاعر :

---

(٢٤) طبقات النحويين واللغويين ٢٩ـ٣٠ .
(٢٥) سورة طه من الآية ١٣١ .
(٢٦) انظر خزانة الادب ١/٣ .
(٢٧) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف ١/٥٧ .
(٢٨) شرح ما يقع فيه التصحيف ١/٥٨ .

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي

وكذلك لولا انتم ولولاكم ابتداء وخبره محذوف،[٢٩] • وشاهده هذا تداوله النحويون فاستشهدوا به ، ودخل كتبهم ، وهو من شواهد كتاب سيبويه[٣٠] .

ومنها : شاهد ابن ابي اسحاق الذى رواه يونس • قال محمد بن سلام : «قلت ليونس : اياك زيدا أتجيزها ؟ قال : وهو من الاغراء ـ فقال : اجاز ابن ابي اسحاق الفضل بن عبدالرحمن :

ايّاك اياك المراء فانه الى الشر دعاء وللغي جالب[٣١]

ومنها ايضا استشهاد ابي عمرو بقول الممزق العبدي [٣٢] :

وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها نسيفا كأفحوص القطاة المطرق[٣٣]

---

(٢٩) العقد الفريد ٢/٢١ •

(٣٠) في هذا دليل على أن الشواهد ذخر النحاة جميعا تعاونوا على جمعها وكل منهم ساهم في جمع قسم منها ، ان هذا الشاهد : وكم موطن لولاى ... البيت • صار من شواهد سيبويه ، ونسب في (الكتاب ١/٣٨٨) الى يزيد بن ام الحكم • والقلة : اعلى الجبل ، والنيق : ارفع موضع فيه ، والمنهوي : الساقط •

(٣١) معجم الشعراء ١٧٩ ، طبقات النحويّين واللغويين ٥٠ وهذا البيت الذى اشار اليه يونس صار فيما بعد من شواهد كتاب سيبويه (الكتاب ١/١٤١) وهذا دليل آخر على ان الشواهد في الكتاب هى حصيلة رجال المدرسة البصرية منذ تأسيسها حتى زمن سيبويه •

(٣٢) مجالس العلماء ٣٣٣ •

(٣٣) النسيف :اثر من عضة أو انحصاص وبرأو كدم الحمار ، والافحوص : مجثم القطاة لانها تفحصه • وطرقت القطاة وهى مطرق : حان خروج بيضها (لسان العرب (نسف) ٩/٣٢٩ و (فحص) ٧/٦٣ و (طرق) ١٠/٢٢٣) •

على توجيه قراءته (لتخذت عليه أجرا)(٣٤) • ومن الشواهد التى انشدها الخليل قول طرفة :

يداك يد خيرها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظة(٣٥)

ويستشهد به النحويون على وجوب العطف بالواو اذا تعدد الخبر لتعدد المخبر عنه(٣٦) • وكانت الشواهد تنثال على ألسنتهم انثيالا ، عليها يبنون قواعدهم النحوية ، وبها يثبتون الرأى ويردون على المخالفين ، ليس في النحو فحسب بل حتى في مسائل الاعتقاد ، « مر ابو عمرو بن العلاء بعمرو بن عبيد ، وهو يتكلّم في الوعد والوعيد ويثبته ، فقال له : ويلك يا عمرو ! انك الكن الفهم ، الم تسمع الى قول القائل (٣٧) :

واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدى

انما أراد ان الله تبارك وتعالى قد وعد وأوعد ، وهو قادر على ان يعفو عمن اوعده وقادر ان ينجز لمن وعده»(٣٨) •

ان شواهدهم وان فقدت مع كتبهم التى لم تصل الينا الا ان قسما منها تنوقلت مشافهة في حلقاتهم اثناء الدراسة والتدريس والمناقشات يأخذها التلميذ عن شيخه فيضيف عليها ما استخرجه بنفسه حتى تجمعت في الكتب النحوية الكبيرة الشاملة التى وصلتنا ككتاب سيبويه ومقتضب المبّرد واصول ابن السراج ومفصّل الزمخشري •

---

(٣٤) سورة الكهف من الآية ٧٧ •
(٣٥) المقاصد النحوية ١/٥٧٢ •
(٣٦) المصدر نفسه ١/٥٧٤ •
(٣٧) البيت الذى استشهد به ابو عمرو هو : لعامر بن الطفيل ، (لسان العرب• وعد ٣/٤٦٣) •
(٣٨) عيون الاخبار ٥/١٤٢ ، طبقات النحويين واللغويين ٣٤ •

شواهد المدرسة البصرية :

ان الشواهد تراث النحويين جميعا تعاونوا على جمعه ، فساهم كل منهم باستخراج قسم منها من مصادرها الرئيسة كالقرآن الكريم وكلام فصحاء العرب ، حتى تجمعت كتجمع السيول في الجداول وانصبابها في الروافد ثم في الانهار ، فنمت وتكاثرت مع نمو النحو وتطوره وتوسع ابوابه . ولا يفوتنا ذكر ما لقيه علماء البصرة الأولون من عناء طويل عند قيامهم باستقراء كلام العرب في الحواضر والبوادي بالسماع منهم : كلامهم ومروياتهم بغية الحصول على المواد اللازمة لاستخراج الشواهد منها ، وما قيل عن كتاب سيبويه : انه يمثل حصيلة جهود متواصلة للمدرسة البصرية مذ نشأت ، وخلاصة لنحو هذه المدرسة ، وغاية التطور الذى وصل اليه النحو(٣٩) ، ازعم عن شواهد الكتاب بانها حصيلة هذه المدرسة من الشواهد ، لان الشواهد الاخرى الكثيرة التى استخرجها العلماء السابقون لسيبويه من مأثور كلام العرب وشعرهم قد ضاعت مع كتبهم ، وطبيعى ان منها ما كان يتداول ويتناقل شفويا بين العلماء فوصل منها الى الكتاب . فشواهد المدرسة البصرية هي ما دوّن منها في الكتب النحوية الاولى التى ضاعت وما احتواه كتاب سيبويه والكتب التى وضعت بعده كالمقتضب مثلا ، فشواهد كتاب سيبويه – كما زعمت – هي شواهد المدرسة البصرية النحوية ، وفضل سيبويه انما هو في جمعها وحفظها في (كتابه) ومساهمته ايضا في اضافة شواهد اخرى استخراجها بنفسه اليها(٤٠) ، فقد كانت طريقة تأليف الكتب النحوية السائدة آنذاك هي : « ان يدوّن

---

(٣٩) ضحى الاسلام ٢٩١/٢ ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة ٥١ ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ٥٥ .

(٤٠) كهذا الشاهد : أنَى فتى هيجاء انت وجارها (الكتاب ٣٠٥/١) ولا يوجد هذا الشاهد في غير سيبويه كما ذكر الاستاذ عبدالسلام محمد هارون (الكتاب ١٨٧/٢ هارون) ، وهذا الشاهد :

اتيت مهاجرين فعلموني ... ثلاثة احرف متتابعات
وخطوا لي ابا جاد وقالوا ... تعلم صعفصا وقريشيات

(الكتاب ٣٦/٢ وتحصيل عين الذهب على هامشه) .

العالم ما تلقّاه عن اساتذته وما وصل اليه أئمة عصره ومن سبقوهم ، ويجمع متفرّق الآراء ومختلف الشواهد ويخرج من كل ذلك كتابا[٤١] . وتظهر هذه الحقيقة واضحة اذا نظر في شواهد (الكتاب) ، فبينها شواهد كثيرة لمن سبق سيبويه من النحاة اضافة الى آرائهم النحوية كشيوخه الذين اخذ عنهم وتلمذ لهم ، او شيوخ شيوخه . وقد اشار سيبويه الى الشواهد التي انشدوها ، من ذلك قوله : «وزعم عيسى بن عمر ان بعض العرب ينشد هذا البيت لابي الاسود الدؤلي :

فألفيتــه غـير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا[٤٢]

أو قوله : « وزعم ابو الخطاب (يعني الاخفش الاكبر) انه سمع قوما من العرب ينشدون قول الحرث بن ظالم :

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعرى رقابا[٤٣]

وقوله : « وزعموا ان ابا عمرو كان ينشد هذا البيت نصبا (وهذا الشعر لرجل معروف من ازد السراة) .

قبّح من يزني بعو ف مـن ذوات الخمـر
الآكل الأسـلاء لا يحفل ضـوء القمـر[٤٤]

ومن شواهد يونس في الكتاب هذا الشاهد : قال سيبويه «وحدثنا يونس أن العرب تنشد هذا البيت وهو لعبدة بن الطبيب :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنّه بنيان قوم تهدما[٤٥]

كما ان من شواهد الخليل الكثيرة في الكتاب هذا الشاهد :

---

(٤١) القواعد النحوية ٢٦٣ .
(٤٢) الكتاب ١/٨٥ وانظر ايضا ١/٨٧ و ٢٥٠ .
(٤٣) الكتاب ١/١٠٣ وانظر ايضا ١/١٢٦ و ١٥٣ و ١٦٤ و ٢/٥٢ .
(٤٤) الكتاب ١/٢٥٣ ويروى : الآكل الاشلاء (تحصيل عين الذهب ١/٢٥٣) .
(٤٥) المصدر نفسه ١/٧٧ وانظر ايضا ١/١٣١ و ٢٠٧ و ٤٢٣ و ٢/٥٩ .

اذا تغنّى الحمام الورق هيجني ... ولو تغربت منها أم عمار[٤٦]

والدليل الثاني على ان الشواهد ذخر النحاة جميعا : ان قسما من الابيات التى استشهد بها عبدالله بن عباس (رض) جوابا عن سؤالات نافع بن الازرق صارت - فيما بعد - من الشواهد النحوية[٤٧] ، والدليل الثالث هو اضافة نحويين عاصروا سيبويه ، كالاخفش أو جاءوا بعده كالجرمي والمازني والمبرد شواهد من انشادهم اشتهروا بروايتها دون غيرهم ، وقد استطاع الاعلم الشنتمرى الكشف

---

(٤٦) الكتاب ١/١٤٤ ، وانظر ايضا ١/٣٤١ و ٢٥٥ و ٢/٦٤ .

(٤٧) كهذا الشاهد الذى استشهد به ابن عباس (سؤالات نافع بن الازرق ٢٤) على معنى آية ٢٣ من سورة الاحزاب (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) ونسبه الى لبيد بن ربيعة :

الا تسألان المرء ماذا يحال ... أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

الذى صار من الشواهد النحوية ، فقد استشهد به سيبويه (الكتاب ١/٤٠٥) قال في (باب اجرائهم ذا وحده بمنزلة الذى ... الخ) : اما اجراؤهم ذا بمنزلة الذى فهو قولك ماذا رأيت فتقول : متاع حسن وقال الشاعر (لبيد) : وذكر البيت اعلاه . وكذلك الشاهد الذى استشهد به ابن عباس من ابيات عمر بن ابي ربيعة (انظر سؤالات نافع بن الازرق ١٢) :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت ... فيضحى واما بالعشي فيخصر

صار من الشواهد النحوية (انظر الفاضل ١١ والكامل ١/٤٣ ، ١٧٢) كما صار غيرهما (انظر سؤالات نافع بن الازرق ص٥٦) . ورب معترض يقول : بأن ابن عباس استشهد بهذه الشواهد على غير الغرض الذى استشهد بها النحويون ، فالجواب : ان الشاهد حينما يتداول يستشهد به على عدة اغراض كما يحدث ذلك في كثير من الشواهد (انظر ص٤٧ من هذه الرسالة) .

عنها ، وعزاها لمنشدها في الباب الذى زيدت فيه[٤٧أ] ، وكانت الشواهد تزاد من قبل العلماء على الكتب النحوية عند قراءتها ، أو تدريسها ، ثم يأتي النساخ فينسخونها في صلب الكتاب[٤٨] .

ان الاجماع يكاد ينعقد على ان البصريين كانوا يتحرون عن الشواهد ويدققون ولا يقبلون الا ما كان صحيحا منها شائعا على ألسنة الكثرة الكاثرة من الفصحاء ، ولا يقبلونها على علاتها ، قبل مناقشة رواتها فسيبويه ـ وهو امام البصريين ـ يناقش شيوخه ويسألهم عن صحة الشواهد ووجوهها في العربية قبل اثباتها ، فيقول مثلا : « وسألناه [اى الخليل] عن بيت انشدناه يونس :

قد عجبت منّي ومن يعيليا   لما رأتني خلقا مقلوليا

فقال : هذا بمنزلة قوله : ولكن عبدالله مولى مواليا»[٤٩] . أو يقول : « وسألته [أى الخليل] عن قوله (وهو الراعي) :

فأومأت ايماء خفيّا لحبتر   ولله عينا حبتر أيّما فتى

(٤٧أ) من الابيات التى انشدها الاخفش الاوسط وزادها على شواهد سيبويه (انظر تحصيل عين الذهب على هامش الكتاب ١/١٥) :

ألم يأتيك والانباء تنمى   بما لاقت لبون بني زياد

وقول الشاعر (تحصيل عين الذهب ١/٨٨) :

فزججتها بمزجة   زج القلوص ابي مزاده

وانظر الكتاب ١/١٣ـ١٤ (شواهد اخرى زادها الاخفش) ، ومن الابيات التى انشدها المازني للخبل السعدى وزادها على شواهد الكتاب (١٠٨/١) قوله :

اتهجر ليلى لفراق حبيبها   وما كان نفسا بالفراق تطيب

وانظر ايضا شواهد اخرى زادها المازنى على (الكتاب) ٢/٣٥٦ ، ٤٢٤ ، وشاهدا أنشده (الزجاج) عن المبرد (الكتاب ١/٩٤) وآخر انشده الجرمي (الكتاب ٢/٣٠٨) .

(٤٨) انظر المذكر والمؤنث للفراء ص١٥ حيث ترى بيتا من الشواهد منسوبا الى ابي بكر بن مجاهد وقد اشار الناسخ بخطه في الاصل الى انه لم يروه راوي كتاب الفراء محمد بن الجهم كما ذكر محقق الكتاب (المذكر والمؤنث هامش ص١٥) .

(٤٩) الكتاب ٢/٥٩ .

فقال :ايـّما تكون صفة للنكرة وحالا للمعرفة»[٥٠] • وقال للخليل رحمه الله : « أفرأيت قول العرب كلهم :

أزيد أخا ورقاء ان كنت ثائرا   فقد عرضت احنـاء حـق فخاصم

لأي شيء لم يجز فيه الرفع كما جاز في الطويل ؟ ...»[٥١] • وقد مرّ بنا في اول الرسالة [٥٢] كيف انهم كانوا يشددون في السماع وفي قبـول الرواية الصحيحة عن العرب الفصحاء ، ولهذا كانت شواهد البصريين اصح الشواهد •

وليس ادل على صحة شواهد البصريين من ان أي طعن لم يوجه اليها من قبل منافسيهم الكوفيين او غيرهم من النحاة المتأخرين ، ففى الوقت الذى كان فيه البصريون يعرضون عن شواهد الكوفيين ويردّون رواياتهم لها وينكرونها ولا يستشهدون بها ـ فلم يحدث أن بصريا اخذ عن كوفي شيئا من الشواهد الا ما كان من أبي زيد فانه أخذ عن المفضل الضبّي لكونه من الرواة الثقات ـ[٥٣] • كان الكوفيون يثقون بشواهد البصريين ويستشهدون بها بكثرة ، فقد استشهد الفراء ببعض الشواهد التى انشدها يونس بن حبيب ، وكان يشير اليها في كتبـه[٥٤]

(٥٠) الكتاب ١/٣٠٢ •
(٥١) المصدر نفسه ١/٣٠٣ـ٣٠٤ •
(٥٢) انظر التمهيد ص١٨ •
(٥٣) انظر النوادر في اللغة لابي زيد ص١ و ٢ •
(٥٤) انظر معاني القرآن ١/١٢٧ و٢/٣٧ و ١٣٧ والمذكر والمؤنث ١٧ و ٢٢ ، وفي (معجم الادباء ٢٠/١٠) : «حكى محمد بن الجهم قال : حدثنا الفراء قال : انشدني يونس النحوى :

رب حلم اضاعه عدم المـا   ل وجهل غطى عليه النعيم

وعن الفراء ايضا قال يونس : الآل من غدوة الى ارتفاع النهار • ثم هو سراب سائر النهار ، واذا زالت الشمس فهو فيء ، وفي غدوة ظل» • وقال ياقوت (معجم الادباء ٢٠/١١) : « وللفراء روايات كثيرة عن يونس لانطيـل بذكرها» • وفي مجالس ثعلب : وانشد :

نجا سالم والنفس منه بشدقه   ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا

قال ثعلب : « وقال الفراء : هكذا انشدني يونس ، فقلت له : لم نصب (الجفن) فقال : اراد سيف» • (مجالس ثعلب ٢/٤٥٦) •

كذلك فعل ابن الانبارى[٥٥] ، وكان الكوفيون يأخذون حتى عمن كان شديد العصبية عليهم كأبي محمد اليزيدي[٥٦] . اما الشواهد التى استشهد بها الكوفيون من كتاب سيبويه فكثيرة جدا ، ولا عجب في ذلك فالكتاب كان عمدتهم في الدراسة النحوية ، وقد وجد بعضه تحت وسادة الفراء التى كان يجلس عليهـــا[٥٧] ، «ومات وتحت رأسه كتاب سيبويه»[٥٨] . وكانوا لا يستغنـــون عن قراءته والاستفادة منه ، فالكسائي قراه على الاخفش[٥٩] ، وثعلب قرأه على نفسه[٦٠]، ومن يقرأ كتب (الفراء) يجد بين شواهده كثيرا من شواهد سيبويه[٦١] ، ولكنه لم يشر اليها كما كان يفعل عندما يستشهد بشواهد من انشاد يونس . وقد لوحظ ان الكوفيين يستشهدون بشواهد البصريين لتأيد رأيهم وابطال وجهة نظـــر

---

(٥٥) الاضداد ١١ قال ابن الانبارى : وانشد يونس البصرى :

اذا اهل الكرامة اكرموني فلا ارجو الهوان من اللئام

(٥٦) انظر المنقوص والممدود ٢٥ .

(٥٧) طبقات النحويين واللغويين ٧٣ ، بغية الوعاة ٢/٣٣٣ .

(٥٨) مراتب النحويين ٨٦ ، بغية الوعاة ٢/٣٣٣ .

(٥٩) مراتب النحويين ٧٤ ، اخبار النحويين البصريين ٤٠ .

(٦٠) طبقات النحويين واللغويين ٥٦ .

(٦١) انظر معاني القرآن ١/٣٤ و ٣٨ و ١١٥ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٤٠ و ١٦٢ و ١٨٦ و ١٨٧ و ٣٢٧ و ٣٤٦ و ٤٠٨ و ٢/١٥ و ٢٢ و ٧٩ و ٨١ و ٨٥ و ٩٠ و ١٠١ و ٢٩٧ و ٣٢٣ و ٣٧١ و٣٨٦ و ٣٩٢ و ٣٩٧ و ٤٠٨ و ٤٢٤ . وانظر المذكر المؤنث ١٧ ، والمنقوص والممدود ١٤ وقد بنينا هذا الرأي على اعتبار ان سيبويه توفي سنة ١٨٨هـ وان تصنيف (كتابه) كان سابقا لتصنيف كتاب الفراء (معاني القرآن) الذى املاه في مجالسه مبتدئا به في شهر رمضان سنة ٢٠٢هـ حتى فرغ منه سنة ٢٠٤هـ كما جاء في اول المعاني ١/١ وبذلك يكون الفراء هو الذى استشهد بشواهد سيبويه .

البصريين[٦٢] ، وفي هذا دليل واضح فيما ذهبنا اليه من أن شواهد البصريين اصح الشواهد .

شـواهد كتاب سيبويه :

يعتبر كتاب سيبويه أهم كتاب نحوى شمل مباحث النحو ، فهو ثمرة اتعاب كثير من العلماء السابقين لسيبويه وخلاصة آرائهم وجهودهم في تطوير النحو ، حيث وصل فيه النحو غاية نضجه ، ولهذا اعتمد عليه النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه على اختلاف مذاهبهم وأزمنتهم واماكنهم كثيرا ، سواء كان في قراءته ودراسته ، ام في اقتباسهم نصوصا منه ، او بالاستعانة بشواهده في الاستشهاد بها ، فهو كتاب تمثلت فيه كل المزايا الحسنة ، «فلم يقتصر سيبويه فيه على قوانين الاعراب فقط بل ملأه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم»[٦٣] ، «واستكثر منها»[٦٤] ، « فالشواهد النثرية المعين الذى لا ينضب في الاستشهاد لكثرتها والظفر بها عند تلمس الدليل فهى منطق العربى في غدواته وروحاته»[٦٥] . فقد استشهد بمئات الآيات القرآنية وبكثير من غرر اقوال العرب وامثالهم وحكمهم ، وبخمسين والف شاهد من الشعر والرجز للشعراء والرجز الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين .

(٦٢) التبيان في شرح الديوان ، انظر على سبيل المثال ١/١٥ و ٤٢ و ١٦٩ و ١٧٣ و ١٩٢ و ٢٤٣ و ٣٩٧ حيث كان (مصنفه) يستشهد بشواهد سيبويه في الصفحات المشار اليها من كتابه مشيرا الى انها من شواهد (الكتاب) او من انشاد (سيبويه) مؤيدا فيها وجهة نظر الكوفيين . وقد كان يثبت قياس الكوفيين في منع المصروف من الصرف بشاهد من شواهد سيبويه وقد اتى به وحده لاثبات قياس الكوفيين (التبيان في شرح الديوان ١/١٩٢). وهو قول الشاعر : (فبيناه يشرى رحله قال قائل – لمن جمل رخو الملاط نجيب) واشار اليه انه من ابيات الكتاب .

(٦٣) مقدمة ابن خلدون ٥٦٠–٥٦١ .

(٦٤) المصدر نفسه ٥٤٧ .

(٦٥) نشأة النحو ٦٧ .

لقيت شواهد سيبويه عناية فائقة من لدن العلماء ، فقد اهتموا بها وتوافروا على خدمتها ، فمنهم من تولّى نسبتها الى قائليها ومنهم من قام بشرحها ، فمن النحاة الكثيرين الذين شرحوها الزجاج(٦٦) ، والمبرد(٦٧) ، والسيرافي(٦٨) ، ومبرمان(٦٩) ، وأبو جعفر النحاس(٧٠) ، كما قام الجرمي وقيل المازني بنسبتها الى قائليها ، فاستطاع ان يعرف اسماء قائلي الف شاهد ، وبقي منها خمسون شاهدا لم يعرف قائليها(٧١) ، وسميت هذه الشواهد الخمسون بـ (الخمسين المجهولة) ، وقد ذكر ان سيبويه كان اذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه ، واما الابيات المنسوبة

---

(٦٦) بغية الوعاة ١/٤١٢ ٠

(٦٧) المصدر نفسه ١/٢٧٠ ٠

(٦٨) المصدر نفسه ١/٥٠٨ ٠

(٦٩) انباه الرواة ٣/١٩٠ ٠ مبرمان : هو محمد بن علي بن اسماعيل من ائمة النحو أخذ عن المبرد واكثر بعده عن الزجاج ، اخذ عنه ابو علي الفارسي وابو سعيد السيرافي ، توفى سنة ٣٤٥هـ (بغية الوعاة ١٧٥ـ١٧٧) ٠

(٧٠) انباه الرواة ١/١٠١ ٠

(٧١) طبقات النحويين واللغويين ٧٧ ، بغية الوعاة ٢/٢٢٩ ، خزانة الادب ١/٨ قال ابو عمر الجرمي : «نظرت في كتاب سيبويه فاذا فيه الف وخمسون بيتا فأما الالف فقد عرفت اسماء قائليها فأثبتها ، واما الخمسون فلم اعرف اسماء قائليها ، وقد روي هذا الكلام لابي عثمان المازني» ٠ على ان التوفيق لم يحالف الجرمي او المازني في تعيين النسبة الصحيحة لبعض الشواهد للاسباب التى تقدمت عن اختلاف نسبة الشواهد الى قائليها ٠ فمن ذلك مثلا الشاهد :

عوجي علينا واربعي يا فاطما

نسبه الى هدبة (انظر الكتاب ١/٣٣١) وهو لزيادة بن زيد العذري كما ذكره ابن قتيبة في (الشعر والشعراء ص٢٤٩) ٠ ومنها نسبته للشاهد الذى استشهد به سيبويه على نصب المضارع بعد واو المعية في جواب النهي بأن مضمرة وجوبا :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله

الى الاخطل (الكتاب ١/٤٢٤) ٠ وقد تقدم ذكر نسبته الصحيحة الى ابي الاسود الدؤلي ٠

في كتابه ، فالتسمية حادثة بعده اعتنى بنسبتها ابو عمر الجرمي(٧٢) . ويظهر ان سيبويه ادرك بثاقب فكرة ان علماء الشعر ورواته قد اختلفوا في نسبة الشعر الى قائليه ، لان «بعض الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله لانه قدم العهد به »(٧٣) ، ولذلك أراد ان يتخلص من التبعة ، فكره ان يذكر اسم الشاعر ، فاعتمد على الشواهد التى انشدها الثقات كشيوخه من العلماء(٧٤) ، فيقول مثلا : « انشدنا يونس لجرير :

اياك أنت وعبدالمسيح ان تقربا قبلة المسجد(٧٥)

وكان دقيقا في قبول الشواهد والتنبيه على ما فيها ، ولذا قال معقبا : « انشدناه يونس منصوبا وزعم ان العرب كذا تنشده»(٧٦) . أو يقول : « حدثنا ابو الخطاب انه سمع من العرب الموثوق بهم من ينشد هذا البيت رفعا :

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات أوقال(٧٧)

او يقول : « وزعم الخليل انه سمع العرب يقولون (وهو قول رجل من أزد السراة) :

الا رب مولود وليس له أب وذي ولد لم يلده أبوان(٧٨)

ومثل ذلك كثير (٧٩) . اما الشواهد التى رواها الاعراب الفصحاء الذين وثق

---

(٧٢) خزانة الادب ١/١٧٩ .
(٧٣) المصدر نفسه ١/١٧٩ .
(٧٤) المصدر نفسه ١/١٧٩ .
(٧٥) الكتاب ١/١٤٠ .
(٧٦) المصدر نفسه ١/١٤٠ .
(٧٧) المصدر نفسه ١/٣٦٩ .
(٧٨) المصدر نفسه ١/٣٤١ .
(٧٩) المصدر نفسه ١/١٠٣ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢/٥٢ .

سيبويه بعربيتهم فتركها دون نسبة(٨٠) ، فيقول مثلا : « وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه :

فقالت حنان ما اتى بك ههنا أذو نسب أم انت بالحي عارف(٨١)

أو قوله : «ومثل ذلك قول الشاعر :

يشكو إلي جملي طول السرى صبر جميل فكلانا مبتلى(٨٢)

ومن ينعم النظر في نسبة الشواهد في (الكتاب) ير أن (سيبويه) لم يغفل نسبة جميع الشواهد الى قائليها كلّها ، كما ذكر ، فربما نسب منها ما توثق به نسبته الى قائله ، وترك ما كان يشك في نسبته أو يدور الاختلاف في نسبته ، فالشواهد التى نسبها بنفسه تبدو واضحة في قوله : « ... من ذلك قول الخنساء :

ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار(٨٣)

وفي قوله : « وقال العجاج :

أطربا وانت قنّسري(٨٤)

وفي اقواله : « وقال العنبري .... وقال امرؤ القيس(٨٥) .... وقال الأغلب(٨٦) .... وقال الاعشى(٨٧) .... وقال ذو الرمة(٨٨) .... الخ .
اما الشواهد التى نسبها (الجرمي) فيما بعد ، فتبدو زيادتها على الكتاب ، وانها

---

(٨٠) انظر خزانة الادب ١/١٧٩ .
(٨١) الكتاب ١/١٦١ لم ينسبه الاعلم ايضا (تحصيل عين الذهب ١/١٦١) .
(٨٢) المصدر نفسه ١/١٦٢ لم ينسبه الاعلم ايضا (المصدر نفسه ١/١٦٢) .
(٨٣) الكتاب ١/١٦٩ .
(٨٤) الكتاب ١/١٧٠ والقنسري : الشيخ . قال الاعلم : وهو غير معروف في اللغة ولم يسمع الا في هذا البيت (تحصيل عين الذهب على هامش الكتاب ١/١٧٠) .
(٨٥) الكتاب ١/٢٩٤ .
(٨٦) الكتاب ٢/١٤٨ .
(٨٧) الكتاب ٢/١٤٩ .
(٨٨) الكتاب ٢/٢٣٥ .

ليست من اصله بوضوح ، كقول سيبويه : « وقال الشاعر وهو المرّار الأسدى .... »[٨٩] وقوله : « وزعم يونس ان رؤبة بن العجاج كان ينشد هذا البيت رفعا وهو لبعض مذحج (وهو هني بن احمر الكناني) »[٩٠] وقوله : « وقال الراجز (وهو رؤبة) »[٩١] . ومثل ذلك كثير من الشواهد في الكتاب التي تبدو نسبتها الى قائليها عبارات زائدة على الكتاب[٩٢]، والى هذا ذهب بعض الباحثين المعاصرين[٩٣] .

وقد لاحظت وقوع مثل هذا في كتب نحوية اخرى ، ففي كتاب (المذكر والمؤنث) للفراء عند استشهاده على طرح الهاء من حلوب ، ورغوث . قال الفراء : « قال الشاعر وهو جميل»[٩٤] ، وقال في موضع آخر : « وقال الشاعر وهو كعب الغنوى»[٩٥] . فظاهر العبارة انها ليست من الفراء ، لأنه أتى بشاهد آخر بعده مباشرة فقدم له بقوله : « وقال عنترة»[٩٦] . ووقع مثله في كتاب (الاضداد) فقد استشهد ابن الانبارى ببيت من الشعر بقوله : «وقال الآخر . وهو الطرماح»[٩٧] ، وهذا ليس من صنع المؤلف بداهة ، ولو كان كذلك لما اطال في العبارة ، ولقال : وقال الطرماح ، بدليل انه اتى بشاهد بعد بيت الطرماح مباشرة فذكر اسم قائله صراحة بقوله : « وقال ذو الرمة»[٩٨] . ومن هذا يظهر ان اضافة اسماء الشعراء الى الشواهد يكون احيانا من العلماء او الدارسين الذين

---

(٨٩) الكتاب ١/٧٥ .
(٩٠) الكتاب ١/١٦١ .
(٩١) الكتاب ١/٣٨٨ .
(٩٢) الكتاب انظر على سبيل المثال ١/١٤٤ و ١٤٥ و ٢٨٥ و ٣٣٠ و ٣٣١ و٣٤٤ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٢/٩٧ و ١٢٢ .
(٩٣) منهم الدكتور علي النجدى ناصف في (سيبويه امام النحاة) ص ١٤٣–١٤٤ والدكتورة خديجة الحديثى في (كتاب سيبويه وشروحه) ص١١٩ ، طبع بمطبعة دار التضامن ببغداد سنة ١٩٦٧ م .
(٩٤) المذكر والمؤنث ٢٧ .
(٩٥) المذكر والمؤنث ٦ .
(٩٦) المذكر والمؤنث ٦ .
(٩٧) الاضداد ٣٨ .
(٩٨) الاضداد ٣٨ .

يقرأون الكتاب أو يدرسونه ، ثم ينتسخه الوراقون ظانين انه من صلب الكتاب . وفيما ذكر دليل على ان سيبويه نسب قسما من شواهده وأتمها ابو عمر الجرمي فحصل مجموع المنسوب الف بيت عرف قائلوها . وقد حدث مثل هذا ـ كما مرَّ بنا ذكره ـ في كتب الفراء وابن الانباري ، ولا أظن ان الجرمي حينما اثبت اسماء الشعراء كان يثبتها على حالين حال يظهر منها انها اصلية ، وحال يفهم منها انها مضافة الى الكتاب . ومثل هذه الاضافات من غير المصنفين الاصليين للكتب تحدث في بعض الاحيان لبسا ، كما حدث في كتاب سيبويه حيث ورد فيه : « واما قول الشاعر لنعمان بن المنذر :

قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من شيء اذا قيلا [(١)]

فمن البديهي ان القارىء يفهم من هذه العبارة ان شاعرا يخاطب النعمان بالبيت الشاهد ، والحقيقة « انها حاشية لنسبة البيت أي هذا القول والشعر لنعمان بن المنذر » كما اشار الى هذا بعض الباحثين المحدثين[(٢)] .

والواقع ان قسما من الشواهد بقي دون عزو من قبل الجرمي كما اغفل الاعلم نسبتها لقائليها ، وهذه الشواهد لا تعد من الخمسين المجهولة[(٣)] ، وهي تعد مع الالف شاهد غير المجهولة ، ولا يعلم السبب في تركها دون عزو ، وربما كان السبب هو شهرتها لدى العلماء آنئذ ، والدليل على ذلك هذا الشاهد :

---

(١) الكتاب ١/١٣١ .

(٢) هو الاستاذ عبدالسلام هارون ، الكتاب ١/٢٦٠ هارون . وقد نسب العيني هذا الشاهد في (المقاصد النحوية) ٢/٦٦ والبغدادي في (خزانه الادب) ٢/٨٧ الى النعمان بن المنذر .

(٣) انظر على سبيل المثال الشواهد في الكتاب ١/١٢ وتحصيل عين الذهب ١/١٢ ، والكتاب ١/٢٤ وتحصيل عين الذهب ١/٢٤ والكتاب ١/٥٠ ، هارون والكتاب ١/١٥٠ وتحصيل عين الذهب ١/١٥٠ والكتاب ١/٢٩٨ هارون ، والكتاب ١/١٦٠ ، وتحصيل عين الذهب ١/١٦٠ والكتاب ١/٣١٨ هارون ، والكتاب ١/٢٠١ وتحصيل عين الذهب ١/٢٠١ والكتاب ١/٤٠٥ هارون .

اراك جمعت مسئلة وحرصا   وعند الحق زحارا أتانا

لم ينسب في الكتاب ، ولم ينسبه الاعلم[٤] ، وهو للمغيرة بن حبناء يخاطب اخاه صخرا،[٥] ، وهذا الشاهد :

اعتاد قلبك من سلمى عوائده   وهاج اهواءك المكنونة الطلل

ربع قواء اذاع المعصرات به   وكل حيران سار ماؤه خضل

لم ينسب في الكتاب ، ولم ينسبه الاعلم[٦] ، وقائله عمر بن ابي ربيعة،[٧] . وربما نسبت الابيات كلها في نسخة الاصل (الام) ثم اهملت نسبة بعض الشواهد المشهورة القائلين عند النسخ ، كهذا الشاهد الذى اهملت نسبته في نسخة بولاق وهو قول الشاعر :

أيام جمل خليلا لو يخاف لها   صرما لخولط منه العقل والجسد[٨]

على حين نسب في النسخة التى حققها الاستاذ عبدالسلام هارون الى الاخطل[٩] كذلك نسبه الاعلم[١٠] .

شواهد سيبويه الخمسون المجهولة :

مرّ بنا ان خمسين شاهدا من شواهد سيبويه لم يعرف العلماء قائليها فسمّيت بـ (الشواهد الخمسين المجهولة) ، وقد عدّ بعضهم هذا مأخذا على سيبويه لانه

(٤) الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/١٧١ .
(٥) الكتاب ١/٣٤٢ هارون .
(٦) الكتاب وتحصيل عين الذهب ١/١٤٢ .
(٧) الكتاب ١/٢٨١ هارون .
(٨) الكتاب ١/٣٢٩ .
(٩) الكتاب ٢/٢٣٨ هارون . وقد راجعت ديوان الاخطل فلم أجده فيه .
(١٠) تحصيل عين الذهب ١/٣٢٩ .

استشهد بأبيات مجهولة ، وفي ذلك بعض المحاذير اذ ربما يكون الشاهد المجهول مصنوعا أو لمولد أو لمن لا يوثق بكلامه ، ومأخذهم صحيح • ولكن الا يجوز انها كانت وقد انشادها والاستشهاد بها معروفة ؟ لقد كان هذا اعتذار العلماء لسيبويه ، فقالوا لمن انكر على سيبويه استشهاده بالابيات المجهولة : «لسنا ننكر ان تكون انت لا تعرفها ولا اهل زمانك وقد خرج كتاب سيبويه الى الناس والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه اكيدة ونظر فيه وفتش فما طعن احد من المتقدمين ولا ادعى انه اتى بشعر منكر»[١١] • ويبدو هذا الاعتذار صحيحا اذ استطاع بعض العلماء المتأخرين معرفة قائلي بعضها ، فقد نسب العيني احد الخمسين وهو قوله :

دعي ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيّب نبئيني[١٢]

فذكر ان قائله سحيم بن وثيل الرياحي[١٣] ، كما نسبه السيوطي الى المثقب العبدى[١٤] •

---

(١١) الخزانة ١/١٧٩ •

(١٢) الكتاب ١/٤٠٥ استشهد به سيبويه على جعل (ماذا) اسما واحدا ، أي ما استفهامية وذا اسم مركب معها ، بمنزلة الذى ، أى دعي الذى علمته •

(١٣) المقاصد النحوية ١/١٩٢ • قال العينى : البيت من قصيدة اولها قوله :

افاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني

وانظر المقاصد النحوية ١/٤٨٨ •

(١٤) شرح شواهد المغني ١/١٩٠–١٩١ •

على ان البغدادي انكر هاتين النسبتين للبيت[١٥] • وعلى أي حال فان هذا البيت يخرج من الخمسين المجهولة ويمكن عدّه من الشواهد المختلف في نسبتها الى قائليها • كذلك نسب الزمخشري شاهدا آخر منها الى العنبري[١٦] وهو قوله :

غير أنّا لم تأتنا بيقين فرجّي وتكثر التأميلا[١٧]

ومما يمكن ان يضاف الى ما عرفت نسبته من الخمسين[١٨] ، هذا الشاهد :

وذكرت تقتد برد مائها وعتك البول على أنسائها

الذى استشهد به سيبويه غير منسوب الى قائله[١٩] ، كما لم ينسبه الاعلم

---

(١٥) قال البغدادي في (الخزانة ٢/٥٥٦) : « زعم العيني وتبعه السيوطي في شرح شواهد المغني انه من قصيدة للمثقب العبدي مطلعها : افاطم قبل بينك ٠٠٠٠ البيت • وهذا لا اصل له وان كان الروي والوزن شيئا واحدا فان قصيدة المثقب العبدي قد رواها جماعة منهم المفضل الضبي في المفضليات ومنهم ابو علي القالي في اماليه وفي ذيل اماليه ، ولم يوجد البيت فيها ولم يعزه احد من خدمة كتاب سيبويه وهم ادرى بهذه الامور والله اعلم» • والبيت الشاهد لم أجده في قصيدة المثقب العبدي (المفضلية) التى اولها : افاطم قبل بينك متعيني ٠٠٠٠ البيت (المفضليات ٢/٤٢) ، كما ذكر البغدادي • ولكن العيني لم ينسبه الى المثقب كما ترى وانما نسبه الى سحيم بن وثيل ، وقد وهم البغدادي في هذا • والمهم في الموضوع هو ان هذا الشاهد لم يعد من الخمسين المجهولة وانما من الشواهد المختلف في نسبتها الى قائليها •

(١٦) المفصل ٢٤٩ ربما كان هو قريط بن انيف (المفضل في شرح ابيات المفصل ٢٤٩) •

(١٧) نسب في كتاب سيبويه ١/٤١٩ الى بعض الحارثيين ، وأيد النسبة الاعلم (تحصيل عين الذهب ١/٤١٩) ، وقال البغدادى في (الخزانة ٣/٦٠٧) انه من شواهد سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل •

(١٨) الكتاب ١/١٥١ هارون •

(١٩) الكتاب ١/٧٥ •

الشنتمرى[٢٠] ، وقد نسبه العاملي الى خير بن عبدالرحمن وقال : « وقيل انه لوجزة السعدي »[٢١] ، كما نسبه ياقوت في معجم البلدان[٢٢] الى ابي وجزة الفقعسي وقد اشار الى هذا الاستاذ عبدالسلام هارون[٢٣] . كما علم (الشنقيطي)[٢٤] شاهدا آخر من الخمسين المجهولة وهو قوله :

أفبعد كندة تمدحنَّ قبيلا[٢٥]

---

(٢٠) تحصيل عين الذهب ١/٧٥ .

(٢١) الشواهد على شرح ابن الناظم ٣٤٢ ..

(٢٢) معجم البلدان ٢/٣٧ .

(٢٣) الكتاب ١/١٥١ هارون .

(٢٤) قال الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي في (الحماسة السنية ص ١٠٢-١٠٤) : «البيت لامرىء القيس وهذا مصراعه الاخير ومصراعه الاول :
قوله : قالت فطيمة حل شعرك مدحه
وهو من قصيدة عددها ثمانية عشر بيتا ، ولندورها وقلة وجودها . ولذلك (كذا) مضى على هذا البيت في كتاب سيبويه نيف ومائتان والف عام لم يعرف من النحويين شراح كتاب سيبويه وشراح شواهده وغيرهم قائل هذا الشاهد احد قبلي » . وبعد ان ذكر القصيدة قال : نقلتها مع سائر ديوانه مع شرحه رواية ابي سهل خرابنداد عن ابي جعفر الكوفي المعروف بدندان ، وعن ابي عمر العبدي الاصطخري من نسخة تاريخها سنة ٦٣٧ هـ . ثم قال : ولكون الديوان برواية الكوفيين خفي على البصريين وغيرهم معرفة قائل الشاهد المذكور مع شهرته ومسابقة الناس الى حفظ اشعاره والمحافظة عليها ... » . وقد انكر الاستاذ مصطفى الرافعي (تاريخ آداب العرب ١/هامش ص٣٧٢) على الشنقيطي معرفته البيت المذكور وزعم انه من الابيات الموضوعة على امريء القيس لنزولها عن طبقته وظهور الصنعة والتوليد فيها . ثم قال : «ولابد ان تكون الخمسون او معظمها من هذا الطراز» . فالرافعي اراد ان يمتدح البصريين حين قال بانهم دفعوا اشعارا لامرىء القيس وزهير وغيرهما مما انفرد بروايته الكوفيون ، فذمهم حينما جعل معظم الابيات الخمسين من الابيات الموضوعة . فاذا كان البصريون يردون ما انفرد بروايته الكوفيون - وهو الصحيح - فمن باب اولى ان يفعل سيبويه ذلك وهو امام البصريين وقدوتهم . في النحو واللغة . ولذلك لا أقر الرافعي على ما ذهب اليه .

(٢٥) ذكره سيبويه شاهدا على توكيد تمدحن بالنون الثقيلة (الكتاب ٢/١٥١) ، ونسبه الى (مقنع) ولم ينسبه الاعلم (تحصيل عين الذهب ٢/١٥١) .

وهذا يؤيد ما ذكر انها لم تكن مجهولة حين الاستشهاد بها[٢٦] . على ان المتتبع لهذه الشواهد يرى ان بعضها كانت من انشاد شيوخ سيبويه كعيسى بن عمر مثلا[٢٧] ، كما ان سيبويه كان يثبت ـ كعادته ـ من رواتها قبل قبولها ، والاستشهاد بها ، فتراه يقول : « وقال الشاعر :

ومثلك رهبى قد تركت رذيّة   تُقلّب عينيها اذا مرّ طائر

سمعنا ذلك ممن يرويه عن العرب»[٢٨] ، أو يقول : « سمعت رجلا من العرب ينشد هذا البيت كما اخبرك به :

وكنت أرى زيدا ـ كما قيل ـ سيّدا   اذا انه عبد القفا واللّهازم[٢٩]

او يقول عقب استشهاده بأحدها وهو قوله :

ان عليّ الله أن تبايعا   تؤخذ كرها أو تجيء طائعا

«هذا عربي حسن»[٣٠]

والظاهر ان هناك سببا آخر جعلها مجهولة أن قسما منها لم يكن لشعراء

(٢٦) خزانة الادب ١/١٧٩ يؤيد ذلك عثور الاستاذ محيي الدين عبدالحميد على قائل احد ابيات سيبويه المجهولة القائل (الكتاب ١/٢٧٠) وهو قول الشاعر :

فلم يدر الا الله ما هيجت لنا   عشية آناء الديار وشامها

على انه من قصيدة طويلة لذي الرمة ، واولها : مررنا على دار لمية مرة ... وجاراتها قد كاد يعفو مقامها (منحة الجليل ١/٣٤٢) اضافة الى ما ذكرنا اعلاه عن معرفة العلماء لشواهد اخرى .

(٢٧) الكتاب ١/٨٧ .

(٢٨) الكتاب ١/٢٩٤ .

(٢٩) الكتاب ١/٤٧٢ .

(٣٠) الكتاب ١/٧٨

مشهورين وانما لأعراب ينظمون بقلة بعض الابيات ، وقد تفردوا بروايتها ولهذا لم تنتشر بين الرواة بدليل قول العسكري : « وقد يرى في اشعار القبائل الابيات تنسب الى الرجل المجهول الذى لم يرو له غيرها ، ولا يعرف له اسم الا بها »[٣١] ، يؤيد نسبة احد هذه الشواهد الخمسين الى رجل من بني عبد مناة بن كنانة[٣٢] ، وآخر نسب الى بعض الحارثيين[٣٣] ، وثالث لرجل من بني عبس[٣٤] ، ورابع لرجل من ازد السراة[٣٥] أضف الى هذا سببا آخر هو ما اصاب النصوص الادبية من تحريف وتغيير وطمس لبعض معالمها واختلاف في قائليها بتأثير الطريقة التى اتبعت في تناقل المرويات وهي (الطريقة الشفوية) التي كان لها التأثير المباشر في نسيان اسماء قائلي النصوص الادبية ، ولهذا وجدنا الكثير من الشواهد النحوية ، مجهولة ومنها شواهد سيبويه الخمسون • والحق ان الشواهد المجهولة في كتاب سيبويه هي اقل بكثير من الشواهد المجهولة في الكتب النحوية الاخرى • ومع كل فلا يمكن القول بخلو هذه الخمسين من بعض الشواهد المصنوعة ـ وهي ضئيلة لا تعد شيئا مذكورا بازاء مئات الشواهد الصحيحة[٣٦] ـ كهذا الشاهد الذى انشده عيسى بن عمر :

هل انت باعث دينار لحاجتنا   أو عبد رب اخا عون بن مخراق[٣٧]

---

(٣١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٦١ •

(٣٢) الكتاب ١/٣٤٩ ، الخزانة ٢/١٠٣ •

(٣٣) الكتاب ١/٤١٩ وخزانة الادب ٣/٦٠٧ •

(٣٤) الكتاب ١/٣٩٦ ، تحصيل عين الذهب ١/٣٩٦ •

(٣٥) الكتاب ٢/٣٩٤ هارون ، حاشية الامير على مغني اللبيب ، خزانة الادب ١/٣٩٧ •

(٣٦) خلافا لما زعمه المرحوم الرافعي (تاريخ آداب العرب ١/هامش ص٣٧٢) بأن الشواهد الخمسين او معظمها موضوع •

(٣٧) الكتاب ١/٨٧ • البيت من الشواهد الخمسين كما ذكر البغدادي في (خزانة الادب ٣/٤٧٦) وذكر الاستاذ عبدالسلام هارون في (الكتاب ١/هامش ١٧١) انه نسب الى جابر بن رألان والى جرير والى تأبط شرا ، وقيل انه مصنوع • وقال المعري في (رسالة الغفران ٥٦٨) : هذا البيت يتداوله النحويون ، وزعم بعض المتأخرين من اهل العلم انه مصنوع ، وما اجدره بذلك !•

وعلى الرغم من وجود هذه الابيات المجهولة ، وموقف البصريين المعروف من الشواهد المجهولة وعدم قبول الاستشهاد بها ، فقد اعتبرت شـــواهد سيبويه « اصح الشواهد [بما فيها الشواهد المجهولة] فاعتمد عليها خلف بعد خلف »(٣٨) ، « فلا يضر سيبويه الا يعرف اسم قائلها ، بل لا يقدح في الاستشهاد بها »(٣٩) ، لهذا استشهد النحويون بالشواهد الخمسين في النحو وتداولوها في كتبهم ، اذكر على سبيل المثال : المبرد(٤٠) ، والفراء(٤١) ، والزمخشري(٤٢) ، وابن مالك(٤٣) ، وابن الناظم(٤٤) ، وابن هشام(٤٥) ، وابن عقيل(٤٦) ، والاشموني(٤٧) .

بيت اللاحقي(٤٨) :

ان سيبويه وان كان متثبتا كل التثبت في قبول الشواهد ، فلم يقبل الا ما كان صحيحا منها ، عن العرب الموثوق بعربيتهم ، كما ذكر ذلك غير مرة في كتابه

---

(٣٨) خازنة الادب ١/٨ .
(٣٩) نقض كتاب في الشعر الجاهلي ٢٣٨ .
(٤٠) المقتضب ٢/٣٢١ ، ٣/١٨١ ، ٤/١٥١ ، ٣٢٨ ، ٣٧٢ .
(٤١) معاني القرآن ١/١٢٠ ، ٢/١٢ .
(٤٢) المفصل ٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٨ ، ١٧١ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩ ، ٣٠١ ، ٣٤١ .
(٤٣) التسهيل ٦٣ .
(٤٤) شرح الفية ابن مالك لابن الناظم ٢٤٠ ، ٢٥٢ .
(٤٥) مغني اللبيب ١/١١٩ ، ٢/٤١ ، شرح شذور الذهب ٣٦ ، شرح القطر ١٧ ، ١٥٨ ، ١٦٨ .
(٤٦) شرح ابن عقيل ١/٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٢٣٤ ، ٢/٤٦ ، ٧٩ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ .
(٤٧) شرح الاشموني ١/١٤٧ ، ٢٦٢ ، ٣٥٥ ، ٢/٣٢٧ ، ٤٣٠ .
(٤٨) هو ابان بن عبدالحميد اللاحقي مولى بني رقاش من اهل البصرة . كان شاعرا اديبا مطبوعا في الشعر من شعراء هرون الرشيد ، بصري ، متهم في دينه ، يجالس الزنادقة ويتعاطى معهم الشراب وقول الشعر وهجاء بعضهم البعض (الاغاني ٢٠/٧٣ بولاق . امالي المرتضى ١/٩٠ ، طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٤١) .

الا انه ربما جاز عليه شيء ـ سهوا ـ فقد استشهد ببيت صنعه له ابو يحيى اللاحقي ، على اعمال (فعل) بكسر العين وهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، وهو :ـ

حذر امورا لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الاقدار[٤٩]

فقد حكى ابو عثمان المازني انه سمع اللاحقي يقول : «سألني سيبويه : هل تحفظ للعرب شاهدا على اعمال فعل ؟ قال : فوضعت له هذا البيت : حذر امورا ...»[٥٠] • وقيل : « ان البيت لابن المقفع لا للاحقي»[٥١] •

وقد هيأ هذا لبعض العلماء مجال الطعن في شواهد سيبويه • فقال المبرد : « استشهد سيبويه بهذا البيت ، وهو موضوع محدث ، وانما القياس الحاكم على ما يجيء من هذا الضرب وغيره»[٥٢] • وقال الرضي : «البيت مصنوع»[٥٣] • ولكن سيبويه غير مخطيء في ذهابه الى اعمال (فعل) ، فان القياس يعضده[٥٤] ، كما ان العلماء وجدوا له مثيلا في كلام العرب الفصحاء ، قال الاعلم وتبعه ابن السيد[٥٥] في شرح ابيات الجمل : « ان كان سيبويه قد رد عليه استشهاده بالبيت وجعله مصنوعا ... وان كان هذا صحيحا ـ فلا يضر ذلك سيبويه ، لأن القياس يعضده ،

---

(٤٩) الكتاب ٥٨/١ • قال الاعلم : « الشاهد في نصب امور بحذر لانه تكثير حاذر ، وحاذر يعمل عمل فعله المضارع فيجرى حذر عند سيبويه مجراه في العمل ، لانه عنده مغير من بنائه للتكثير كما كان في ضروب وضراب» • (تحصيل عين الذهب ٥٨/١) •

(٥٠) المزهر ١٠٩/١ •

(٥١) خزانه الادب ٤٥٧/٣ •

(٥٢) المقتضب ١١٦/٢ـ١١٧ •

(٥٣) خزانة الادب ٤٥٦/٣ •

(٥٤) تحصيل عين الذهب ٥٨/١ •

(٥٥) هو ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيد (بكسر السين وسكون الياء من اسماء الذنب سمي به الرجل) البطليوسي النحوي • ولد بمدينة بطليوس ، كان عالما بالادب واللغات ، متبحرا فيهما متقدما في معرفتهما واتقانهما ، الف كتبا نافعة كالحلل في شرح ابيات الجمل ، والاقتضاب في شرح ادب الكتاب • توفي سنة ٥٢١هـ بمدينة بلنسية (وفيات الاعيان ٢٨٢/٢ـ٢٨٤) •

وقد الفيت في بعض ما رأيت لزيد الخيل بن مهلهل الطائي بيتا في تعدي فعل وهو قوله :

أتاني أنهم مزقون عرضي جحاش الكرملين لها فديد

فقال : مزقون عرضي ، واجراه مجرى ممزقين ، وهذا لايحتمل غير هذا التأويل فقد ثبت صحة القياس بهذا الشاهد القاطع »(٥٦) . كذلك استشهد سيبويه بيت آخر على هذه المسألة وهو قول لبيد بن ربيعة العامري :

أو مسحل شنج عضادة سمحج بسراتها ندب له وكلوم

«نصب عضادة بـ (شنج) نصب المفعول به لانه تكثير شانج وشانج في معنى ملازم»(٥٧) . فقد بان بهذا لكل منصف بأن سيبويه على صواب فيما ذهب اليه ، وان بيت اللاحقي لم يكن فريدا في بابه ، وقد اوضح ابن هشام السبب في مخالفة بعض العلماء من البصريين سيبويه ان اعمال فعل قليل ، ووافقه منهم آخرون لأنه على وزن الفعل(٥٨) .

اما رواية المازني عن اللاحقي فهي غريبة حقا وتدعو الى الريبة ، ولا يكاد العقل يقبلها ، اذ كيف يرضى شخص بأن يخبر عنه بأنه غير امين فيما ائتمن عليه؟ وربما كان اللاحقي كاذبا في هذا الخبر ، اذ انه كان خبيث المعتقد(٥٩) ، ومن

---

(٥٦) تحصيل عين الذهب ١/٥٨ والجحاش : جمع جحش وهو ولد الحمار ، والكرملين تثنية كرمل : ماء بجبل طيء ، وفديد : صوت .

(٥٧) الكتاب وتحصيل عين الذهب على هامشه ١/٥٧ . قال الاعلم : « وصف المسحل وهو عير الفلاة بالنشاط والهياج والحمل على اتانة فهي ترمحه وتكلمه اي تجرحه ، وشبه ناقته به في هذه الحال . والسمحج : الطويلة على وجه الارض . والسراة : اعلى الظهر ووسطه . والكلوم : الجراحات والندب : آثارها » . وانظر شرح المفصل ٦/٧٢ .

(٥٨) شرح شذور الذهب ١٣٤ .

(٥٩) امالي المرتضى ١/٩٠ ، الواضح في مشكلات شعر المتنبي ٨ . وقد أوله بعضهم على ان قول اللاحقي «فوضعت له هذا البيت : فرويته له» (خزانة الادب ٣/٤٥٧) .

كان هذا شأنه فليس هنالك من وازع يمنعه من ذلك • وقد تقدم ان منهم من نسبه الى ابن المقفع[٦٠] ، ونسب ايضا الى ابي الحسن الاخفش [٦١] ، وتناقض الرواية اتاح المجال لطائفة من النحاة فقالوا : « ان سيبويه رواه عن بعض العرب وهو ثقة لا سبيل الى ردّ ما رواه»[٦٢] • وعلى هذا الاعتبار استشهد به بعض النحويين[٦٣] •

اما موقف النحويين من شواهد سيبويه بصورة عامة فقد وثقوا بها واعتبروها اصح الشواهد ، فكانت عمدتهم في الاستشهاد ، وقد مرّ بنا ذكر موقف الكوفيين منها ، اذ اعتمدوا عليها واستشهدوا بها وهم منافسو البصريين • اما البصريون الذين جاءوا بعد سيبويه او المتأخرون من نحاة الاقاليم فقلّما تجد كتابا نحويا لهم يخلو منها ، ففي (المقتضب) للمبرد وهو يأتي بعد كتاب سيبويه في النحو والصرف واللغة من حيث الضخامة والشمول ، بلغت شواهد سيبويه فيه (٣٨٠) شاهدا من مجموع الشواهد الشعرية التي بلغت (٥٦١) شاهدا[٦٤] • وكان قسم من النحاة يشيرون الى شواهد سيبويه حينما يستشهدون بها لكي يثبتوا بها القاعدة ، لصحتها واعتزازهم بها ، فكانوا اما يذكرون بأنها من (ابيات الكتاب) ، أو (من ابيات سيبويه)[٦٥] • وقد كثر ما استشهد به ابو علي الفارسي من شواهد سيبويه ، ففي الجزء الاول من كتابه (الحجة) مثلا ، استشهد

---

(٦٠) خزانة الادب ٣/٤٥٧ •
(٦١) تحصيل عين الذهب ١/٥٨ •
(٦٢) نقض كتاب في الشعر الجاهلي ٢٧٨ •
(٦٣) انظر على سبيل المثال شرح ابن عقيل ٢/٩٤ ، وشرح الاشموني ٢/٣٤٢ •
(٦٤) المقتضب / انظر مقدمة المحقق ١١٥ •
(٦٥) قال البغدادي في (الخزانة ١/٨) : « ولكون ابيات سيبويه أصح الشواهد التزمنا في هذا الشرح ان ننص على ما وجد فيه منها بيتا بيتا ونميزها عن غيرها ليرتفع شانها ويظهر رجحانها» •

به (٤١) شاهدا ، واما تلميذه ابن جني فهو حينما كان يورد بيتا من شواهد سيبويه يشير اليه انه من ابيات الكتاب[٦٦] او سيبويه[٦٧] ، افرادا لها عن غيرها وتمييزها عن بقية الشواهد ، وما ذلك الا لاجلاله سيبويه ووثوقه به وبروايته ، واعتباره شواهده اصح الشواهد ، وما ردّه على ابي العباس المبرد في (المحتسب) و (الخصائص) ذلك الرد الشديد[٦٨] ، لرده رواية بعض شواهد سيبويه ، الا لأنه كان يعتقد اعتقادا جازما بصحة تلك الشواهد وصدق روايتها ، كذلك كان الزمخشري يستشهد كثيرا بشواهده مشيرا الى أنها من ابيات سيبويه[٦٩] أو (الكتاب)[٧٠] • واستعان ابو الحسن الرماني بأكثر من نصف شواهده في كتابه (منازل الحروف) التي بلغت (٣٠) ثلاثين شاهدا بشواهد سيبويه[٧١] • كما استشهد بها الزجاجي لتوثيق اقواله ولكنه لم يشر اليها انها من (الكتاب) وذلك في كتابه (اللامات)[٧٢] وقد بلغت (٣٢) اثنين وثلاثين شاهدا من مجموع شواهده الشعرية البالغة (٨١) واحدا وثمانين شاهدا • وشواهد سيبويه في (شرح القطر) لابن هشام بلغت (١٨) ثمانية عشر شاهدا[٧٣] • ويطول الحديث اذا اردنا استقصاء شواهده التي استشهد بها النحاة بعده وحسبنا فيما تقدم ذكره دليل كاف على اعتماد النحويين عليها ، وهي في حقيقة امرها شواهد المدرسة البصرية ، وفي هذا دليل ايضا على ان شواهد البصريين اصح الشواهد النحوية والله اعلم •

---

(٦٦) الخصائص انظر على سبيل المثال ٢/٢٨١ و ٢٩٣ ، وسر صناعة الاعراب ١/١١ و ١٤ و ٢٨ و ٦٥ و ٦٦ و ١١٥ و ٢٩٧ والمحتسب ١/١١٠ •

(٦٧) الخصائص انظر على سبيل المثال ١/٧٤ و ٢/٣٥٣ و ٤٠٦ و٤٠٧ و ٤٩٢ وسر صناعة الاعراب ١/٦٥ و ٦٦ والمحتسب ١/١١٠ •

(٦٨) انظر المحتسب ١/١١٠ والخصائص ١/٧٤ـ٧٥ و ٢/٣٤٠ـ٣٤١ •

(٦٩) المفصل ١٩ ، ٣٤ ، ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٦٤ •

(٧٠) المفصل ٢١ ، ٣١ ، ٢١٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ •

(٧١) منازل الحروف ٥١ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ •

(٧٢) اللامات ١٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٨ •

(٧٣) شرح قطر الندى ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٩ ، ٣١٨ ، ٣٢١ •

شــواهد الكوفيين

أشرنا الى أنه لم يقع الينا مما ألّفه نحاة الكوفة الاوائل شيء لاعتمادهــم على الاملاء والحفظ في وضع تآليفهم ، وقد ضاع اكثر ما أملوه مع ما ضاع من كتب البصريين الاوائل قبل سيبويه[1] .

وكان البصريون أسعد حظا حينما وصلت الينا بعض كتبهم ، ولاسيما كتاب سيبويه الذى جمع نحوهم ، وضمّ بين دفتيه مقدارا كبيرا من الشواهد ، التى تظافرت جهود البصريين على جمعها واستخراجها من القــرآن الكريم وكــلام العرب ، «غير اننا لا نعرف كتابا جمع نحو الكوفيين على نحو ما نجد في كتاب سيبويه من نحو البصريين»[2] ، ولا نجد لشواهدهم كتبا خاصة بها ، كما نجد ذلك لشواهد البصريين ، كشروح شواهد الكتاب مثلا . بل نجدها مبثوثة في كتبهم القليلة التى وصلت الينا ، وفي كتب النحاة المتأخرين .

وقد كثرت الروايات التى ذكرت ان ابا جعفر الرواسي أول من صنّف كتابا في النحو من الكوفيين يسمى (الفيصل)[3] ، كما ذكر ابن النديم ان للكسائي كتابا مختصرا في النحو ، دل عليه أسمه[4] ، وقد ألف الفراء وثعلب وابن الانباري

---

(١) انظر المقدمة ص١٣ .

(٢) النحو العربي نقد وبناء ٣٧ .

(٣) الفهرست ١٠٢ ، نزهة الالباء ٣٥ ، معجم الادباء ١٨/١٢٢ ، ١٠٩ ونقل الزجاجي في (مجالس العلماء ٢٦٩) قول الفراء : كان للكوفيين كتاب يقال له الفيصل بمنزلة مختصر الكسائي ، وكنت احفظ له من الكسائي انتهى . وذكر ابن النديم للرواسي كتبا اخرى هى : كتاب التصغير ، ومعـــاني القرآن ، والوقف والابتداء الكبير ، والوقف والابتداء الصغير .

(٤) الفهرست ١٤٠ .

كتبا كثيرة ، غير ان ما وصلنا منها قليل وغير خاص بالنحو ، فلم يصلنا عنهم سوى رسالة صغيرة للكسائي في (ما تلحن فيه العوام)[٥] ، وبعض كتب الفراء : (معاني القرآن) و (المذكر والمؤنث) و (الايام والليالي والشهور) و (المنقوص والممدود) ، وهي رسائل صغيرة تحتوى على مسائل لغوية وصرفية ونحوية عدا (المعاني) الذى هو تفسير للقرآن الكريم فيه آراء الفراء النحوية وشواهده ايضا • ووصلنا عن أبي العباس (ثعلب) بعض الكتب منها كتاب (مجالس ثعلب) وعن ابن الانباري بعض الكتب منها كتاب (الاضداد) و (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) ، ومن كتب الكوفيين التى احتوت بعض مسائلهم وشواهدهم كتاب (التبيان في شرح الديوان) وهو شرح لديوان المتنبي ، نسب خطأ الى ابي البقاء العكبري[٦] ، ولولا ما نجده في الكتب التى مرّ ذكرها ، وفي كتب بعض المتأخرين من النحاة غير الكوفيين ككتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات الانبارى ، و (شرح المفصل) لابن يعيش و (شرح الرضي على كافية ابن الحاجب) وشروح الفية ابن مالك • وشروح الشواهد ، كشرح الشواهد الكبرى (المقاصد النحوية) للعيني ، وشرح شواهد المغني للسيوطي وخزانة الادب للبغدادي ، لجهلنا كل شيء عن شواهدهم واستشهادهم •

---

(٥) طبع في المطبعة السلفية سنة ١٩٢٥ بعناية الاستاذ عبدالعزيز الميمني •

(٦) هو ابو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري ٥٣٨ـ٦١٦هـ صاحب (اعراب ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن) وكتاب (مسائل خلافية في النحو) ، وهو في هذين الكتابين (بصري المذهب) وقد وقف مع البصريين في حملتهم على القراء في كتابه الاول المشار اليه ، وستمر بنا اقواله عند الكلام على (الاستشهاد بالقراءات) • اما في كتاب التبيان المنسوب اليه (انظر وفيات الاعيان ٢/٢٨٦) فهو كوفي المذهب يصرح بأنه من اتباع هذه المدرسة ، فيقول مثلا في ١٣٨/٢ : (عل حرف ذهب اصحابنا الكوفيون الى ان لامه الاولى اصلية ، وذهب البصريون الى انها زائدة •••) ولذا نحن نؤيد ما ذهب اليه المرحوم الدكتور مصطفى جواد في (مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق جـ١ و ٢ المجلد ٢٢ سنة ١٩٤٧ ص٣٧ـ٤٧) والدكتور مهدي المخزومي في (مدرسة الكوفة ١١٩) من ابطال نسبة الكتاب الى العكبري •

شواهد الكوفيين تأتي في طليعتها آيات القرآن البينات ، وهي اصح الشواهد ، لان القرآن الكريم هو النص الموثق كل التوثيق ، كما انه قمة الفصاحة العربية بالاجماع فكما اعتمد عليه البصريون في الاستشهاد واستخراج الشواهد النحوية، كذلك فعل الكوفيون من بعدهم • وكان من شواهدهم القرآنية ايضا (القرآءات) «وهي مصدر هام من مصادر النحو الكوفي»[٧] ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان (الكسائي) مؤسس مدرستهم النحوية احد القراء السبعة - كما تقدم - ، فقد اعتد الكوفيون بالقراءات واستشهدوا بها ، واستندوا اليها في كثير من اصولهم واحكامهم النحوية • منها مثلا ذهابهم الى جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه[٨] ، والعطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار[٩] • وغير ذلك كثير ، سيأتي ذكره مفصلا عند الكلام على (الاستشهاد بالقراءات) •

ومن شواهد الكوفيين ايضا (الحديث الشريف) ، وقد استشهد به ائمتهم ، الكسائي والفراء وابن الانباري ، في كثير من المسائل النحوية واللغوية[١٠] •

اما شواهدهم من كلام العرب (الشعر والنثر) ، فهي ما وافق مسائلهم النحوية وأيد وجهة نظرهم فيها من شواهد البصريين مضافا اليها الشواهد التى استخرجوها هم من المرويات الكثيرة التى سمعوها من العرب ، فقد مر بنا في التمهيد ان الكوفيين كانوا في بداية امرهم بدراسة النحو قد اخذوا عن البصريين اصول هذا العلم ومسائله ، لذا اعتمدوا في تلك الفترة على سماع البصريين وما استشهدوا به من الشواهد ، ثم أخذوا يعتمدون على انفسهم - بالتدريج -

---

(٧) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٣٨٤ •

(٨) الانصاف ٤٢٧/٢ ، شرح ابن عقيل ٦٩/٢-٧٠ همع الهوامع ٥٢/٢ •

(٩) الانصاف ٤٦٣/٢ ، املاء مامن به الرحمن ١٩٦/١ ، ١٠/٢ •

(١٠) سيأتي ذكر استشهاد ائمة الكوفيين بالحديث عند الكلام على (الاستشهاد بالحديث) خلافا لما ذكره ابو حيان في رده على ابن مالك لكثرة استشهاده بالحديث ورده العلماء قديما والباحثون حديثا بدون تمحيص •

بالسماع ، فقام ائمتهم وكبار رواتهم كالكسائي وابي عمرو الشيباني بالرحلة الى البادية بغية السماع واقتباس المرويات عن العرب ، كما سمع الفراء وابن الاعرابي من الاعراب[11] ، فأضافوا الى ما أخذوه من شواهد البصريين[12] شـــواهد أخرى ، استخرجوها من المرويات الكثيرة التى حصلوا عليها من سماعهم .

ولما كان الكوفيون قد توسعوا في السماع فسمعوا من مناطق لم يسمع منها البصريون ، ثم قبلوا جميع المرويات من الشعر ومأثور كلام العرب واحترموه وجعلوه من اصولهم المعوّل عليها في الاستشهاد ، فقد كان من الطبيعي ان تكثر عندهم الشواهد النادرة[13] ، او الشاذة[14] ، او المروية برواية مخالفة لما سمعه البصريون ورووه[15] ، لذلك لم يأبه البصريون بها ، وكانوا يردونها ، ولا يقبلونها ، لانها عندهم من القليل أو الشاذ الذى لا يلتفت اليه ولا يقاس عليه[16] ، او من القليل الذى يجيء في الشعر فلا يكون فيه حجة ، ومع قلّته لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاستشهاد به[17] ، من ذلك مثلا هذا الشاهد المفرد المجهول القائل :

كلّف من عنائه وشقوته　　بنت ثماني عشرة من حجّته[18]

---

(١١) انظر الفهرست ١٠٧ وانباه الرواة ١/٢٢٤ ومعجم الادباء ١٣/١٨٣ ونزهة الالباء ٤٢ .

(١٢) انظر ما تقدم ذكره عن استشهاد الكوفيين بشواهد البصريين ص٨٨ــ٨٩ .

(١٣) انظر الانصاف ١/٣٣٩ و ٤٣٥ .

(١٤) انظر الانصـــاف ١/٤٠ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٤٩ و١٧٧ و ٢٠٩ و٢٩٩ و ٢/٤٧٥ و ٧٠٤ و ٧٢٧ .

(١٥) انظر الانصاف ١/١٣٥ و ٣٧٥ و ٢/٤٥٥ و ٥٧١ ، ٥٩١ .

(١٦) انظر الانصاف ١/٤٢ و ١٣٠ و ١٣١ و ٣٠٧ و ٢/٧٠٤ و٤٧٧ مثلا .

(١٧) انظر الانصاف ١/٣١٠ و٣٣٨ و ٣٣٩ و ٤٣٥ مثلا .

(١٨) قال العيني في (المقاصد النحوية ٤/٤٨٨) لم اقف على اسم راجزه .

الذى استشهدوا به على جواز «اضافة النيّف الى العشـرة ، نحو : خمسـة عشر»[١٩] . قال الفراء : «ولو نويت بخمسة عشر ان تضيف الخمسة الى عشر في شعر لجاز ، فقلت : ما رأيت خمسة عشر قط خيرا منها لأنك نويت الاسماء ولم تنو العدد . انشدني العكلي ابو ثروان : كلّف من عنائه ... البيت الشاهد»[٢٠].
ولم يجوّز البصريون ذلك لان قياسهم يأباه[٢١] ، ولم يرد به سماع كثير ، ومثل هذا الشاهد الذى « لا يعرف قائله [عند البصريين] لا يؤخذ به »[٢٢] . ثم قالوا : « ان الشاعر صرفه لضرورة الشعر»[٢٣] . وجميع ما يروى من هذا شاذ عندهم لا يقاس عليه[٢٤] .

اما الكوفيون فطبقا لقاعدتهم في الاستشهاد ، التى تقضي بالقياس على القليل أو النادر او الشاذ ، فقد قبلوا تلك الشواهد واعتدّوا بها . من ذلك مثلا هذا الشاهد الذي انشده الفراء دون ان ينسبه الى قائل معين :

وما نبالي إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا الاّك ديّار؟[٢٥]

والاستشهاد فيه على وقوع الضمير المتصل بعد الا في الاختيـار[٢٦] ، واعتبر البصريون هذا من الشاذ الذى اقتضته ضرورة الشـعر ، فلا يؤخـذ به في

---

(١٩) الانصاف ١/٣٠٩ ، شرح الاشموني ٣/٦٢٤ .
(٢٠) معاني القرآن ٢/٣٤ .
(٢١) انظر الانصاف ١/٣١٠ .
(٢٢) الانصاف ١/٣١٠ .
(٢٣) الانصاف ١/٣١٠ .
(٢٤) الانصاف ١/٣١١ .
(٢٥) المقاصد النحوية ١/٢٥٥ .
(٢٦) المقاصد النحوية ١/٢٥٥ .

الاختيار[٢٧] ، حتى لقد انكر المبرد وقوع مثله في كلام العرب ، وانشده : (الا يجاورنا سواك ديّار) • وعلى هذه الرواية لا ضرورة ولا شاهد[٢٨] • كما اوّله بعضهم تأويلا يبطل بمقتضاه مذهب الكوفيين[٢٩] •

ومن ذلك ايضا تجويزهم جمع صفة لا تقبل التاء وقد استشهدوا بشاهدين شعريين هما :

منا الذى هو ما ان طرّ شاربه والعانسون ومنا المرد والشيب[٣٠]

و : فما وجدت نساء بني نزار حلائل أسودين واحمرين[٣١]

وهذان الشاهدان عند البصريين من النادر الذى لا يقاس عليه[٣٢] ، ولا حجة فيهما لشذوذهما[٣٣] •

كان البصريون اذن ، ينظرون نظرة ريبة وعدم توثيق الى شواهد الكوفيين ، فيرفضون اكثرها ولا يأخذون بها • وقد ذكروا أن (التوّزي) ، المتوفى سنة

---

(٢٧) المفصل ١٢٩ ، اوضح المسالك ١/ ٦١ ، شرح ابن عقيل ١/٧٩ قال الحريري بعد ان اورد الشاهد المذكور : « لم يأت في اشعار المتقدمين سواه والنادر لا يعتد ولا يقاس عليه » (درة الغواص ٦٧) وقال عبداللطيف البغدادي في (ذيل فصيح ثعلب ١١٧) : «وتقول : جاء القوم الا اياك واياه واياى ولم يأت الاك والاكم الا شاذا» •

(٢٨) الشواهد على شرح ابن الناظم ١٨ •

(٢٩) قال العيني في (المقاصد النحوية ١/٢٥٥) : ان الا في الشاهد بمعنى غير ، وانظر شرح شواهد المغني ٢/٨٤٥ •

(٣٠) هذا البيت مما اختلف في نسبته الى قائله ، فقيل ان قائله : ابو قيس بن رفاعة الانصاري ، وقيل هو : أبو قيس الاسلت الاوسي (انظر شرح الشواهد الصغرى للعيني ١/٨٢) •

(٣١) هذا البيت لحكيم الاعور بن عياش الكلبي كما نسبه البغدادي في (الخزانة ١/٨٦) وفيها : بنات بدل : نساء•

(٣٢) همع الهوامع ١/٤٥ •

(٣٣) شرح الاشموني ١/٣٥ •

٢٣٣هـ ،[٣٤] عند خروجه الى بغداد وحضوره حلقة الفراء ، وسماعه الاحتجاج بشواهده قال عنها : ان « اصحابنا [البصريين] ما كانوا يحفلون بعضها»[٣٥] ، كما كانوا يردون روايتها بروايات لا يقوم عليها استشهاد[٣٦] ، ويقـــولون : «ان اكثرها مصنوع ومنسوب الى من لم يقله»[٣٧] .

ويبدو ان السبب في هذا يعود الى اختلاف منهج المدرستين في تنـــاول الشواهد والاستشهاد بها ، فالبصريون يأخذون الشواهد الشائعة عـــلى ألسنة الكثرة الغالبة من العرب الفصحاء ، ولا يستشهدون بالشاهد المفرد المجهول في غالب الاحوال ، وعندهم ان مثل هذا الشاهد ان صحت روايته عمـــن ترتضى عربيته يحفظ ولا يقاس عليه ، على حين كان الكوفيون كما تقدم يعتدون بالشاهد الذى تصح روايته عندهم فيستشهدون به ويبوبون له بابا ، حتى وان كان بيتا مفردا ليس له سابق ولا لاحق ، بل حتى شطر بيت[٣٨] كتجويزهم دخول اللام في خبر (لكن) في الاثبات كما تدخل في خبر (ان) مستشهدين بعجز بيت :

ولكني من حبّها لعميد[٣٩]

وهذا عند البصريين «شاذ لا يؤخذ به لقلّته وشذوذه ، ولهذا لا يكاد يعرف له

---

(٣٤) بغية الوعاة ٢/٦١ .
(٣٥) انظر مراتب النحويين ٤٨ .
(٣٦) انظر الانصاف ١/١٣٥ و ٣٧٥ و ٢/٤٥٥ و ٥٧١ و ٥٩١ مثلا .
(٣٧) مراتب النحويين ٧٤ .
(٣٨) انظر الانصاف ١/٤٠ حيث استشهدوا بنصف البيت المجهول الآتي : (وعقبة الاعقاب في الشهر الاصم) على جواز جمع العلم الذى آخـره تاء التأنيث كطلحة جمع مذكر سالم فيقولون : طلحون .
(٣٩) الانصاف ١/٢٠٩ .

نظير في كلام العرب»[٤٠] ، كما لا يعرف له قائل ولا تتمة . ولهذا السبب وجه البصريون انتقادهم في هذا الصدد الى الكوفيين في شخص رئيس مدرستهم الكسائي، بأنه «كان يسمع الشاذ الذى لا يجـــوز الا في الضرورة فيجعله اصلا ويقيس عليه»[٤١] ، كما قالوا عنهم بأنهم : « لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للاصول جعلوه اصلا وبوّبوا عليه »[٤٢] . والواقع ان شواهد الكوفيين فيها من الغرابة والشذوذ الشيء الكثير وذلك لانهم كما تقدم ذكره قد اهتموا بكل ما وصلهم عن العرب ولم يهملوا منه شيئا من ذلك مثلا هذا الشاهد الذى انشده الفراء دون ان ينسبه الى أحد :

سراة ابى بكر تسامى   على كان المسوّمة العراب

وذلك على زيادة كان بين الجار والمجرور[٤٣] ، ومن ذلك اعتمادهم عـــلى ما رواه علي بن حازم اللحياني من تلاميذ الكسائي بأن بعض بنى صباح من ضبّة يجزمون المضارع بـ أن الناصبة[٤٤] ، وتجويز بعض الكوفيين الجزم بها[٤٥] . وانشدوا :

---

(٤٠) الانصاف ٢١٤/١ ، شرح الفية ابن مالك لابن ام قاسم المرادى الورقة ٣٣ وجه . ويروى لكميد بالكاف (شرح شواهد المغني ٦٠٥/٢) . قال الدكتور ابراهيم السامرائي في (النحو العربي نقد وبناء ٨٦ـ٨٧) : الوجه ان يقال في هذا البيت انه قد يضطر الشاعر الى سلوك مالم يستعمل ، والبيت الواحد لا يكفي في اثبات قاعدة مهمة .

(٤١) بغية الوعاة ١٦٤/٢ .

(٤٢) الاقتراح ٨٢ .

(٤٣) الشواهد على شرح ابن الناظم ٨٤ .

(٤٤) انظر امالي المرتضى ١٠١/٤ مثلا .

(٤٥) شرح اللمع الورقة ٦٦ ظهر ، شرح الاشموني ٥٥٢/٣ .

اذا ما غدونا قال ولدان اهلنا   تعالوا الى أن يأْتنا الصيد نحطب[٤٦]

وقول الآخر :

احاذر أنْ تعلمْ بها فتردها   فتتركها ثقلا عليّ كما هيا[٤٧]

كما حكى أيضا عن بعض العرب انه ينصب المضارع بـ لم الجازمة ، كقراءة من قرأ شذوذا : (ألم نشرح لك صدرك)[٤٨] بفتح الحاء ، وقول الراجز[٤٩] :

في أيّ يومي من الموت أفرْ   أيوم لَم يقدر أم يوم قدر؟[٥٠]

وهذه الشواهد من الغرابة والشذوذ بمكان عظيم ، وغرابة شواهدهم ومروياتهم سببه انها لم تكن شائعة عند العرب كمثل ما انشده ابو العباس ثعلب لشاعر :

الا ليت حظي من زيارة ميّة   عشيّات قيظ لا عشيّات اشتية[٥١]

وقد علق ابو حيان التوحيدي على هذا الشاهد بقوله : «وأشتية في جمع الشتاء غريب ، وان كان كثير النظير ، وباب الجمع لا أساس له ، ولا قياس له»[٥٢] ، وما غرابته عند التوحيدي الا لأنه لم يكن مما كثر استعماله حتى يشيع فيصل

---

(٤٦) نسبه الامير في (حاشيته على المغنى ١/٢٩) الى أمريء القيس وقال : «ويروى الى ان يأتى الصيد فلا شاهد فيه» . ولم اجد البيت في ديوان امرىء القيس وانما وجدته في زيادات الديوان ص٣٨٩ على الرواية التى ذكرها الامير : الى ان يأتي الصيد .

(٤٧) قال الامير في (حاشيته على المغنى ١/٢٩) البيت لجميل ، ويروى : اخاف اذا أنبأتها ان تضيعها ، فلا شاهد فيه .

(٤٨) سورة الانشراح آية ١ وفي (المحتسب ٢/٣٦٦) انها قراءة ابي جعفر المنصور .

(٤٩) ذكر السيوطى في (شرح شواهد المغني ٢/٦٧٤) انه اول مقطوعة للحارث ابن منذر الجرمي . وكذا ذهب الامير في (حاشيته على المغني ١/٢١٧) .

(٥٠) مغني اللبيب ١/٢١٧ ، شرح الاشموني ٣/٥٧٨ .

(٥١) البصائر والذخائر المجلد ١ ق١/٤٢٢ .

(٥٢) المصدر نفسه م١ ق٢/٤٢٢ .

سمعه[٥٣] ، ويتضح هذا مما قاله ابن ولاد في كتابه (المقصور والممدود) : «ان الفراء اختار ان يكتب (الخنا) بالياء ولم يذكر الحجة ، ثم قال ابن ولاد معقبا : لعل له فيه حجة لا نعلمها وسماعا دله على ان هذه الكلمة من الياء اصلها»[٥٤] .

ان اختلاف المنهج الذى اتبعه نحويو المدرستين البصرية والكوفية جعل شواهدهما تختلف هذا الاختلاف ، على ان الكوفيين لم يعدموا الشواهد الصحيحة الموثوقة التى أقر لهم فيها الائمة من البصريين ، فهناك من المسائل التى استشهد لها الكوفيون بالشواهد الصحيحة الوفيرة ، ما جعل بعض ائمة البصريين يؤيدونهم فيها مصححين اصولهم بمقتضاها ، من ذلك مثلا سبع مسائل رأى ابو البركات الانباري وهو الأخذ بالقياس الى أبعد حد[٥٥] ، ان السماع الصحيح يؤيدهم فيها[٥٦] ، « لكثرة النقل الذى خرج عن حكم الشذوذ ، لا لقوته في القياس»[٥٧]. ففي احدى هذه المسائل على سبيل المثال وهى (ترك صرف ما ينصرف عند

---

(٥٣) والدليل على ذلك ان له ذكرا في كلام العرب ففى (اللسان شتو/١٤/٤٢١): الشتاء : جمع شتوة · وقال الجوهري : وجمع الشتاء اشتية ·

(٥٤) المقصود والممدود ١/٣٥ ·

(٥٥) انظر لمع الادلة في اصول النحو ٩٩ والاقتراح في علم اصول النحو ٣٨ ·

(٥٦) هذه المسائل هى : (١) م ١٠ (العامل في الاسم المرفوع بعد لولا) : الانصاف ١/٧٠ـ٧٨ (٢) م ١٨ (تقديم خبر ليس عليها) الانصاف ١/١٦٠ـ١٦٤ · (٣) م ٢٦ (هل اللام الاولى في لعل زائدة أو اصلية) الانصاف ١/٢١٨ـ٢٢٧ · (٤) م ٧٠ (منع صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر) الانصاف ٢/٤٩٣ـ٥٢٠ · ذهب مذهبهم ابو الحسن الاخفش وابو علي الفارسي وابو القاسم بن برهان من البصريين · (٥) م ٩٧ (الضمائر المتصلة بلولا) ذهب معهم ابو الحسن الاخفش الانصاف ٢/٦٨٧ـ٦٩٥ (٦) م ١٠١ (مرتبة اسم الاشارة من حيث التعريف) الانصاف ٢/٧٠٧ـ٧٠٩ · (٧) م ١٠٦ (هل يوقف بنقل الحركة على المنصوب المحلى بالساكن ما قبل آخره ؟ مثل رأيت البكر) الانصاف ٢/٧٣١ـ٧٣٦ ·

(٥٧) الانصاف ٢/٥١٤ ·

الضرورة)[٥٨] استدل الكوفيون على ذلك بالسماع والقياس . اما السماع فشواهدهم الكثيرة التي بلغت (٢٣) بيتا ذكرها الانباري في كتابه (الانصاف)[٥٩]. قال صاحب كتاب التبيان : « يجوز عندنا اسقاط التنوين في الشعر ، وشاهدنا ما رواه البخاري ومسلم وابو داود السجستاني في سننه قول العباس بن مرداس يوم حنين للنبي(ص) :

وما كـان حصن ولا حابس   يفـوقان مرداس في مجمع

فكلهم رووه من غير تنوين» [٦٠] . واما قياسهم في هذه المسألة فهو : « اذا جاز حذف الواو المتحركة للضرورة كبيت الكتاب[٦١] :

فبيناه يشري رحله قال قائل :   لمن جمل رخو الملاط نجيب؟

فجواز حذف التنوين للضرورة اولى ، والواو من (هو) متحركة والتنوين ساكن،

---

(٥٨) قال ابن رشيق في (العمدة ٢/١٧٤) : ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، لانه يحذف منه التنوين وهو يستحقه ، وهو غير جائز عند البصريين ، الا انه قد جاء في الشعر . وقال السيوطي في (همع الهوامع ١/٣٧) حول منع المصروف : الجواز في الشعر والمنع في الاختيار وعليه اكثر الكوفيين والاخفش من البصريين واختاره ابن مالك ، وصححه ابو حيان قياسا على عكسه ولورود السماع بذلك كثيرا . وقال البغدادي في (الخزانه ١/٧١) المسئلة ثلاثية : الجواز مطلقا وهو مذهب الكوفيين والمنع مطلقا وهو مذهب البصريين والجواز مع العلمية هو مذهب السهيلي .

(٥٩) انظر الانصاف ٢/٤٩٣ـ٥١٢ قال البغدادي في (الخزانة ١/٧٢) اثبت البصريون شواهد الكوفيين على منع صرف ما ينصرف بروايات ليس فيها ترك الصرف .

(٦٠) التبيان في شرح الديوان ٢/٤٥٦ وانظر الشعر والشعراء ٢٩ .

(٦١) ليس هذا البيت من شواهد الكتاب كما اشار الى ذلك صاحب التبيان اعلاه ، وكما ذكر البغدادي في (الخزانة ٢/٣٩٦) انه في باب ما يحتمل الشعر ، بل هو مما زاده الاخفش سعيد بن مسعدة على ابيات الكتاب كما ذكر في هامش ١٤٧أ ص ٠٨٧ وانظر تحصيل عين الذهب على هامش كتاب سيبويه ١/١٤ فقد اشار الاعلم الى انشاد الاخفش للبيت ، كما نسبه الى العجير السلولي .

ولا خلاف ان حذف الساكن اسهل من حذف المتحرك»(٦٢) • وقياسهم في هـذه المسألة صحيح ايضا ، « ولهذا كان ابو بكر بن السراج من البصريين ـ وكان من هذا الشأن ـ كما يقول عنه الانباري ـ بمكان يقول : لو صحت الرواية في ترك صرف ما ينصرف لم يكن بأبعد من قولهم :

فبيناه يشري رحله قال قائل

ولما صحت الرواية عند ابي الحسن الاخفش وابي علي الفارسي وابي القاسم بن برهان من البصريين [قالوا بمقالة الكوفيين ورأوا رأيهم في هذه المسالة] وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار اليهم من المحققين »(٦٣)•

ولم تكن شواهد الكوفيين في هذه المسائل السبع صحيحة فحسب بل هناك مسائل اخرى أقرّ لهم المحققون من النحاة بصحة شواهدهم فيها ، منها مثلا تجويز بعضهم تقديم التميز على عامله المتصرف مستشهدين بالشاهد :

أتهجر سلمى بالفراق حبيبها وما كان نفسا بالفراق تطيب(٦٤)

قال صاحب التبيان : «حجتنا نقل وقياس ، اما النقل فقول الشاعر : اتهجر سلمى ••• البيت • وتقديره : فما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفسا فدلّ على جوازه • واما القياس فان هذا العامل فعل متصرف فجاز تقديم مفعوله عليه كسائر الافعال المتصرفة»(٦٥) ، ولم يفد ما تعلل به اكثر البصريين من ان صحة رواية الشاهد : «وما كاد نفسي •••»(٦٦) • اذ رأى بعض ائمتهم الكبـار

(٦٢) التبيان ١/١٩٢ وحجة البصرين ان الاصل في الاسماء الصرف ، فلو جوزنا منع المصروف لادى ذلك الى رده عن الاصل الى غير الاصل والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف •
(٦٣) الانصاف ٢/٥١٣ •
(٦٤) الانصاف ٢/٨٢٨ •
(٦٥) التبيان في شرح الديوان ١/٢٣٥ـ٢٣٦ •
(٦٦) الانصاف ٢/٨٣١ ، شرح المفصل ٢/٧٤ ، تحصيل عين الذهب ١/١٠٨•

كالمازني والمبّرد[٦٧] ، والجرمي[٦٨] صحة ما ذهب اليه الكوفيون ووافقهم ابن مالك في بعض كتبه وجعله في الخلاصة (الالفية) قليلا[٦٩] ، كما أيد ابو حيّان مذهبهم ، ورد على المانعين تأويلهم البيت ، وردهم روايته بأن الرواية الصحيحة (وما كان نفسي بالفراق تطيب) قائلا : « وقد تأوله [ابو الحسن] ابن عصفور زاعما انه لم يجيء ذلك الا في بيت واحد من الشعر فلا حجة فيه ، لانه قد يتقدم في الشعر ما لا يجوز تقديمه في الكلام ، وذلك منه عدم اطلاع على اشعار العرب ، وتقليد لبعض من تقدم ، بل قد جاء من ذلك جملة تبنى على مثلها القواعد ... قال بعض طيء :

اذا المرء عينا قرّ بالاهل مثريا ولم يعن بالاحسان كان مذمّما

وقال آخر :

ضيّعت حزمي في ابعادي الأملا وما ارعويت وشيبا رأسي اشتعلا »[٧٠]

ثم ذكر أبو حيان ثلاثة شواهد اخرى ، تقدم فيها التمييز على الفعل كما تقدّم (عينا) في الشاهد الاول و (شيبا) في الشاهد الثاني المذكورين وقد تقدّم كل منهما على فعله[٧١] .

ومن ذلك ايضا ماذهبوا اليه من اعمال اسم المصدر عمل المصدر لأنه دالّ على الحدث وتبعهم على ذلك البغداديون[٧٢] ، وشواهدهم في ذلك كثيرة وصحيحة

---

(٦٧) المفصل ٦٦ ، الانصاف ٢/٨٧٨ .
(٦٨) منهج السالك ٨٢٨ .
(٦٩) شرح ابن عقيل ١/٥٦٧ .
(٧٠) منهج السالك ٢٢٨-٢٢٩ .
(٧١) انظر منهج السالك ٢٢٩ .
(٧٢) ذهب الكوفيون والبغداديون الى جواز اعمال اسم المصدر ، فأجاز الكسائي والفراء وهشام الضرير : (عجبت من كرامته زيدا ومن طعامك طعامنا ، واستثنى الكسائي ثلاثة الفاظ فلم يعملها وهي : الخبز والقوت والدهن فلا تقول : عجبت من خبزك الخبز . واجاز ذلك الفراء . وقال هشام : ولا يمتنع القياس . وقال الفراء سمعت ابا ثروان يقول : أتيته لكرامته اياي (منهج السالك ٣١٧) وانظر اوضح المسالك ٢/٢٤٢-٢٤٣ وشرح التصريح على التوضيح ٢/٧٩-٨٠ .

منها قوله :

أكفرا بعد ردّ الموت عنّي وبعد عطائك المائة الرتاعا[73]

وقوله :

قالوا : كلامك هندا وهي مصغية يشفيك ؟ قلت : صحيح ذاك لو كانا

وقوله : لأنّ ثواب الله كلّ موحّد جنانا من الفردوس فيها يخلّد

والحديث الشريف « من قبلة الرجل زوجته الوضوء »[74] . وقد منع البصريون ذلك فأضمروا لهذه المنصوبات افعالا تعمل فيها[75] . قال ابو حيان : « والذي اذهب اليه في هذا المسموع من هذا النوع ان المنصوب بعده ليس منصوبا باسم المصدر ، ولا أجري مجرى المصدر في العمل ، بل هو منصوب باضمار فعل يفسره ما قبله »[76] . كما قالوا بأن الحديث مروي بالمعنى ، « لكن الزمن حكم للكوفيين فصحت قاعدتهم وسار عليها الناس وقبلها النحاة حتى يومنا هذا »[77] . فممن ايدها : النحاة البغداديون والمتأخرون منهم ابن مالك الذي قال في خلاصته : ولاسم مصدر عمل[78] .

فشواهد الكوفيين فيها النادر والشاذ والغريب وفيها القوي والصحيح ايضا وذلك عائد الى طبيعة المنهج الذى اتبعوه في السماع والرواية والاستشهاد .

---

(73) البيت للقطامي وهو (عمرو بن شييم) يمدح زفر بن الحارث الكلابي واسماء بن خارجة الفزاري (انظر الشعر والشعراء 277) .

(74) اوضح المسالك 2/242–243 ، قال الاشموني في (شرحه 2/336) : « اعمال اسم المصدر قليل ، وقال الصيمري : اعماله شاذ ، وقد اشار الناظم (يعني ابن مالك) الى قلته بتنكير عمل » . والحديث في الموطأ 1/23

(75) شرح شذور الذهب 138 وانظر شرح التصريح على التوضيح 2/79 .

(76) منهج السالك 317 .

(77) من تاريخ النحو 77 .

(78) الفية ابن مالك (متن الالفية) 38 .

النحويون والشواهد

نسبة الشواهد الى قائليها :

النحاة لا يعنون في الكثير الغالب بنسبة الشواهد الى قائليها ، بل يكتفون عادة بقولهم : وقال الشاعر ... أو وقال الراجز ... وكقول الشاعر ... وقال ... وأنشد ... وينشد ... وما شابه ذلك من العبارات . ونجد كثيرا من الشواهد التي تداولها النحاة في كتبهم لم ينسبوها الى قائل معين ، فسيبويه لم ينسب قسما كبيرا من شواهده ، كما مر بنا ذكر ذلك ، « وكان المبرد في القليل ينسب الشعر لقائله في كتابه (المقتضب) »[1] . ولم يكن البصريون وحدهم الذين لم يقوموا بنسبة الشعر ، بل كان هذا شأن النحاة جميعا ، فالفراء الذى يقابل سيبويه في المدرسة الكوفية ، كان في اغلب شواهده يعفيها من النسبة ، ففى كتابه (المذكر والمؤنث) بلغت شواهده (٨٩) تسعة وثمانين شاهدا لم يذكر اسماء قائليها الا في القليل النادر فمنها (٣٨) ثمانية وثلاثون شاهدا قدم لها بقوله : قال الشاعر : و (١٦) ستة عشر شاهدا قدم لها : وقال آخر . والفراء لا يعنى ـ حين يستشهد بالشعر بذكر اسم القائل سواء كان البيت الشاهد مجهول اسم قائله[2] ، او لشاعر من مشاهير الشعراء او معروف على الاقل[3] ، كما كان يكتفي بذكر من

---

(١) المقتضب / مقدمة المحقق ١١٥ .
(٢) انظر معانى القرآن ١/٣٣ و ٣١٧ و ٣٩٠ و ٤١٠ و ٤١٩ و ٤٣٨ و ٤٤٠ و٤٥٧ و ٤٦٦ و ٢/٢١ و ٢٩ و ٦٣ و ٣٦٤ و ٣٩٠ .
(٣) انظر معانى القرآن ١/٨٨ و ٩٩ و ١٠٥ و ١٦٤ و ٤٢٢ و ٤٢٨ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٤١ و ٤٥٩ و ٢/٧ و ١٥ و ١٦ و ٢٩٧ .

انشد الشاهد كالكسائي(٤) او المفضل الضبي(٥) او يونس بن حبيب(٦) ، واحيانا لا يذكر اسم من أنشده ، فيقول : انشدني بعضهم(٧) دون ان يذكر اسم الشاعر كعادته ، الا في القليل النادر كقوله : انشدني بعضهم لذي الرمة(٨) .

اما شواهد ابن الانباري الكوفي في كتابه (شرح القصائد السبع الطـوال الجاهليات) التى بلغت (١٠٩٦) شاهد ما بين شعر ورجز(٩) ، ترك منها (٥١٩) دون ان ينسبه الى قائل . ثم تبعهم نحاة بغداد والمتأخرون ، فشواهد ابي علي الفارسي في الحجة(١٠) بلغت (٢٥٣) شاهدا نسب منها (١٣١) ولم ينسب الباقي ، وكانت طريقة ابن جني في انشاد الشواهد لا تخالف طريقة العلماء الآخرين فهو ينسب بعضها ولا ينسب بعضها الآخر(١١) . ولم يذكر ابو الحسن الرماني الا اسماء قائلي ثلاثة شواهد(١٢) من ثلاثين شاهدا استشهد بها في كتابه (منازل الحروف) .

ونأخذ (الزمخشري) و (ابن هشام) و (ابن عقيل) كمثل على نحاة الاقاليم فالشواهد التى نسبها الزمخشري في (المفصل) : (١٦٠) شاهدا من مجمـوع شواهده البالغة (٤٤٨) شاهدا ، كما ان مجموع شواهد ابن هشام الانصاري في (قطر الندى) (١٥٠) ، نسب منها (١٧) شاهدا الى قائليها ، واعفى الباقي منها من نسبته

---

(٤) انظر معاني القرآن ١/٨٠ و ٩١ و ١٢٩ و ١٣٤ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٤٠١ و ٤١٠ و ٢/٢٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٥٢ و ٣٩٨ .

(٥) انظر معاني القرآن ١/١٣٣ و ١٨٥ و ٢/١٦ و ٣٧٩ و ٣٨٢ و ٤٠٨ والمذكر والمؤنث ١٨ و ٢٠ و ٣٤ .

(٦) انظر معاني القرآن ١/١٢٧ و ٢/٣٧ و ١٣٧ والمذكر والمؤنث ١٧ و ٢٢ .

(٧) انظر معاني القرآن ١/١٢٧ و ٢١٧ و ٢٦٤ و ٣٤٥ و ٣٦٣ و ٣٨٨ و ٤٢٢ و ٢/١١ و ١٧ و ٥٥ و ٥٧ و ٣٧٥ .

(٨) معاني القرآن ١/٤١٥ .

(٩) بلغت شواهد الشعر (٩٤٥) شاهدا ، والرجز (١٥١) رجزا .

(١٠) الجزء الاول المطبوع منه .

(١١) المحتسب / مقدمة المحققين ١٤ .

(١٢) انظر منازل الحروف ٦٠ و ٦١ و ٦٣ .

الى القائلين . اما شواهد ابن عقيل التى بلغت (٣٥٩) شاهدا ما بين ابيات قصيد ورجز ، فلم ينسب منها سوى اربعة شواهد[١٣] .

من هذا العرض يظهر ان عدم نسبة الشواهد الى قائليها طريقة سار عليها النحاة على اختلاف مذاهبهم النحوية واماكنهم وأزمنتهم ، فليس غريبا ان نجد كثيرا من الشواهد التى يتداولها النحاة في كتبهم ويستشهدون بها دون ان يعرف من قالها ولمن هي .

والظاهر ان الذى جرّ النحاة الى هذا الامر ، هو ان البيت الشاهد قد يروى لشاعرين أو أكثر ، أو كان مما اختلف الرواة في قائله ، أو كان مجهولا قائله . كما ان طريقة التأليف في تلك العصور تختلف اختلافا بيّنا عن الطريقة السائدة اليوم ، فقد كان لكل عالم ـ كما ذكروا[١٤] ـ حلقة يجتمع فيها تلاميذه وسائلوه ، فيملي عليهم من حفظه وهم يدوّنون ما يمليه او يجيب على اسئلتهم ، أو تجري مناقشات بين العالم وتلاميذه ، وفي كل ذلك لابد من الاعتماد على الشاهد لتثبيت القاعدة وتأييد الرأي وتوجيه الحجة ، فمثل هذه الطريقة في التدريس لا تتيح للعالم ان يتثبت من نسبة البيت الى قائله ، لان النحاة في اغلب اماليهم كانوا يملون من غير كتاب[١٥] . فكانوا يتخلّصون من التبعة الادبية باعفاء الشاهد من النسبة الى القائل ، بعد التأكد من ان البيت الذى يستشهدون به غير مصنوع ولا لمولّد ، معتمدين في ذلك على من انشده من الرواة الثقات ، او

---

(١٣) انظر شرح ابن عقيل ١/١٩٢ و ٢٥٢ و ٢٧٠ و ٥٤٠ .

(١٤) انظر اخبار النحويين البصريين ٤١ و ٤٢ ومروج الذهب ٤/٦٤ وطبقات النحويين واللغويين ١٤١ .

(١٥) قال سلمة بن عاصم : أملى الفراء كتبه كلها حفظا ، لم يأخذ بيده نسخة الا في كتابين : كتاب ملازم ، وكتاب يافع ويفعة . ومقدار الكتابين ـ كما قال ابن الانبارى ـ خمسون ورقة ، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة (وفيات الاعيان ٥/٢٢٩) .

العلماء الفاضلين . ولذلك كانوا في احيان كثيرة يذكرون اسم المنشد دون ذكر نسبة البيت الى القائل كما كان يفعل سيبويه في (كتابه) والفراء في (معانيه) ، لأنهم في هذه الحالة يكونون واثقين من صحة الرواية ومن امانة الراوي ودقته في النقل والأخذ والسماع .

وقد جرى عرف النحاة على قبول الاستشهاد بالشاهد غير المنسوب اذا كان راوية ثقة ، او كان المستشهد به من النحاة المشتهرين بالصدق ، ولهذا كان (سيبويه) وغيره من النحاة يستشهدون بهذا النوع من الشعر معتمدين على سماعه من العرب الموثوق بعربيتهم ، « وما يسمع من العربي القح لا يتوقف الاستشهاد به على معرفة اسم قائله» (١٦) . وربما كانوا لا يذكرون اسم القائل لشهرته بين العلماء ، اختصارا للوقت ، فليس من المعقول ان تكون جميع الشواهد التي يستشهد بها النحاة مجهولة لديهم ، بدليل انهم كانوا يستشهدون احيانا بشاهد لشاعر مشهور ، فيغفلون نسبته ، ويستشهدون بشاعر مغمور فيذكرون اسمه(١٧). او كانوا ينسون قائله وقت التأليف او الاملاء . ومن المحتمل ان النحاة كانوا

---

(١٦) نقض كتاب في الشعر الجاهلي ٢٤٣ .

(١٧) انظر ما ذكر ص ٩٦ عن شواهد لم تنسب في (الكتاب) ولا نسبها الاعلم الشنتمري وقائلوها معروفون . يضاف الى ذلك ما جاء في (معاني القرآن ٢٨٨/١) حيث استشهد الفراء ببيتين للنابغة من المعلقة هما :

وقفت فيها اصيلانا اسائلها ... عيت جوابا وما بالربع من احد

الا الاوارى لايا ما ابينها ... والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

ثم عاد فاستشهد بهما (معاني القرآن ٤٨٠/١) فذكر اسم النابغة ، مما يدل على انهما لم يكونا مجهولين لديه . والى هذا ذهب ايضا الدكتور احمد مكي الانصاري (ابو زكريا الفراء ٢٩٥-٢٩٦) . كذلك فعل ابن هشام حيث استشهد بمطلع معلقة امرىء القيس : قفا نبك ... دون ان ينسبه وذلك في (شرح القطر ٨٠) وبعد ذلك استشهد ببيت من القصيدة نفسها (شرح القطر ٨٥) فذكر اسم امرىء القيس . فهل كان ابن هشام يجهل مثل هذا ؟

يذكرون اسم الشاعر حين املاء الدروس او تصنيفهم الكتب ، الا ان المملي عليه او الناسخ لم يكتبه لعلمه به ، او اختصارا للوقت ، او تخفيفا للمشقة ، او طلبا للسرعة في تدوين ما يملى عليه .

وفي احيان اخرى يمكن ان يرجع السبب الى انهم « كانوا يأخذون عن فرادى مجهولين كأن يقولوا : وقال بعض الاعراب ، او وسمع عن بعض من يوثق بعربيتهم»[18] . وربما كان ايضا عدم نسبتهم الشعر الى قائليه هو تخلّصهم من التبعة الادبية والتاريخية اذ ربما يقعون في الخطأ ، للأسباب التى مرّ ذكرها عما اصاب رواية الشعر من وضع وانتحال وتحريف ، ادّى - فيما ادّى - الى طمس اسماء شعراء ، واختلاف في نسبة الشعر الى قائليه . ولذلك كان منهم من يذكر شكه في نسبة الشاهد فيضع (أو) ليتخلّص من التبعة الادبية[19]. لهذا كانوا اذا جهلوا قائل شعر نسبوه لأعرابي[20] ، على ان الجدير بالذكر هو أن النحاة في جميع الاحوال كانوا يتحرون جهد امكانهم صحة الشواهد .

راي العلماء في الشاهد المجهول قائله :

ان اغفال العلماء نسبة كثير من الشواهد ، مضافا اليه ما تقدم ذكره عن تأثير الرواية في الشواهد ، ادّى الى وجود كثير منها مجهولة القائلين ، ووجود مثل هذه الشواهد والاستشهاد بها يؤدي الى اختلاط الكثير من الشواهد المصنوعة للرواة او الشعراء المحدثين معها ، وفيه من المضار على اللغة اذ تكون القواعد غير مأخوذة مما هو جار في الاستعمال ، بعيدة عن واقع اللغة . لذلك وقف قسم من النحاة من

(١٨) النحو العربي نقد وبناء ١٢٧ .

(١٩) انظر الحجة في علل القراءات ١/٢٣٧ قال ابو علي الفارسي : الا ترى الكميت أو غيره قال في ذكره حمارا اراد الورود : ...

(٢٠) وربما كان معروفا قائله لدى غيرهم من العلماء ، وهذا ما نقد به البكرى ابا علي القالي في (التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه ١/٣٣) حيث ذكر انه انشد بيتين في (أماليه ١/٣٣) عزاهما لاعرابي وهما للاحوص بن محمد الانصارى .

الشعر المجهول موقفا حاسما وقال بعدم جواز الاستشهاد به ، « وعلة ذلك مخافة ان يكون ذلك الكلام مصنوعا او لمولد او لمن لا يوثق بكلامه»[٢١] . ولهـــذا السبب كان العلماء يبادرون الى نسبة الشواهد الى قائليها كما فعل الجرمي بشواهد سيبويه والعيني بشواهد شروح الالفية والسيوطي بشواهد المغني والبغـــدادي بشواهد الرضي ، قال البغدادي في مقدمة الخزانة : «اجتهدنا في تخريج ابيات الشرح وفحصنا عن قائليها حتى عزونا كل بيت الى قائله ان امكننا ذلك ونسبناه الى قبيلته او فصيلته وميّزنا الاسلامي عن الجاهلي والصحابي عن التابعي وهلمّ جرا ... وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ويدفع احتمال ضعفه»[٢٢] .

وكان موقف قسم من العلماء المتشدد من الشواهد المجهولة يدفعهم في كثير من الاحيان الى رفض القاعدة التى بنيت عليها ، وان كان النحوي من الائمـــة الثقات ، فقد اعترض المبرد على استشهاد سيبويه بالبيت :

محمد تفد نفسك كلّ نفس اذا ما خفت من أمر تبالا[٢٣]

على حذف لام الامر عند الضرورة[٢٤] بأنه بيت « لا يعرف قائله ، فلا يحتــج به »[٢٥] .

(٢١) خزانة الادب ١/٧ .
(٢٢) خزانة الادب ١/٨ .
(٢٣) البيت من الشواهد التى اختلف العلماء في قائلها ، قال البغدادى : نسبه الرضي لحسان ، وليس موجودا في ديوانه ، وقال بعض فضلاء العجم في شرح ابيات المفصل : هو للاعشى (خزانة الادب ٤/٦٣٠) وقال ابن هشام في (شرح شذور الذهب ٧٦) قائله ابو طالب يخاطب النبي (ص) وهو لم ينسب في الكتاب ١/٤٠٨ ولم ينسبه الاعلم ولا الزمخشري (المفصل ٣٢٧) .
(٢٤) الكتاب ١/٤٠٨ .
(٢٥) المقتضب ٢/١٣٢-١٣٣ وانظر خزانة الادب ٤/٦٣٠ . قال العينى في (المقاصد النحوية ٤/٤١٨) : قائله مجهول كذا قاله ابو العباس [المبرد] ولكن هو من ابيات الكتاب ، انشده سيبويه ولو لم يكن محتجا لما انشده ، وكونه مجهولا عند ابي العباس لا يمنع ان يكون معلوما عند غيره .

وكان البصريون – فيما يظهر – يمقتون الشواهد المجهولة لضررها على اللغة وأساءتها الى علم النحو بالهبوط به الى مستوى واطيء ، لهذا كانوا كثيرا ما يردّون على الكوفيين قواعدهم ووجهة نظرهم في المسائل المختلف فيها مع البصريين ، ولنسمع ما يقوله ابن النحاس في التعليقة عنهم : « اجاز الكوفيون اظهار أن بعد كي واستشهدوا بقول الشاعر :

اردت لكيما أن تطير بقربتي فتتركها شنّا ببيداء بلقع

والجواب : ان هذا البيت لا يعرف قائله ... وقال ايضا : ذهب الكوفيون الى جواز دخول اللام في خبر لكن واحتجوا بقوله :

ولكنني من حبّها لعميد

والجواب ان هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله ولم يذكر منه الا هذا[26] .

وكان ابو البركات الانباري يردّ ايضا على الكوفيين شواهدهم بأنها مجهولة القائلين ولذا لا يصحّ الاستشهاد بها[27] . كذلك « ذكر ابن هشام في تعليقه على الالفية الشعر الذى استدل به الكوفيون على جواز مد المقصور للضرورة ، وهو قوله :

قد علمت اخت بني السعلاء وعلمت ذاك مع الجراء

أن نعم مأكولا على الخواء يالك من تمر ومن شيشاء

ينشب في المسعل واللهاء[28]

---

(٢٦) الاقتراح ٣٧ ، خزانة الادب ١/٨ وانظر الانصاف ١/٢١٤ .

(٢٧) الانصاف انظر ١/٣١٠ و ٣٤٥ و ٢/٤٣٥ و ٥٨٣ و ٧٥٠ .

(٢٨) قال العيني في (المقاصد النحوية ٤/٥٠٧) : « قائلها أعرابي من اهل البادية ، قالها الفراء ولم ينسبها ونسبها ابو عبدالله البكرى في اللآليء لأبي المقدام الراجز » . واستشهد الفراء بالابيات الثلاثة الاولى في (المنقوص والممدود ٢٥) على مد المقصور للضرورة ، ثم استشهد بها مرة اخرى ص٢٨ على الغرض نفسه . والجراء : بفتح الجيم وكسرها : الفتاء . كقولنا : هذه بنت على شيء من الجراء ، والخواء : الخالي . والشيشاء : الشيص ، وهو اردأ انواع التمر .

فقالوا : مد السعلاء والخوا واللها وهي مقصورات ... وقال : الجواب عندنا انه لا يعلم قائله فلا حجة فيه»[٢٩] . ولكن قسما من العلماء ذهب الى ما يخالف هذا الرأي مستندا الى ان سيبويه قد استشهد بخمسين بيتا مجهولة[٣٠] . لهذا اعترض (العيني) في كتابه (الفرائد) على قول ابي حيان وعبدالواحد الطرّاح[٣١] عند كلامهما على الشاهد :

اكثرت في العذل ملحّا دائما   لا تكثرن اني عسيت صائما[٣٢]

بأنه « بيت مجهول لم ينسبه الشراح الى أحد فسقط الاحتجاج به»[٣٣] اعترض عليهما بأنه : « لو صحّ هذا الاعتراض لسقط الاحتجاج بخمسين بيتا من كتاب

---

(٢٩) المزهر ١/٨٥ ، الاقتراح ٣٧ ، خزانة الادب ١/٨ وابن هشام يردد ما قاله ابو البركات الانبارى في (الانصاف ٢/٧٥٠) حيث رد الكوفيين في المسألة (١٠٩) احتجاجهم بهذه الابيات على مد المقصور بأنه لا حجة فيها لانها لا تعرف ولا يعرف قائلها ولا يجوز الاحتجاج بها .

(٣٠) انظر (شواهد سيبويه الخمسين المجهولة) ص٩٧ حيث مر ذكر ما ذهب اليه بعض العلماء انها ربما لم تكن مجهولة وقت انشادها ، كما ذكرت معرفة العلماء اسماء قائلي بعض تلك الشواهد .

(٣١) في كتابه بغية الآمل ومنية السائل .

(٣٢) يروى : لا تلحني بدل : لاتكثرن (شرح شواهد المغني ١/٤٤٥) .

(٣٣) الشواهد على شرح ابن الناظم ٩٦ .

سيبويه لم يعلم قائلها[٣٤] . كذلك قال ابن هشام مثل قوله[٣٥] في شرح ابيات الناظم[٣٦] .

ان نسبة جميع الشواهد الى قائليها ضرب من المستحيل لما مرّ ذكره عما اصاب رواية الشعر من سوء ، لذا لجأ العلماء الى طريقة لتوثيق الشاهد المجهول تلافيا لما قد ينجم عن وجوده من مساويء ومحاذير ، ضمانا للحصول على الشاهد الصحيح ، فقالوا : « ان الشاهد المجهول قائله وتتمته ان صدر عن ثقة اشتهر بالضبط والاتقان كسيبويه وابن السراج والمبرّد ونحوهم فهو مقبول يعتمد عليه ولا يضر جهل قائله فان الثقة لو لم يعلم انه من شعر يصحّ الاستدلال بكلامه لما أنشده »[٣٧] .

موقف النحويين من الشاهد المصنوع :

الحق ان النحويين ـ على الرغم مما ذكر عن قيام بعضهم بصنع الشواهد بصورة قليلة ـ بصورة عامة لا يعتدون بالشاهد المصنوع ولا يعتبرونه من الشواهد التي يعتمد عليها في الاستشهاد ، ولهذا كانوا يشيرون الى الشاهد المصنوع ، ويدعون الى عدم الاستشهاد به[٣٨] ، كما يردّون من يستشهد به ، ويدفعون

---

(٣٤) الشواهد على شرح ابن الناظم ٩٦ .

(٣٥) ذكر السيوطي في (المزهر ١/٨٥ والاقتراح ٣٧) : أن ابن هشام خالف رأيه السابق في البيت المجهول الذى مر ذكره وذلك عند تعليقه على الالفية .

(٣٦) خزانة الادب ٤/٧٧ .

(٣٧) المصدر نفسه ٤/٧٧ .

(٣٨) انظر على سبيل المثال الاضداد ٣٢ وسر صناعة الاعراب ١/٨٢ والمفصل ٨٥ ، وشرح ابن عقيل ١/٦٥ .

قاعدته ولا يقبلونها اذا كان الشاهد المصنوع حجته وحده[٣٩] ، وربما يفهم مما يقال الآن مناقضا لما قيل ـ قبلا ـ ان النحويين يستشهدون بالشواهد المصنوعة وقد تداولوها في كتبهم ، ولا تناقض في ذلك ، وتفسيره ان للرواية تأثيرا كبيرا على الشواهد ، فالشاهد المصنوع الذى لا يرتضيه نحوي ، يأخذ به آخر لأن روايته صحت عنده ، ورآه موافقا لما يقوله من رأي ، حتى ليجعل المرء يتشكك بان ذلك النحوي صنع الشاهد ، لمجيء الشاهد المصنوع مؤيدا لقاعدته النحوية . وقد نتج عن ذلك عدم خلو الكتب النحوية من الشواهد المصنوعة ، والدليل على ذلك ما تقدم ذكره من قول (التوزي) نقلا عن بعضهم بأن الشاهد :

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

مصنوع فلا يحتج به ، على حين ان (العيني) الذى صحت روايته عنده فعرف قائله وهو : رشيد بن شهاب اليشكري ، أيد الاحتجاج به[٤٠] . ولهذا كانوا يقولون احيانا : زعم بعضهم ان البيت مصنوع ، ويحتجون به لانهم لا يرون ذلك حيث لم يثبت عندهم صنعته[٤١] فليس كل شاهد قيل عنه انه مصنوع وصح ذلك لتضارب الروايات واختلافها .

---

(٣٩) رد المبرد في (الكامل ١/٢١٣ـ٢١٤) سيبويه استشهاده ببيتين مصنوعين هما :

هم القائلون الخير والآمرونه اذا ما خشوا من محدث الامر معظما
ولم يرتفق والناس محتضرونه جميعا وايدى المعتفين رواهقه

على الجمع بين النون والضمير في قوله (الآمرونه) و (محتضرونه) في ضرورة الشعر (الكتاب ١/٩٦) . قال المبرد : ان مثل هذا غلط لان المجرور اذا نون لا يقوم بنفسه ولا ينطق به وحده ، فاذا اتى بالتنوين فقد فصل ما لا ينفصل وجمع بين زائدتين (الكامل ١/٢١٣ـ٢١٤) وخزانة الادب ٢/١٨٧) وصوابه (والفاعلوه) و (محتضروه) . وقال ابو جعفر النحاس (خزانة الادب ٢/١٨٧) : لا يلزم سيبويه منه غلط لانه قد قال نصا : وزعموا انه مصنوع فهو عنده مصنوع لا يجوز فكيف يلزم منه غلط ؟ وقد روي في (المفصل ٨٥) هم الآمرون الخير والفاعلونه .

(٤٠) انظر (الشواهد المصنوعة) ص٦٩ .

(٤١) انظر الكامل ١/٢٢٤ .

بعض المآخذ على النحويين في شواهدهم

١ - الاعتماد على الشعر وحده في الاستشهاد خطأ :

ان المآخذ على النحويين جميعا في شواهدهم ، هو اعتمادهم الزائد على الشعر دون النثر في الاستشهاد به في تقعيد القواعد ، فقد رأينا بالارقام كيف كانت شواهدهم الشعرية تفوق في عددها الشواهد النثرية ، حتى ليجد المرء - في بعض الاحيان - ان اساس استشهادهم على القاعدة النحوية أبيات أو بيت بل وحتى شطر بيت شعري لا غير • فمهما كانت الاسباب التى دعت النحويين الى سلوك هذه السبيل فهم غير معذورين في هذا للاسباب الآتية :

(أ) للشعر لغته الخاصة به ، فالشاعر مقيّد بمراعاة احكام الوزن وتنفيذ شروط القافية واقامة الروي ، وملزم بعدد معين من التفاعيل ليستقيم العروض ، ولهذا فهو «مضطر ان يسلك من السبل كلّ شاق بسبب اقامة الوزن ، ولذلك خلت النصوص الفصيحة البليغة من امثال هذه العثرات لأن ذلك يعرض للشاعر • وعلى ذلك فان الشعر لا يمكن ان يكون شواهد لغوية قوية ، وربما كان بسبب ذلك اننا نجد جميع العيوب التى تقدح في الفصاحة في الشواهد الشعرية»[١] • خذ بيت الفرزدق مثلا :

وما مثله في الناس الاّ مملّكا ابو امّه حيّ ابوه يقاربه

الذي قال فيه النقاد من العلماء انه : «من اقبح الضرورة واهجن الالفاظ وابعد المعاني ، ولو كان الكلام على وجهه لكان قبيحا وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه : (وما مثله في الناس حي يقاربه الاّ مملك ابو ام هذا المملك ابو هذا الممدوح) فدل على انه خاله»[٢] •

(ب) ان الشعر يخضع للضرورة الشعرية التي تبيح للشاعر ان يخالف

(١) النحو العربى نقد وبناء ٩١-٩٢ •
(٢) الكامل ١/١٨ ، الموشح ١٠٢-١٠٣ •

قواعد اللغة في حدود معينة لأجل اقامة الوزن ، فقد « ابيح للشاعر مالم يبح للمتكلم من قصر الممدود ومد المقصور ، وتحريك الساكن وتسكين المتحرك وصرف ما لا ينصرف وحذف الكلمة مالم تلتبس باخرى»[٣] ، فالشعراء كما يقول الخليل : « امراء الكلام يتصرفون فيه أنّى شاءوا وجاز لهم فيه مالا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده وتسهيل اللفظ وتعقيده»[٤] ، ولهذا السبب « يحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون احراز فائدة ولا تحصيل معنى»[٥] كما تقدم في بيت الفرزدق . وهذه الضرورة تهبط بفصاحة الشواهد[٦] ، لان كل ضرورة يرتكبها الشاعر تخرج القول عن المألوف وتبعده عن واقع اللغة ، وكان النحويون القدامى يدركون هذا . قال سيبويه : « فان قلت : كيف زيدا رأيت وهل زيد يذهب ؟ قبح ولم يجز الاّ في شعر»[٧] ، وجعل سيبويه من يقول : (ان تأتني آتيك) قبيحا وجوّزه في الشعر ايضا[٨] ، أي ان ما يجوز في الشعر لا يجوز في سعة الكلام « فالاشعار نادرا ما تكون صورة واضحة عن اللغة البسيطة الحقيقية»[٩] . فالاضطرار يجعل الشاعر ينطق ـ كما يقول ابن جني ـ بما لم يرد به سماع[١٠] ، وقال ايضا : « والشعر موضع اضطرار ، وموقف اعتذار وكثيرا ما يحرّف فيه الكلم عن أبنيته ، وتحال فيه المثل عن اوضاع صيغها لأجله»[١١] . فقول الشاعر :

---

(٣) انظر العقد الفريد ٤/١١ـ١٢ .
(٤) روضات الجنات ٢٨٠ .
(٥) تحصيل عين الذهب ١/٢٩ .
(٦) المزهر ١/١١٤ وفيه : قال الشيخ بهاء الدين السبكي في عروس الافراح : « ان كل ضرورة ارتكبها شاعر قد اخرجت الكلمة عن الفصاحة» .
(٧) الكتاب ١/٥١ .
(٨) الكتاب ١/٦٨ ، وقال ايضا في (الكتاب ١/٢٧٧) عن قول كثير : لعزة موحشا طلل : وهذا كلام اكثره يكون في الشعر وأقل ما يكون في الكلام .
(٩) اللغات السامية ، نولدكه ٨١ .
(١٠) الخصائص ١/٣٩٦ .
(١١) الخصائص ٣/١٨٨ .

لقد ولد الاخيطل أمّ سوء

انما جاز للضرورة في الشعر ـ على رأي المبرد ـ جوازا حسنا ، «ولو كان مثله في الكلام لكان عند النحويين جائزا على بعد»[١٢] .

اضافة الى ما تقدم فان هذه الضرورة الشعرية اربكت قواعد النحو وجعلت النحاة يضطربون في تخريج الأبيات وتوجيهها من ذلك مثلا بيت الفرزدق :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدعْ من المال الاّ مسحتا أو مجرّف[١٣]

« فالنحاة يضطربون عند هذا البيت اضطرابا شديدا ، فمذ قاله الفرزدق وهو مثار خلاف بين النحاة وبينه ، وبين النحاة بعضهم بعضا ، وذلك انهم قدروا النصب اعرابا ورأوا الشاعر قد انصرف عنه الى الرفع ، فرفضه من رفضه ، واحتال لتوجيهه قوم ، وعدّه آخرون من الضرورة»[١٤] ، وقد ادى ذلك الى الخصام الذي جرى بين الشاعر وبين عبدالله بن ابي اسحاق النحوي[١٥] .

كما كان من مساويء الضرورة انها اتاحت للنحاة فرصة التلاعب بالشواهد، فرموا كل شاهد لم يتفق مع قواعدهم أو ينسجم مع ما يقررونه من قوانين لغوية بالضرورة ، ربما كان خاليا منها . وسيأتي تفصيله في فصل قادم .

(جـ) الشعراء غير معصومين من الخطأ[١٦] ، « حتى ان فحول الشعراء الذين غلبوا عليه ، وافتتحوا معانيه ، وصاروا قدوة ، واتبعهم الشعراء واحتذوا

(١٢) المقتضب ٢/١٤٨ .
(١٣) طبقات فحول الشعراء ١٩ ويروى ايضا مجلف . قال محمد بن شرف القيرواني في (اعلام الكلام ٣٧) : وقد تحيل بعض النحويين للفرزدق على وجه الاقواء احسن منه .
(١٤) احياء النحو ٩٥ .
(١٥) أنظر مراتب النحويين ١٣ واخبار النحويين البصريين ٣١ ونزهة الالباء ١١ـ١٣ .
(١٦) قال احمد بن فارس في (الصاحبي ٢٣١) : وما جعل الله الشعراء معصومين ، يوقون الخطأ والغلط .

حذوهم ، وبنوا على اصولهم ــ كما يقول الآمدي ــ ما عصموا من الزلل ، ولا سلموا من الخطأ»[17] • ومع ذلك فان النحاة لا يبالون باخطاء الشعراء لانهم اعتمدوا الشعر مصدرهم الاول في الشواهد ، فلابد أن يسيروا الى نهاية الشوط ويتقبّلوا كل ما كان الشعراء يقولونه ، فيوجدوا لأقوال الشعراء ولاسيما الاقدمين منهم المبررات والمعاذير ، ويتأولونها بما يتفق وقاعدتهم النحوية موجدين لها وجها صحيحا في العربية ، وها هو ذا القاضي الجرجاني يصف موقفهم فيقول : « ثم تصفحت مع ذلك ما تكلّفه النحويون لهم [للشعراء] من الاحتجاج اذا امكن ، تارة بطلب التخفيف عند توالي الحركات ، ومرة بالاتباع والمجاورة ، وما شاكل ذلك من المعاذير المتمحلة ، وتغيير الرواية اذا ضاقت الحجة ، وتبينت ما راموه من ذلك من المرامي البعيدة»[18] •

(د) ومن عيوب الشعر اللحن الذي وقع فيه كثير من الشعراء ، وجعل منه ابن شرف القيرواني قول جرير :

ولو ولدت لعنزة جرو كلب لسبّ بذلك الجرو الكلابا

قال : « فنصب الكلاب بغير ناصب ، وقد تحيّل له بعض النحويين بكلام كالضريع الذى لا يسمن ولا يغني من جوع»[19] • وقال عنه ابن جني : « قيل هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يعتد به اصلا ، بل لا يثبت الا محتقرا شاذا»[20] •

للاسباب التى تقدم ذكرها يبدو أن الاعتماد في الشواهد يجب ان يكون على

(١٧) الموازنة بين الطائيين ٤٤ •

(١٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٠ •

(١٩) اعلام الكلام ٣٧ ويروى قفيرة بدلا من (لعنزة) • انظر الخصائص ٣٩٧/١ •

(٢٠) الخصائص ٣٩٧/١ وانظر شرح المفصل ٧٥/٧ــ٧٦ لترى اقوال العلماء واختلافهم فيه •

النثر اولا ، ثم الشعر ، فان لم يتيسر ذلك ، فلا اقل من تأييد الشعر بالنثر ، » فان امثلة من الشعر لم تؤيد بأمثلة من النثر الصحيح لا يصح ان تكون اساسا لأصل من الاصول العامة ، او معقدا لباب كامل»[٢١] ، وهذا ما كان يشعر بضرورته واهميته في الاستشهاد بعض النحاة القدامى ، قال ابو اسحاق الشاطبي « المتوفى سنة ٧٩٠هـ»[٢٢] في شرحه على الفية ابن مالك : « اما الاعتماد على الشعر مجردا عن نثر شهير يضاف اليه او يوافق لغة مستعملة يحمل مافي الشعر عليها ، فليس بمعتمد عند اهل التحقيق لأن الشعر محل الضرورات»[٢٣] . وتردد صدى قول الشاطبي عند ابي حيان فطبقه تطبيقا عمليا في النحو ، فقد ردّ الشواهد التي استشهد بها من اجاز تقديم الحال على صاحبه المجرور على الرغم من كثرتها بقوله : «وهذا الذى استدلوا به من السماع على تقدير ان لا يتصوّر تأويله لا حجة فيه لأنه شعر والشعر يجوز فيه ما لا يجوز في الكلام»[٢٤] . والواقع ان «تحرجهم من الاستشهاد بالنثر ، قد اوقعنا في بعض اللبس ، وجعل حكمهم على الظواهر اللغوية متعدد الوجوه في المسألة الواحدة»[٢٥] .

واذا اريد تجنب البلبلة وتعدد الاوجه في المسألة النحوية الواحدة فيجب ابعاد الشواهد الشعرية القائمة على الضرورة او ما فيها تقديم وتأخير أو تعقيد في معانيها عن مجال الاستشهاد ، وينبغي «الاعتماد كل الاعتماد على ــ الاختيار ــ لا الضرورة الشعرية»[٢٦] . فالقواعد يجب ان تكون المرآة التي تنعكس عليها

---

(٢١) في النحو العربي نقد وتوجيه ١٦٦ .
(٢٢) بغية الوعاة ١/٤٢٧ .
(٢٣) المواهب الفتحية ١/٣٩ .
(٢٤) منهج السالك ١٩٢ .
(٢٥) من اسرار اللغة ٢٥١ .
(٢٦) البحوث والمحاضرات ، الدورة ٣١ لمجمع اللغة العربية في مصر (تعقيب الاستاذ محمد علي النجار ٦٩) .

صورة اللغة الحقيقية ، وشواهدها تكون من الكلام الحر الجاري بيسر وسهولة على ألسنة الفصحاء من العرب ٠

٢ ـ اخضاع النثر للقواعد القائمة على الشعر :

ان النحويين حينما وضعوا القواعد غلّبوا الشعر على النثر ، وطبقوا القواعد التي وضعوها اعتمادا على شواهد شعرية على النثر ، وهذا مأخذ يؤاخذون عليه اذ ان الشعر لا يمثل نطق الاغلبية الساحقة من الناس ، فهناك الفاظ تكاد تكون خاصة بالشعر لا ينطق بها عامة الناس « ويكاد يكون للشعر معجم خاص»[٢٧] ، فللشعر لغة خاصة تختلف عن لغة النثر ، ولهذا كان الافضل للنحاة ان يفصلوا بين الشعر والنثر عند وضعهم القواعد ، لا أن يطبقوا قواعدهم التي بنوها بموجب الشعر على النثر ، والى هذا ذهب بعض الباحثين المحدثين[٢٨] ٠

٣ ـ تقويم الشواهد النحوية :

المفروض في الشواهد النحوية ان تكون مستقاة من واقع اللغة ، وحقيقة ما هو شائع من التعابير على ألسنة الكثرة الغالبة من الناس ، ولكن من ينعم النظر في الشواهد النحوية يجد ان قسما من شواهدهم وامثلتهم لم ترد عن العرب وليس لها ذكر في التنزيل الذى هو افصح كلام بالاجماع ، كقولهم ـ مثلا ـ في افعل التفضيل : « ما احد احسن به الجميل من زيد » وتقديره عندهم : ما احد احسن به الجميل من حسن الجميل يزيد»[٢٩] ٠ ويقول المبّرد : « وتقول :

(٢٧) ضحى الاسلام ٢/٢٥٣ ٠

(٢٨) الدكتور ابراهيم انيس (من اسرار اللغة ٢٥١) والدكتور مهدى المخزومي (مدرسة الكوفة ٣٨١ـ٣٨٢) والدكتور ابراهيم السامرائي (الفعل زمانه وابنيته ٦٩) و (النحو العربي نقد وبناء ٨٧) والدكتور احمد مكي الانصاري (ابو زكريا الفراء ٤٠٩) ٠

(٢٩) شرح التصريح على التوضيح ٢/١٣٥ ٠

رأيت الذي اللذان التى قامت اليهما عنده اخواك ، فهذا كلام جيّد ، ولو قلت : جاءني الذي التي اللتان اللذان الذي يحبهما عندهما في دارهما عنده جاريتك كان جيدا ، لأن الكلام الذى في صلة الذي الاخير»[٣٠] • ايّ كلام جيد هذا ؟ فلو قرأت كتاب الله آية آية ، وفتشت كتب الادب والبيان القديمة لما وجدت لهذه الامثلة نظيرا ، « فالاعتماد على الامثلة الجافة المكررة ، واهمال المهم من الشواهد التي هي مادة الكلام ، وعمدة المتكلم»[٣١] ، من المآخذ التى يؤاخذ عليها النحاة الذين اكثروا من ذلك • ومما يدعو الى الاستغراب حقا هو وجود الشواهد المصنوعة بين ثنايا الكتب النحوية التى يشير اليها النحاة بعبارات تشير الى صنعتها ، ثم يستشهدون بها ، بحيث لا يكاد يخلو منها كتاب نحو ، وقد كان الاجدر بالنحاة أن يطرحوا مثل هذه الشواهد جانبا ، ويعدلوا عنها الى غيرها مما قد كثر استعماله ووضح قياسه • وتدقيق النظر في هذه الشواهد يظهر « انها لا تحتفظ في الغالب الكثير الا شطرا أو شطرين ، ولو طلبت للشطر آخر وللبيت مثلا لاعياك الطلب كأنّ الشطر لقطة الطريق والبيت بيضة العقر»[٣٢] ، كما انها تكاد تتسم بطابع الشذوذ ، وان اغلبها جاء مخالفا لمألوف الكلام ، ولما وضعه جمهور النحاة من مقاييس ولهذا كان شك العلماء يحوم حولها ، اضافة الى ذلك جهل قائليها • خذ مثلا هذا الشاهد :

اعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا[٣٣]

وقد شك العلماء فيه ، وقالوا : انه مصنوع[٣٤] • وشكهم ان الراجز قد جاء بالمثنى بالالف في حالة النصب في قوله (والعينانا) وفي قوله (ظبيانا) تثنية ظبي قال به

---

(٣٠) المقتضب ٣/١٩٨ـ١٩٩ •
(٣١) نظرات في اللغة والنحو ٤٥ •
(٣٢) مقدمة لدرس لغة العرب ١٩٨ •
(٣٣) نقل السيوطي في (الاقتراح ٢١ـ٢٢) عن المرزباني : ان المولدين قد وضعوا اشعارا ودسوها على الائمة فاحتجوا بها ظنا منهم انها للعرب ••• ثم ذكر البيت : اعرف منها الجيد ••••
(٣٤) شرح ابن عقيل ١/٦٥ ، اوضح المسالك ١/٤٩ •

جماعة منهم الهروي[٣٥] ، وفي البيت نفسه نصب المثنى (ومنخرين) • فجمع بين لغتين من لغات العرب في بيت واحد[٣٦] ، « وقد نص العلماء على انه يكاد يكون من المحال ان يأتي العربي في بيت واحد بلغتين من لغات العرب في كلمة واحدة أو فيما يشبهها ، فان العربي القح لا يتكلّم بغير لغة قبيلته»[٣٧] • والحق ان هذا الشاهد وامثاله من الشواهد لا تعتبر حجة في الاستشهاد بها فان «الشواهد المصنوعة التى لم تستعملها العرب لا يعتمد عليها ولا يركن اليها»[٣٨] ، وقد كان الاجدر بالنحاة ، وقد عرفوا صنعة هذه الشواهد ، واضطرابها يكشف عنها ، وشذوذها بيّن ، وقد نبهوا عليها واشاروا اليها ، ان يبعدوها عن الشواهد الصحيحة ولا يستشهدوا بها ، مستندين اليها في وضع القواعد •

---

(٣٥) المقاصد النحوية ١/١٨ •

(٣٦) قال الصبان في حاشيته ١/٩١ في البيت تلفيق من لغتين ، وفيه تلفيق آخر من لغتين ، لانه جرى في قوله : والعينانا على لغة من يلزم المثنى الالف وفي قوله : ومنخرين على لغة من ينصبه ويجره بالياء •

وذهب ابن مالك الى جواز الجمع بين لغتين في كلام واحد مثل : ما زيد قائما ولا عمرو منطلق ، وفيه الجمع بين اللغة الحجازية والتميميه ، وقال : وقد اجتمع اهمال أن واعمالها في قوله :

ان تقرآن على اسماء ويحكما   مني السلام وان لا تشعرا احد

(شواهد التوضيح ١٨١) •

(٣٧) هداية السالك ٤٨ـ٤٩ • في نوادر ابي زيد ١٥ أنشدها ثالث ثلاثة ابيات قال : انشدها المفضل لرجل من ضبة هلك منذ اكثر من مائة سنة • ولكن البيت فيه (ومنخران) وجاءت المثنيات فيه كلها على لغة من يعرب المثنى بالالف في احواله الثلاثة • والصواب ما قاله الدكتور ابراهيم السامرائي في (النحو العربي نقد وبناء ٦٩ والتطور اللغوى التاريخى ٨٠) : ان الشاهد الذى رواه النحويون من جملة الشواهد المصنوعة لتوفره على امور مختلفة ، فان اعتبرنا ان فتح النون في البيت لغة ، فلم عطف على (العينانا) وهى مفتوحة النون وبالالف (منخرين) وهو مثنى بالياء مكسور النون ؟ ثم عاد فقال : (اشبها ظبيانا) وهو منصوب بالالف • انهم ارادوا ان يجمعوا في هذا البيت مسائل عدة لا يخلو التئامها من غرابة •

(٣٨) المباحث اللغوية في العراق ٢٤ •

الى جانب الشواهد المصنوعة ، هناك الشواهد الضعيفة المهزولة ، «وتستطيع ان تحصي من شواهد الشعر مادة كثيرة ضعيفة اللغة سقيمة التركيب»(٣٩) . من ذلك مثلا هذا الشاهد :

رجلان من مكة اخبرانا　　انا رأينا رجلا عريانا(٤٠)

وهو شاهد مجهول قائله ، ومعناه متهافت الى درجة كبيرة ، وقد اعرض عنه السيوطي ولم يشرحه مع شواهد المغني ، مما يغلب على الظن انه مصنوع أو لمحدث لأنه أعرض عن شرح شواهد المحدثين في المغني(٤١) .

ومنها ايضا هذا البيت الذى يستشهد به النحويون في باب (ما يكون من المصادر حالا لموافقته الحال)(٤٢) ، وقد قيل ان امرأة مجهولة من العرب قالته لترقيص ابنها وهو قولها :

قم قائما قم قائما　　لاقيت عبدا نائما(٤٣)

ومنها ايضا الشاهد الذى اشرنا الى ان الفراء انشده دون ان يعزه الى قائل :

سراة ابي بكر تسامى　　على كان المسوّمة العراب

ويستشهد به النحاة على زيادة كان بين الجار والمجرور(٤٤) ، وكان صوابا قول القائل : « وما اظن انك لو استقريت العربية في كتبها المطبوعة والمخطوطة مما

---

(٣٩) الفعل زمانه وابنيته ٧٠ .

(٤٠) استشهد به ابن هشام على الجمل التى لها محل من الاعراب في مغنى اللبيب ٢/٦٣ . ولم ينسبه الامير في حاشيته على المغني ٢/٦٣ .

(٤١) شرح شواهد المغني ٢/٨٣٣ .

(٤٢) المقتضب ٤/٣١٢ .

(٤٣) الشواهد على شرح ابن الناظم ١٩٩ وانظر شرح الفية ابن مالك لابن الناظم ١٤٠ .

(٤٤) انظر ص١١٤ من هذه الرسالة .

تشتمل عليه خزائن الدنيا ، واجد نظيرا لهذا البيت المضعضع الاركان،[٤٥] ، وكان جديرا بالنحاة وهم الذين حفظوا لنا لغتنا وضبطوها وغاروا عليها غيرتهم على اعز ما يملكون ان لا يعتمدوا على هذه الشواهد الضعيفة في الاستشهـــاد . فالشاهد الضعيف المجهول الذى لا يوجد ما يقويه كآية من التنزيل او قول من أقوال العرب الفصحاء خليق بأن لا تقوم عليه قاعدة ما . ولو فعل النحويون ذلك لما وجهت الى شواهدهم تهمة الضعف كما قال احمد بن فارس[٤٦] .

مرّت بنا هيفاء مقدودة   تركيــة تنمى لتركيّ

ترنو بطـرف فاتر فاتن   اضعف من حجّة نحوي

فالرأي الصائب هو ابعاد الشواهد المصنوعة والضعيفة والشاذة النادرة التى ليس لها نظير في كلام العرب الفصحاء ، أو التي لم يروها الثقات من العلمـــاء والرواة وقد حام الشك حول روايتها ورويت بروايات متعددة عن مجـــال الاستشهاد ، والاعتماد على الشواهد الصحيحة للشعراء الفصحاء ، يضاف الى ذلك ما سبقت الاشارة اليه عن الاهتمام بالنثر والاعتماد عليه قبل الشعر لأنّه خال مما في الشعر من عيوب مرّ ذكرها .

---

(٤٥) الدكتور ابراهيم السامرائي : النحو العربي نقد وبناء ٧٩ .
(٤٦) وفيات الاعيان ١/١٠٠ ، بغية الوعاة ١/٣٥٢ .

الفصل الثاني

الاستشهاد في النحو

الفصل الثاني

الاستشهاد في النحو

عدم وجود منهج موحد في الاستشهاد :

لابد من الاشارة الى انه لا يوجد منهج معيّن ثابت في (الاستشهاد بالشواهد والقياس عليها) سار عليه النحاة البصريون جميعا والتزموا تطبيقه حرفيا ، كذلك كان حال الكوفيين وغيرهم من النحاة ، ومن يرجع الى كتاب الأنصاف يجد أن بعضا من البصريين يتفقون مع عامة الكوفيين في بعض المسائل(١) ، وان بعض الكوفيين يتفقون مع عامة البصريين في مسائل اخرى(٢) ، وان كوفيا يخالف مذهب جميع الكوفيين والبصريين(٣) . وهكذا يجد في كثير من المسائل «طوائف من الآراء المتشعبة للنحاة والوانا من اتجاهاتهم المتباعدة أو المتقاربة ، ويرى كذلك الشواهد التي يسوقونها ويرتضيها فريق منهم ويرفضها أو ينكرها فريق منهم»(٤). والواقع «أن آراء النحويين عامة تتصف بالفردية وان كانوا موزعين الى بصريين وكوفيين»(٥) ، وتوجد «مذاهب كثيرة يكاد عددها يتعسر على العادّين ، اذ لكل امام في الحقيقة مذهب خاص به يخالف فيه غيره ولو من بعض الوجـوه»(٦) ، فالخلاف « طويل جدا بين النحاة وقد يكون خلافا في كل مسألة»(٧) ، ففي اعراب

---

(١) انظر الانصاف المسألة رقم١٨ ج١/ ١٦٠ و م٣٢ج ١/ ٢٥٢ و م٥٢ ج١/ ٣٦٤ و م٦٤ ج٢/ ٤٥٦ و م٧٠ ج٢/ ٤٩٣ و م٨١ ج٢/ ٥٨٥ و م٩٤ ج٢/ ٥٦٠ .

(٢) أنظر الانصاف م١٤ ج١/ ٩٧ و م١٥ ج١/ ١٢٦ و م١٧ ج١/ ١٥٥ و م٢١ ج١/ ١٧٣ و م٤٩ ج١/ ٣٥٦ .

(٣) انظر الانصاف م٧٤ ج٢/ ٥٥٠ و م٨٣ ج٢/ ٥٩٧ و م٨٧ ج٢/ ٦٢٣ و م١١٤ ج٢/ ٧٩٣ .

(٤) الترخص والتوسع في بعض القواعد النحوية ، عبدالحميد حسن (البحوث والمحاضرات) ٥٩ .

(٥) النحو العربي نقد وبناء ٥٩ .

(٦) تاريخ علوم اللغة العربية ١٣١ـ١٣٢ .

(٧) تعقيبات للاستاذ محيي الدين عبدالحميد (البحوث والمحاضرات) ٧١ .

الاسماء الخمسة ـ مثلا ـ اثنا عشر مذهبا[٨] ، وقد صدق فيهم قول الشاعر[٩] :

اذا اجتمعوا على ألف وواو ويـاء هاج بينهم جـدال

ويظهر ان السبب يعود الى ان اعتماد النحاة في اصولهم واقيستهم كان على السماع وقد سمعوا من قبائل عدة تختلف فيما بينها بعض الاختلاف في اساليب النطق ، فجاء ما سمعوه من النصوص مختلفا[١٠] ، كما اصاب الأضطراب بعض المرويات حيث دخل فيها التغيير والوضع ، فالشواهد التي يرتضيها فريق من النحاة ويضع القاعدة بموجبها لا يقرّها بعضهم أو احدهم فيعترض على القاعدة ، وهذا آت من عدم وجود «مفهوم صحيح للسماع له اعتباره [عند النحويين] ، ولهذا اختلفوا في تطبيقه فما يراه بعضهم سماعا محجورا يراه الآخرون قياسا سائغا»[١١]، ويرجع اختلافهم ايضا الى مقدار استقراء كل عالم لكلام العرب وسماعه ، « فقد يتوفر لدى العالم من الاستقراء ما يكفي لتركيب القاعدة ، فيجيز القياس ، ولا يبلغ الآخر مقدار ما يؤخذ منه حكم كلي فيقتصر الأمر على السماع»[١٢] .

وأيا ما كان الأمر ، فان نحاة المدرسة الواحدة وان كانوا مختلفين في بعض المسائل فهم متفقون في الخصائص العامة ، فهناك سـمة مميزة للبصريين في الاستشهاد بالشواهد والقياس عليها ، وأخرى مغايرة لها وسمت المذهب الكوفي .

تأثر البصريين بعلوم : اصول الفقه والكلام والمنطق :

ان البصريين قد تأثروا بعوامل جعلتهم يختارون المنهج الذى رأوه صالحا في الاستشهاد ، وبمعرفتها تتوضح لنا امور كثيرة كحملهم الشاهد النحوي عـلى الشذوذ ، أو تخطيئهم أبناء اللسان أو القراء في قراءاتهم ، أو تركهم الاستشهاد بالحديث الشريف الى غير ذلك . واهم هذه العوامل هي تأثر رجال النحـو

(٨) حاشية الصبان ١/٧٤ .
(٩) هو يزيد بن الحكم كما ذكره في (خزانة الادب ١/٥٤) .
(١٠) ذهب الى هذا الرأي الشيخ محمد الطنطاوى في (نشأة النحو ١٢١) .
(١١) مقدمة لدرس لغة العرب ١٩٩ .
(١٢) القياس في اللغة العربية ٤٨ .

المؤسسين له بعلوم أخرى كعلوم الفقه والأصول والكلام والمنطق ، وهذه العلوم كانت تزخر بها بيئة البصرة ، ولا يخفى أن كثيرا من اللغويين والنحويين الأولين كانوا متضلعين في العلوم الفقهية ، ومع التأثر انهم اقتبسوا منهجهم في التفكير والتحليل ولهذا حاول البصريون « ادخال كل شيء ضمن قواعد ثابتة ، وهم كالفقهاء الذين يستمدون منهم احكامهم يلجأون دوما الى القياس»[(١٣)] ،فمن تأثرهم بعلوم الحديث وأصول الفقه ما ذكر عن وضعهم شروطا للرواية العلمية واخضاعهم اياها للسند والأسناد ، وتقسيمهم الكلام الى رتب متفاوتة كفصيح وأفصح[(١٤)] ، « ونظير ذلك في علوم الحديث ففيها صحيح وأصح»[(١٥)] ، ومن أقوالهم « اذا جاء السماع بطل القياس»[(١٦)] ، كما قال بعض الفقهاء :

«اذا جاء النص بطل القياس»[(١٧)] ، «وكان طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والاجماع كما بنى الفقهاء استنباط احكامهم على السماع والقياس والاجماع»[(١٨)] ، والمراد بالاجماع عند النحاة هو «اجماع نحاة البصرة والكوفة»[(١٩)] ، فان « اجماع النحاة على الأمور اللغوية معتبر خلافا لمن تردد فيه، وخرقه ممنوع ومردود»[(٢٠)] ، لأنه « حجة على من لا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص»[(٢١)] . وقد جوّزوا الاحتجاج بالاجماع لرد من يخالف ما اجمع عليه النحاة ، من ذلك مثلا انكار ابي العباس [المبرّد] جواز تقديم خبر ليس عليها . قال ابن جني : «فأحد ما يحتج به عليه أن يقال هذا اجازة سيبويه وكافة اصحابنا

---

(١٣) تاريخ الادب العربي ، ريجيس بلاشير ١١٩ .
(١٤) انظر المزهر ١/٧٣ .
(١٥) المزهر ١/١٢٨ .
(١٦) انظر خزانة الادب ٣/٥٥٩ .
(١٧) خاص الخاص ٥٥ .
(١٨) في اصول النحو ٩٤ .
(١٩) الاقتراح ٣٤ .
(٢٠) الاقتراح ٣٥ .
(٢١) الخصائص ١/١٨٩ .

والكوفيون ايضا ، فاذا كان ذلك مذهبا وجب ان ينفر عن خلافه»[٢٢] . وقال ابن الخشاب في المرتجل : « لو قيل ان (من) في الشرط لا موضع لها من الاعراب لكان قولا اجراء لها مجرى (إنْ) الشرطية وتلك لا موضع لها من الاعراب ، لكن مخالفة المتقدمين لا تجوز»[٢٣] ، فقد أراد هذا النحوي أن يقيس (من) على (ان) ويجعلها لا محل لها من الأعراب ، ويكون قد خالف اجماع النحاة على ان (من) لها موضع من الأعراب فعدل عن ذلك رعاية للاجماع . ومن تأثر النحاة بالفقه واصوله « تأليفهم كتبا في اصول النحو كما يؤلف الفقهاء في اصول الفقه كما فعل ابن السراج»[٢٤] ، وان «الناظر في هذه الاصول يرى النحاة قد ربطوا اصولهم بأصول الفقه ، بل حملوها عليها»[٢٥] ، ومن يقرأ ما كتبه ابو البركات الانباري في لمع الأدلة عن السماع من أهل البدع والاهواء[٢٦] ، يجده لا يختلف عما يقوله علماء الحديث[٢٧] .

وقد ساعد قرب البصرة من البلاد الاجنبية على تأثرها بثقافات اهل تلك البلاد ، وليس ادل على ذلك انها كانت قبل تمصيرها تدعى بأرض الهند[٢٨] ، « وقد شهد أول القرن الثانى ظهور الحياة العقلية في البصرة حيث كانت تضم ذوى الافكار والنزعات المختلفة : المعتزلة ورجال الكلام والفلاسفة والفرق الدينية الأخرى»[٢٩] ، ولقد كان المعتزلة «أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستقوا منها في تأييد نزعاتهم»[٣٠] ، وطبعها بطابع اسلامي ، فمن المعلوم أن «الأعتزال

---

(٢٢) **الخصائص ١/١٨٨ـ١٨٩ .**
(٢٣) **الاقتراح ٣٥ .**
(٢٤) ابو علي الفارسي ٢٥ .
(٢٥) **هذا النحو ، أمين الخولي . مجلة كلية الآداب المجلد ٧/يوليو ١٩٤٤ ص ٣٢ـ٣٣ .**
(٢٦) **لمع الادلة في اصول النحو ٨٦ـ٨٧ .**
(٢٧) **انظر الكفاية في علم الرواية ١٢٠ .**
(٢٨) **تاريخ الرسل والملوك ٥/٢٣٧٨ ، معجم البلدان ١/٤٣٢ .**
(٢٩) **من حديث الشعر والنثر ٣٥ .**
(٣٠) **ضحى الاسلام ٣/٩٥ .**

منهج يستند الى تحكيم العقل مع المحافظة على الدين وهو منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي والشك والقياس»[٣١] ، وقد كانوا مدافعين عن العقيدة الاسلامية ، وينزعون الى مجادلة الملل الاخرى من السريان والمجوس والبوذيين وغيرهم ، وكان سلاحهم في الذود عن الدين الاسلامي الفلسفة والمنطق ، وهو السلاح نفسه الذى اعتمد عليه اعداء الاسلام « فكان كثير من أئمة النحاة من المعتزلة»[٣٢] وممن يوصف بالحذق في الكلام كالاخفش الاوسط[٣٣] ، وأبي عثمان المازني الذى « كان اذا ناظر اهل الكلام لم يستعن بشيء من النحو ، واذا ناظر اهل النحو لم يستعن بشيء من الكلام»[٣٤] ، وكان ابو نصر الفارابي « يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق»[٣٥] . وكان لابد لهذا العلم وهو في دور نشوئه وتكوينه ان تتأثر اصوله بعلم الكلام كما تأثر بعلم اصول الفقه ، كما « كان تعلم المنطق مؤذنا بدخول عنصر جديد هو القياس»[٣٦] ، «وسبق أهل البصرة الى الانتفاع بالمنطق لم يكن محض اتفاق ، لان تأثير المذاهب الفلسفية ظهر في البصرة قبل ظهوره في غيرها ، وكان بين نحاةالبصرة كثير من الشيعةوالمعتزلة الذين افسحوا [كذا] السبيل للحكمة الاجنبية لكي تؤثر في مذاهبهم الكلامية»[٣٧] . والقياس اداته العقل ، «وقد جر الاخذ به الى القول بالتعليل والتماس العلة في اثبات الاحكام والبحث عن (العامل) »[٣٨] ، فالاعراب – عندهم – « أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل»[٣٩] ،

---

(٣١) في اصول النحو ٩٣ .
(٣٢) في اصول النحو ٩٢ .
(٣٣) مراتب النحويين ٦٨ ، انباه الرواة ٢/٣٩ .
(٣٤) انباه الرواة ١/٢٤٨ .
(٣٥) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٣/٢٢٧ .
(٣٦) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٦١ .
(٣٧) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٥٥ .
(٣٨) الفعل زمانه وأبنيته ٨ .
(٣٩) شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك ١٠ .

وقسموا العامل الى لفظي ومعنوي وسماعي وقياسي[٤٠] ، وهو لقوته يعمل ظاهرا او مقدرا متقدما او متأخرا ، وبواسطة فلسفة العامل ووضعهم القواعد على اساسها ، « رفضوا بها بعض الاساليب العربية ، كرفضهم الفصل بين المضاف والمضاف اليه»[٤١] . وفي اواقع ان (العامل) شيء وهمي اخترعه النحويون نتيجة تأثرهم بالفلسفة الكلامية واصول الفقه ، وليس أدل على ذلك من المناظرة التى جرت بين الجرمي والفراء ، حول رافع المبتدأ ، وعجزهما جميعا أن يظهرا العامل أو يمثلاه في حوار طويل[٤٢] .

القياس[٤٣] في النحو :

بدأ الأخذ بالقياس مبكرا كما دلت الاخبار ، فقد ظهرت النزعة اليه لدى بعض رجال الطبقة الثانية ، من النحاة البصريين ، فقد روي عن عبدالله بن ابي اسحاق انه « أول من بعج النحو ، ومد القياس والعلل»[٤٤] ، «وفرّع النحو وقاسه»[٤٥] ، والدليل على أنه كان شديد التجريد للقياس جوابه ليونس ابن حبيب حينما سأله عما اذا سمع أحدا يقول (الصويق) يعني السويق ؟ قال :

---

(٤٠) انظر العوامل المائة ٩١ـ٩٣ .

(٤١) احياء النحو ٢٩ـ٣٠ .

(٤٢) انظر الانصاف م٥ ج١/٤٩ .

(٤٣) قال الانباري في (الاغراب في جدل الاعراب ٤٥) القياس : هو حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه كرفع الفاعل ونصب المفعول في كل مكان وان لم يكن كل ذلك منقولا عن العرب . وللقياس اربعة اركان : أصل : وهو المقيس عليه ، وفرع : وهو المقيس وحكم وعلة جامعة . وذلك مثل أن تركب قياسا في الدلالة على رفع مالم يسم فاعله قياسا على الفاعل ، فالاصل : هو الفاعل ، والفرع هو مالم يسم فاعله والحكم هو الرفع والعلة الجامعة هى الاسناد » . والغاية من القياس هي محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية ، وصياغة الكلام على مقتضى كلامهم واساليبهم في الكلام .

(٤٤) طبقات فحول الشعراء ١٤ .

(٤٥) مراتب النحويين ١٢ .

« نعم ، عمرو بن تميم تقولها . وما تريد الى هذا؟ عليك بباب من النحو يطّرد وينقاس»[٤٦] . على اننا نقول مع من قال[٤٧] : « لم يصل الينا شيء من اقوال هذا النحوي المتقدم لنتخذ منها امثلة لنستدل بها على هذا النهج الجديد في مطلع القرن الاول الهجري» .

ويظهر أن اوائل الواضعين للاصول النحوية من البصريين كانوا يقيسون بقلة لانهم لم يكونوا قد فتحوا بعد باب القياس فتحا متسعا ، فقد كانوا من العرب الفصحاء الذين لم يتسرب الفساد الى ألسنتهم فوضعوا قواعد اللغة واستشهدوا لها بأفصح الكلام من القرآن والحديث ومأثور الكلام العربي من شعر ونثر ، وعلى رأسهم أبو الاسود الدؤلي وتلامذته الذين تلقّوا الضوابط النحوية عنه وتوسعوا فيها كعنبسة الفيل وميمون الأقرن وابنا ابي الأسود عطاء وأبو حرب وعبدالحميد ابن عبدالمجيد (الأخفش الأكبر) ويحيي بن يعمر ونصر بن عاصم ، وكان اهتمامهم منصبا على السماع بغية استقراء كلام العرب لوضع الضوابط الاساسية له . أما رجال الطبقة الثانية من النحاة البصريين فقد تفاوت مقدار اخذهم بالقياس ، فقد كان منهم من ينزع الى السماع والأخذ بالرواية كثيرا كأبي عمرو بن العلاء الذي «كان اوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها»[٤٨] لعنايته بالسماع على حين كان « ابن أبي اسحاق أشد تجريدا للقياس منه »[٤٩] ، كما كان ليونس بن حبيب « قياس في النحو»[٥٠] فقد « كان هناك فريقان من علماء العربية . فريق حاول قصر الناس على السماع والتزامه والجمود عليه ، فلم يكتب لمذهبه البقاء لمخالفته

---

(٤٦) طبقات فحول الشعراء ١٥ .

(٤٧) هو الدكتور الاستاذ ابراهيم السامرائي في (النحو العربي نقد وبناء) ص ٢٠ .

(٤٨) اخبار النحويين البصريين ٢٠ .

(٤٩) اخبار النحويين البصريين ٢٠ ، نزهة الالباء ١٠ .

(٥٠) اخبار النحويين البصريين ٢٧ .

طبائع الاشياء»[٥١] ، فمن الفريق الاول مثلا الاصمعي الذي قال عنه ابن جني : «إنه ليس ممن ينشط للمقاييس وتوفره على ما يروى ويحفظ»[٥٢] ، على حين كان يمثل الفريق الثاني : الخليل فقد كان كما يصفه ابي جني : « سيد قومه وكاشف قناع القياس في علمه»[٥٣] فقد «استنبط من علم النحو مالم يسبق اليه»[٥٤] . « وكان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس»[٥٥] ، والخليل « يعد بحق واضع النحو العربي في صورته المركبة ، سواء من حيث عوامله ومعمولاته الظاهرة والمقدرة أو من حيث ما يجري فيه من شواهد ومن علل وأقيسة ، ونص على العبارات المهملة والاخرى الشاذة واحداث ما سري فيه من تمارين غير عملية يقصد بها ، الى التمرين والتدريب»[٥٦] ، فهو «متأثر بالعقلية البصرية ، وهي عقلية لم تكن عربية خالصة ، بل كانت ملحقة بعقليات اجنبية شهدتها البصرة منذ تمصيرها وتتابع الهجرات اليها» [٥٧] . وبظهور رجال افذاذ كالخليل ويونس وسيبويه والاخفش الذين كان لهم الفضل الاكبر في تطوير النحو ، تطورت هذه المدرسة وانتقلت بجهودهم الى طور آخر بحيث صارت مدرسة «عنيت بالدراسة اللغوية النحوية عناية خاصة واخذت تهتم باللغة لذاتها لا لأنها اداة للعمل القرآني ، فاتخذت من القياس والتعليل اصلا من اصول عملها اللغوي وعنيت بالعقل وأحكامه عناية خاصة ولهذا نراها تهتم بالقواعد والاصول العامة وتغفل عن الشواذ التى لا تنطبق عليها تلك القواعد والاصول»[٥٨] .

ثم تطور القياس على أيدي النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه ممن سار على

(٥١) في اصول النحو ٦٩ .
(٥٢) الخصائص ١/٣٦١ .
(٥٣) الخصائص ١/٣٦١ .
(٥٤) انباه الرواة ١/٣٤٣ .
(٥٥) الفهرست ٧٠ .
(٥٦) المدارس النحوية ٥٦ .
(٥٧) الخليل بن احمد الفراهيدي ٧٢ .
(٥٨) الخليل بن احمد الفراهيدي ٣٧ .

المذهب البصري من نحاة بغداد وتوسعوا فيه حتى بلغ ذروته على يد أبي علي الفارسي «المتوفى سنة ٣٧٧هـ»(٥٩) الذي كان يقول : «لأن اخطيء في خمسين مسألة مما بابه الرواية ، أحبّ اليّ من أن اخطيء في مسألة واحدة قياسية»(٦٠) . وليس أدل على اعتماد هؤلاء النحـــاة على القياس كثيرا من قول ابي البركات الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ : « اذا بطل أن يكون النحو رواية ونقلا وجب ان يـكون قياســـا وعقـــلا »(٦١) ، ويقـــول أيضـــا : « ان انـــكار القياس في النحو لا يتحقق لان النحو كلّه قياس فمن انكر القياس فقد أنكر النحو»(٦٢) . نخلص من هذا الى « أن نحاة البصرة قد جعلوا للقياس شــــأنا كبيرا في الاحكام المتعلقة بأمور اللغة ، كما فعل البغداديون فيما بعد ... ولهذا سمي نحاة البصرة (أهل المنطق)»(٦٣) : فكان من قوة لقياس ـ عندهم ـ أن ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب(٦٤) ، وكان ابو الحسن الرماني « المتوفى سنة ٣٨٤ »(٦٥) يبيّن الغاية من وضع النحو هي : « تبيين صواب الكلام من خطئه على مذهب العرب بطريق القياس»(٦٦) .

ان القياس وان كان ذا أثر في توسع النحو وكثرة تفرعاته وتفصيلاته ، الا أنه من الجهة الثانية أضر باللغة ، اذ ضيق عليها ، فالمعلوم أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع للقياس دوما لانها تتطور ككل كائن حي « فهناك صيغ تثبت أمام القياس، ومن اجل ذلك تسمى بالشاذة ... وتسمى ايضا بالصيغ القوية في مقابلة الصيغ الضعيفة أو العليلة التي تستلم للتنظيم الذى يعرضه القيـــاس ، وتبقى خارج

(٥٩) وفيات الاعيان ١/٣٦٣ .
(٦٠) معجم الادباء ٧/٢٥٤ .
(٦١) لمع الادلة في اصول النحو ٩٩ .
(٦٢) الاقتراح ٣٨ .
(٦٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٥٥ .
(٦٤) الخصائص ١/١١٤ .
(٦٥) بغية الوعاة ٣/١٨١ .
(٦٦) الحدود في النحو ٣٨ .

القاعدة ، وشيوع استعمالها هو الذى يبقي عليها حية متداولة بين الناس ، وتفرض نفسها بخصائصها الفردية»[٦٧] .

فكل ما خالف القياس فهو من الشاذ عندهم وان كان كثيرا[٦٨] ، فالفرق بين الشاذ والنادر أن الشاذ ما يكون بخلاف القياس من غير نظر الى قلة وجوده ، وان لم يكن بخلاف القياس[٦٩] ، «فبين الشاذ والنادر عموم من وجه فما خالف القياس وقل وجوده شاذ ونادر ، وما خالف وكان كثيرا شاذ فقط ، وما قل ولم يخالف نادر فقط»[٧٠] .

لم يسلم رجال النحو الذين كبّلوا النحو بقيود المنطق من انتقاد المنتقدين ، حيث أدخلوا على النحو كثيرا مما ليس من طبيعته واصله ، ولاسيما نحاة القرن الرابع الهجرى البغداديين وذلك بعد أن ترجمت الكتب في المنطق والفلسفة الى العربية ، «فقد كان العرب الذى بقوا على سليقتهم العربية ، غير متأثرين بالثقافات الجديدة ، يرون أن المنطق أفسد عقول كثيرين ، حتى أسرفوا في التدقيق في أمر اللغة»[٧١] ، فقد رأى هؤلاء أن النحاة سلكوا صراطا لم يسلكه الاولون الذين جعلوا للسماع الاهمية الاولى ، ولم يغرقوا في التعليل والقياس ، فنهجوا نهجا بعيدا عن الغاية التي وضع من اجلها ، وادخلوا فيه من قيود الفلسفة والمنطق ما جعله عسيرا على الدارسين ، وصار النحو غاية لذاته ، لا وسيلة لخدمة اللغة والحفاظ عليها ، وها هو ذا الجرجاني يقول على لسان المنتقدين : «إنّا لم نأب صحة هذا العلم ، ولم ننكر مكان الحاجة اليه في معرفة كتاب الله تعالى ، وانمـــا انكرنا اشياء كثرتموه بها ، وفضول قول تكلفتموها ، ومسائل عويصة تجشمتم الفكر فيها»[٧٢] ، وقد أيدهم في انكارهم فقال : «اما هذا الجنس فلسنا نعيبكم إن

(٦٧) اللغة · فندريس ٢٠٨ ·
(٦٨) شرح الشافية لنقره‌كار ٩ ·
(٦٩) شرح الجاربردي على الشافية ٢٠ ·
(٧٠) حاشية ابن جماعة على الشافية ٢٠ ·
(٧١) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٥٥ ·
(٧٢) دلائل الاعجاز ٢١ ·

لم تنظروا فيه ولم تعنوا به وليس يهمنا أمره ، فقولوا فيه ما شئتم ، وضعوه حيث أردتم»[٧٣] • وليس أدل على اشتداد الصراع بين أهل النحو ممن لم يكونوا يرغبون في الفلسفة وأهل الفلسفة من المناظرة المشهورة التى جرت بين أبي سعيد السيرافي النحوي «المتوفى سنة ٣٦٨هـ»[٧٤] وبين الفيلسوف متّى بن يونس القناني بحضور الوزير ابن الفرات[٧٥] ، وفيها تمّت الغلبة وحصل الفوز لمعارضي المنطق على يدي السيرافي ، وقد أثنى الوزير على السيرافي ثناءا عطرا[٧٦]، مما يدل على أن هناك ساخطين على المناطقة من ذوي الفضل والسلطان • وهناك صوت دوّى من المغرب العربي نادى بالغاء نظرية العامل[٧٧] والتمارين غير العملية[٧٨] ، والعلل النحوية[٧٩] ، والقياس[٨٠] ، ذلك هو صوت ابن مضاء القرطبي « المتوفى سنة ٥٩٢هـ»[٨١] الذى وجه هجومه الى النحو البصري الذي كان شائعا من حوله ، فاتخذه مسرحا لمعاركه مع النحاة[٨٢] • غير ان ذلك الصوت لم يسمع له صدى « فلم يستجب له نحاة المشرق في العصور الوسطى ، وظل الناس وظلت الأجيال تعاني في قراءة النحو مشقات هائلة»[٨٣] ، غير أن ابن مضاء لم يدع دعوته بغية تيسير النحو مستهديا بالبحث العلمي اللغوي الصحيح ، فهو يستهدي آراء الظاهرية ، لأنه ظاهري العقيدة ، ولذلك دعا الى الأخذ بظاهر النصوص دون تأويل أو تقدير[٨٤] •

---

(٧٣) دلائل الاعجاز ٢٢ •
(٧٤) بغية الوعاة ١/٥٠٨ •
(٧٥) انظر المقابسات ٦٨ـ٨٧ •
(٧٦) انظر المقابسات ٨٧ •
(٧٧) انظر الرد على النحاة ٨٨ •
(٧٨) انظر الرد على النحاة ١٦١ •
(٧٩) انظر الرد على النحاة ١٦٤ •
(٨٠) انظر الرد على النحاة ١٥٦ـ١٥٧ •
(٨١) بغية الوعاة ١/٣٢٣ •
(٨٢) الرد على النحاة / مدخل للدكتور شوقي ضيف ١٣ •
(٨٣) الرد على النحاة / المدخل ٤٩ •
(٨٤) انظر الرد على النحاة / المدخل ٣٢ـ٣٣ ودراسات في اللغة ٤٧ والنحو العربي نقد وبناء ١٩٨ •

منهج البصريين العام في الاستشهاد بالشواهد

منهج البصريين العام في تناول الشواهد والاستشهاد بها في النحو وضعته العقلية البصرية التى تكونت نتيجة تفاعل العقلية العربية والعقليات الاجنبيه التى شهدتها بيئة البصرة منذ تمصيرها ، وهى عقلية المناطقة التى تؤمن بالتنظيم والترتيب، فقد « أراد البصريون ان ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق ، ويميتوا كل اسباب الفوضى من رواية ضعيفة أو موضوعة ، أو قول لا يتمشى مع المنطق»[١] .

ولذا حاولوا وضع اللغة ضمن قواعد ثابتة لا تحيد عنها في نظام منسق • ولقد كان ما تقدم ذكره عن موقع البصرة على طرف البادية وارتحال العلماء البصريين اليها بكثرة بغية السماع من اهلها ، ووجود المربد ملتقى الاعراب الفصحاء الى جانبها ، ووفود الأعراب اليها بكثرة ، أن جعل البصريين يحصلون على فيض وفير من الشعر ومأثور كلام العرب ، بحيث مكن لهم ذلك من رسم منهجهم في القياس على الاعم الاغلب والكثير الشائع على ألسنة الفصحاء ، وهو الفصيح عندهم[٢] ، فقد «تحرى البصريون ما نقلوه عن العرب ثم استقرأوا احواله فوضعوا قواعدهم على الاعم الأغلب من هذه الاحوال»[٣] ، قال سيبويه : « وزعم الخليل انه سمع عربيا يقول : ما أنا بالذى قائل لك شيئا • وهذه لغة قليلة»[٤] ، ولما كانت لغة قليلة ، فالبصريون لا يقيسون عليها ، وهذا ما يفسره لنا قول سيبويه : «قلت للخليل : أفيقال : ما أنا بالذى منطلق ؟ فقال الخليل : لا •»[٥] ، وكان سيبويه لا يقبل كل ما يسمع حتى وان كان راويه ثقة كشيوخه الا أن يكون المسموع كثيرا في لسان العرب فهو يقول : « وزعم يونس انه سمع اعرابيا يقول : ضرب منّ منّا • وهذا بعيد لاتتكلم به العرب ولا يستعمله منهم ناس كثير»[٦] • ويقول

---

(١) ضحى الاسلام ٢/٢٩٦ •
(٢) انظر مناهج الكافية ١٦ ، شرح الجاربردي على الشافية ٣٣ •
(٣) في اصول النحو ١٩٤ ، من تاريخ النحو ٧٠ •
(٤) الكتاب ١/٣٩٩ •
(٥) الكتاب ١/٣٩٩ •
(٦) الكتاب ١/٤٠٣ •

ايضا : « والرفع في جميع هذا عربي كثير في جميع لغات العرب»[٧] ، ومن هنا «فالقياس النحوي مبناه على الاكثرية ، وهذا القول من سيبويه قانون عام في اللغة لمن أتى بعد»[٨] ، فهذا ابو علي الفارسي يقول : « ان الحمل على القياس والامر العام أولى ، حتى يحوج الى الخروج عنه أمر مضطر الى خلافه ، ويخرج عن الشائع الواسع» [٩] • فالقياس على الاكثر سمة البصريين ، فينبغي ان يعمل عليه كما يقول ابن جني : « لا على الاقل ، وان كان الاقل اقوى قياسا ، الا ترى الى قوة قياس قول بني تميم في (ما) وانها ينبغي أن تكون غير عاملة في أقوى القياسين عن سيبويه • ومع ذا فاكثر المسموع عنهم انما هو لغة الحجاز ، وبها نزل القرآن • وذلك اننا بكلامهم ننطق فينبغي أن يكون على ما استكثروا منه يحمل ، هذا هو قياس مذهبهم وطريق اقتفائهم»[١٠] ، وقد كان البصريون يمقتون القليل لدرجة نعتهم اياه بالخبث ، يقول سيبويه : « وزعم يونس أن قوما من العرب يقولون : أما العبيد فذو عبيد ، وأما العبد فذو عبد يجرونه مجرى المصدر سواء وهو قليل خبيث»[١١] • على ان البصريين لم يتمسكوا بالقياس على الكثير فقد اجازوا احيانا القياس على القلة • قال السيوطي : «ليس من شرط المقيس عليه الكثرة فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس ، ويمتنع على الكثير لمخالفته له ، مثال الاول : قولهم في النسب الى شنوءة شنئي»[١٢] ، فقد اكتفى سيبويه بهذا الشاهد الوحيد واتخذه ، اصلا قاس عليه كل ما كان على صيغة فعولة[١٣] •

---

(٧) الكتاب ١/١١٠ •
(٨) محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في مصر • دور الانعقاد الرابع ١٩٣١ ص٤٢ •
(٩) الحجة في علل القراءات ١/٦٣ •
(١٠) الخصائص ٢/٢٦٠ •
(١١) الكتاب ١/١٩٤ •
(١٢) الاقتراح ٤٠ •
(١٣) انظر الكتاب ٢/٧٤ •

فالقياس كما «فسّره كثير من النحاة بأنه الحمل على النوارد الكثير ، والكثرة قد تكون بمثال واحد اذا لم يسمع غيره في بابه»[١٤] ، ويظهر من هذا جليـــا أن القياس عند البصريين هو الاصل وان النص هو الفرع وانه تابع له ، والمهم هو مجيئه موافقا القياس ، وهذا ما يوضحه ابن جني في (باب جواز القياس على ما يقل ورفضه فيما هو اكثر منه) بقوله : « هذا باب ظاهره الى ان تعرف صورته ظاهرة التناقض ، الا أنه مع تأمله صحيح • وذلك ان يقلّ الشيء وهو قياس ، ويكون غيره اكثر منه ، الاّ أنه ليس بقياس ، الاول قولهم في النسب الى شنوءة : شنئي ، فلك ـ من بعد ـ أن تقول في الاضافة الى قتوبة : قتبي ، والى ركوبة : ركبي ، والى حلوبة : حلبي ، قياسا على شنئي وذلك انهم اجروا فعولة مجرى فعيلة ، لمشابهتها اياها من عدّة اوجه ••• وان كان اكثر من شنئي فانه عند سيبويه ضعيف في القياس ، فلا يجيز على هذا في سعيد سعدي ، ولا في كريم كرمي ، فقد يرد في اليد من هذا الموضع قانون يحمل عليه ، ويردّ غيره اليه»[١٥] • وعندهم ان المسموع المفرد الذى لا نظير له في الالفاظ المسموعة ، مع اطباق العرب على النطق به ، يقبل ـ كما يقول ابن جني ـ ويحتج به ويقاس عليه اجماعا[١٦] ، فليس كل كثير يقاس عليه عند البصريين فان فعيل بمعنى مفعول مع كثرته غير مقيس[١٧] ، وسيبويه لا يقيس فاعل وفعّال في النسب[١٨] ، كما ان الرماني لا يصوغ اسم المفعول من « نفع » نحو : منفوع ، والقياس النحوي يقتضيه»[١٩] • فقد تقدم القول انه لا يوجد اتفاق تام بين نحاة المدرسة الواحدة في جميع المسائل فان ابنية فعّال صاحب حرفة غير مقيسة ، لقلتها ، وان كان بعضها كثيرا ، هذا مذهب سيبويه[٢٠] قال : «ولا يقال لصاحب الدقيق دقّاق ، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه ، والمبرد يقيس

(١٤) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الاول / ١٩٣٤ ص٢٠٦ •
(١٥) الخصائص ١/١١٥ـ١١٦ •
(١٦) الخصائص ١/٣٨٥ •
(١٧) شرح الرضي على الكافية ٢/١٥٥ •
(١٨) الكتاب ٢/٩٠ •
(١٩) البحر المحيط ١/٣١٩ •
(٢٠) الكتاب ٢/٩٠ •

هذا»[٢١] وقد كان عيسى بن عمر وابو زيد يقيسان على القليل • من ذلك مثلا الحاقهما (جواري) بالممنوع من الصرف ، ولم يجعلاها كالمنقوص مثل (قاضي) مستشهدين بقول الفرزدق :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكنّ عبـدالله مولى مواليـا

قال الرضي : « هي لغة قليلة للعرب»[٢٢] •

ان النحاة في الواقع لم يتفقوا أبدا على الاصول التي يقاس عليها ، أو يوقف بها عند حد السماع ، وقد صدق احد الباحثين الفضلاء[٢٣] حينما قال : « وأنا لم اعثر الى الآن على قول صريح في كلام النحاة يبين لنا حد القيـاس وحـد السماع»[٢٤] • وهذا يؤيد ما سبق ذكره في اول هذا الفصل عن عدم اتفـاق النحاة جميعا على منهج معين سواء كان في السماع أو القياس •

تاويل الشواهد :

البصريون في سماعهم ـ كما مرّ بنا ـ كانوا متشددين ، فلم يسمعوا الا من قبائل قليلة كانت في بوادي وسط وشرق الجزيرة العربية عدّوها فصيحة ، وقد دفعهم الى هذا حرصهم الزائد على حفظ اللغة وصيانتها ، فرأوا حفظها في ذلك التشدد ، وبسبب هذا التضييق كان استقراؤهم اللغة ناقصا ، حيث ذهب عنهم سماع كثير من كلام العرب ، فلما وضعوا احكامهم واقيستهم بمقتضى ذلك الاستقراء اعتزوا بها واستمسكوا • ولما حاولوا أن يطبقوها على كلام العرب ، وجدوا أنفسهم امام شواهد فصيحة صحيحة تخالف تلك الاحكام ، وتهدمها ، فماذا يصنعون ؟ هل يتركون أحكامهم واقيستهم وهم معتزون بها ؟ أم يتجاهلون

---

(٢١) شرح الاشموني ٧٤٦/٣ •
(٢٢) شرح الرضي على الكافية ٥١/١ •
(٢٣) هو الشيخ احمد الاسكندري •
(٢٤) محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في مصر • دور الانعقاد الاول ص٣٥٣•

الشواهد الصادرة عن الفصحاء ، المخالفة لها ؟ لا هـذا ولا ذاك وانما «لجـأوا للتأويل والتعليل ليردوا هذه المسائل الخارجة الى قواعدهم ، ومن اجل ذلك أفادوا من منهج القياس القائم على التعليل وهو منهج المتكلمين الذين يحرصون عـلى الاخذ بالعلل والاسباب ، وهكذا طرحوا الشيء الكثير مما لم يروا له وجها في قواعدهم فتأولوا ما وسعهم التأويل وحملوا على الخطأ مالم يستطيعوا ردّه الى وجه، كما فعلوا في تخطئة جماعة من اهل القراءات»[٢٥] ، « فالكلام الفصيـح الذى لا يحتمل الشك في فصاحته ثم مع هذا لا يوافق اصولهم وقواعدهم يعمدون اليه فيتأولونه ويخرّجونه ، وذلك اذا ورد في القرآن الكريم ، أو روي رواية محققة عن فصيح من فصحاء العرب الاقدمين»[٢٦] ، ويبدو أن « النحاة اذ يؤولون الشعر أو يقدرون بعض كلماته لا يفتعلون على اللغة ، ولا يقوّلون الشـعراء مالم يقولوه ، ولكنهم في هذا وذاك يجرون على سنن الاصول التى استنبطوها من العربية ومذاهب أصحابها في التعبير ، ويحاولون أن ينزلوا على حكمها كل نص يجيء مخالفا لها ، واكثر ما يكون ذلك في الشعر ، وربما غلوا أو غلا بعضهم في التأويل والتقدير حتى يتورط في التكلّف أو يميل عن القصد ، من طول انقطاعه للصناعة وكثرة تمرسه بها وحرصه على أن يجـد لكل مشـكل تأويلا أو تقديرا»[٢٧] ، « فالتأويل وسيلة يذلّلون بها كل صعب لينسجم النص المروي وقواعدهم المقررة»[٢٨] ، ولذلك «قلّ أن تجد قاعدة من قواعدهم سالمة منه ، تراهم يذكرون القاعدة ، ويتبعونها بأمثلة خارجة عليها ، مخالفة لها ، فيتأوّلونها بالتأويل النافر ، والتمحل البعيد ، لكي تساير قاعدتهم وتساوق مذهبهم ، وكأن

---

(٢٥) النحو العربى نقد وبناء ٣٦ـ٣٧ ٠

(٢٦) من اسرار اللغة ١٩ ٠

(٢٧) الحجة في علل القراءات / مقدمة المحققين ٢٢ـ٢٣ ٠

(٢٨) النحو العربى نقد وبناء ٢١ ٠

القاعدة هي الاصل ، والكلام العربي هو الفرع»[٢٩] .

ويظهر أن النحاة أخذوا يكثرون من التأويل مذ صار النحو صناعة لذاتها على ايدي الخليل وتلامذته ، وخرج عن كونه اداة غرضها خدمة القرآن الكريم وحمايته من اللحن وتقويم اللسان ، ولهذا كان الخليل يكثر من التأويل اذا كان الشاهد أو المثال لا يتماشى والقاعدة النحوية[٣٠] ، ثم أفتتن به النحاة بعد الخليل وسيبويه حتى عرف عنهم ذلك الحكام ، فقد ذكر الجاحظ أن محمد بن سليمان والي البصرة العباسي كانت له خطبة لا يغيّرها ، وكان يقول : (ان الله وملائكته) فكان يرفع(الملائكة)، فقيل له في ذلك، فقال: خرّجوا لها وجها ! ولم يكن يدع الرفع لكي لا يقولوا ان الامير لحن ، فأوّلوه على أنه عطف (ملائكته) على موضع(الله) ، وموضعه رفع ، فأجازهم[٣١] . وكانوا يؤولون الخارج على القاعدة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فتأويل النص لكي يتفق مع القاعدة اولى من حمله على الشذوذ[٣٢] . وعندما غضب المأمون على (ميمون) كاتب وزيره (اسحاق بن ابراهيم المصعبي) لأنه كتب له : (وهذا المال مالا) فلم يقبل لحنه ، استعان الوزير بـ (محمد بن قادم) النحوي على الخروج من المأزق ، فقال : الوجه : وهذا المال مال ويجوز مالا ، ثم أوّل ذلك التجويز بحيث صحح به لحن الكاتب ، لم يرتض المأمون تأويله وقال : مر ، كل شيء عندكم جائز . ثم التفت للوزير قائلا : دعني من يجوز ولا يجوز وخاطبني بدون لحن[٣٣] .

كان البصريون ومن حاكاهم في مذهبهم من النحاة المتأخرين يردون الشاهد اذا قبل تأويلا قال ابو البركات الانباري : « واذا جاز ان يحمل البيت على وجه

(٢٩) اللغة والنحو بين القديم والحديث ٩١-٩٢ .
(٣٠) الكتاب انظر مثلا ٢٤٨/١ و ٥٢ و ٤٦٢ .
(٣١) البيان والتبيين ٢٣٩/١ .
(٣٢) انظر امالي المرتضى ٦٣/١ ، ٦٤ .
(٣٣) انظر مجالس ثعلب ١٢/١ وطبقات النحويين واللغويين ١٥٢ .

سائغ في العربية فقد سقط الاحتجاج به»[1] ، واذا ما علمنا ان البصريين كانوا قد اكتسبوا القدرة الفائقة على التأويل لتأثرهم بأهل الكلام وأخذهم باسلوب المناطقة ، « وانّ البيت الشعري اذا انفرد احتمل تأويلات كثيرة»[2] ، علمنـــا مقدار الشواهد التى استشهد بها الكوفيون في المسائل النحوية التى خالفوا فيها البصريين ، ثم ردّها البصريون لانها قبلت تأويلا فأولوها على وجه آخر لا يكون عليه استشهاد ، ومن يرجع الى كتاب الانصاف يجد مصداق هذا القول • من ذلك مثلا استشهاد الكوفيين على جواز ترك صرف ما لا ينصرف في ضرورة الشعر بقول الشاعر :

ومممن ولدوا عامر ذو الطول وذو العرض

قالوا : « ترك صرف (عامر) وهو منصرف ، فدلّ على جوازه»[3] ، ردّ البصريون هذا الشاهد مؤولين له بأن الشاعر لم يصرف (عامر) «لانه ذهب به الى القبيلة ، والحمل على المعنى كثير في كلامهم»[4] •

ومن اقوالهم ايضا : «اذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال»[5] وقد ردّ أبو حيان بموجب هذه القاعدة كثيرا من الشواهد التى استشهد بها ابن مالك في مسائل بشواهد بعيدة التأويل منها استشهاده على قصر الاخ بقوله :

اخاك الذى ان تدعه لملمة يجبك بما تبغي ويكفيك من تبغي

---

(١) الانصاف ١/٦٠ •

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/٢٨٧ • قال البطليوسي : « وفي معرفة ما يتصل بالشاهد ما يجلو معناه ويعرب عن فحواه فانا رأينا كثيرا من المفسرين للابيات المستشهد بها قد غلطوا في معانيها حين لم يعلموا الاشعار التى وقعت فيها ، لان البيت اذا انفرد احتمل تأويلات كثيرة» •

(٣) الاغراب في جدل الاعراب ٤٩ •

(٤) الاغراب في جدل الاعراب ٥٠ •

(٥) الاقتراح ٢٨ •

«فانه يحتمل ان يكون منصوبا باضمار فعل أي الزم»[٦] .

لم يكن باستطاعة النحويين تأويل كل الشواهد فبعضها لا يقبل تأويلا ولا يخضع لما يريده العلماء من توجيه يبتغونه وفق قاعدتهم ، من ذلك مثلا انكار ابي عبيدة مجيء (إن) بمعنى نعم ، وتأويله ما استشهدوا به على ذلك من قوله :

ويقلن شيب قد علاك   وقد كبرت فقلت إنّه

« على أن الهاء ليست للسكت وانما هي اسم ان والخبر محذوف اي كذلك ، ويردّ هذا التأويل قول آخر :

قالوا أخفت ؟ فقلت إنّ وخيفتي   ما أن تزال منوطة برجائي

لأنه لا يقبل تأويلا»[٧] . كذلك اذا كان الكلام المخالف لقواعد النحو لم يصدر عن فرد أو افراد قلائل وانما هو لغة قبيلة معروفة من قبائل العرب ، فلا يجوز تأويله عند جمهور النحويين . وعلى الرغم من ذلك كان بعض النحاة متطرفين في اقيستهم يحاولون اخضاع كلّ مسموع مخالف للقاعدة بالتأويل ، متجاهلين أنه لغة قوم من العرب ، فيؤولون الشاهد والمثال لايراعون هذا الاعتبار ، كأبي علي الفارسي مثلا ، الذى رد النحاة تأويله (ليس الطيب الاّ المسك) على أن فيها ضمير الشأن ، لان ابا عمرو بن العلاء نقل ان ذلك لغة تميم[٨] ، ومن ذلك أيضا تأويله لشاهد ورد فيه الجر بـ لعلّ :

فقلت : ادع أخرى وارفع الصوت جهرة   لعل أبي المغوار منك قريب[٩]

«فتكلّف في تقدير البيت بما لا مزيد عليه . فقال : تقديره : لعلّه لأبي المغوار

---

(٦) الاقتراح ٢٨ .
(٧) صرف العناية في كشف الكفاية ٣٦٩ .
(٨) انظر مجالس العلماء ٤ وذيل الامالي والنوادر ٣٩ وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٥٧ والاقتراح ٢٨ والمزهر ١/١٥٣ـ١٥٤ .
(٩) البيت لكعب بن سعد الغنوى من كلمة رثى بها اخاه ابا المغوار (طبقات فحول الشعراء ١٧٧) .

جوار منك قريب على تخفيف لام لعلّ ، فالمشدد لامها الباقية ولام لأبي وحذف اسمه الذي هو ضمير الشأن وحذف المبتدأ وهو جوار واقامة نعته وهـو قريب مقامه»[١٠] • أرأيت مثل هذا التكلّف الذى يخرج الكلام عن معناه ؟ « مع أن تخفيف لعلّ لم يثبت كما قال ابن هشام ، وكذا اعمالها في ضمير الشأن على ما قاله ابن أم قاسم المرادي ، وفتح لام الجرّ مع الظاهر في نحو المال لزيد لغـة شاذة »[١١] ، مع أن عقيلا يجرّون المبتدأ بـ لعل ، قال ابن مالك : « ثابتة الاول أو محذوفته ، مفتوحة الآخر أو مكسورته»[١٢] ، « وممن روى الجر بها عن العرب ابو زيد والفراء والاخفش وغيرهم من الائمة»[١٣] •

حمل الشواهد على الضرورة :

كان النحويون البصريون يلجأون الى حمل الشاهد الشعري على الضرورة اذا وجدوا أنه لا يقبل تأويلا أو تقديرا ، وأعيتهم الحيل في توجيهه ، فالضرورة عندهم وسيلة من وسائل التخلّص مما جاء مخالفا لضوابطهم وأقيستهم من الشواهد الشعرية قال ابن جني : «سألت أبا علي [الفارسي] عن قوله :

أبيت أسري وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

فخضنا فيه واستقر الامر فيه على أنه حذف النون من تبيتين ، كما حذف الحركة للضرورة في قوله : فاليوم أشرب غير مستحقب • كذا وجهته معه ، فقال لي : فكيف تصنع بقوله : (تدلكي) ؟ فقلت : نجعله بدلا من (تبيتي) أو حالا ، فتحذف النون ، كما حذفها من الاول في الموضعين ، فأطمأن الامر على هذا»[١٤] • فانظر كيف تكون حيرتهم في الشاهد الذى يأتي مخالفا للاصول ، فيتيهون فيه متاهات شتى ثم يئولون آخر الامر الى الضرورة فترتاح انفسهم اليها وتطمئن ، ثم حين

(١٠) صرف العناية في كشف الكفاية ٤٨٢ •
(١١) صرف العناية في كشف الكفاية ٤٨٢ •
(١٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٦٦ •
(١٣) صرف العناية في كشف الكفاية ٤٨٢ •
(١٤) الخصائص ١/٣٨٨-٣٨٩ •

يرون أن الضرورة لا تفي بالغرض يردفونها بتأويل كما رأينا في المثال المتقدم ٠
« وقد خطرت فكرة الضرورة الشعرية بأذهان اولئك النحاة الاول الذين وجدوا بعض الشواهد لا تنطبق على قواعدهم واصولهم ، ففسروها على ان الناظم قد اضطر اضطرارا لسلوك المسلك المخالف ، خضوعا للوزن والقوافي الشعرية ، ثم استنبطوا لنا عدة ظواهر لتلك الضرورة جعلوا بعضها مباحا سائغا قبلوه واطمأنوا اليه ٠ بسبب شيوعها في اشعار القدماء ، وجعلوا البعض الآخر مو الضرورات القبيحة الواجب اجتنابها»[١٥] ، فمما جعله ابن جني من قبيح الضرورة قول رويشد بن كثير الطائي :

يا أيها الراكب المزجي مطيّته ۝ سائل بني أسد ما هذه الصوت

قال : انما أنثه [أي الصوت] لأنه أراد الاستغاثة ، وتأنيث المذكر منَ قبيح الضرورة ٠ ثم بين سبب القبح وهو : خروج عن اصل الى فرع ، وانما المستجاز من ذلك رد التأنيث الى التذكير ، لأن التذكير هو الأصل ، بدلالة أن (الشيء) مذكر وهو يقع على المذكر والمؤنث[١٦] ، ومثل هذا لا يعد ضرورة ـ كما يبدو ـ ولكن ابن جني وغيره من النحاة تحيروا في أمر الشواهد التى جاءت مخالفة للكثير الشائع على ألسنة العرب ، فأولوا ما استطاعوا تأويله ٠ وما لم يمكنهم تأويله أو تعليله وكان شعرا قالوا عنه ضرورة ، اذ أنهم لم يذهبوا الى القول بتطور اللغة فقد قرروا مثلا تغليب المذكر على المؤنث اذا اجتمعا نحو : (الرجال والنساء حاضرون) لأن المذكر في رأيهم أقوى[١٧] ، ثم يرد عليهم « شيء يشكل وهو قوله تعالى :(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن)[١٨] ، فجمع هنا بين المذكر والمؤنث

---

(١٥) من اسرار اللغة ٢٥٢ ٠
(١٦) سر صناعة الاعراب ١/١٣ـ١٤ ٠
(١٧) انظر مقدمة في النحو لخلف الاحمر ٩٥ ٠
(١٨) سورة فصلت من الآية ٣٧ ٠

وغلّب المؤنث . قال خلف الاحمر : وهذا غير ما أملاه النحويون»[19] ، وفي مثل هذه الحالة يلجأ النحاة للتعليل والتأويل لكي تستقيم القاعدة ، قال خلف : « علته عندي إنه أراد جلّت قدرته بذلك الآيات»[20] ، وذهب الزمخشري الى « أن حكم ما لا يعقل حكم الأناث»[21] ، ولكن الذي لاشك فيه ان التأنيث حتى عصر النبي (ص) لم يكن في حالة من الاستقرار لان « العربية لم تستقر لعهد القرآن على وجه نهائي ، وان القرآن [الكريم] كان سببا فعالا لتهيئة هذا الاستقرار ، واعداده على الوجه الأكمل وهضم المتخلفات»[22] ، حيث جمع العرب على لغته التي نزل بها اذ اندمجت اللهجات العربية كلها في لغته ، وهي في غالبها لغة قريش .

ان ضرورة الشعر كانت ذريعة للنحويين في دفع مالم يريدوه من الشواهد التي لا تتفق مع القاعدة ، « وقد سقط الاحتجاج بمجموع غير يسير من شعر القبائل المعتد بها والمعتمد عليها في الشاهد ، من جراء الاتكاء على الضرورة في المنع»[23] .

ان الضرورة في الشواهد شيء غير متفق عليه بين النحاة شأنهم فيها شأنهم في الامور الاخرى ، فربّما خصّ نحوي شاهدا بالضرورة ، ثم انكرها غيره ، وهذا مألوف وكثير في كتب النحو . خذ مثلا مثلا هذا الشاهد :

لولا فوارس من نعم وأسرتهم   يوم الصليفاء لم يوفون بالجار[24]

« الذي استشهد به ابن مالك على أن (لم) قد تهمل فلا تجزم بقلّة ، وخصه

(19) مقدمة في النحو 95 .
(20) مقدمة في النحو 96 .
(21) الكشاف 3/392 .
(22) مقدمة لدرس لغة العرب 180 .
(23) نظرات في اللغة والنحو 36 .
(24) قال العيني : البيت لم يسم قائله ، والفوارس : جمع فارس على غير قياس وقوله (من نعم) يروى بدله (من ذهل) . (شرح شواهد المغني 3/674) .

غيره بالضرورة ، وعليه الفارسي وابو حيان ، وذكر ابن جني في سر الصناعة : « ان هذا على تشبيه لم بـ لا »[٢٥] . كما ان هذه الضرورة طالما استخدمت الغرضين فكما كانوا يتخلّصون من الشاهد ويدفعونه بأنه ضرورة ، اذا خالف الأصول ، كانوا يقبلونه للضرورة ، حسبما يتراءى للنحوي وفق مايقرره من مذاهب نحويه. قال ابو علي الفارسي في (البغداديات) : «ربّ شيء يكون ضعيفا ثم يحسن للضرورة »[٢٦] .

والضرورة الشعرية في الغالب اخطاء لغوية وعروضية ، ذلك « أن القصيدة العربية الجاهلية كانت في طور التكوين من الناحية الفنية Technigue وانها منتقلة من مرحلة الى اخرى وفي كل مرحلة من هذه المراحل تستفيد شيئا لاستكمال عناصرها الفنية»[٢٧] .

وقد حاول ابن مالك تضيقها بأن قال مخالفا جمهور النحويين : «ان الضرورة ماليس للشاعر عنه مندوحة بأن لم يمكنه الاتيان بعبارة اخرى»[٢٨] . ولذا لم يعد قول الشاعر (صوت الحمار اليجدّع) من الضرورة الشعرية «لتمكنه من أن يقول : صوت حمار يجدّع»[٢٩] . أما جمهور النحويين فذهب «الى ان الضرورة ما وقع في الشعر مما لا يقع في النثر ، سواء كان للشاعر عنه مندوحه أم لا»[٣٠]. قال ابن جني : « إن العرب قد تلزم الضرورة في الشعر في حال السعة أنسا بها واعتيادا لها ، واعدادا لها عند وقت الحاجة اليها ، الا ترى الى قوله :

قد اصبحت أمّ الخيار تدّعي علّيّ ذنبا كلّه لم أصنع

---

(٢٥) شرح شواهد المغنى ٢/٦٧٤ .
(٢٦) الاشباه والنظائر ١/٢٠٧ .
(٢٧) دراسات في اللغة ٢٥ـ٢٦ .
(٢٨) همع الهوامع ٢/١٥٥ .
(٢٩) حاشية الامير على مغني اللبيب ١/٤٨ .
(٣٠) صرف العناية في كشف الكفاية ٤٧ ، خزانة الادب ١/١٥ ، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ٦ .

فرفع للضرورة ، ولو نصب لما كسر الوزن»(٣١) . وقال ابن عصفور : « الشعر نفسه ضرورة وان كان يمكنه الخلاص بعبارة اخرى ، وأيده بعضهم بأنه ليس في كلام العرب ضرورة الا ويمكن تبديل تلك اللفظة ونظم شيء مكانها»(٣٢) .

ومن هذا تتضح لنا آراء جمهور النحاة في الضرورة ، ولهذا لم يأخذ النحاة الذين أتوا بعد ابن مالك برأيه « ولم يسمعوا لقوله واصروا على تفسيرها بما يقع في النظم دون النثر ، كأنهم أحاطوا علما بالنثر كلّه من جميع اطرافه ، فاذا جاءهم شعر يخالفه قالوا : هذا ضرورة»(٣٣) . وكان «ابو حيان اول معترض على تفسير ابن مالك للضرورة»(٣٤) . قال في شرح التسهيل : «لم يفهم ابن مالك معنى قول النحويين في ضرورة الشعر فقال في غير موضع : ليس هذا البيت ضرورة لان قائله متمكن من ان يقول كذا ، ففهم ان الضرورة في اصطلاحهم هو الالجاء الى الشيء فقال : انهم لا يلجاون الى ذلك اذ يمكن ان يقولوا كذا ، فعلى زعمه لا توجد ضرورة اصلا لأنه ما من ضرورة الا ويمكن ازالتها بنظم تركيب اخر غير ذلك التركيب ، وانما يعنون بالضرورة ان ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر المختصة به فلا تقع في كلامهم النثري وانما يستعملون ذلك في الشعر خاصة دون الكلام ولا يعني النحويون بالضرورة انه لا مندوحة عن النطق بهذا اللفظ»(٣٥) . وكذا قال الدماميني(٣٦) في شرحه على التسهيل(٣٧) ، وعدّ ابو

---

(٣١) الخصائص ٣/٤٠٣ـ٤٠٤ .
(٣٢) الاقتراح ١٢ .
(٣٣) نظرات في اللغة والنحو ٢٦ .
(٣٤) المواهب الفتحية ١/٦٠ .
(٣٥) الاشباه والنظائر ١/٢٢٤ـ٢٢٥ .
(٣٦) هو محمد بن ابي بكر بن عمر بن ابي بكر القرشي المخزومي الاسكندراني بدر الدين المعروف بابن الدماميني المالكي النحوي الاديب ، ولد بالاسكندرية سنة ٧٦٣هـ وتفقه وعانى الآداب ، ففاق في النحو والنظم والنثر والخط ومعرفة الشروط توفي سنة ٨٣٧هـ وقيل ٨٣٨ هـ (بغية الوعاة ١/٦٦) .
(٣٧) المواهب الفتحية ١/٦٠ .

اسحاق الشاطبي كلام ابن مالك باطلا[٣٨] . فأبو حيان قد بخس حق ابن مالك وجار عليه في وصفه بعدم فهم معنى الضرورة ، وابن مالك لا يفوته شيء كهذا ، ولا يقول جزافا ، فقد استند الى «ماهو مأخوذ من كلام سيبويه وغيره المبسوط في شرح نظم الفصيح لابن الطيب الفاسي» كما ذكر الآلوسي[٣٩] ، والى هذا ذهب ايضا محقق كتاب التسهيل[٤٠] .

حمل الشواهد على الشذوذ[٤١] :

اذا كان الشاهد مخالفا للقياس وكان قائله من الفصحاء وورد في روايه صحيحة لا ريب فيها ، ولم يقبل تأويلا ، وليس فيه ضرورة فهو من الشاذ ، فقد جعل علماء العربية البصريون « ما فارق عليه بابه وانفرد عن ذلك الى غيره شاذا حملا لهذا الموضع على احكام غيره»[٤٢] . قال ابن السراج في الاصول : « فمتى سمعت حرفا مخالفا لاشك في خلافه لهذه الاصول فاعلم انه شذ»[٤٣] .

البصريون لا يستشهدون بالشاذ ولا يقيسون عليه ويطرحونه طرحا ، وتتوالى أقوال ائمتهم وتصريحاتهم مؤكدة ذلك . قال سيبويه : «فلا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس»[٤٤] . اذ « ليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ ـ كما قال ابن السراج في الاصول ـ بأدنى حجة على الاصل المجمع

---

(٣٨) انظر خزانة الادب ١/١٥ .
(٣٩) الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ٦ .
(٤٠) تسهيل الفوائد / تمهيد المحقق ٤٨ .
(٤١) قال ابن جني في (الخصائص ١/٩٦ـ٩٧) : اصل مواضع (شذذ) في كلام العرب : التفرق والتفرد ، والشاذ المتفرق ، وجمع شاذ شذاذ هذا أصله في اللغة ، ثم قيل ذلك في الكلام ، فجعل اهل علم العرب ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك الى غيره شاذا ، حملا لهذا الموضوع على احكام غيره . وانظر لسان العرب (شذذ) ٣/٤٩٤ .
(٤٢) الخصائص ١/٩٧ .
(٤٣) المزهر ١/١٣٩ .
(٤٤) الكتاب ١/٣٩٨ .

عليه في كلام ولا نحو ولا فقه ، وانما يركن الى هذا ضعفة اهل النحو ومن لا حجة له»[٤٥] ، « فاذا جعلت النوادر والشواذ غرضك ، واعتمدت عليهـــا في مقاييسك كثرت زلاتك» كما يقول المبّرد[٤٦] . قال السيوطي : « اتفقوا على ان البصريين أصح قياسا لانهم لا يلتفتون الى كل مسموع ولا يقيســـون عـــلى الشاذ»[٤٧] . وسار النحاة الذين حاكوا البصريين في مذهبهم مراعين هذه القاعدة في الاستشهاد بالكثير الشائع والقياس على المطّرد تاركين ما يتخلف من القليل والشاذ . قال الزجاجي: «إن الشيء اذا اطرد عليه بابه، فصحّ في القياس وقام في المعقول، ثم اعترض عليه شيء شاذ نزر قليل ، لعلّة تلحقه ، لم يكن ذلك مبطلا للاصل ، والمتفق عليه في القياس المطّرد ، ومثل هذا موجود في جميع العلوم حتى في علوم الشرائع والديانات »[٤٨] .

الشاذ ممقوت لدى البصريين والقائلين بمذهبهم ، وهم يفضلون اللغـــة الضعيفة عليه في حالة وجود تعارض بينهما ، قال ابن عصفور : «اذا تعارض ارتكاب شاذ أو لغة ضعيفة فارتكاب اللغة الضعيفة اولى من الشاذ»[٤٩] . وبقي هذا شأن النحاة حتى المتأخرين منهم مراعين منهجهم في القياس على الكثرة وترك الشاذ ، فابو حيان يقول : « القاعدة لاتثبت بمثال أو مثالين وانما يثبت هـــذا باستقراء جزئيات كثيرة حتى يحصل من ذلك الاستقراء قانون كلّي يغلب على الظن أن الحكم منوط بذلك»[٥٠] . وخلاصة القول : ان الشاذ لا يعيره البصريون اهتماما

---

(٤٥) الاقتراح ٣٨ ، المزهر ١/١٣٩ .
(٤٦) الاشباه والنوادر ٣/٤٩ .
(٤٧) الاقتراح ٨١ .
(٤٨) الايضاح في علل النحو ١١٣ .
(٤٩) الاقتراح ٧٦ .
(٥٠) منهج السالك ١٩٤ .

وان كثر . قال ابن هشام : « واللغات الشاذة لا تحصى وآنما نعمل على ما عليه الفصحاء الموثوق بلغتهم»[٥١] .

البصريون بين السماع والقياس :

السماع ـ كما مر بنا ـ هو الطريق الصحيحة الى فهم خصائص اللغة والتوصل الى كشف أسرارها فهو أهم وسيلة في الثقافة اللغوية ، ولهذا هو ركن مهم من اركان النحو ، وقد بدىء العمل به في النحو واللغة قبل القياس ، اذ كيف يستطاع القياس على مالم يسمع ؟ . وقد اولاه البصريون عناية فائقة لانه «أقرب سبيل الى ضبط العربية ، حين يخفى ما يمكن ان يكون علة جامعة»[٥٢] ، ولأن « من اللغة كما يقول ابن جني ـ ما لا يؤخذ الا بالسماع ، ولا يلتفت فيه الى القياس ، وهو الباب الاكثر»[٥٣] . فالسماع لابد من مراعاته وعدم الاغفال عنه . « نقل الازهري عن أبي سعيد علي بن سعيد في (كفاية المستوفي) ما ملخصه : لا يستغنى في الجمع والتأنيث عن السماع فان الاشرف والاظرف لم يقل فيهما الاشارف والشرفى والاظارف والظرفى كما قيل في الأفضل والاطول وكذلك الاكرم والأمجد قيل فيهما : الاكارم والاماجد ولم يسمع فيهما الكرمى والمجدى»[٥٤] ، فالسماع ضروري جدا ، اذ لابد للقياس من مستند من السماع كما اشار السيوطي الى هذا[٥٥] ، ولهذا فان البصريين ـ بصورة عامة ـ «كانوا يقدمون السماع على القياس ، ولا يصيرون اليه الا اذا اعوزتهم الحاجة الشديدة» وربما توقفوا عن العمل بالقياس في بعض المسائل اذا لم يؤيده شاهد ، وهوّن عليهم

---

(٥١) شرح شذور الذهب ٨٩ .
(٥٢) مقدمة لدرس لغة العرب ١٩٧ .
(٥٣) المنصف : شرح تصريف المازني ١/٣ .
(٥٤) شرح التصريح على التوضيح ٢/١٣٠ .
(٥٥) الاقتراح ٥ .

ذلك كثرة جمهور العرب الفصحاء بالبصرة وقربها من عامر البادية كنجد،(٥٦) مثلا • وكان قياسهم يستند على سماعهم من العرب الموثوق بعربيتهم ، وهذا امام مدرستهم يقول : « ولو أن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق بعربيتهم تقوله لم يلتفت اليه»(٥٧) وهم يؤيدون قياسهم بالسماع • قال الانباري ردا على الكوفيين تجويزهم جمع العلم المختوم بالتاء جمع مذكر سالما : « والذى يدل على صحة هذا القياس [يعني قياس البصريين] انه لم يسمع عن العرب في جمع هذا الاسم – أي العلم المختوم بالتاء – أو نحوه الا بزيادة الالف والتاء ، كقولهم في جمع طلحة (طلحات) • ولم يسمع عن احد العرب أنهم قالوا : الطلحون ولا الهبيرون ، ولا في شيء من هذا النحو بالواو والنون ، فاذا كان هذا الجمع مدفوعا من جهة القياس معدوما من جهة النقل فوجب أنه لا يجوز»(٥٨) • وكان السيرافي يقول : « ان القياس من نحوين : نحو أيّده السماع ، ودلّ عليه الطباع ، فالقول حسن، والمصير اليه جائز»(٥٩) • فان تعارض قياسان ، فالبصريون يأخذون بأرجحهما وهو الذي يؤيده دليل آخر من سماع أو قياس(٦٠) • يقول ابو اسحاق الشاطبي في شرحه على الفية ابن مالك : « ان القياس عند اهل اللسان تابع للسماع فالسماع هو الحاكم لا العكس»(٦١) • اما أبو علي الفارسي الذي عرف عنه توسعه في القياس فكان لا يغفل امر السماع ، بدليل قوله : « ان الغرض فيما ندونه من هذه الدواوين ونقننه من هذه القوانين انما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح ، فاذا ورد السماع بشيء لم يبق غرض مطلوب وعدل عن القياس الى السماع»(٦٢) • وكان تلميذه ابن جني سائرا على

---

(٥٦) تاريخ اداب اللغة العربية ، احمد الاسكندرى ٩٥ •
(٥٧) الكتاب ٢٢٧/١ •
(٥٨) الانصاف م٤ ج٤٢/١ •
(٥٩) البصائر والذخائر م٢ القسم الثانى / ٦٦٧ •
(٦٠) لمع الادلة في اصول النحو ١٣٨ ، الاغراب في جدل الاعراب ٦٧ •
(٦١) المواهب الفتحية ٣٩/١ •
(٦٢) خزانة الادب ٥٥٩/٣ •

هذا المذهب فهو يقول : «واعلم انك اذا ادّاك القياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه الى ماهم عليه»(٦٣). نخلص من هذا الى ان البصريين كانوا يولون السماع اهمية اكثر من القياس ، «وأن الاستعمال اذا ورد بشيء اخذوا به وتركوا القياس ، لأن السماع يبطل القياس»(٦٤) . وهذا قانون عام سار عليه اغلب البصريين والتزم به المتأخرون ممن سار على مذهبهم . قال الأشموني عند كلامه على قياس مصدر الفعل الثلاثي المتعدي : « المراد بالقياس هنا : أنه اذا ورد شيء ولم يعلم كيف تكلموا بمصدره فانك تقيسه على هذا ، لا انك تقيس مع وجود السماع»(٦٥) .

اما الشواهد والامثلة التي سمعت من العرب واطرادها سماعا وقياسا فقد وجد العلماء البصريون انها على اربعة أضرب :

١ ـ مطرد(٦٦) في القياس والسماع جميعا .

---

(٦٣) الخصائص ١/١٢٥ .

(٦٤) خزانة الادب ٣/٥٥٩ .

(٦٥) شرح الاشمونى ٢/٣٤٦ـ٣٤٧ .

(٦٦) اصل مواضع (طرد) في كلام العرب كما ذكر ابن جني في (الخصائص ١/٩٦) : «التتابع والاستمرار ، من ذلك طردت الطريدة ، اذا اتبعتها واستمرت بين يديك ، ومنه مطاردة الفرسان» . وفي (اللسان طرد ٣/٢٦٨) : « اطرد الشيء : تبع بعضه بعضا وجرى . واطرد الامر : استقام وأطردت الاشياء اذا تبع بعضها بعضا . وأطرد الكلام اذا تتابع» . وقد «عبروا عن الكثير المستفيض بالمطرد ، أو الاغلب ، أو الغالب ، أو الاكثر ، أو الاصل ، أو الباب ، أو أصل الباب ، أو القاعدة ، او نحو ذلك ، قال صاحب جامع العلوم الملقب بدستور العلماء ص١٣٤ من الجزء الاول طبعة حيدر آباد : المراد بالاطراد : الشيوع والكثرة . وقال في ص٢٨٢ من الجزء الثالث : المطرد : الشائع الكثير الوقوع الغالب . فسوى بينه وبين الغالب» . (محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في مصر . دور الانعقاد الرابع . قياسية جموع التكسير ص٣٨ ، ٤٠) .

٢ ـ مطّرد في القياس شاذ في السماع •
٣ ـ مطّرد في السماع شاذ في القياس •
٤ ـ شاذ في القياس والسماع جميعا[٦٧] •

الضرب الاول وهو المطّرد في القياس والسماع ، فلا جدال بين العلماء في قبوله «وذلك ما لا غاية وراءه ، نحو منقاد اللغة من النصب والجر بحروف الجر والجزم بحروف الجزم وغير ذلك مما هو فاش في الاستعمال قوي في القياس»[٦٨].

الثاني ـ المطّرد في القياس الشاذ في السماع : فمثل هذا النوع عند البصريين يحفظ ولا يقاس عليه ، لان السماع يقدم على القياس • قال ابن جني : «فان كان الشيء شاذا في السماع تحاميت ما تحامت العرب من ذلك ، وجريت في نظيره على الواجب في امثاله فمن ذلك استعمل أن بعد كد ، نحو قولك : كاد زيد أن يقوم ، هو قليل شاذ في الاستعمال ، وان لم يكن قبيحا ولا مأبيا في القياس»[٦٩] ، ومثله «استعمال مفعول عسى اسما صريحا ، نحو قولك : عسى زيد قائما ، هذا هو القياس ، غير ان السماع ورد بحظره ، والاقتصار على ترك استعمال الاسم ههنا ، وذلك قولهم : عسى زيد أن يقوم و : (عسى الله أن يأتي بالفتح)[٧٠] • وقد جء عنهم شيء منه ، أنشدنا أبو علي :

اكثرت في العذل ملحّا دائما لا تعذلن إني عسيت صائما

ومنه المثل السائر : (عسى الغوير ابؤسا) »[٧١] • والبصريون لا يقيسون على

---

(٦٧) المنصف : شرح تصريف المازنى ١/٢٧٧ •
(٦٨) الخصائص ١/١٢٦ •
(٦٩) الخصائص ١/٩٩ـ١٠٠ •
(٧٠) سورة المائدة من الآية ٥٥ •
(٧١) الخصائص ١/٩٧ـ٩٨ •

مثل هذا النوع ، قال ابن جني : «فان صح عندك ان العرب لم تنطق بقياسك انت كنت على ما أجمعوا عليه البتة»[٧٢] . وقال ابو البركات الانباري : « فاما قولهم في المثل : (عسى الغوير أبؤسا) فهو من الشاذ الذى لا يقاس عليه»[٧٣] . وذلك لأنه لا يجوز أن يكون معمولها الا (أن) مع الفعل وبه ورد السماع الكثير .

الثالث ـ المطّرد في السماع الشاذ في القياس : البصريون يقفون من هذا الضرب عند السماع فيحتجون بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقيسون عليه[٧٤] . يوضح هذا ابن جني بقوله : «واعلم ان الشيء اذا اطّرد في الاستعمال وشذّ عن القياس ، فلابد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ اصلا يقاس عليه غيره . ألا ترى انك اذا سمعت : استحوذ واستصوب اديتهما بحالهما لم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما الى غيرهما . ألا تراك لا تقول في استقام : استقوم ولا في استساغ : استسوغ ، لو لم تسمع شيئا من ذلك قياسا على قولهم : اخوص الرمث»[٧٥] . وهذا القسم « يمثل قدرا كبيرا من اساليب مروية عن الفصحاء ، وقد ضلّ البصريون في تفسيرها ، واحتالوا عليها بالتأويل حينا ، أو الحكم بشذوذها حينا آخر»[٧٦] .

الرابع ـ الشاذ في القياس والسماع : وهو مرذول مطّرح عند البصريين ، لا يؤولونه ولا يلتفتون اليه . قال أبو علي : « والشاذ في القياس والاستعمال جميعا سبيله في هذا سبيل من قال : (قام زيدا)»[٧٧] . وكل ما كان هذا شأنه

---

(٧٢) الخصائص ١/١٢٥ـ١٢٦ .
(٧٣) الانصاف ١/١٦٢ـ١٦٣ .
(٧٤) الاقتراح ١٤ـ١٥ .
(٧٥) الخصائص ١/٩٩ وانظر ١١٧ .
(٧٦) من اسرار اللغة ٢١ .
(٧٧) المنصف : شرح تصريف المازني ١/٢٧٨ـ٢٧٩ .

فلا يسوغ القياس عليه ـ كما يقول ابن جني ـ ولا رد غيره اليه ، ولا يحسن ايضا استعماله فيما استعملته فيه الا على وجه الحكاية[٧٨] .

حقيقة الشواهد الشاذة :

ما هي حقيقة الشواهد التى دعاها البصريون شاذة ، وتركوا القياس عليها ؟ وهل كان ثمة شذوذ في اللغة ؟ ... آن مثل الشاذ في اللغة كمثل المخلفات الاثرية بين الموجودات الحديثة ، فان لغتنا العربية التى لا نعرف عن طفولتها شيئا ثابتا ، وقد قيل فيها الشعر الجاهلى ، قد سلخت قرونا عديدة من عمرها في النشوء والنمو والتطور حتى وصلت الى ما هي عليه يوم دونتها العلماء ، فوضعــوا القواعد والضوابط لها ، « فليس من شك في أن اللغة قد بدأت ساذجة بسيطة قريبة من الفطرة ثم اخذت تنمو رويدا رويدا وتتطور فتميت مفردات وتحيي مفــردات وتنفي الفاظا وتحتفظ بجمعها الى غير ذلك مما تقتضيه سنن النشوء والارتقاء»[٧٩]، لنأخذ مثلا « اسماء الافعال المرتجلة فما هى الا (افعال قديمة جامدة) ، ومنها ماهو في دور التطور من الجمود الى التصرف الابتدائي مثل (هلمّ يا رجل) : أى تعال . يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث في لغة اهل الحجاز كقوله تعالى : (والقائلين لأخوانهم هلمّ الينا)[٨٠] ، وأهل نجد كانوا يصرّفونه فيقولون للأثنين (هلما) وللجميع (هلمّوا) وللواحدة (هلمّي) وللنســاء (هلممّن) » [٨١] . ويمضي الزمن فيقدّر للهجة الحجاز ان تتغلب على بقية اللهجات العربيــة التى كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية ، وكل « لغة غالبة تأخذ عدة مفردات وعبارات من اخواتها المغلوبة أو البادة»[٨٢] . فهذه العربية « ورثت خصائص شتى ، وعناصر مختلفة . اما من لغات عربية متوغلة في القدم عفت ودرست ، وأما من لغات

---

(٧٨) الخصائص ١/٩٩ .

(٧٩) تاريخ النحو ، لمحمد اسعد طلس . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٤ الجزء ٢ ، شباط ١٩٣٦ ص٧٢ .

(٨٠) سورة الاحزاب من الآية ١٨ .

(٨١) المباحث اللغوية في العراق ٥

(٨٢) كيف نشأت العربية ، لك. نلينو . مجلة الهــلال الجزء ١ السنة ٢٦ اكتوبر ١٩١٧ ص٤٦ .

مجاورة كان بينها وبين العربية احتكاك وصراع واختلاط»(٨٣) وهكذا فان «الوراثة اللغوية أثناء هذا التكيّف قد زالت مؤقتا ولكنها لم تزل تماما ، فهي لا تلبث أن تبرز سواء في الصوت أو التصريف والمفردات ، وهكذا فان آثارها تظهر في النصوص الشعرية التى جمعها اللغويون»(٨٤) ، وقد تمثّل ذلك في الشواهد التى امتلأت بها كتب النحو ، والتى دعاها العلماء (نادرة أو قليلة أو شاذة) مخالفة للباب الذى بوّبه النحاة للكثير من ذلك الضرب .

« ان هذه اللغة خضعت ككل شيء لناموس التطور العام ، ثم شرفت بنزول القرآن الكريم بها ، وان القرآن تناولها وهي بين يدي التطور ، لم تستقر بعد على اكمل الوجوه ، وقد ظهر هذا جليا في كل باب ومن علائمه وجود الكثرة المخالفة لما يقرره العلماء من قوانين في البناء أو الاعراب أو الاعلال أو الافعال أو الجموع أو تخصيص الموازين أو همز المعل أو التذكير والتأنيث ، بل كان لها ظواهر في كل ما من العربية في جوهرها وطبيعتها ، وفي التعدّي واللزوم ظاهرة اخرى من ظواهر قلق العربية وعدم استقرارها ، وقد غمض على علماء العربية السابقين وجه تعليله»(٨٥) ، لهذا لجأوا الى التأويل أو القول بالضرورة والندرة، أو حمل الشاهد على الشذوذ ان لم يجدوا للتأويل سبيلا ، وكان عملهم هذا لكي يعالجوا ما في اللغة من بعض الاضطراب أو الاختلاف الحاصل من جراء التطور أولا ، ويجعلوا قواعدهم مطّردة تسير على سنن واضحة منسقة في نظام بديع ثانيا . « فكل ما سمّاه النحاة شاذا أو خارجا على القواعد النحوية أو سماعيا يعتبر اثرا قديما بقي في اللغة بمثابة الرواسب ، التى تبقى في بعض فروع النهر بعد أن تجف ، وتتحول جميعا الى مجرى واحد»(٨٦) ، « فلم يفكر واحد منهم ان هذه

---

(٨٣) في اللهجات العربية واصولها اختلافها ، للدكتور عبدالحليم النجار . مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة م١٥ ج١ سنة ١٩٥٣ ص٣٧ .

(٨٤) تاريخ الادب العربى ، بلاشير ٩٠ .

(٨٥) مقدمة لدرس لغة العرب ملخص ص٢٤٣ و ص٢٤٤ بتصرف .

(٨٦) اللغة والنحو ١٠٠ .

الشواهد يمكن ان تكون رواسب قديمة وتراثا للغة العرب يوم كانت مضطربة وفي شبه فوضى ، لم توحد لهجاتها ولم تستقر وتطرد ضوابطها ، ولكنهم فهموا أو اعتبروا على الاقل ان اللغة العربية وجدت كاملة ناضجة ، وان العربي معصوم لا يخطىء »(٨٧) ، « وفي الواقع أنه ليس شاذا ولا غلطا الا انهم ارادوا وضع قواعد ، واللغات جميعا لا تلتزم القواعد»(٨٨) ، كما « حاولوا أن يخضعوا الاحوال الغالبة لها ، ولكنهم لم يفلحوا الفلاح المطلوب فقد حملوا على الشذوذ كل ما لم يستطيعوا القول فيه ، أو انهم قالوا أن ذلك خاص بالشعر»(٨٩) . وما ذلك الا لانهم « لم يتقيدوا بالاستعمال وتطور هذا الاستعمال في اللغة»(٩٠) ، لان اللغة على رأيهم توقيفية(٩١) ، ولهذا نظروا اليها أنها في حالة كمال تام ، وثابتة ليست خاضعة للتطور(٩٢) ، ومن تكن هذه نظرته للغة ، « ويذهب الى أنها توقيف أوانها موحاة الى آدم ، الى غير ذلك من الآراء ، لا يؤمن بالاستعمال ، ولا يعتد بالتطور العامل في القضايا الطبيعية والاجتماعية»(٩٣) . « والواقع خلاف ذلك ، فاننا لا ننطق الا بما نسمعه من الذين حولنا ، ونحن لا نتكلم بالعربية الا لأننا نشأنا بين قوم يتكلمونها ... واللغة كما هو معلوم عرضة للتغير والانفعال نحتا وابدالا وقلبا واستعارة فما نتفاهم به الآن يختلف دلالة ولفظا عما تفاهم به آباؤنا وما سيتفاهم به أبناؤنا »(٩٤) ، وليس أدل على تطور اللغة من انها حينما ضبطها العلماء بالقواعد ، سلكت سبيلا آخر هو تطورها في اللهجات الدارجة حيث لم تجد بعد الضبط غير هذه السبيل .

---

(٨٧) اللغة والنحو ١١٤ .
(٨٨) ضحى الاسلام ٢/٢٨٢ .
(٨٩) النحو العربي نقد وبناء ١٤٧ .
(٩٠) دراسات في اللغة ١٤١ .
(٩١) انظر الصاحبي ٥ والمزهر ج١ ص٥ وما بعدها وارشاد الفحول ١٢-١٤ .
(٩٢) انظر اللغات السامية ، نولدكه ٨٠ .
(٩٣) الخليل بن احمد الفراهيدي ٨٦ .
(٩٤) الفلسفة اللغوية ١١٣ .

منهج الكوفيين العام في الاستشهاد بالشواهد

مرّ بنا ان الكوفيين توسّعوا في السماع من العرب فسمعوا من المناطق التي سمع منها البصريون ، كما سمعوا من مناطق لم يعتد البصريون بفصاحة أهلها ، ثم اخذوا عن اعراب كثيرين لم يوثق بعضهم البصريون ، كذلك توسّعوا في الرواية فقبلوا كل ما وصلهم عن العرب من نصوص صحت روايتها عندهم ، فمن هذا المبدأ رسم الكوفيون منهجهم العام في الاستشهاد بالشواهد والقياس عليها ، فقد اعتدّوا بكل المرويات التى سمعوها وصحت روايتها عندهم دون أن يكلّفوا انفسهم مشقة تأويلها ، فاستخرجوا قواعدهم من ظاهر الكلام ، فأباحوا القياس على كل ما روي لهم عن العرب سواء كان كثيرا أو قليلا أو نادرا ، قياسيا أو شاذا (في نظر البصريين) دون مبالاة بتعدد القواعد والاصول ، ومضوا على هذا المنهج في الاستشهاد ، فكانوا يقبلون ما ينفرد به العربي مخالفا قبيلته ويقيسون عليه ، وهم على صواب ، ذلك ان العربي الاصيل قد يبتكر ويجدد وعلى هذا الابتكار والتجديد قامت لغته وعليها عاشت ونمت وارتقت ، فمضى الكوفيون في الاستشهاد بالشواهد والقياس عليها غير آبهين بطعن الطاعنين في شواهدهم التى رويت لهم ، أو القائلين بعدم صحتها أو وثاقتها لاشتهار رواتها بالكذب أو الوضع ، أو كان الشاهد منتحلا مصنوعا ، فقد استشهدوا بالشاهد المروي بروايات مختلفة وبالمجهول قائله بل وحتى بالمصنوع ، وبالبيت الواحد ، وبنصف بيت ، وقد مرّ بنا تفصيل ذلك في فصل سابق[1] . فلم يلاحظوا قياسية الشاهد أو شذوذه ، وكان ابن الانباري يقول ـ كما نقل عنه الزجاجي ـ «إن الشواذ في كلام العرب غير مدفوعة»[2] . وقد مرّ ذكر كثير من الشواهد التى استشهد بها الكوفيون وردّها البصريون لانها عندهم : اما مروية بروايات مخالفة لما استشهد بها الكوفيون ، أو

---

(١) انظر (شواهد الكوفيين) ص ١١٣ .
(٢) انظر الايضاح في علل النحو ٦١ .

شاذة لا يقاس عليها[٣] . والحق ان الكوفيين «يفسحون المجال للاستعمال ، وقد يكون الشاذ موضع بحث عوضا عن أن يكون موضع استنكار»[٤] ، « فلا يكادون يرون في الاساليب المروية شذوذا ، بل طرقا متباينة لنا ان نتخير منها مانشاء وان نترسم منها ما نشاء»[٥] ، ولا يهمهم بعد ذلك من تغيير الاصول التى وضعت سابقا لكي تتفق مع الشواهد المسموعة حين يتعارض السماع مع القياس ، على حين كان البصريون لا يغيرون الاصول وانما يحاولون جاهدين تأويل الشواهد لكي تتلاءم مع الاصول ، فان خضعت للقياس فبها والا فهي ضرورة أو شاذة لا يقاس عليها ، «فما كثر من الامور الاربعة التى تخلّفت عن القياس عند البصريين من التأويل والشذوذ والاضطرار والاستنكار قد قلّت عند الكوفيين»[٦] ، من ذلك مثلا ذهابهم الى قياس (مفعل ومفعال) مثل : مثنى وثلاث الى التسعة مع أنه لم يسمع عن العرب الا من واحد الى اربعة[٧] ، قال الرضي: « وقد جاء فعال ومفعل في باب العدد من واحد الى أربعة اتفاقا وجاء فعال من عشرة في قول الكميت :

ولم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا

والكوفيون يقيسون عليها الى التسعة نحو خماس ومخمس وسداس ومسدس ، والسماع مفقود»[٨] ، وما ذكره الرضي من فقدان السماع معناه عدم اعترافه

---

(٣) أنظر الانصاف ١/٢٩٦ و ٢/٤٥٥ واسرار العربية ١١٥ مثلا .

(٤) تاريخ الادب العربي ، بلاشير ١١٩ .

(٥) من اسرار اللغة ٣٠ .

(٦) نشأة النحو ١١٨ .

(٧) قال ابن الدهان في (شرح اللمع الورقة ١٣٥ وجه) : «اعلم ان احاد وثناء ومثنى وثلاث ورباع معدول من واحد واحد واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وبعض الناس يقيسه الى عشرة ويستدل عليه ببيت الكميت :

فلم يستريثوك حتى رميت قبيل الرجال خصالا عشارا

وبعضهم يقف على المسموع وهو من احاد الى رباع ويعتبر البيت بالشذوذ».

(٨) شرح الرضي على الكافية ١/٣٦ .

بما رواه خلف الاحمر انهم صاغوا من هذا البناء منسقا الى عشار ، لان ما أنشده عليه عزي الى أنه موضوع منه كما ذكر الحريرى في درته(٩) ، وقد انشدها ابو حيان في شرح التسهيل لخلف الاحمر(١٠) ، والابيات هى :

قل لعمرو يا ابن هند لو رأيت اليوم شنّا
لرأت عيناك منهم كلّ ما كنت تمنّى

* * *

وثلاثـا ورباعـا وخماسـا فأطعنـا
وسـداسا وسباعا وثمـانا فاجتـلدنا
وتسـاعا وعشـارا فأصبنـا وأصبنـا

والبصريون لا يعترفون بهذا ولا يقيسون عليه ، قال المبرّد : «هذه الابيات لخلف الاحمر نحلها بعض الاعراب»(١١) ، وذكر غيره أنها مصنوعة لا تقوم بهـا حجة(١٢)، ولهذا تعرّض المتنبي لوجوه من الطعن في قوله: أحاد أم سداس في أحاد فقالوا : « ان سداس غير مروية عن العرب ، وانما روي احاد وثناء وثلاث ورباع وعشار ، وهذه معدولات لا يتجاوز بها السماع ولا يسوغ فيها القياس»(١٣) . والمتنبي كما هو معلوم كوفي المذهب ولهذا استعمل ما جوزه الكوفيون ، وقد اجاب المعترضين بأن هذا البناء «حكاه أبو عمرو الشيباني وابن السكيت» وذكره ابو حاتم

(٩) درة الغواص ٩٢ .
(١٠) المزهر ١/١٠٨ .
(١١) البصائر والذخائر المجلد ٢ القسم ١٧/٢ .
(١٢) المزهر ١/١٠٨ قال الشهاب الخفاجي في (شرح الدرة ص١٩١) : « هذه الابيات موضوعة ورائحة الوضع تفوح منها ، وكان خلف الاحمر متهما بالوضع» .
(١٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٩٩ .

في كتاب الأبل ، وهؤلاء ثقات لم يحكوا الا ما علموا»[١٤] • وقد تمسك البصريون بأصولهم في هذه المسألة ، فلم يقبلوا من هذه المعدولات الا ما سمع منها ، والقرآن الكريم وهو أفصح كلام وابلغه ، ليس فيه ـ كما ذكر السيوطي ـ من الالفاظ المعدولة الا الفاظ العدد «مثنى وثلاث ورباع»[١٥] ولهذا كان البصريون ومن سار على مذهبهم من المتأخرين يوجهون النقد الى قاعدتهم في الاستشهاد بالشواهد والقياس عليها ، لاختلافها البيّن عن قاعدتهم • قال الشاطبي في شرح الالفية : « وللكوفيين قاعدة يبنون عليها القياس ، وهي أنهم قد يعتبرون اللفظ الشاذ فيقفون عليه ويبنون على الشعر الكلام من غير نظر الى مقاصد العرب ، ولا اعتبار بما كثر أو قل»[١٦] • واليك مثالا آخر يوضح اختلاف الكوفيين والبصريين في الاستشهاد والقياس : ذكر السيوطي ان الفراء كان يجيز كسر النون في (شتّان) تشبيها بـ (سيّان) • ثم قال : «وهو خطأ بالاجماع ، فان قيل : الفراء ثقة ولعلّه سمعه • فالجواب : ان كان الفراء قاله قياسا فقد اخطأ القياس ، وان كان سمعه من عربي فان الغلط على ذلك العربي لانه خالف سائر العرب واتى بلغة غير مرغــوب فيها»[١٧] •

ان منهج الكوفيين العام «يقوم على الاعتماد على المسموع من كلام العرب ، والميل عن تحكيم المقاييس العقلية في القضايا النحوية»[١٨] ، وهو « في جملته مستمد من منهج اصحاب الحديث ، ورواة الادب ••• مما جعلهم يحتكمون الى الرواية اكثر مما يحتكمون الى قضايا المنطق ، وأصول علم الكلام»[١٩] ، وقد ظهر هذا جليا في الحجاج الذى كان يجري بين رجال المدرستين البصرية والكوفية

---

(١٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٤٥٧ •
(١٥) الاتقان في علوم القرآن ٢/٣٠٥ •
(١٦) المواهب الفتحية ١/٤٢ـ٤٣ •
(١٧) المزهر ٢/٣١٤ •
(١٨) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٤٣٤ •
(١٩) المصدر نفسه ٣١٨ •

في المجالس والحلقات التى كانوا يلتقون فيها ، حيث كان كل فريق يدلي بما عنده من شواهد وحجج وبراهين لتأيد واسناد مذهبه ، فقد امتاز الكوفيون بحشد الشواهد الكثيرة والاستعانة بالنقل كثيرا في أغلب المسائل ولكنهم عدموا القدرة الفائقة التى برع بها البصريون في التأويل والتخريج ، اذ ان البصريين كانوا يستطيعون رد أي شاهد لا يتفق مع القاعدة وتأويله اذا امكن ، واذا ما علمنا « ان البيت اذا انفرد احتمل تأويلات كثيرة»[٢٠] وان أغلب الشواهد أبيات منفردة ، علمنا مقدار ما أوّله البصريون من شواهد الكوفيين وردّوها لقبولها التأويل واذا لم يمكنهم تأويله حملوه على الضرورة أو الشذوذ الذى لا يقاس عليه عندهم . ومما يدل على ضعف الكوفيين في تعليل الاشياء وعدم توجيههم الكلام كما كان يفعل البصريون الذين حذقوا صناعة الجدل وبرعوا في التعليل ، ما ذكره الزجاجي من أنه يذكر الاجوبة عن الكوفيين على حسب ما سمعه مما يحتج به من ينصر مذهبهم من المتأخرين ، ومما قاله : « لانا لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة ، بل لعلّ اكثر الفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم ، وكثير من الفاظهم قد هذبها من نحكي عنه مذهب الكوفيين ، مثل ابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخياط ، وابن الانباري ، فنحن انما نحكي علل الكوفيين على الفاظ هؤلاء ومن جرى مجراهم مع انه لا زيادة في المعنى عليهم ، ولا بخس حظ يجب لهم[٢١]» ، على أنه وان كان في قول الزجاجي بعض المبالغة نتيجة المنافسة بين البصريين والكوفيين ، التى اذكى اوارها ابو العباس (المبرّد) البصري المتوفى سنة ٢٨٠هـ ، وابو العباس (ثعلب) الكوفي المتوفى سنة ٢٩١هـ وبقيت آثارها بعدهما مدة طويلة ، الا أن فيه دلالة كافية لما تقدم ذكره من عدم براعة الكوفيين في التعليل وتخريج الكلام كالبصريين ، «لأنهم انتهجوا نهجا باجراء الكلام في الغالب على حسب الظاهر ، والتخفف والتقلل من صور الحذف والتقدير

---

(٢٠) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/٢٨٧ .

(٢١) الايضاح في علل النحو ١٣١-١٣٢ .

والتهوين من شأن العامل ، وهو المنهج الذى انتهجه استاذهم الكسائي.[٢٢] . فمن امثلة تخففه من العامل وعدم الاخذ به دائما اجازته حذف الفاعل[٢٣] تخلّصا من التأويل والتقدير كما في التنازع عند اعمال الفعل الثاني[٢٤] . ومن اقواله النحوية أن (ليس) اجريت في النسق مجرى لا ، أي تكون حرف عطف ، وقد رد بعض البصريون قوله هذا . قال احمد بن فارس : « وخطأ (رأيت زيدا ليس عمرا) لانه عندهم . كالمحال اذ لا يكون فعل بدون فاعل»[٢٥] . ومن ادلّة اخذه الكلام على ظاهره وعدم تعمّقه بالعلل النحوية جوابه لمن سأله في مجلس يونس بن حبيب : لم لا يقال لأضربنّ أيّهم قام ؟ فقال : (أيّ كذا خلقت)[٢٦] . وسار الكوفيون متأثرين بخصائص منهج استاذهم العامة في النحو ، فقد كان الفراء يذهب الى أن (حاشا) فعل لا فاعل له ، ولم يقبل البصريون ذلك . قال السيرافي : «هو كالمحال ، لأن الفعل لا يكون بغير فاعل»[٢٧] . كما كان الفراء احيانا يترك التقدير وذلك عند اعرابه (أحد) في قوله تعالى : (وان احد من المشركين استجارك فأجره)[٢٨] فأعراب أحد عنده أنه مرتفع بالعائد الذى عاد اليه ، وهو ضمير الفاعل الذي في استجارك ، وليس بفعل محذوف يفسره المذكور – عند البصريين – والتقدير : وان استجارك احد من المشركين استجارك فأجره[٢٩] . ومما قيل عن (ثعلب) وهو امام كبير من أئمتهم أنه « لم يكن يعلم مذهب البصريين ، ولا مستخرجا للقياس ، ولا طالبا له ، وكان يقول : قال الفراء ، وقال الكسائي ،

---

(٢٢) الكسائي ، للاستاذ كمال ابراهيم ، مجلة الاستاذ – كلية التربية – جامعة بغداد المجلد ١٣ سنة ١٩٦٦ (ص١٦ مستلات) .
(٢٣) شرح شذور الذهب ٦١ .
(٢٤) شرح الرضي على الكافية ٢/٤٧ .
(٢٥) الصاحبي في فقه اللغة ١٤١ .
(٢٦) الخصائص ٣/٢٩٢ .
(٢٧) البصائر والذخائر المجلد ٢ القسم ١/٢٤٩ .
(٢٨) سورة التوبة من الآية ٦ .
(٢٩) انظر شرح المفصل ١/٨٢ .

فاذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء ، أو لم يغرق في النظـــر،[٣٠] ، وليس أدل على أن الكوفيين لم يكونوا كالبصريين يتقنون أســـاليب الحجاج والجدل مما دار بين (ثعلب) و (المبرّد) من حوار في احدى المجالس التي ضمتهما ، فقد سئل ثعلب عن همزة بين بين ساكنة أم متحركة ؟ أجاب : لا ساكنة ولا متحركة . قال المبرّد : ان قوله لا ساكنة قد أقرّ انها متحركة ، وقوله : ولا متحركة قد أقرّ بأنها ساكنة ، فهي ساكنة لا ساكنة متحركة لا متحركة ! فرد عليه ثعلب : فلم سميت بين بين ؟ فأجابه المبرّد : لأنها خففت فقـــد جعلت بين الهمزة وبين ما منه حركتها[٣١] . ومن هذا يتبين لنا الفرق بين تفكير الكوفيين والبصريين ونظرتهما الى مسائل النحو واللغة ، وما ذلك الاّ لاختلاف العقليتين البصرية والكوفية ، « عقل مصبوغ بالصبغة الفلسفية المنطقية ، وعقل لا يرتفـع الى هذه المنزلة الاّ في حدود ضيّقة»[٣٢] . فالنداء والمنادى : يرفع وينصب بلا عامل عند الكوفيين[٣٣] ، كما ذهبـــوا الى أن المبتـــدأ والخبر مترافعان[٣٤]، وقد رد عليهم البصريون متأثرين بفلسفة العـــامل بأن ما ذكـــروه يؤدي الى محال[٣٥] .

ان هذا المنهج الذى سار عليه الكوفيون من عدم التعمق في التعليل والتخفف من العامل وأخذ الكلام على ظاهره ، والاستعانة بالشواهد الكثيرة ، دون تأويلها ، جعل بعض الباحثين المحدثين يذهبون الى «أن عناية الكوفيين قد اتجهت منـــذ نشأتهم الى جمع اللغات والنصوص اكثر من ملاحظة الظواهر اللغوية»[٣٦] ،

---

(٣٠) طبقات النحويين واللغويين ١٥٥ـ١٥٦ ، انباه الرواة على انباه النحاة ١٤٤/١ .
(٣١) مجالس العلماء ١٢٣ .
(٣٢) المدارس النحوية ٢١ـ٢٢ .
(٣٣) الموفي في النحو الكوفي ٦٤ .
(٣٤) شرح الاشموني ٩٠/١ .
(٣٥) انظر الانصاف م٥ ج٤٨/١ .
(٣٦) تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ١٢٥/٢ .

والى «أن أهميتهم بوجه خاص في جمع الأشعار القديمة والتعبيرات الشعبية النادرة ، أما النحو بمعناه الدقيق وتنظيمه وتعليل ظواهر الصيغة والتركيب فقد كانت عنايتهم به قليلة»[٣٧] ، « فكانت مدرستهم مدرسة آداب اللغة العربية على الاكثر دون بقية العلوم»[٣٨] . وهذا صحيح اذا ما نظرنا الى النحو كما ينظره البصريون ولاسيما المتأخرون منهم وفكرنا بعقليتهم وقلنا « إن النحو كلّه قياس فمن انكر القياس فقد انكر النحو كما يقول الانباري»[٣٩] . اما الواقع فان نحاة الكوفة «يمتازون بفهم العربية فهما حقيقيا لا يستند الى تكهنات تعملية وفلسفات عندية تملي على العربية ولا تأخذ منها »[٤٠] .

تأثر الكسائي مؤسس المدرسة النحوية الكوفية وهو احد القراء السبعة « بمنهج القراءة الذي طبع عليه منذ نشأته الاولى من الاخذ بالرواية المنقولة كثيرة كانت أم قليلة ، مادامت صحيحة الاسناد ، ولا يرى طرح هذا القليل كما لا يراه سائر القراء ، ورأى ان النحو ينبغي ان يساير هذا النهج الذي سار عليه القراء »[٤١] ، وقد تأثر الكوفيون تأثرا كبيرا باستاذهم فساروا على منهجه ، « فخصائص منهجه الدراسي هى نفس الخصائص في المنهج الكوفي بوجه عام ، فالكوفيون الذين تكونت بهم مدرسة الكوفة انما هم تلاميذه ، الآخذون عنه ، المتأثرون به ، وهم جميعا متفقون على الاسس العامة التى انبنى عليها مذهبه ، بالرغم من تعارض وجهات النظر عندهم احيانا ، واختلافهم في بعض الأصول والمسائل»[٤٢] ،

---

(٣٧) مقدمة الانصاف ، كوتولد فايل ٥ .
(٣٨) تاريخ الكوفة ١٢٧ .
(٣٩) الاقتراح ٣٨ .
(٤٠) مقدمة لدرس لغة العرب ١٨٠ .
(٤١) الكسائي رئيس مدرسة الكوفة النحوية ، للاستاذ كمال ابراهيم ، مجلة الاستاذ ، كلية التربية _ جامعة بغداد المجلد ١٣ سنة ١٩٦٦ (ص٨ مستلات) .
(٤٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٤٣٣ .

ومثل هذا الاختلاف حاصل في المدرسة البصرية • «رأى الكسائي ان هذه اللغة انما هي ما نطق به أهلها ، على أي صورة كان ، كثيرا كان ذلك في الاستعمال أو قليلا ، مادام هذا الناطق أو الناطقون من ذوي الفصاحة الموثوق بفصاحتهم ، ولم يداخل الفساد لغتهم ، ولا خالطوا من اختلت ألسنتهم أو خارت سلائقهم ، ورأى ان للغة ذوقها الخاص وطبيعتها المتميزة ، فينبغي الرجوع الى ذلك ، والتقيد به ، فهي التي تقيدنا باستعمالاتها ، وليس من حقنا نحن أن نقيّدها ونحصرها في قوالب نتواضع عليها نحن هي غير ما تواضع عليه اهلها»(٤٣) ، وهذا ما جعله عرضة لنقدات البصريين الذين اعتبروا عمله هذا افسادا للنحو ، قال ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذى لا يجوز الا في الضرورة فيجعله اصلا ويقيس عليه فأفسد بذلك النحو»(٤٤) ، وهو في الواقع ليس بافساد وانما هو اختلاف وجهتي النظر فيما يقاس عليه وما لا يقاس ، لأن الكسائي اتبع منهجا يختلف عما اعتاده البصريون في القياس ، فقد خالفهم بأخذه بظاهر النص وعدم لجوئه الى تأويل الشواهد ، وتقليله من التقدير والحذف ، وبذلك يعتبر الكسائي « اول من فتح ابواب التيسير في النحو ، وشق طريقا جديدة كانت موضع بحث ونظر لمن جاء بعده الى اليوم»(٤٥) •

وكما كان البصريون يقيسون احيانا على النادر جاعليه في حكم الكثير اذا كان لا نظير له ، وقد أطبق العرب على النطق به ، ولم يأت عنهم ما يخالفه(٤٦) ، كذلك كان الكوفيون يقيسون احيانا على الكثرة التى يرتضيها البصريون(٤٧)

---

(٤٣) الكسائي ، للاستاذ كمال ابراهيم ، مجلة الاستاذ المجلد ١٣ سنة ١٩٦٦ (ص١٥ مستلات) •
(٤٤) بغية الوعاة ٢/١٦٤ •
(٤٥) الكسائي ، للاستاذ كمال ابراهيم ، مجلة الاستاذ المجلد ١٣ سنة ١٩٦٦ (ص١٦ مستلات)
(٤٦) انظر الكتاب ٢/٧٤ والخصائص ١/١١٥ـ١١٦ ، ٣٨٥ والاقتراح ٤٠ •
(٤٧) انظر الانصاف ٢/٤٩٣ـ٥١٢ م٧٠ •

ولاسيما الفراء الذى تأثر بالبصريين كثيرا فكان متشددا في السماع يحب القياس على الكثير ، فهو يقول : « وذلك عربي كثير في الكلام»(٤٨) . وقال ايضا عند كلامه على الجمع بين صيغة الافعال والباء في قراءة من قرأ : (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار)(٤٩) . قال : « ولست استحب ذلك لقلته»(٥٠) .

الكوفيون بين السماع والقياس :

اهتم الكوفيون بالسماع الكثير كما اخذوا بالقياس بصورة واسعة ، فقد قاسوا على كل ما وصلهم عن العرب مما صحت روايته عندهم ، ولم يبالوا بالنادر أو الشاذ كما اسلفنا واذا ما عرفنا ان « اهل الكوفة قد خالفوا أهل البصرة في طائفة من أسس الاستنباط والقياس في الفقه والتشريع والكلام ، كان خلافهم واياهم على هذا الاساس في النحو واللغة ايضا ... ويمكننا ان نقول ان القياس النحوي لدى الكوفيين كان اكثر شمولا واطلاقا من القياس لدى البصريين لانه يشمل القياس على الغالب الشائع وغير الغالب الشائع من كلام العرب»(٥١) ، « فربما اكتفوا بالشاهد الواحد فاستنبطوا منه قاعدةعامة، وبالغوا فيالاقيسةالنظرية»(٥٢)، فمن أقوال الكسائي :

إنما النحو قياس يتبع ... وبه في كل أمر ينتفع(٥٣)

ومما يدل على أخذ الكسائي بالقياس كثيرا ما ذكره الفراء حيث قال : « وزعم

(٤٨) معاني القرآن ١/٦١ .
(٤٩) سورة النور من الآية ٤٣ .
(٥٠) معاني القرآن ١/١٩ .
(٥١) مدرسة الكوفة النحوية ، محاضرات للاستاذ كمال ابراهيم على طلبة الماجستير ١٩٦٧-١٩٦٨ .
(٥٢) منطق ارسطو والنحو ، للدكتور ابراهيم بيومي . مجلة الازهر المجلد ٢٣ ج ١٠/١٩٥٢ ص٤١ .
(٥٣) تاريخ بغداد ١١/٤١٢ ، معجم الادباء ١٣/١٩١ ، كتاب الورقة ٢٥ .

الكسائي انه سمع : (ما يفعل هذا الا خصيصاء القوم • وكذلك فيضوضاء بينهم) • فسمع في هذا المد والقصر واجاز المد فيه على القياس»[٥٤] • ولم يقبل الفراء قياس الكسائي هذا وقال : « لم يسمع احد من العرب يمدّ شيئا من هذا ولم يجز»[٥٥]. وكذلك ما جاء في نوادر (أبي مسحل) الاعرابي : « يقال : ولدت المرأة بكرها ، وثنيها ، وواحد بطنها وأثني بطنها • وقال الكسائي : يجوز ثلاثة بطنها ، وأربعة بطنها في القياس ، ولم نسمعه منهم»[٥٦] • فالكسائي « إعتمد القياس المطلق ، على كل ما سمع من كلام العرب ، غالبا أو قليلا ، وأخذ به ، وعدّه فصيحا»[٥٧]. وصواب قول من قال انه « كان من الحق الا ينساق الكسائي في سلوك هـــذا الطريق [أي القياس] وذلك لانه من اصحاب الروايةفهو احد السبعةفي القراءات ، والقراءة تعتمد على الرواية ، ومعنى هذا أنه كان ينبغي ان يعتمد على السماع ولا يأخذ نفسه بالأقيسة التى تبتعد شيئا فشيئا عن طبيعة اللغة»[٥٨] ، ولكن ربما سلك الكسائي هذه الطريق متأثرا بمنهج أهل العربية القائم على القياس ، فقد « كان يجتذبه منهجان متباينان ، منهج مقيد بالنقل وليس للعقل من سلطان عليه» وهو منهج أهل القراءة ، القائم على الرواية ••• ومنهج مقيّد بالعقل ، ويحاول اخضاع النقل لاحكامه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وهو منهج أهل العربية ، القائم على القياس»[٥٩] •

وقد سار الفراء في أثر استاذه الكسائي في « تيسير النحو فزاد عليه كثيرا ووسع من دائرته ، ولكنه من الناحية الأخرى توسع في التعليل كما كان يفعل

(٥٤) المنقوص والممدود ١٦ •
(٥٥) المنقوص والممدود ١٦ •
(٥٦) نوادر ابي مسحل الاعرابي ١/٣٣١ •
(٥٧) الكسائي رئيس مدرسة الكوفة النحوية ، للاستاذ كمال ابراهيم المجلد ١٣/١٩٦٦ (ص٧ مستلات) •
(٥٨) الفعل زمانه وأبنيته ٨ •
(٥٩) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ١٣٦-١٣٧ •

البصريون»[٦٠] ، كما كان « يسلك في الفاظه كلام الفلاسفة»[٦١] ، ويتوسع في القياس ، فمن توسعه فيه قوله في حديثه على جمع كلمة (الخميس) : « وكذلك الأخاميس ، والخمس ، على الباب كما تقول : قميص وأقمصة ، ولم اسمعه من العرب »[٦٢] . وقال أيضا : « ويقال : جمادى ، والتثنية : جماديان ، والجمع: جماديات . هكذا جاء عن العرب بضم الجيم لاغير ، ولو جاء جماد ، بالكسر ، كان صوابا»[٦٣] ، ولتوسّعه في القياس ، كان متشددا في السماع ـ احيانا ـ لهذا كان ينظر الى القراءات نظرة تختلف عن نظرة جمهور الكوفيين فهو ينظرها من الزاوية التى ينظر اليها النحوي القيّاس على أنها كانت بتخير واجتهاد القراء ، لا أنها سنّة يأخذها الاول عن الآخر حتى تنتهي الى رسول الله (ص) ، ولهذا كان يردد قوله في بعض القراءات : « ولست اشتهي ذلك »[٦٤] ، أو يقول : « ولو قرأ قاريء كذا لكان صوابا»[٦٥] ، الى غير ذلك مما سيأتي ذكره مفصلا في موضعه .

لقد توسع الكوفيون في القياس لدرجة انهم كانوا يعتمدون عليه احيانا دون السماع . فالحق ان الكوفيين وان كانوا في كثير من المسائل التى اختلفوا فيها مع البصريين يستشهدون بكثير من الشواهد ، ويعتمدون فيها على السماع

---

(٦٠) الكسائي ، للاستاذ كمال ابراهيم ، مجلة الاستاذ م١٣/١٩٦٦ (مستلات ص١٦) .

(٦١) الفهرست ١٠٥ انظر تعليله الضم في (أيهم) في قولهم : (سل أيهم قام) في معاني القرآن ١/٤٦ـ٤٧ .

(٦٢) الايام والليالى ٤ .

(٦٣) الايام والليالى ١٠ .

(٦٤) انظر معاني القرآن ١/١٢٤ و ١٢٥ و ٢/٥٣ .

(٦٥) انظر معاني القرآن ١/١٠١ و ٢/٤٠١ .

وحده[٦٦] ، أو السماع والقياس[٦٧] ، الا أنهم كانوا في بعضها يعتمدون على القياس فقط ، من ذلك مثلا (المسألة التاسعة) وهي : القول في تقديم خبر المبتدأ ، فقد منع ذلك الكوفيون محتجين بالقياس ، وأجازه البصريون معتمدين على السماع والقياس • قال الانباري : «واما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : انما جوزنا ذلك لانه قد جاء كثيرا في كلام العرب وأشعارهم ، فأما ما جاء في كلامهم فقولهم في المثل : (في بيته يؤتى الحكم) أو قولهم : (في اكفانه لفّ الميت) و : (مشنوء من يشنؤك) • وحكى سيبويه : (تميمي أنا) فقد تقدم الضمير في هذه المواضع كلّها على الظاهر ، لان التقدير فيها : الحكم يؤتى في بيته ...»[٦٨] • والحق ان البصريين قد استشهدوا بجملة صالحة من شواهد النثر كما تقدم ، ومن الشعر ايضا ، أما الكوفيون فقد اكتفوا بالقياس ، فلم يحالفهم التوفيق في هذه المسألة •

ان الكوفيين في توسعهم في القياس كانوا يأخذون احيانا بالقياس النظري حين لا يجدون شاهدا ، من ذلك على سبيل المثال ما ذكره الرضي والاشموني من أن الكوفيين والاخفش اجازوا لتوكيد المثنى المذكر : اجمعان • ابصعان • أبتعان والمثنى المؤنث : جمعاوان ، كتعاوان • بصعاوان • بتعاوان • كقولهم : جاء الزيدان اجمعان ، والهندان جمعاوان • قياسا معترفين بعدم السماع[٦٩] • ومن

---

(٦٦) انظر الانصاف ١/٥٨_٥٩ م٨ و ١/٩٧_١٠٤ م١٤ و ١/٢٦٦_٢٦٧ م٣٥ و ١/٢٧٣_٢٧٦ م٣٦ و ١/٢٧٨_٢٨٠ م٣٧ و ١/٢٩٤_٢٩٦ م٣٩ و ١/٣١٢_٣١٣ م٤٣ و ١/٣٣٦ م٤٦ و ١/٣٤١_٣٤٣ م٤٧ و ١/٣٤٧_٣٤٩ م٤٨ و ١/٣٧٠_٣٧١ م٥٤ و ١/٣٩٣_٣٩٥ م٥٧ و ٢/٤٢٧_٤٣١ م٦٠ و ٢/٤٣٦_٤٣٧ م٦١ و ٢/٤٩٣_٥١٢ م٧٠ و ٢/٥٨٥_٥٨٩ م٨١ مثلا •

(٦٧) انظر مثلا المسألة ١٢ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٢ و ٣٣ و ٤١ و ٥١ و ٥٢ و ٥٥ و٦٣ و ٧١ و ٧٢ و ٨٠ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٧ و ٩٤ و ٩٥ و ١٠٠ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٠ من الانصاف •

(٦٨) الانصاف ١/٦٥_٦٦ •

(٦٩) شرح الرضي على الكافية ١/٣٠٩ ، شرح الاشموني ٢/٤٠٧ •

ذلك ايضا تجويزهم عطف المفرد بـ (لكن) بعد الاثبات قياسا على (بل) ، وليس لهم به شاهد ، ولم يقبله البصريون لانه لم يسمع عن العرب[٧٠] • كما ذهبوا الى جواز : « ما أكون زيدا لاخيك ، وحكى عنهم ابن السراج والزجاج : ما أكون زيدا قائما ، في التعجب ، ولم يأت به سماع،[٧١] • ولاشك ان السماع أصل من اصول النحو كما ذكرنا ، وان الضوابط والاصول يجب أن توضع موافقة لواقع اللغة محاكاة لنطق أهلها ، فمن الواجب ان يقدم السماع على القياس ، وقد كان البصريون يقولون « إن السماع يبطل القياس»[٧٢] • وربما كان أخـذ الكوفيين بالقياس النظرى انهم تابعوا في ذلك صنيع بعض أئمة النحويين البصريين كعيس بن عمر ويونس والاخفش ، فقد كانوا احيانا يقيسون بلا شاهد ، فقد ذكر الرضي أن يونس والاخفش ، اجازا اعمال (لكن) مخففة وعدم الغائها • ثم قال : « ولا أعرف به شاهدا»[٧٣] ، وقال المازني : « وكان أبو الحسن الاخفش يجيز أن تبني على ما بنت العرب ، وعلى أي مثال سألته ، اذا قلت له : أبن لي من كذا مثل كذا ، وان لم يكن من امثلة العرب ، ويقول : أنما سألتني أن أمثّل لك ، فمسألتك ليست بخطأ وتمثيلي عليها صواب»[٧٤] • الكوفيون كما ذكرنا في (التمهيد) تلقّوا دراستهم الأولى في النحو على أئمـة البصريين فأخذوا عنهـم اصولهم ، فمن المحتمل أنهم قد تأثروا بهم في هذا الصدد ، أما الاخفش الذى كان ـ كما يذكر ابو الطيّب اللغوي ـ معظمـا في النحو عنـــد البصريين والكوفيين[٧٥] ، فقد قرأ الكسائي عليه كتاب سيبويه مرتين كما ذكر المبرّد

---

(٧٠) شرح الرضي على الكافية ٣٥٢/٢ ، شرح شذور الذهب ١٥٣ •

(٧١) شرح التصريح على التوضيح ١١٥/٢ـ١١٦ •

(٧٢) خزانة الادب ٥٥٩/٣ •

(٧٣) شرح الرضي على الكافية ٣٣٥/٢ •

(٧٤) المنصف : شرح تصريف المازني ١٨٠/١ •

(٧٥) مراتب النحويين ٦٨ •

سماعا من أبي حاتم(٧٦) • وقد عاش الاخفش حياته الاخيرة في بغداد ، حيث غادر البصرة اليها بعد رجوع سيبويه خائبا في المناظرة المشهورة مع الكسائي ، وذلك للانتقام لسيبويه من الكوفيين ورد اعتبار البصريين(٧٧) ، غير أن علاقته توثقت بالكسائي فطلب اليه تعليم أولاده(٧٨) • وكان الكوفيون يجلّونه ، فقد كان ثعلب يفضل الاخفش ويقول : « كان أوسع الناس علما»(٧٩) • فمثل هذه العلاقة الوثيقة بين الاخفش والكوفيين لابد أن تحدث تبادلا في الافكار ، وتأثيرا متبادلا في الآراء ، وقد ظهر هذا واضحا في كثير من المسائل التى وافق فيها الاخفش الكوفيين ، على أنه لا يمكن الجزم بأن الآراء التى خالف بها الاخفش البصريين ووافق فيها الكوفيين فيها هي آراء خاصة للكوفيين فمن المحتمل أنها آراؤه وقد صادفت هوى من الكوفيين • كما أن من المحتمل ان تكون مما توافق الكوفيون والاخفش قبل أن يكون هذا اللقاء بين الطرفين •

وربما كان ما ذكر سابقا عن قلّة الاعراب الوافدين الى الكوفة لبعدها عن البوادى العربية في جزيرة العرب ، سببا آخر لاندفاعهم الزائد نحو التوسع في القياس واخذهم بالقياس النظري ، واليه ذهب بعض الباحثين(٨٠) ، وقد كان الاجدر بالكوفيين وهم الذين عرفوا بأنهم أهل (سماع) أن لا يركنوا الى هذا المذهب في البحث ، لأنه يبعد اللغة عن واقعها ويعطي لها صورة مخالفة لها ، فالقواعد توضع بموجب الشواهد الصحيحة الفصيحة ولا توضع بدونها •

---

(٧٦) الفهرست ٩٣ •
(٧٧) طبقات النحويين واللغويين ٧١ •
(٧٨) طبقات النحويين واللغويين ٧١ ، انباه الرواة ٢/٣٥٠ •
(٧٩) اخبار النحويين البصريين ٤٠ •
(٨٠) الشيخ احمد الاسكندري في (تاريخ الادب العربى) ص٩٥ والشيخ محمد الطنطاوي في (نشاة النحو) ص١٣١ •

بعض المآخذ على النحاة جميعا في استشهادهم بالشواهد

كانت غاية واضعي النحو الاولين من البصريين حفظ لغتنا العربية وصيانتها، فوضعوا النحو وسيلة لحفظ الكلام العربي من اللحن والفساد ، وصيانة مبناه من الخلل . ولكن هذا النحو الذى وضع في الاساس لخدمة اللغة صار بمرور السنين وبتأثر أئمته الذين ظهروا في تاريخه بالعلوم الاخرى كأصول الفقه والفلسفة والمنطق قيدا لهذه اللغة يتحكم فيها وفي ألسنة متكلميها من العرب الخلّص ، فانحرف عن الغاية السامية التى وضع من أجلها ولاسيما بعد ان ترجمت الكتب في الفلسفة والمنطق في القرن الرابع ، حيث «اجرى النحاة صناعة العربية مجرى العلوم بحثا وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب ، الا أن أعربوا شاهدا أو رجّحوا مذهبا من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته ، وما ذلك الا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه»[1] ، فأدخلوا على النحو أشياء ليست من طبيعته ولا من أهدافه ، فهذا ابن الاثير يقول : « فاذا نظرنا الى ضرورته وأقسامه المدونة [أى النحو] وجدنا اكثرها غير محتاج اليه في افهام المعاني»[2] ، «فطبيعة النحو أن تؤخذ احكامه من الاستعمالات العربية الفصيحة ، ويكون الاساس في القواعد العربية والاحكام اللغوية أن يرجع فيها الى الاستعمال العربي»[3] ، فتؤخذ منه الشواهد الفصيحة التى لا تحتمل ضرورة ، وتوضع الاحكام النحوية بموجبها ، ولكن النحاة « لم ينهجوا في دراستهم النحو منهجا لغويا ، ولم يدركوا أن الاحكام النحوية لا تستنبط من خارج الدرس النحوي ، ولكنها تستنبط من

(١) مقدمة ابن خلدون ٥٦١ .
(٢) المثل السائر ١/١٠ .
(٣) البحوث والمحاضرات ، تعقيبات للاستاذ محمد علي النجار ص٦٩ .

الدرس النحوي نفسه ، ومن الاستعمالات التى توجه النحو توجيها لغويا لا ينبني على منطق العقل»[٤] .

ان اللغة العربية لغة واسعة تضم متكلمين من قبائل متعددة ، وهذه القبائل وان كانت تتكلم بلغة أدبية موحدة ، الا أن هذه اللغة لا تخلو من عناصر أو مفردات أو اساليب مما أميت أو انصهر فيها من لغات ، ثم أنها قد مرّت في ادوار عديدة من التطور ، وهذا قد ظهر أثره في وجود الاختلاف في الجموع والتذكير والتأنيث وفي الشواهد المخالفة للكثير الشائع وغير ذلك . وكان الواجب مراعاة ذلك وتعليل هذا الاختلاف تعليلا تاريخيا وصفيا ومعالجته ، لا التخلص منه بحمله على الشذوذ ، ويتم هذا بالاستقراء الكثير للغة والبحث عن جذورها التاريخية . ولم يعد الصواب من وصف طريقة النحاة بأنها «طريقة استدلالية ضعيفة جدا ، لانها نوع من الاستقراء يعتمد الشاهد والشاهدين ليصوغ عليهما ويقرر منهما مذاهب متشبعة ، وعنه نشأ تزيّد الاقوال في المسألة الواحدة»[٥] ، على حين « اتسم التفكير اللغوي في العصر الحديث بموضوعية البحث ، واقتنع اللغويون بأن يكونوا وصافين للظواهر اللغوية لا مفلسفين لها»[٦] ، وينظروا الى الشواهد المخالفة للكثير الشائع نظرة تاريخية آخذين تطور اللغات بنظر الاعتبار .

إن البصريين وان « كانوا اكثر حرية وأقوى عقلا ، وان طريقتهم [كانت] اكثر تنظيما وأقوى سلطانا على اللغة»[٧] ، وان مذهبهم «أصح قياسا»[٨] وأتقن دراية ، الا «أنهم في تشددهم وتحكيم قوانينهم ، ضيّقوا على العربية واسعا في

---

(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه ١٥٣ .
(٥) الشيخ عبدالله العلايلي في (مقدمة لدرس لغة العرب ص٣) .
(٦) دراسات نقدية في النحو العربي/المقدمة هـ .
(٧) ضحى الاسلام ٢/٢٩٦ .
(٨) الاقتراح ٨١ .

كثير من المواطن التي تتطلب السعة ، حتى لقد ضاق النحو الذى قدّروه بمقاييسهم على أن يسع نفسه ، وهو في ريعان شبابه ، ونعومة اهابه ، فوقعوا في تلحين خاصتهم وكبار أئمتهم ، فقالوا لحن سيبويه في كتابه ، ولحن فلان وفلان وهم من أئمة هذا الشأن»[٩] . ولهذا لا أتفق مع الاستاذ سعيد الافغاني الذي ذهب مذهب القياسين ونظر الى التناسق والتماسك في اصول البصريين النحوية[١٠] ، ولم ينظر الى المقدار الضخم من الشواهد التي أوّلت أو اهملت وعدت : ضرورة أو نادرة أو شاذة ، والعدد الكثير من العلماء الذين خطئوا وعلى رأسهم سيبويه وغيره من الائمة ، وجمع من أفاضل القراء وعديد من فحول الشعراء بسبب هذا التنسيق والتماسك الذى أعجب به الافغاني . أما الكوفيون « الذين كانوا أقل حرية وأشد احتراما لما ورد عن العرب»[١١] ، ومذهبهم « اكثر تشعبا وأوسع رواية»[١٢] ، « فلعلهم من هذه الوجهة ، كانوا أقرب الى الانصاف العلمي التاريخي ، اذ كانوا يرون أن العرب أولى وأحق بلغتهم ، فلهم أن يسلكوا في التعبير ما تهيأ لهم من وسائل ، وان يكيّفوا لهجاتهم طبقا لما تقضي به نواميس الاختلاف القبلي وما يتبعه من عوامل مادية ومعنوية تختلف بسببها ألسنتهم وعلى اللغويين أن يسجلوا ذلك ويجمعوه اذا حرصوا على التعرّف الى العربية المطلقة ، كما على النحويين ان يتتبعوا ذلك كلّه ويحصوه بضوابطهم ومقاييسهم»[١٣] ، ولاشك في أن منهج الكوفيين فيه تيسير للغة وقواعدها وتمكين لها على التجدد ومسايرة الزمن : « وان في نحوهم آراء كثيرة تفضل آراء البصريين»[١٤] ، وهذا

---

(٩) نظرات في اللغة والنحو ١٢ .
(١٠) في اصول النحو ١٩٥ .
(١١) ضحى الاسلام ٢/٢٩٦ .
(١٢) نظرات في اللغة والنحو ١٢ .
(١٣) في اللهجات العربية واصول اختلافها ، للدكتور عبدالحليم النجار ، مجلة كلية الآداب ــ جامعة القاهرة المجلد ١٥ ج١/١٩٥٣ ص٤٨ .
(١٤) المباحث اللغوية في العراق ٩ .

« لا يعني أن النتائج التي توصل اليها الكوفيون صحيحة كلها»[١٥] .

اما القياس الذى أخذ به النحويون البصريون منهم والكوفيون وسواهم ، على تفاوت مقدار الاخذ ، وعد اصلا من أصول هذا العلم ، فقد كان الغرض منه هو اخضاع ما جاء مخالفا للقاعدة التى طرّدوها في جميع الباب ، وكأنما اللغة شيء يمكن التحكم به كما يتحكم الانسان بشيء يعمله بيده ، فليس من طبيعة اللغات الخضوع للقياس ، لان لها نظامها الذي تسير عليه ، ومنطقها الخاص بها ، فهي ظاهرة اجتماعية شأنها شأن أية ظاهرة في هذا الكون ، ولهذا تخضع لعـــوامل وظروف معينة تتأثر بها ، كما أنها تتطور كما تتطور حياة المخلـــوقات ، تنمـــو وتتوسع ، وتنشأ كلمات واستعمالات جديدة وتموت كلمات وتترك استعمالات ويحدث في كلماتها تحوير وتغيير تدريجي لا يفطن اليه الا على المدى الطويل ، ومع ذلك «لم يسعفهم القياس بكل ما كانوا يريدون ، فلا زالت الكثرة الكاثرة من المسائل التى يستعصي عليهم اندماجها في احكامهم العامة ، فلجأوا الى التأول، والتأول البعيد الذى يخالفه الظاهر مخالفة بعيدة»[١٦] ، وبتطرّف النحويين في القياس ، وصيرورة النحو علما قياسيا «لم يسلم النحو العربي ــ ككل علم قياسي ــ من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية ، وأكراهها في وضع قواعده»[١٧] ، فبتطرف النحويين في القياس أهملوا شواهد فصيحة صحيحة صدرت عن العرب باعتبارها ضرورة أو نادرة أو شاذة لانها لم تخضع للقياس . وربما حكوا اشياء لم تصدر عن العرب طردا للقياس ، قال سيبويه في (باب اضمار المفعولين اللذين تعدى اليهما فعل الفاعل) : « فان بدأ المخاطب قبل نفسه فقال : أعطاكني أو بدأ بالغائب قبل نفسه فقال : قد اعطاهوني فهو قبيـــح لا تكلّم به العـــرب ولكن النحـــويين

(١٥) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٤٤٩ .
(١٦) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٦٥ .
(١٧) العربية ٦١ .

قاسوه»[١٨] ثم بيّن أن كلام العرب : أعطاك أياي ، واعطاه أياي[١٩] .
وسيبويه يرجع الى الاستعمال ويأخذ بالسماع ، ولهذا لم يقبل قياس النحويين هذا بدليل قوله بعد ذلك : « وأما قول النحويين قد اعطاهوك واعطاهوني فانما هو شيء قاسوه لم تكلّم به العرب ، فوضعوا الكلام في غير موضعه ، وقياس هذا لو تكلّم به كان هيناً»[٢٠] . وكثير مما وضعه النحويون قياسا لم تقله العرب . قال سيبويه : « هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب»[٢١] . وتجد كثيرا بين ثنايا كتب النحو واللغة مما حكاه العلماء قياسا مما لم يصدر عن العرب ، قال ابن الاعرابي : « يقال نهار وأنهر وقال ابن دريد : النهار الذى هو ضد الليل العرب لا تجمعه ، وانما جمعه النحويون قياسا لا سماعا»[٢٢] ، ومن ذلك ما دعوه بـ (بدل الغلط) وهذا لم يرد في القرآن الكريم ـ كما قال أبو البركات الانباري ـ ولا كلام فصيح[٢٣] ، وقد وضعوه سالكين سبيل الفقهاء الذين يفترضون أشياء لا يتصور حدوثها في الواقع ، كما أتى النحويون بأمثلة لم يقلها عربي قط كقولهم : « ما أتاني الا عمرا الا بشرا أحد»[٢٤] . وهي كثيرة جدا لا يتسع المجال لعرضها ، وكان بعض النحويين لا يرضى عن مثل هذه الافتراضات والاقيسة ان لم يرد بها سماع كما مرّ بنا من قول سيبويه عن قياس النحويين . قال أبو حيان : « زعم بعض اصحابنا انه يجوز : هذا اطيب بسرا منه رطبا ، وهذا الذى ذهب اليه هذا الذاهب حسن في القياس ان وافقه سماع من العرب»[٢٥] . ولا ريب ان السماع في اللغة ركن أول

---

(١٨) الكتاب ٣٨٣/١ .
(١٩) الكتاب ٣٨٣/١ .
(٢٠) الكتاب ٣٨٣/١ .
(٢١) انظر الكتاب ١٦٧/١ـ١٦٨ .
(٢٢) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٩٧ .
(٢٣) اسرار العربية ١١٧ قال الاشموني في (شرحه ٤٣٨/٢) : «رد المبرد وغيره بدل الغلط ، وقال : لا يوجد في كلام العرب نظما ولا نثرا» .
(٢٤) الكتاب ٣٧٣/١ .
(٢٥) منهج السالك ٢٠٢ .

فيجب الاعتماد عليه بالدرجة الاولى . واذ كان الكلام بصدد القياس وضرره على اللغة ، فلابد من الاشارة الى أن اخذ الكوفيين بالقياس النظري احيانا ، ذلك القياس الذى لم يسنده نقل من كلام العرب حين لا يجدون نصـا من السماع يؤدي الى اعطاء صورة غير حقيقية لواقع اللغة ويشوّه معالمها الصحيحة ، وقد كان الاجدر بالكوفيين وهم الذين عرفوا بتوسعهم في السماع واحترامهم كل ما وصلهم عن العرب ولم يتزمتوا في الاستشهاد ان لا يسلكوا هذا المسلك الذى يبعدهم ان يكونوا أهل سماع ، « فليست اللغة فلسفة يتحكم فيها ميزان العقل والدراية ، والتشدّد في القياس الذى يؤذن بصحة نظائره حتم لازم ، والغاء القياس النظري في اللغة مستقيم مع الواقع»[٢٦] .

ان للنحويين عللا واقيسة ومنطقا واحتجاجات أبعدت النحو عن غايته التي رسمها النحاة الاولون . قال ابو حيان : « وكثيرا ما شحنت الكتب بالاقيسـة الشبهية والعلل القاصرة ... والنحويون مولعون بكثرة التعاليل ، ولو كانوا يضعون مكان التعاليل احكاما نحوية مسندة للسماع الصحيـح لكان اجدى وأنفع »[٢٧] . وقد جرّ النحاة الى هذا اخذهم بأساليب المنطق واعتمادهم على فلسفة العامل ، وهو شيء وهمي اخترعه النحويون ، وكان من نتيجة الاخذ به ايجادهم بابا مختلقا في النحو دعوه بباب (التنازع)[٢٨] .

وخلاصة القول : ان الواجب يقضي بابعاد التعاليل والاقيسة المنطقية عن النحو ، وتنقيته من الشواهد الضعيفة المحتملة للضرورة ، والاعتماد على الشواهد الفصيحة ولاسيما النثرية منها ، ولدينا القرآن الكريم خير مصدر للنثر الفصيح ، وهو المعين الذى لا ينضب للشواهد الصحيحة للغة العربية .

---

(٢٦) نشأة النحو ١٣١ .
(٢٧) منهج السالك ٢٢٩ـ٢٣٠ .
(٢٨) انظر الكتاب ١/٣٨ و ٣٩ و ٤٠ .

الفصل الثالث

الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته

الفصل الثالث

الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته

القرآن الكريم والشواهد :

لا ريب في أن القرآن الكريم افصح كلام عربي ، بل هو قمة الفصاحة العربية ، تتجلى فصاحته في ايجاز لفظه واعجاز معناه ، فلن ترى لفظا أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا نظما أحسن تنسيقا من نظمه ، وأما معانيه فقد بهرت ذوى الالباب ، «مدحه الله تعالى بالبيان والافصاح ، وبحسن التفصيل والايضاح وبجودة الافهام ، وحكمة الابلاغ ، وسماه فرقانا ، وقال : (عربي مبين)[1]» ، وأما الفاظ القرآن « فهي لب كلام العرب ، وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في احكامهم وحكمهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وما عدا الالفاظ المتفرعات عنها والمنتقاة منها هو بالاضافة اليها كالقشور والنوى بالاضافة الى اطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالنسبة الى لبوب الحنطة»[2] . فالحق ان لغة القرآن « تعرض ، من حيث هي أثر لغوي ، صورة فذة لايدانيها أثر لغوي في العربية على الاطلاق»[3] «ففي القرآن لاول مرة في تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري ، تحت شعار التوحيد ، لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة الا نموذجا واهيا له» [4] . ولقد اتفقت كلمة

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٢١ قال العلوي في (الطراز ٣/٢١٣) : «ان فصاحة القرآن وبلاغته أظهر من أن تكشف» .

(٢) المفردات في غريب القرآن ٣ـ٤ .

(٣) العربية ٤ .

(٤) العربية ٥ .

العلماء على اعجازه [٥] ، ولكنهم اختلفوا في سرّ هذا الاعجاز[٦] ، وتاهوا في لجج من الآراء[٧] . قال أبو سليمان الخطابي : « واعلم ان القرآن انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ في احسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني»[٨] .

وقد برهن العلماء بأدلّة كافية ، شافية وافية[٩] ، بأن القرآن الكريم هو النص الوحيد الموثوق بصحته كل الوثوق الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[١٠] ، فلم يدخله الوضع أو التحريف أو التزوير ، وقد نقل نقلا متواترا بخلاف الحديث واللغة والشعر[١١] . وهو يعتبر «اقدم أثر من آثار النثر العربي»[١٢] ، « واصدق مرآة للعصر الجاهلى»[١٣] ، فهو « اقدم نص يمكن أن نطمئن اليه»[١٤] في الاستشهاد في المسائل النحوية ، واستخراج الشواهد الفصيحة الصحيحة منه ، لانه يعتبر المصدر الاول والافضل للدراسات النحوية واللغوية .

اما آراء علماء اللغة وائمة النحو فيه ، فقد اتفقت كلمتهم ـ على اختلاف مذاهبهم النحوية ـ على أنه الينبوع الصافي والمعين الذى لا ينضب للشواهد

---

(٥) انظر دلائل الاعجاز ٢٧ـ٢٨ ، والطراز ١/١٣٨ .
(٦) انظر الفصل في الملل ٣/١٥ .
(٧) انظر النكت في اعجاز القرآن ٦٩ وبيان اعجاز القرآن ١٩ ، ومختصر كتاب الفرق بين الفرق ١٠٤ ودلائل الاعجاز ٢٥٤ و ٢٣٨ـ٢٢٩ والطراز ٣/٤٠٤ـ٤٠٥ .
(٨) بيان اعجاز القرآن ١٩ .
(٩) انظر صحيح البخاري ٦/١٠١ وفتح الباري ٩/٣٩ـ٤٠ وفضائل القرآن ٦ .
(١٠) سورة فصلت من الآية ٤٢ .
(١١) انظر لمع الادلة في اصول النحو ٨٢ والاقتراح ٢٩ـ٣١ والمزهر ١ـ٣٦ وارشاد الفحول ٣٠ .
(١٢) العربية ٣ .
(١٣) في الادب الجاهلى ٧٠ .
(١٤) من حديث الشعر والنثر ٢٥ .

الصحيحة الفصيحة ، وقد اطروه بما يستحقه وقالوا فيه بما هو أهله . فالقرآن الكريم « أعرب واقوى في الحجة من الشعر »[15] ، وانه « نزل بأفصح اللغات »[16] ، وهو « محكم لا لحن فيه ، ولا فيه شيء تتكلم العرب بأجود منه في الاعراب »[17] ، « وقد أجمع الناس جميعا ان اللغة اذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن »[18] ، « فكلما ورد انه قرىء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا »[19] . وقد حكى ابو عمر الزاهد في كتاب (اليواقيت) عن ثعلب ، أنه قال : « اذا اختلف الاعرابان في القرآن لم أفضل اعرابا على اعراب ، فاذا خرجت الى كلام الناس فضلت الأقوى »[20] ... فهذه جملة من اقوال العلماء تبيّن بوضوح آراءهم في هذا الكتاب الكريم من حيث صحة الاستشهاد به .

وقد كان بامكان العلماء ، وهذه آراؤهم فيه ان يعتمدوه مصدرا أول في استقاء الشواهد منه ، ولو فعلوا لما جاءت قواعدهم مضطربة متناقضة ، ولكن النحاة لم يستفيدوا الفائدة المرجوة في الاستشهاد ، اذ اعتمدوا اعتمادا كليا على الشعر لاسيما الجاهلي منه بما فيه من عيوب واسقام مر ذكرها ، وكان خطأ اعتمادهم على شعر « لم تدون قصائده ، قبل نهاية العصر الاموي »[21] ، وبقي عرضة للتلاعب قبل أن يدون في الكتب » ولاشك أن صحف القرآن الكريم هي أقدم صحف مدونة كاملة وصلت الينا عن اللغة العربية قبل أن تصل الينا قصائد

(١٥) قاله الفراء في معانيه ١/١٤ .
(١٦) قاله احمد بن فارس في الصاحبي في فقه اللغة ٢٦ .
(١٧) قاله الزجاج في معانيه (المواهب الفتحية) ٢/٨١ـ٨٢ .
(١٨) قاله ابن خالويه في شرح الفصيح (المزهر ١/١٢٩) .
(١٩) قاله السيوطى في الاقتراح ١٤ .
(٢٠) البحر المحيط ٤/٨٧ ، الاتقان في علوم القرآن ١/٢٢٩ .
(٢١) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ١٧٠ .

مدوّنة عن الشعر الجاهلي،[٢٢] ، ومن هنا كانت الشواهد القرآنيـــة ، أقدم الشواهد تسجيلا وأصحّها وأقراها ،[٢٣] • على أن من غير المعقول عقد مقارنة بين القرآن والشعر من حيث صحة الاستشهاد بأى منهما ، فآيات القرآن اقوم واكمل وأفضل بكثير من الشعر الجاهلي أو الاسلامي •

استشهاد البصريين بالقرآن الكريم :

استشهاد البصريين بالقرآن الكريم لا يختلف عن استشهادهم بســائر النصوص الاخرى ، فمع اعترافهم التام بأن القرآن مصدر مهـــم للشواهـد الصحيحة الفصيحة ، ورغبتهم القوية في الاستشهاد بآياته البيّنات ، اعتزوا بأقيستهم وأصولهم وقدموها على كل نص ، وهذا الذى جعلهم لا يستشهدون بآية الا اذا تأيدت بالسماع شعرا كان أو نثرا ، كما كانوا لا يجيزون القياس عليها اذا كانت فريدة في بابها ، انطلاقا من منهجهم العام في الاستشهاد ، الذى يقضي بالاستشهاد بالكثير الشائع والقياس عليه ــ في اغلب الاحيان ــ ، من ذلك مثلا تجـــويزهم مجيء خبر الفعل الناقص ماضيا ، لكثرته في كلام العرب نظما ونثرا كثرة توجب القياس ــ كما يقول السيوطي ــ قال الله تعـالى : (ان كان قميصـــه قدّ)[٢٤] و (ان كنت قلته ...)[٢٥] و (ان كنتم آمنتم)[٢٦] و (أو لم تكونوا اقسمتم)[٢٧] قال الشاعر :

ثم أضحوا لعب الدهر بهم

وقال : وقد كانوا فأمسى الحي ساروا •

(٢٢) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ١٧٠ •
(٢٣) المباحث اللغوية في العراق ٣٢ •
(٢٤) سورة يوسف من الآية ٢٦ •
(٢٥) سورة المائدة من الآية ١١٦ •
(٢٦) سورة الانفال من الآية ٤١ •
(٢٧) سورة ابراهيم من الآية ٤٤ •

وحكى الكسائي : (اصبحت نظرت الى ذات التنانير) يعني ناقته»[٢٨] .

وان جاءت آية مخالفة للقياس اخضعوها للتأويل والتقدير لكي تصح اصولهم وتثبت من جهة ، ولم يفتهم الاستشهاد بالقرآن من جهة أخرى ، فليس امام البصريين غير هذه السبيل ماداموا معتزين بأقيستهم لا يستطيعون تغيرها ، فماذا يقولون عن الآية التى لاتتفق وقياسهم ؟ هل يذهبون الى انها من الضرورة أو مجهولة القائل أو مصنوعة كما هو قولهم في الشعر المخالف للقياس ؟ ام يقولون انها مروية بالمعنى كما قالوا في الحديث ؟ لا هذا ولا ذاك ، وانما يلجأون في مثل هذه الاحوال الى التأويل . فمن أمثلة ذلك عدم تجويزهم تقديم الصلة على الموصول قال المبرّد : « فكما لا يجوز ان تتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز ان تتقدم الصلة على الموصول»[٢٩] ، فلما اعترضت قاعدتهم آيات من كتاب الله ، كقوله تعالى : (وقاسمهما اني لكما من الناصحين)[٣٠] ، و (أنا على ذلكم من الشاهدين)[٣١] و (شروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين)[٣٢] «لجأوا الى التأويل والتقدير[٣٣] ، ومما قيل في تخريج الآية الأولى أن (لكما) ليس داخلا في الصلة ، والتقدير : اني ناصح لكما لمن الناصحين[٣٤] . قال الاشموني : «واما نحو : (وكانوا فيه من الزاهدين) ففيه متعلق بمحذوف دلت عليه صلة أل لا بصلتها والتقدير : وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين»[٣٥] .

---

(٢٨) همع الهوامع ١/١١٣ .
(٢٩) الكامل ١/٢٥ .
(٣٠) سورة الاعراف آية ٢١ .
(٣١) سورة الانبياء من الآية ٥٦ .
(٣٢) سورة يوسف آية ٢٠ .
(٣٣) انظر الكامل ١/٢٣ .
(٣٤) تفسير القرطبي ٧/١٧٩ .
(٣٥) شرح الاشموني ١/٢٥ .

ومن ذلك أيضا انهم قرروا عدم جواز حذف (أن) المصدرية ، فلما سمعوا قول العرب (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) حفظوا هذا النص ولم يقيسوا عليه[٣٦] ، لكن حكمهم هذا يرده ، قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا)[٣٧] ، كما أنّ « من سنن العرب الاضمار ، ايثارا للتخفيف ، وثقة بفهم المخاطب ، فمن ذلك اضمار أن وحذفها من مكانها ، كما قال تعالى : (ومن آياته يريكم ... الآية) أى : أن يريكم البرق ، وقال طرفة :

الا ايّهذا الزاجري احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فأضمر (أن) اولا ، ثم اظهرها ثانيا في بيت واحد وتقديره : الا ايهذا الزاجري ان احضر الوغى»[٣٨] ، ومن هذا يظهر ان « حذف أن غير ممتنع»[٣٩] ، وكان الحق يقضي على البصريين أن يقيسوا على الآية ولا يخضعوها للتأويل لان « ارتفاع منزلة القرآن في الفصاحة ، واخذه بأحسن طرق البيان أن يجرى حذف (أن) المصدرية كما ورد في الآية مجرى ما يصح القياس عليه»[٤٠] .

ومن ذلك منع جمهور النحويين تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف الجر ، فلم يجيزوا : قول القائل : مررت واقفا برجل ـ قال الرضي : « ان كان ذو الحال مجرورا فان انجرّ بالاضافة اليه لم يتقدم الحال عليه اتفاقا سواء كانت الاضافة محضة أو لا ، لان الحال تابع وفرع لذي الحال ، والمضاف اليه لا يتقدم على المضاف فلا يتقدم تابعه ايضا ، وان انجر ذو الحال فسيبويه واكثر البصريين

(٣٦) انظر دراسات في العربية وتاريخها ٣١ ومن اسرار اللغة ١٩ .
(٣٧) سورة الروم من الآية ٢٤ .
(٣٨) فقه اللغة ٣١٩ . ومن اقوال الامام الشافعي في حذف أن المصدرية وابقاء عملها قوله : «ثم تنصرف المحروسة قبل تكمل الصلاة ...» (انظر الرسالة ص٢٦٥) وقوله : «قبل يحل عليك ...» (انظر الرسالة ص٥٨٣) وله ايضا اقوال اخرى (انظر ص٤٩ من الرسالة) .
(٣٩) كما قال السكاكي في مفتاح العلوم ص٥٢ .
(٤٠) دراسات في العربية وتاريخها ٣١ .

يمنعون ايضا تقدمها للعلة المذكورة ... ولعل الفرق بين حرف الجر والاضافة ان حرف الجر معدّ للفعل كالهمزة والتضعيف فكأنه من تمام الفعل وبعض حروفه ، فاذا قلت : ذهبت راكبة بهند فكأنك قلت : أذهبت راكبة هندا(٤١) . وذهب ابو علي الفارسي ، وابن كيسان وابن برهان ، الى الجواز(٤٢) ، محتجين بقوله تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس)(٤٣) ، وورد في كثير من اشعار العرب تقدم الحال على صاحبها المجرور ، منها :

قول الشاعر :

اذا المرء اعيته السيادة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

وقوله :

حلفت لها بالمشعرين وزمزم ... وبالله فوق الخالقين رقيب
لئن كان برد الماء حرّان صاديا ... إليّ حبيبا انها لحبيب(٤٤)

وقال: فان تك اذواد أُصبن ونسوة ... فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال(٤٥)

وقال: تسلّيت طرا عنكم بعد بينكم ... بذكراكم حتّى كأنكم عندى(٤٦)

---

(٤١) شرح الرضي على الكافية ١/١٨٩ .
(٤٢) المصدر نفسه ١/١٨٩ . قال ابن عقيل في (شرحه على الالفية ١/٥٤٢) : وتابعهم ابن مالك ، لورود السماع بذلك .
(٤٣) سورة سبأ من الآية ٢٨ .
(٤٤) يروى هيمان بدل حران .
(٤٥) فرغا : بفتح الفاء أو كسرها مع سكون الراء : أى باطلا هدرا لم يطلب به ، والذوذ : القطيع من الابل الثلاث الى التسع ، وقيل اكثر من ذلك والجمع اذواد . (اللسان فرغ ٨/٤٤٦ وذود ٣/١٦٨) وحبال : بكسر الحاء : ابن اخي الشاعر ، والشاعر هو طليحة بن خويلد الاسدي . (شرح الاشموني ١/ص٢٤٩ مع الهامش للمحقق) .
(٤٦) منهج السالك ١٩٢ ، شرح الاشموني ١/٢٤٨-٢٤٩ .

فلم يأبهوا بهذا السماع الكثير ، وذهبوا الى أن «جواز ذلك مخصوص بالشعر» ، (٤٧) ، وذهبوا الى تأويل الآية تأويلات عديدة ومختلفة ، فمما قالوا : «ان كافة حال من الكاف ، والتاء للمبالغة لا للتأنيث أى كافا لهم عن المعاصي»(٤٨)، وقال الزمخشري : « كافة صفة مصدر محذوف • أى ارسالة عامة للناس»(٤٩) ، وقال الازهري : « كافة منصوب على الحال وهو مصدر على فاعله كالعاقبة والعافية»(٥٠) ، وقال التفتازاني : « كافة في نحو : جاء القوم كافة : هو في الاصل اسم فاعل من كف بمعنى منع كأنّ الجماعة منعوا باجتماعهم ان يخرج منهم احد»(٥١) • ومثل هذه التأويلات والتقديرات كما مر لآية فصيحة واضحة تخرج الكلام الفصيح عن فصاحته وتجعله سمجا ، فشتان بين قوله تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس) وتقديرهم : ارسالة كافة للناس ، أو : الا شديد الكف لهم من الشرك • واذا كان البصريون لم يستشهدوا بهذه الآية الكريمة وحجتهم ـ كما نقل صاحب المواهب الفتحية ـ عن ابي اسحاق الشاطبي : « انها محتملة ولا نظير لها في ذاتها وان القرآن قد يأتي بما لا يقاس عليه وان كان فصيحا وموجها في القياس لقلته»(٥٢) ، فحجتهم مردودة لانهم لم يراعوا قاعدتهم دوما فيما سمعوا عن العرب ، فقد جوزوا القياس على المسموع المفرد الذى ليس له نظير في كلام العرب كما مر بنا من قياس سيبويه على (شنئي) •

ان هذا التأويل والتمحّل للآيات القرآنية لا يتفق مع ما تقدم ذكره من اقوال أئمة النحو وآرائهم في القرآن الكريم ، فقد اتفقت كلمتهم على أنه افصح كلام عربي ومع هذا عزلوا جانبا كبيرا من آياته بحجة انها غير قياسية أو

(٤٧) شرح الاشموني ١/٢٤٩ •
(٤٨) شرح درة الغواص ٧١ ، وشرح الاشموني ١/٢٤٩ •
(٤٩) الكشاف ٣/٢٦٠ •
(٥٠) شرح درة الغواص ٧١ •
(٥١) حاشية الصبان ٢/١٧٧ •
(٥٢) المواهب الفتحية ١/٤١ـ٤٢ •

محتملة للتأويل أو لا نظير لها ، « فمن الحق ان مكانة القرآن الكريم المتناهية في الفصاحة والبلاغة تقضي بالاحتجاج به في كل حال»[٥٣] ، وقد ذهب احد الباحثين الى أن ميل البصريين الى اكراه النص القرآني على قبول معنى خاص والتمحل في حمله على مطابقة قواعدهم ظهر عندهم بسبب وجود بعض المعتزلة والخوارج بين أئمتهم[٥٤] ، وهذا يؤيد ما ذكر سابقا عن تأثير بعض العلوم كأصول الفقه وعلم الكلام في العقلية التى كونت منهج البصريين العام في الاستشهاد .

الواقع « ان القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الايجاز والاختصار والاطالة للتوكيد والاشارة الى الشيء واغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه الا اللقن واظهار بعضها وضرب الامثال لما خفي»[٥٥] . « نفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب ، ومن الغريب والمعاني»[٥٦]، قال الامام الشافعي : « ان جميع كتاب الله انما انزل بلسان العرب»[٥٧] . وقال ايضا : «والقرآن يدل على ان ليس من كتاب الله شيء الا بلسان العرب»[٥٨] . فربما استغرب العلماء تعبيرا ورد فيه أو اساليب لم يألفوها فأنكروا صدورها عن العرب لانه « لم يكثر مجيئها في كلامهم»[٥٩] ، أو لعدم سماعهم اياه ، فتحايلوا

---

(٥٣) القياس في اللغة العربية ٢٩ـ٣٠ .
(٥٤) مقدمة الانصاف ، فايل ٥ .
(٥٥) القرطبي ١/٩٠ـ٩١ .
(٥٦) مجاز القرآن ١/٨ ، ١٨ .
(٥٧) الرسالة ٤٠ .
(٥٨) الرسالة ٤٢ .
(٥٩) انظر رسالة الملائكة ٢٢٨ـ٢٣٠ .

عليه بالتأويل والتمحل ، من ذلك ما ذكروا عن آيات[٦٠] جاءت في القرآن الكريم مخالفة للهجة الادبية وللقياس النحوي ، التي قال عنها بعضهم انها لحن أو انها من غلط الكاتب ، والحق الذى لا يقبل الشك والجدل ان ذلك بعيد وقوعه ، وان لاختلاف لهجات العرب وعدم خلو القرآن منها دخلا كبيرا في مجيئها[٦١] . ويظهر ان اكثار النحويين من تأويل الآيات المخالفة للقياس جاء نتيجة نقص في استقرائهم اللغة[٦٢] ، فجاء نحوهم ضيقا لا يتسع لتلك الآيات أولا ، « وانهم قرروا بعض قواعدهم ، وحرروا بعض ضوابطهم قبل ان يستقروا القرآن الكريم»[٦٣] ثانيا . فمن ذلك مثلا في موضوع الاشتغال انهم اشترطوا للاسم المتقدم على الفعل خمس حالات ، منها ترجيح نصبه اذا كان الفعل للطلب ، وهو الامر والنهي والدعاء ، وترجيحهم النصب « لان الرفع يستلزم الاخبار بالجملة الطلبية عن المبتدأ وهو خلاف القياس ، لانها لا تحتمل الصدق والكذب»[٦٤] ، وقد جاءت آيتان مخالفتان لقاعدتهم هذه وهما قوله تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا

---

(٦٠) من هذه الآيات قوله تعالى : (ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم ... الآية) « سورة طه آية ٦٣» ، وقوله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ... الآية) «سورة المائدة آية ٦٩» ، وقوله تعالى : (وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فأصدق واكن من الصالحين) « سورة المنافقون آية ١٠» . وقوله تعالى : (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) « سورة النساء آية ١٦٣» .

(٦١) انظر مشرح المفصل ١٢٨/٢ والصاحبي ٢٠ واعراب القرآن للنحاس الورقة ١٢١ وجه وهمع الهوامع ٤٠/١ .

(٦٢) انظر التمهيد ص١٨ .

(٦٣) نظرات في النحو واللغة ١٨ .

(٦٤) شرح قطر الندى ١٩٣ .

ايديهما ...)[٦٥] ، وقوله تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)[٦٦] فانه مشابه لقولنا : محمدا وزيدا اكرم اخاهما ، ولكن القراء السبعة اجمعوا على الرفع في الآيتين[٦٧] فماذا يعملون؟ هل يخطئون القراء السبعة كلهم في موضع واحد ؟ هذا محال ولا يعقل حدوثه ، أم يضربون القاعدة التى وضعوها؟ لا هذا ولا ذاك . لجأوا الى التمحل والتأويل فاختلفوا في اعراب الآيتين[٦٨] . قال ابن الحاجب : « الفاء بمعنى الشرط عند المبرد ، وجملتان عند سيبويه ، والا فالمختار النصب»[٦٩] . وقال الرضي : « جميع الشرائط فيه حاصلة في بدء النظر لان ما بعد الفاء قد يعمل فيما قبلها كما في نحو قوله تعالى : (وربّك فكبّر)[٧٠] الا أن القراء لما اتفقوا فيه على الرفع ، الا ماروي في الشاذ عن عيسى بن عمر أنه قرأ بالنصب ، والنصب مع الطلب مختار كما تقدم ، والقرآن لا يجوز على غير المختار ، تمحّل له النحاة وجها يخرج به عن الحد المذكور لئلا يلزم منه غير المختار»[٧١] . فماذا لو عدل البصريون شيئا من قواعدهم ؟ وقالوا « باختيار الرفع في مثل الآيتين ، وهو ما كان الطلب فيه عاما غير خاص ، مع اختيار النصب في الخاص ، مثل : زيدا اضربه ، وهو ما ذهب اليه ابن السيد وابن[٧٢] بابشاذ»[٧٣] ، « وذلك ان فعل الامر اذا اريد به معنى عام وقع في معنى التشريع ،

---

(٦٥) سورة المائدة من الآية ٣٨ .
(٦٦) سورة النور من الآية ٢ .
(٦٧) شرح قطر الندى ١٩٤ .
(٦٨) انظر الكتاب ١/٧١ـ٧٢ ومجاز القرآن ١/١٦ وامالي ابن الشجري ١/٧٧ـ٧٨ والكشاف ١/٣٣٧ .
(٦٩) الكافية ١٢ .
(٧٠) سورة المدثر آية ٣ .
(٧١) شرح الرضي على الكافية ١/١٦٢ـ١٦٣ .
(٧٢) هو ابو الحسن طاهر بن احمد بن باب شاذ (ومعناه الفرح والسرور) النحوي المصري ورد العراق تاجرا في اللؤلؤ ، واخذ عن علمائها ، ورجع الى مصر ، واستخدم في ديوان الرسائل ، ومن تصانيفه : شرح جمل الزجاجي ، المحتسب في النحو ، شرح النخبة وتعليق في النحو ، توفي سنة ٤٦٩هـ وقيل سنة ٤٥٤هـ (بغية الوعاة ٢/١٧) .
(٧٣) احياء النحو ١٥٥

وكان حكما قياسه الخبر ، وكان الاسم المتقدم متحدثا عنه حكمه الرفع،(٧٤) . ان شيئا من ذلك لم يجر وبقي البصريون متمسكين بقواعدهم ، وسماعهم ، كأن ما أصّلوه شيء لا يمكن تغييره .

استشهاد الكوفيين بالقرآن الكريم :

ان الكوفيين الذين تقدم أنهم كانوا يعتدّون في الاستشهاد بكل مسموع عن العرب صحت روايته عندهم ولو كان من القليل أو النادر أو الشاذ ، فان القرآن الذى لا يضاهيه كلام في فصاحته وبلاغته وحسن بيانه ووثوق روايته ونزوله بأفصح لغات العرب ، كان اعتمادهم عليه في الاستشهاد اكثر من البصريين ، وقد كانوا عند استشهادهم بآياته ـ كدأبهم في النصوص الاخرى ـ يؤثرون في اغلب الاحوال عدم التأويل والتقدير ، ويأخذون بظاهر الآيات . من أمثلة ذلك ذهابهم الى تجويز اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان(٧٥) مستشهدين بالآيات الكريمة : (إن هذا لهو حقّ اليقين)(٧٦) ، و (لدار الآخرة خير)(٧٧) و (جنات وحبّ الحصيد)(٧٨) . قال الفراء : « قوله : (ولدار الآخرة)(٧٩) : أضيفت الدار الى الآخرة ، وهي الآخرة ، وقد تضيف العرب الشيء الى نفسه اذا اختلف لفظه كقوله : (إنّ هذا لهو حق اليقين)(٨٠) والحق هو اليقين ... وجميع الايام تضاف الى أنفسها لاختلاف لفظها،(٨١) . » فاذا اتفقا لم تقل العرب : هذا حق الحق ،

---

(٧٤) احياء النحو ١٥٥ .
(٧٥) الانصاف ٢/٤٣٦ ، الموفي في النحو الكوفي ٥١ .
(٧٦) سورة الواقعة آية ٩٥ .
(٧٧) سورة النحل من الآية ٣٠ .
(٧٨) سورة ق من الآية ٩ .
(٧٩) سورة يوسف من الآية ١٠٩ .
(٨٠) سورة الواقعة آية ٩٥ .
(٨١) معاني القرآن ٢/٥٥ـ٥٦ .

ولا يقين اليقين»[٨٢] . وأيد الكوفيون استشهادهم بما ورد في كلام العرب من شعر ونثر ، كقول الراعي :

وقرّب جانب الغربيّ يأدو مدبّ السيل واجتنب الشّعارا[٨٣]

«وقول العرب : (صلاة الأولى ، ومسجد الجامع ، وبقلة الحمقاء) قالوا : والأولى في المعنى هي الصلاة ، والجامع هو المسجد ، والبقلة هى الحمقاء وقد اضافوها اليها »[٨٤] . أما البصريون فلم يجوزوا ذلك[٨٥] ، وعللوا منعهم « بأن الاضافة انما يراد بها التعريف والتخصيص ، والشيء لا يتعرف بنفسه ، لانه لو كان فيه تعريف كان مستغنيا عن الاضافة ، وان لم يكن فيه تعريف كان باضافته الى اسمه أبعد من التعريف ، اذ يستحيل ان يصير شيئا آخر باضافة اسمه الى اسمه ، فوجب ان لا يجوز كما لو كان لفظهما متفقا»[٨٦] . واجابوا عما استشهد به الكوفيون من آيات وشعر واقوال بأنه «محمول على حذف المضــاف اليه واقامة صفته مقامه»[٨٧] . قال ابو جعفر النحاس عند تفسيره قوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي)[٨٨] : « اقيمت الصفة مقام الموصوف أى بجانب المكان الغربي»[٨٩] . وقال العكبري عند كلامه على الآية نفسها : «أصله أن يكون صفة : أي بالجانب الغربي ، ولكن عدل عن ذلك وجعل صفة المحذوف ضرورة امتناع اضافة الموصوف الى الصفة اذ كانت هي الموصوف في المعنى ، واضـافة الشيء الى نفســه خطأ ،

---

(٨٢) معاني القرآن ١/٣٣٧ .

(٨٣) الانصاف ٢/٤٣٧ يصف الشاعر حمار وحش ، ومدب السيل : موضع جريه ، والشعار : الشجر الملتف ، وقيل : هو ما كان من الشجر في لين ووطاء من الارض يحله الناس يستدفئون به في الشتاء ويستظلون به في القيظ (اللسان دبب/شعر/١/٣٧١) .

(٨٤) الانصاف ٢/٤٣٧ .

(٨٥) انظر مسائل خلافية في النحو ١١١ والكافية ١٨ والانصاف ٢/٤٣٦ .

(٨٦) الانصاف ٢/٤٣٨ .

(٨٧) الانصاف ٢/٤٣٨

(٨٨) سورة القصص من الآية ٤٤ .

(٨٩) اعراب القرآن الورقة ١٦٢ ظهر .

والتقدير : جانب المكان الغربي»(٩٠) ، وقال الزمخشري : « ولا يجوز اضافة الموصوف الى صفته ولا الصفة الى موصوفها ، وقالوا : دار الآخرة وصلاة الأولى ومسجد الجامع وجانب الغربي وبقلة الحمقاء على تأويل دار الحياة الآخرة وصلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع وجانب المكان الغربي»(٩١) . ومن هنا يتضح ان الكوفيين كانوا يستشهدون غالبا بظاهر الآيات دون أن يعنوا أنفسهم بتأويلها ، فكانوا اذا وجدوا شيئا لا يتفق مع قواعد العربية حاولوا ايجاد وجه صحيح له في العربية . ولنأخذ مثلا آخر قول الفراء في تفسير قوله تعالى : (وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض)(٩٢) : « كان ينبغي في العربية ان يقال : وقالوا لاخوانهم إذ ضربوا في الارض ، لأنه ماض كما تقول : ضربتك اذ قمت ، ولا تقول : ضربتك اذا قمت . وذلك جائز والذى في كتاب الله عربي حسن لان القول وان كان ماضيا في اللفظ فهو في معنى الاستقبال»(٩٣) ، ومن هذا « يبدو أن البصريين كانوا يرجعون القرآن الى قواعد النحو ، والكوفيين بالعكس»(٩٤) . ولهذا كثر استشهادهم به ، فاعتمدوا على آياته شواهد في وضع بعض اصولهم النحوية . منها مثلا : تجويزهم وقوع الفعل الماضي حالا(٩٥) مستشهدين بقول الله تعالى : (او جاءوكم حصرت صدورهم)(٩٦) قال الفراء « اذا قلت : قد اضطرب فلان ، فهو مثل قولك : مضطرب فلان . وانشدوا :

أمْ صبيٌ قد حبا أو دارج(٩٧)

قال الله عز وجل : (أو جاءوكم حصرت صدورهم) ، فمعناه قد حصرت ، لأن الماضي لا يكون حالا الا بقد ، وقد قرأ الحسن (ر) : (حصرة صدورهم)»(٩٨) .

---

(٩٠) املاء ما من به الرحمن ٢/١٧٨ .
(٩١) المفصل ٩١ وانظر الكافية ١٨ تجد لابن الحاجب ما يشبه هذا الكلام .
(٩٢) سورة آل عمران من الآية ١٥٦ .
(٩٣) معاني القرآن ١/٢٤٣ .
(٩٤) مقدمة الانصاف ، فايل ١٠ .
(٩٥) الانصاف ١/٢٥٢ ، خزانة الادب ١/٥٥٢ .
(٩٦) سورة النساء من الآية ٩٠ .
(٩٧) هذا الرجز مجهول قائله (المقاصد النحوية ٤/١٧٣) .
(٩٨) شرح القصائد السبع الطوال ٣٧ـ٣٨ .

«والعرب تقول : اتاني ذهب عقله ، يريدون قد ذهب عقله ، وسمع الكسائي بعضهم يقول : فأصبحت نظرت الى ذات التنانير»[1] . واهتمام الكوفيين بالقراءات جعلهم يسندون شاهدهم القرآني بها ، فاستشهدوا على صحة تقديرهم بقراءة الحسن البصرى ويعقوب الحضرمي والمفضل عن عاصم[2] التى ذكرها الفراء ، ثم عضدوا ذلك بالسماع من العرب ، فأيدوا وجهة نظرهم بقول ابي صخر الهذلي :

واني لتعروني لذكراك نفضة　　كما انتفض العصفور بلّله القطر

على ان : بلّله فعل ماض وهو في موضع الحال[3] . ولم يجوز البصريون ذلك لان الفعل الماضي لا يدل على الحال ، ولذا لا يصلح حالا ، ولا يوضع موضعه وأوجبوا أن يكون مع الماضي (قد) لأنها تقرّب الماضي من الحال[4] . وأولوا الآية على أربعة أوجه ، منها[5] : «ان (حصرت) صفة لقوم المجرور في أول الآية ، وهو قوله تعالى : (الا الذين يصلون الى قوم)[6] ، أو أن تكون (حصرت) صفة لقوم مقدر ويكون التقدير : او جاءوكم قوما حصرت صدورهم»[7] ، أو انه

---

(١) معاني القرآن ١/٢٨٢ .
(٢) معاني القرآن ١/٢٨٢ ، شرح القصائد السبع الطوال ٣٨ والانصاف ١/٢٥٣
(٣) الانصاف ١/٢٥٣ ، خزانة الادب ١/٥٥٢ ويروى (هزة) بدل (نفضة) وهو الاشهر (انظر شرح ابن عقيل ٢/١٨ وأوضح المسالك ٢/٤٥ وشرح الاشمونى ١/٢١٦ والخزانة ١/٥٥٢) .
(٤) انظر الانصاف ١/٢٥٤ .
(٥) انظر الانصاف ١/٢٥٤-٢٥٥ .
(٦) والآية هي قوله تعالى : (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) «الآية ٩٠ من سورة النساء» .
(٧) الانصاف ١/٢٥٤ .

دعاء عليهم كأنه قال : (قاتلهم الله)[٨] و (قتل الانسان ما اكفره)[٩] . الى غير ذلك من التأويلات والتقديرات التى برع بها البصريون ، «والانصاف ان الاستدلال بنفس الكلام الوارد عن العرب»[١٠] . يقول ابو حيان : « الصحيح جواز ذلك لكثرة ما ورد منه بغير قد وتأويل الشيء الكثير ضعيف جـــدا لأنا انمـا نبني المقاييس العربية على وجود الكثرة ، فمما جاء من وقوع الماضي بغير قد قوله تعالى : (أو جاءوكم حصرت صدورهم) وتأويله على أن يكون دعاء أو نعتـا لموصـوف محذوف أي قوما حصرت صدورهم ضعيف جدا ويدل على الحال قراءة من قرأ : (حصرة صدورهم) وقال تعالى : (هذه بضاعتنا ردّت الينا)[١١] أى مردودة»[١٢] .

ومن ذلك ايضا ذهابهم (أي الكوفيين) الى « ان اسماء الإشارة كلّها يجوز ان تستعمل موصولات»[١٣] مستشهدين بقوله تعالى : (ثم انتم هؤلاء تقتلـــون أنفسكم)[١٤] ، وقوله تعالى : (وما تلك بيمينك يا موسى)[١٥] . قال الفــراء : « العـرب قـد تذهب بهـذا وذا الى معنى الـذي ، فيقـولون : ومـن ذا يقــول ذاك ؟ في معنى : مــن الــذي يقــول ذاك ؟ »[١٦] . وقال ايضـا :

(٨) سورة المنافقون من الآية ٤ .

(٩) سورة عبس آية ١٧ والتأويل الثالث هو تأويل المبرد وقد دفعه ابو علي الفارسي بأنه لا يجوز ان يدعو عليهم بهذه الدعوة بل يقول : اللهم الق بأسهم بينهم (انظر آمالي ابن الشجري ١/٣٣٥ـ٣٣٦) . وقال الزمخشري في (الكشاف ١/٢٨٨) : «ان التأويل الثاني الذى مر ذكره هو تأويل المبرد» . والصواب ما ذكره ابن الشجري (انظر خزانة الادب ١/٥٥٢) .

(١٠) الانتصاف من الانصاف ١/٢٥٣ .

(١١) سورة يوسف من الآية ٦٥ .

(١٢) منهج السالك ٢١٤ .

(١٣) شرح اللمع لابن الدهان الورقة ١٩٥ ظهر ، همع الهوامع ١/٨٤ ، حاشية الصبان ١/١٦٠ .

(١٤) سورة البقرة من الآية ٨٥ .

(١٥) سورة طه آية ١٧ .

(١٦) معاني القرآن ١/١٣٨ .

« وقوله : (وما تلك بيمينك يا موسى)[١٧] معنى (تلك) هذه وقوله : (بيمينك) في مذهب صلة لتلك، لأن تلك وهذه توصلان كما توصل الذي ، قال الشاعر[١٨]:

عدس ما لعبّاد عليك امارة　　أمنت وهذا تحملين طليق

يريد الذى تحملين طليق»[١٩] ، ونقل عن ثعلب قوله في الآية الأولى : (ثم أنتم هؤلاء ...) « هؤلاء في معنى (الذين) و (تقتلون) في صلتها كأنه قال : ثم انتم الذين تقتلون انفسكم ، كما قال ابن مفرغ . ثم ذكر البيت الشاهد[٢٠] . ولم يجوّز البصريون ما جوّزه الكوفيون الا في (ذا) وحدها اذا سبقها (ما) الاستفهامية باتفاق أو (من) الاستفهامية باختلاف[٢١] . قال الزمخشري : « لم يثبت سيبويه هذا بمعنى الذى الا في قولهم ماذا »[٢٢] . والكوفيون لم يشترطوا شروطا في ذا لكي تعد موصولة[٢٣] كما تقدم ، ثم اتبع البصريون سبيل التأويل في الآيتين واعربوهما اعرابا يتفق مع ما منعوه ولا يخدم وجهة نظر الكوفيين[٢٤] .

---

(١٧) سورة طه الآية ١٧ .

(١٨) البيت ليزيد بن مفرغ الحميرى .
ويروى : (نجوت) بدلا من (أمنت) : انظر (الشعر والشعراء ١٣٤) و (الاغاني ١٧/٦٠ بولاق) .

(١٩) معاني القرآن ٢/١٧٧ .

(٢٠) اعراب القرآن منسوب للزجاج ١/٢١٣ .

(٢١) انظر البحر المحيط ٢/٤٧٦ .

(٢٢) المفصل ١٤٩ .

(٢٣) اوضح المسالك ١/١١٦ .

(٢٤) قال العكبري في (املاء مامن به الرحمن ١/٤٨) : «انتم مبتدأ وفي خبره ثلاثة اوجه : (١) تقتلون . وفي هؤلاء وجهان : احدهما في موضع نصب باضمار اعني ، والثاني منادى خلافا لسيبويه (٢) ان الخبر : هؤلاء ويكون بمعنى الذين وتقتلون صلته ، وضعفه البصريون (٣) الخبر هؤلاء على تقدير حذف مضاف وتقديره : ثم انتم مثل هؤلاء » وانظر ايضا : شرح قطر الندى ١٠٧ وشرح الاشموني ١/٧٤ .

ومن الاصول الكوفية التى اعتمدت على الشواهد القرآنية تجويزهم استعمال (من) لابتداء الغاية في المكان والزمان[25] مستشهدين بقوله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من اوّل يوم أحقّ ان تقوم فيه)[26] ، وقالوا : ان (أول يوم) من الزمان ، وقال تعالى : (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ...)[27] وعضدوا النصوص القرآنية بالنقل عن العرب . قال زهير بن ابي سلمي :

لمن الديار بقنّة الحجر أقوين من حجج ومن دهر[28]

اما البصريون فقد منعوا استعمال (من) في الزمان وجوزوا استعمالها في المكان ، وكان ردهم على الكوفيين ان في الآيتين حذفا ، والمحذوف فيهما هو المضاف ، وقد اقيم المضاف اليه مقامه والتقدير في الآية الاولى مثلا : من تأسيس أول يوم[29] ، كما ردوا رواية البيت الشاهد وطعنوا فيها وقالوا انه مصنوع[30]، ثم أوّلوه على افتراض صحة روايته «بوجود حذف فيه ، والتقدير فيه : من مرّ حجج ومن مرّ دهر . فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه»[31] . ومما تقدم يبدو ان البصريين كانوا يسلكون طرقا مختلفة من التأويل والتقدير في سبيل الابقاء على مقايسهم وعدم المساس بها « ويظهر ان الكوفيين أسدّ رأيا وأصوب منهجا ، ذلك انهم اعتمدوا استعمالات بنوا عليها رأيهم ، وهذا وجه علمي صائب . اما البصريون فانهم تمسكوا بجدل وأسلوب منطقي واعتمدوا على استعمالات اصطنعوها هم أنفسهم ولم يعتمدوا على أمثلة مستقرأة في الثابت من النصوص

---

(٢٥) الموفي في النحو الكوفي ١٣٦ ، الانصاف ١/٣٧٠ ، اسرار العربية ١٠٨ ، خزانة الادب ٤/١٢٧ .

(٢٦) سورة التوبة من الآية ١٠٨ .

(٢٧) سورة الجمعة من الآية ٩ .

(٢٨) الانصاف ١/٣٧٠-٣٧١ ، خزانة الادب ٤/١٢٦ .

(٢٩) الانصاف ١/٣٧٢ .

(٣٠) انظر ص ٦٨ من هذه الرسالة .

(٣١) الانصاف ١/٣٧٥ .

والاستعمالات»[٣٢] . ولهذا ذهب بعض البصريين كالاخفش والمبـــرّد وابن درستويه مذهبهم في هذه المسألة[٣٣] ، كما ذهب اليه بعض المتأخرين كابن مالك[٣٤] وابن هشام[٣٥] والاشموني[٣٦] . قال ابن مالك :

بعض وبيّن وابتديء في الامكنة   بمن ، وقد تأتي لبدء الازمنة[٣٧]

وكذلك اورد ابن مالك شواهد كثيرة من الشعر على استعمال من في الزمان[٣٨]. وما ورد في احاديث رسول الله (ص) كهذا الحديث الذى ذكـــر انه تضمـــن استعمال من في ابتداء غاية الزمان أربع مرات : (مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا . فقال : من يعمل لي الى نصف نهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر الى مغـــرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ الا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس . الا لكم اجركم مرتين)[٣٩] . وعقب ابن مالك على الحديث بقوله : « وهو ما خفي على اكثر النحويين فمنعوه تقليدا لسيبويه»[٤٠] .

على أن البصريين لم يكونوا أقل اندفاعا من الكوفيين في الاستشهاد بالقرآن

---

(٣٢) دراسات في اللغة ١٨٠ .
(٣٣) مغني اللبيب ٢/١٤ .
(٣٤) انظر شرح ابن عقيل ٢/١٥ .
(٣٥) مغني اللبيب ٢/١٤ .
(٣٦) شرح الاشموني ٢/٢٨٧ .
(٣٧) الفية ابن مالك (المتن) ٣٥ .
(٣٨) انظر شواهد التوضيح ١٣١-١٣٢ .
(٣٩) شواهد التوضيح ١٢٩ .
(٤٠) المصدر نفسه ١٣٠ .

الكريم ، فقد كانوا كثيرا ما يستشهدون بآياته البينات • اما في وضـــع بعض اصولهم [٤١] ، أورد حجج الكوفيين وابطال ما ذهبوا اليه في المسائل المختلف فيها بينهم[٤٢] ، مما يضيق المجال عن ذكره ، لدرجة ان تمسك بعضهم كالمبرد مثلا بنصوص القرآن لفصاحتها ، كان يدفعه الى انكار ما يسمع من كلام العرب مما لم يرد فيه ، كانكاره ان يقال : لولاي ولولاك ، لعدم وروده في التنزيل الا ضميرا منفصلا ، وكان يصرّ على تخطيء من خالفه وان الصواب أن يقال : لولا انت[٤٣] تمسكا بقوله تعالى : (لولا أنتم لكنّا مؤمنين)[٤٤] ، كما ان الكوفيين وان كانوا قد استشهدوا بالقرآن كثيرا واغترفوا من معينه الذى لا ينضب[٤٥] ، الا انهم لم يفيدوا منه الفائدة التامة ، فيعتمدوا عليه الاعتماد الكلّي في تقعيد قواعدهم

---

(٤١) انظر الانصاف ٨٧/١ م١٣ و ٥٢٢/٢ م٧١ و ٥٧٢/٢ م٧٨ •

(٤٢) انظر الانصاف ج٦٨/١ م٩ و ٧٤ م١٠ و ٨١ م١١ و ٩٣ م١٣ و ١١٣ م١٤ و ١٦٦ م١٩ و ١٧٨ م٢٢ و ٢٥١ م٣١ و ٢٦٩ م٣٥ و ج٤٦٠/٢ م٦٤ و ٤٨١ م٦٧ و ٥٦٧ م٧٧ و ٥٨٣ م٨٠ و ٦٢٠ م٨٥ و ٦٤٢ م٩٠ و ٦٥٣ م٩٤ و ٧٠٥ م٩٩ و ٧٢٠ م١٠٣ و ٧٧٧ م١١١ •

(٤٣) انظر الكامل ٢٠٨/٢ـ٢٠٩ • قال ابن الانباري في (الانصاف ٦٩٤/٢) : « لا خلاف بأن مجيء الضمير بعد لولا منفصلا اكثر في كلامهم وأفصح ، وعدم مجيء الضمير المتصل في التنزيل لا يدل على عدم جوازه ، الا ترى انه لم يات في التنزيل ترك عمل (ما) في المبتدأ والخبر نحو (ما زيد قائم) ، وان كانت لغة جائزة فصيحة ، وهي لغة بني تميم» • والمبرد محجوج بنقل الثقات كسيبويه ، فقد انشد في (الكتاب ٣٨٨/١) قول يزيد بن أم الحكم:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي

وممن رد على المبرد ابو حيان في (منهج السالك ٢٣٤) واتى بشواهد أخرى من كلام العرب تؤيد مجيء الضمير مجرورا بعد لولا •

(٤٤) سورة سبأ من الآية ٣١ •

(٤٥) انظر الانصاف ٢٦٦/١ م٣٥ و ٤٥٩/٢ م٦٤ و ٦٣٢ م٨٨ و ٦٣٦ م٨٩ و ٦٤٠ م٩٠ و ٧٨٨ م١١٣ وغيرها كالمسائل التى ذكرت بتفصيل في اعلاه •

وتأصيل اصولهم ، فقد سلكوا احيانا مسلك البصريين فاتبعوا القياس وتجاهلوا آياته ، ومن امثلة ذلك ذهابهم « الى ان (ما) النافية في لغة اهل الحجاز لا تعمل في الخبر وهو منصوب بحذف حرف الخفض [الجر باصطلاح البصريين] ، «وذهب البصريون الى أنها تعمل في الخبر وهو منصوب بها»[٤٦] • واحتج الكوفيون بأنها حرف غير مختص كحرف الاستفهام والعطف ، والحروف غير المختصة لا تعمل ، ولهذا اهملت في لغة بني تميم ، وهو القياس[٤٧] قال الفراء : «قوله (ماهذا بشرا)[٤٨] : نصبت (بشرا) لان الباء قد استعملت فيه فلا يكاد اهل الحجاز ينطقون الا بالباء ، فلما حذفوها احبوا ان يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا على ذلك ، الا ترى أن كلّ ما في القرآن اتى بالباء الا هذا ، وقوله : (ما هنّ امهاتهم)[٤٩] ، واما اهل نجد فيتكلمون بالباء وغير الباء فاذا اسقطوها رفعوا ، وهو اقوى الوجهين في العربية • انشدني بعضهم :

لشتان ما أنوي وينوي بنو أبي   جميعا فما هذان مستويان[٥٠]

ورد البصريون بأنه وان كان القياس يقتضي عدم عملها ، الا انها شبهت بليس في لغة اهل الحجاز اذ كان المعنى واحدا ، وهي لغة القرآن ، قال الله تبارك وتعالى: (ماهذا بشرا) وقال تعالى : (ما هنّ امهاتهم)[٥١] قال ابو حيان : « ولم يحفظ ذلك من كلامهم الا في بيت من الشعر ، قال :

ابنـاؤها متكنّفـون أباهم   حنقو الصدور وما هم اولادها

ثم قال : ولا نبالي بكونه لم ينقل الا قليلا اذ قد ثبت ذلك في كتاب الله تعالى ، وقد

---

(٤٦) الانصاف ١/١٦٥ وانظر اسرار العربية ٥٩ ومنهج السالك ٦١ •
(٤٧) انظر الانصاف ١/١٦٥ •
(٤٨) سورة يوسف من الآية ٣١ •
(٤٩) سورة المجادلة من الآية ٢ •
(٥٠) معاني القرآن ٢/٤٢ •
(٥١) انظر الكتاب ١/٣٨ والانصاف ١/١٦٦ واسرار العربية ٥٩ •

يكون سبب عدم كثرة النقل اشتهار ذلك في لغتهم»(٥٢) .

ان النحويين جميعا لم يتفقوا أبدا في وجهة نظرهم تجاه آيات التنزيل ، فما كان حجة لدى البصريين لا يعتد به الكوفيون ولا يأخذون به ، ومثال ذلك ذهاب البصريين الى عدم جواز العطف على الضمير المرفوع في اختيار الكلام الا بفصله إما بضمير منفصل أو غيره(٥٣) مستشهدين بآيات وردت في التنزيل كقوله تعالى : (فاذهبْ انت وربّك فقاتلا)(٥٤) ، و (اسكن انت وزوجك)(٥٥) و (كنتم انتم وآباؤكم)(٥٦) ، وقالوا : انما قلنا انه لا يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل وذلك لأنه لا يخلو : إما ان يكون مقدرا في الفعل أو ملفوظا به ، فان كان مقدرا فيه نحو (قام وزيد) فكأنه قد عطف اسما على فعل ، وان كان ملفوظا به نحو (قمت وزيد) فالتاء تنزل بمنزلة الجزء من الفعل ، فلو جوّزنا العطف عليه لكان ايضا بمنزلة عطف الاسم على الفعل ، وذلك لا يجوز»(٥٧) ، وقد جوّز البصريون العطف دون فاصل في الشعر(٥٨) . اما الكوفيون فقد جوزوا العطف في اختيار الكلام دون الفصل بفاصل ، قال صاحب التبيان : « حجتنا ما جاء في الكتاب العزيز وفي اشعار العرب : فمما جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى : (ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى)(٥٩) فاستوى : جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فعطف على الضمير المستكن في استوى ، فدلّ على جوازه . وقال الشاعر(٦٠) :

---

(٥٢) منهج السالك ٦١

(٥٣) انظر الكتاب ٣٩٠/١ والكامل ٣٩/٢ والانصاف ٤٧٥/٢ والتسهيل ١٧٧ .

(٥٤) سورة المائدة من الآية ٢٤ .

(٥٥) سورة البقرة من الآية ٣٥ وسورة الاعراف من الآية ١٩ .

(٥٦) سورة الانبياء آية ٥٤ .

(٥٧) الانصاف ٤٧٧/٢ ، التبيان في شرح الديوان ٢٦٣/١ .

(٥٨) شرح السيرافي على الكتاب ٣٩٠/١ .

(٥٩) سورة النجم آية ٦ و ٧ .

(٦٠) هو عمر بن ابي ربيعة (المقاصد النحوية ١٦٣/٤) .

قلت إذ اقبلت وزهر تهادى   كنعاج الفلا تعسّفن رملا

فعطف [زهر] على الضمير المرفوع في اقبلت ، وقال الآخر[61] .

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه   ما لم يكن وأب له لينالا

فعطف : وأب على الضمير المرفوع في يكون فدلّ على جوازه»[62] . وتمسك البصريون بمذهبهم في هذه المسألة ولجأوا الى التأويل ، فأوّلوا الآية على «ان الواو فيها واو الحال ، لا واو العطف ، والمراد به جبريل وحده استوى بالقوة في حالة كونه بالافق ، وقيل : فاستوى على صورته التى خلق عليها في حالة كونه بالافق ، وانما كان قبل ذلك يأتي النبي (ص) في صورة رجل»[63] . كما جعلوا ما أنشده الكوفيون «من الشاذ الذى لا يؤخذ به ولا يقاس عليه ، أو انه جاء العطف فيه لضرورة الشعر وقد جوزوها»[64] . وهكذا يتضح جليا أن الفريقين لم يكونا متفقين أبدا في الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، كما هو شأنهم في النصوص الأخرى ، التى مرّ ذكرها ، فالملاحظ في استشهاد النحويين بالقرآن الكريم ان

(٦١) هو جرير يهجو الاخطل (المقاصد النحوية ٤/١٦٠) .

(٦٢) التبيان في شرح الديوان ١/١٦٧ قال ابن ام قاسم المرادي في (شرح الالفية الورقة ٨٦ وجه) العطف على الضمير المرفوع كثير في الشعر ، ومع كثرته فهو ضعيف . فان قلت فهل يطرد مع ضعفه أو يختص بالضرورة؟ قلت : نص المصنف [اي ابن مالك] على انه يجوز في الاختيار مع ضعفه كقول بعض العرب : سواء والعدم حكاه سيبويه . لان العطف في البيت السابق [بيت عمر بن ابي ربيعة] ونحوه ليس بفعل مضطر لامكان النصب .

(٦٣) الانصاف ٢/٤٧٧ .

(٦٤) الانصاف ٢/٤٧٧ . قال ابن مالك في (تسهيل الفوائد ١٧٧) :
« ويضعف العطف على ضمير الرفع المتصل مالم يفصل بتوكيد أو غيره ، أو يفصل العطف بـ (لا) وضمير النصب المتصل في العطف عليه كالظاهر، ومثله في الحالين الضميران المنفصلان» .

الكوفيين حينما يستشهدون بآية أو بآيات ينبري لهم البصريون معارضين ومؤولين للآيات ، وقد يحدث العكس ، وكان الحق يقضي عليهم ان يجمعوا على الأستشهاد بآياته •

كان حريا بالنحاة وهم يعلمون مبلغ فصاحة القرآن وسمو لغته ، الا يجعلوا آياته البينات موضع أخذ ورد ، وان لا يخضعوها للتأويل والتقدير ، بل يجعلوها اصلا في الاستشهاد فيستشهدون بها ويقيسون عليها سواء كانت موافقة للقياس أو غير موافقة • قال بدر الدين الدماميني في (آخر الباب السابع من هنديته) : « إن العربية تؤخذ من القرآن ، المعجز بفصاحته • وقول من يقول : (مثله لم يجيء عن العرب مشيرا الى أنه أحاط بجميع كلام العرب) فيه تحجير واسع • وكيف يجوز الاحتجاج والأخذ بأقوال نقلها عن العرب من لا يعتمد عليه ، لجهله ، أو لعدم عدالته ، أو لجهالة علمه وعدالته ، ويترك الأخذ والتمسك بما ثبت تواتره عمّن ثبتت عصمته عن الغلط ، وهو سيدنا ومولانا رسول الله (ص) افصح العرب»(٦٥) • والواقع ان أغلب النحويين لم يعتمدوا القرآن الكريم مصدرا فياضا من اصفى وأنقى مصادر الشواهد النحوية ، فاعتمدوا على الشعر بالدرجة الاولى ، فاستشهدوا بالشعر المصنوع والمجهول القائل في كثير من مسائلهم النحوية ، قال فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ : « اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى ، وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن ، فاذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول ، فرحوا به ، وانا شديد التعجب منهم ، فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلا على صحته ، فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحته كان أولى»(٦٦) ، وكان

---

(٦٥) المواهب الفتحية ١/٥٤ •

(٦٦) تفسير الرازى ٣/١٩٣ •

عليهم ان يضعوا القرآن في المكان اللائق به ، ويجعلوه ـ كما هو ـ مصدرهم الأول في استقاء الشواهد منه ، فآياته البيّنات افصح من أي بيت شعر أو كلام[٦٧] ، ولو فعلوا ذلك لما جاءت قواعدهم مضطربة ولما كان فيها هذا الاختلاف الكثير •

(٦٧) دعا كثير من الباحثين المحدثين الى الاعتماد على القرآن الكريم في المسائل اللغوية والنحوية وجعله اصلا من الاصول النحوية في الدرجة الاولى ، كالشيخ محمد الخضر حسين في (القياس في العربية ٢٩) و (دراسات في العربية وتاريخها ٣١) والدكتور ابراهيم أنيس في (اللهجات العربية ٤٩) و (من اسرار اللغة ٢٩) والاستاذ ابراهيم مصطفى في (احياء النحو ١٩٦ـ١٩٧) والدكتور مهدى المخزومي في (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٣٩٥) والدكتور ابراهيم السامرائي في (دراسات في اللغة ١٦) و (النحو العربي نقد وبناء ٧٨) و (التطور اللغوى التاريخى ٧٥) والاستاذ عباس حسن في (اللغة والنحو بين القديم والحديث ١٠٨ـ١٠٩) والدكتور احمد عبدالستار الجوارى في (نحو التيسير ٥) والدكتور عبدالعال سالم مكرم في (القرآن واثره في الدراسات النحوية ١١٧ ، ١٣٦) طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ هـ •

الاستشهاد بالقراءات القرآنية

سبب نشوء القراءات وعلاقته بلهجات القبائل العربية :

من جملة العلوم التي تفرعت من القرآن الكريم : علم القراءات ، «فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد (ص) للبيان والاعجاز ، والقراءات اختلاف الفاظ الوحي المذكور في الحروف او كيفيتها ، من تخفيف وتشــــديد وغيرهما»[1] ، « فالقراءات هي : الطرق والروايات القرآنية الثابتة بالاسناد والمتبعة لا المبتدعة في تلاوة القرآن ورسمه ، فالرواية والاسناد جزء معتبر في تعريف القراءات مطلقا ، سواء كانت الرواية متواترة او مشهورة أو آحادا أو شاذة او موضــــوعة او مدرجة»[2] .

كان اختلاف لهجات العرب سبب نشوء القراءات القرآنية واختلافها ، ثم تطورها حتى صارت علما قائما بذاته ، ولا يخفى ما بذله علمــاء القراءات في دراستها ، وطريقتهم الفذة في روايتها وتناقلها معتمدين على السند والاسناد ، متبعين أصح الطرق في النقل ، حيث لم يكتفوا بالسماع طريقا في قبول القراءة وروايتها فحسب ، بل اعتمدوا على التلقّي والعرض ، كما لا تنكر عناية القراء بالضبط والاتقان وحسن الاداء عناية لا مزيد عليها ، وبهذا تأتي القراءات في المرتبة الثانية بعد التنزيل ان لم تكن في مرتبته من جهة توثيقها وصحتها .

ان القراءات مصدر من مصادر الشواهد النحوية ، والاعتماد عليهـــا في الاستشهاد من شأنه ان يغني اللغة ، اذ يمدّها بفيض غزيز من الاســـتعمالات وبمختلف الأساليب ، لعلاقتها الوثيقة باللهجات العربية ، فان « كثيرا مـــن

(١) الاتقان ٢٢٢/١ .
(٢) في قراءات القرآن ، للدكتور عبدالحليم النجار . مجلة كلية الآداب — جامعة القاهرة المجلد ١٠/١٩٤٨ ص١٠٦ .

اختلافات القراءات ـ ان لم يكن اكثره ـ راجع الى اختلاف اللهجات»(٣) ، ولهذا « إن كتب القراءات تعتبر وثائق هامة لدراسة اللهجات العربية» (٤) ، ويقول احد المستشرقين : « والحقيقة الثابتة ان بعض هذه القراءات يطابق تماما اللهجات التى كانت شائعة عند العرب في القرن الاول بعد الهجرة فهي صيـغ عربية كانت منتشرة في شمال بلاد العرب في عصر ظهور الاسلام»(٥) ، « فما اشتملت عليه القراءات القرآنية ، من صفات صوتية يمكن ارجاعها الى بعض اللهجات العربية، وتنتمي هذه الصفات الصوتية الى اشهر القبائل وأوسعها انتشارا ، ولذلك وجدت كل العناية بين القراء وروعيت في قراءاتهم ... ولكنها لم تشتمل على كل الصفات الصوتية التى رويت عن اللهجات العربية ، لان بعضها لم يكن من الشيوع بحيث رأى القراء اهمال القراءة به»(٦) .

من المعلوم ان « الوحدة التى صادفها الاسلام حين ظهوره ، وقوّاها قرآنه بعد نزوله لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عمليا قبل الاسلام وبقاءها بعده»(٧) . وهذا حاصل في جميع اللغات « فمن النادر أن تجد لغة تخاطب ، وهي عـلى مساحة متسعة من الارض ، تحافظ على شكل واحد ، والاشكال المختلفة التى تتخذها هذه اللغة في بقاع الارض المختلفة التى يتكلّم بها ساكنوها هي اللهجات لهذه اللغة ، وان احدى هذه اللهجات ، وان ارتفعت الى مستوى لغة دينية أو أدبية أو سياسية ، وهو ما يحدث غالبا ، فان سائر اللهجات الاخرى تعيش وتكون كثيرة في معظم الاحيان»(٨) ، وكان هذا حالَ اللغة العربية في صدر الاسلام ،

---

(٣) في اللهجات العربية واصول اختلافها ، للدكتور عبدالحليم النجار ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة م٥ ج١ ١٩٥٣ ص٥١ .

(٤) تاريخ الادب العربي ، بلاشير ٧٨ .

(٥) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ٢٠٨ .

(٦) في اللهجات العربية ٥٨ـ٥٩ .

(٧) دراسات في فقه اللغة ٥٠ـ٥١ .

(٨) تأملات في اللهجات العربية ، للاستاذ ج . فانتينو ، مجلة المجمع العلمي بدمشق . م١٥ ج٣ و ٤ سنة ١٩٣٧ ص١٤٠ .

فلقد بقيت بعد نزول القرآن الكريم بعض الخصائص في اللهجات المختلفة التى تعذر على اصحابها ان يتخلصوا منها ، كاختلافهم في اخراج حروف الكلمة الواحدة المستعملة عند الكثير منهم فيما يتصل بابدال الحروف وقلبها الى حروف أخرى واختلافهم كذلك بالامالة والفتح والتفخيم والترقيق والتقديم والتأخير والزيادة والحذف . ذكر أبو حاتم السجستاني : «ان اعرابيا بالحرم قرأ : (طيبى لهم وحسن مآب) فقال : قلت له : طوبى ، فقال الاعرابي : طيبى ، [فأعاد عليه القول دون جدوى] . فقال السجستاني له : طوطو ، فقال الاعرابي : طي طي»[9] . وقد أذن رسول الله عليه الصلاة والسلام لهؤلاء أن يقرأوا القرآن بلهجاتهم تيسيرا عليهم بعدما تبين له أن ذلك لا يمس قدسية القرآن ولا يؤثر في معناه[10] ، وقد ثبت في الصحيح حديث نزول القرآن على سبعة احرف ، روي مرفوعا الى النبي عن ابن عباس وغيره[11] ، وقد تواترت روايته[12] ، حيث ورد من رواية جمع من الصحابة[13] ، مع ذكر اختلاف قراءات بعض المسلمين واقرار الرسول (ص) قراءات المختلفين وتصويبها جميعا[14] ، من أمثلة ذلك ما روي عن انكار عمر بن الخطاب (رض) قراءة هشام بن حكيم ، لانه قرأها على غير ما اقرأه رسول الله اياها وتصويب الرسول (ص) قراءتيهما ، وقوله : «ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه»[15] .

---

(٩) الخصائص ١/٧٥–٧٦ .

(١٠) انظر الف باء البلوي ١/٢١١–٢١٢ .

(١١) صحيح البخارى ٦/١٠١ ، فتح البارى ٩/٢٠ .

(١٢) غيث النفع في القراءات السبع ٤ .

(١٣) ذكر السيوطي اسماءهم فكانوا واحدا وعشرين صحابيا (انظر الاتقان ١/١٣١) .

(١٤) انظر مثلا مقدمتان في علوم القرآن ٢١١ والابانة عن معاني القراءات ٦٣–٦٨ .

(١٥) الموطأ ١/١٠٦ .

اختلف العلماء في تفسير هذا الحديث على بساطة مغزاه ووضوح عبارته «على نحو من اربعين قولا»[١٦] • والرأي الصحيح هو ما ذهب اليه اكثر اهل العلم الى انها اوجه من القراءات تتمثل فيها لهجات العرب واساليب نطقهم وكيفية ادائهم الحروف[١٧] ، «حيث يقرأ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ، فالهذلي يقرأ : (عتّى حين) يريد : (حتّى حين)[١٨] ، والاسدي يقرأ : تعلمون ، وتعلم ، و (تسود وجوه)[١٩] بكسر حرف المضارعة ، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز ...»[٢٠] ، وهكذا كانت البداية الاولى لنشوء القراءات •

وقد ذكر الاقدمون من العلماء بعض صور هذا الاختلاف في لهجات العرب الذى ظهر واضحا في القراءات[٢١] ، كما نسبوا قسما من القراءات الى لهجاتها عرضا[٢٢] ، واغفلوا القسم الاكبر منها ، وكانوا في كثير من الاحيان يشيرون الى انها لغة مكتفين بذلك ، كاختلاف القراء في قراءة (الصراط) مثلا على لغات اربع[٢٣] ، ولو قد فعلوا ذلك لادوا خدمة جليلة للباحثين في اللهجات العربية ، أو القراءات القرآنية ، وكان في استطاعة الباحث « ان ينسب كل قراءة تتصل بلهجة من اللهجات الى قبيلة من القبائل ، ويتعرّف مدى دوران كل لهجة من هذه اللهجات المختلفة في القراءات»[٢٤] • والواقع ان معرفتنا باللهجات بصورة

---

(١٦) غيث النفع ٤ ، وانظر الاتقان ١/١٣١ •

(١٧) انظر الابانة عن معاني القراءات ٣٤ وفضائل القرآن ٧٤ـ٧٥ وارشاد الفحول ٣١ •

(١٨) سورة المؤمنون من الآية ٥٤ ، سورة الصافات من الآية ١٧٤ و ١٧٨ ، وسورة الذاريات من الآية ٤٣ •

(١٩) سورة آل عمران من الآية ١٠٦ •

(٢٠) تأويل مشكل القرآن ٣٠ •

(٢١) انظر الصاحبي في فقه اللغة ١٩ـ٢١ والبيان والتبيين ٣/١٣٧ـ١٣٨ •

(٢٢) انظر مثلا الكامل ١/١٩٩ وسر صناعة الاعراب ١/٢٧٨ والمحتسب ١/١٦٦ واللغات في القرآن ٢٣ و ٢٩ •

(٢٣) انظر اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٢٨ـ٢٩ •

(٢٤) في الدراسات القرآنية ٦٩ •

عامة غير كافية ، وما يجده الباحث مما تناثر هنا وهناك في كتب اللغة والقراءات عن اللهجات « لا يمكن ان يفيد فائدة تامة في هذا الصدد»[٢٥] ، فالمصادر لاتعين على هذا « لامور عدة منها :

(١) قلّة المصادر التى بأيدينا لتبين الصورة الواضحة للغة العربية في لهجاتها وتاريخ تطوّرها • وأن شيئا كثيرا من هذه الاسانيد قد ضاع وعفى عليه الزمان •

(٢) سوء تحري الرواة للهجات العربية مقيّدة بالبيئة أو الاقليم •

(٣) ارساء العربية على هيأة لغة الصدر الاول للاسلام ممثلة بالقرآن والحديث واهتمام المسلمين بهذه اللغة غيرة عليها وتعصبا لها»[٢٦] ، فقد كان اهتمام العلماء منصبا على لغة القرآن وهي لغة الدين الحنيف ، وليس أدل على اعتزازهم بها وتعظيمهم اياها من نعتهم ما خالفها من اللهجات (باللغات المذمومة)[٢٧] ، والرديء المذموم وانها اقبح اللغات[٢٨] •

كانت البلاد الاسلامية مقبلة على نهضة علمية عامة في كافة الميادين ، وازداد عدد سكانها من عرب وموال ، فأخذ الموالي مع العرب يدرسون القراءات ويتلقون مبادءها عن العلماء ، فكثر القراء ، وكثر الاختلاف في القراءات ، ولكن العلماء المعنيين لم يتركوا اختلاف القراء دون ضبط ومراقبة ، لحرصهم على حماية القرآن من كل تحريف ، فاعتنوا بجمع القراءات الصحيحة والشاذة وبحثوا عن سندها الى «أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها بادائها»[٢٩] ،

---

(٢٥) في الدراسات القرآنية ٦٩ •

(٢٦) دراسات في اللغة ٧٠ •

(٢٧) انظر (باب اللغات المذمومة) في الصاحبي ٢٤-٢٧ •

(٢٨) انظر (النوع الحادى عشر) في المزهر ١/١٣٣ •

(٢٩) هذا رأي ابن الحاجب وتابعه ابن خلدون ، ورد رأيهما هذا ، وهي متواترة عند جمهور العلماء ، وقيل مشهورة (انظر النشر ١/٣٠ و ٤٦ وغيث النفع ٦ والبحر المحيط ٣/٣٢٤) • وقد نقل السيوطي في (الاتقان ١/٢٢٢) : « انها متواترة عن الائمة السبعة ، اما تواترها عن النبي (ص) ففيه نظر ، فان اسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات وهى نقل الواحد عن الواحد » •

اختصت بالانتساب الى من اشتهر برواياتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة»(٣٠) • وذلك في نهاية القرن الثالث الهجري تقريبا حيث ألف ابن مجاهد(٣١) على راس المائه الثالثة كتاب القراءات السبعة(٣٢) ، واقتصر فيه على سبعة قراء(٣٣) ، وبهذا فهو يعتبر «اول مسـن سبع السبعة»(٣٤) ، حيث

(٣٠) مقدمة ابن خلدون ٤٣٧ •

(٣١) هو ابو بكر بن مجاهد ولد سنة ٢٤٥هـ وانتهت اليه رئاسة الاقراء في بغداد فكان واحد عصره في معرفته بالقراءات وعلوم القرآن توفي سنة ٣٢٤هـ (الفهرست ٥٢ ، غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٣٩) •

(٣٢) النشر ١/٣٦ •

(٣٣) الابانه ٤٨ • والقراء السبعة هم : امام البصرة ومقرؤها أبو عمرو بن العلاء المازني ولد سنة ٦٨ أو ٧٠هـ وكان اعلم الناس بالقرآن والعربيه مع الصدق والثقة والامانة والدين ، اخذ عن جماعة من التابعين وهو ثاني اثنين عرب من بين القراء السبعة احدهما ابن عامر وثانيهما أبو عمرو • توفي سنة ١٥٤هـ (اخبار النحويين ٢٢ ، نزهة الالباء ١٠ ، غاية النهاية ١/٢٩١ ، النشر ١/١٣٤) وامام اهل الشام عبدالله بن عامر اليحصبي • كان عالما ثقة حافظا من التابعين وهو عربي صراح توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ (الفهرست ٤٩ـ٥٠ ، غاية النهاية ١/٤٤٣ ، معرفة القراء الكبار ٢٩ ، ٦٧) وامام مكة في القراءة ابو معبد عبدالله بن كثير ولد بمكة سنة ٤٥هـ واصله من فارس ، وهو من التابعين توفي سنه ١٢٠هـ (التيسير ٤ ، غاية النهاية ١/٤٤٣ ، النشر ١/١٢٠) • وامام المدينة ومقرؤها ابو رويم نافع بن عبدالرحمن الليثي مولاهم المدني ولد سنة ٧٠هـ تقريبـا ، اصله من اصبهان واجمع عليه الناس بعد التابعين ، اقرأ اكثر من سبعين سنة توفي سنة ١٦٩ هـ (التيسير ٤ ، النشر ١/١١٢ ، غاية النهـاية ١/٣١ ، ٢/٣٣١ـ٣٣٢) وشيخ الاقراء بالكوفة عاصم بن بهدلة بن ابي النجود انتهت اليه رياسة الاقراء بعد ابي عبدالرحمن السلمي توفي سنة ١٢٨هـ (التيسير ٦) • وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات • كان امام الناس في القراءة بعد عاصم والاعمش في الكوفة وكان ثقة حجة رضيا قيما بكتاب الله ، لقب بـ (حبر القرآن) توفي سنة ١٥٦ هـ (معرفة القراء الكبار ٩٦ ، غاية النهاية ١/٢٦١ ، النشر ١/١٦٥ـ١٦٦ ، سراج القارىء ١٥) وابو الحسن علي بن حمزة الكسائي امام الكوفيين بالعربية والقراءة كان صادقا ثقة ، من موالي بني أسد • توفي سـنة ١٨٩هـ • (غاية النهاية ١/٥٣٧ـ٥٣٨ ، النشر ١/١٧٢) •

(٣٤) غاية النهاية ١/١٣٩ ، النشر ١/١٢٢ •

وجّه نظره في قراء البلاد الاسلامية ودرس سند قراءاتهم فاختار من بينهم من اشتهر بالثقة والامانة وطول العمر في ملازمة القراءة ، واتفق اهل بلده على الأخذ منه واجماعهم على عدالته فيما نقل وثقته فيما قرأ وروى ، وارتحال الناس اليه من بلاد اخرى ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحف بلده(٣٥) . وقد اجتمع الناس على هؤلاء القراء واعتمدوا «على ما صح عنهم فيما رووه ورأوه من القراءات»(٣٦) .

ان القراءات السبع وان كانت اصح القراءات الا انها لم تكن وحدها في الميدان(٣٧) ، فقد ذكر العلماء الى جانبها قراءات اخرى تضاهيها بجودتها وصحة سندها كقراءة ابي جعفر(٣٨) ، ويعقوب الحضرمي(٣٩) ، وخلف الكوفي(٤٠) وغيرهم(٤١) ، فالعبرة في القراءة ليست بسبعيتها(٤٢) ، وانما بصحة نقلها عن رسول الله (ص) ، والقراءة لا تكون بالرأي او الهوى او الاختيار ، وانما هي « سنّة متبعة يأخذها الاول عن الآخر » كما روي ذلك عن بعض الصحابة

(٣٥) انظر الابانة ٤٦ والاتقان ١/٢٢٤ واتحاف فضلاء البشر ٣ .

(٣٦) فضائل القرآن ٨٠ .

(٣٧) انظر غيث النفع ٣ .

(٣٨) هو ابو جعفر يزيد بن القعقاع المدني قرأ على بعض الصحابة كابن عباس، وكان تابعيا جليل القدر ، انتهت اليه رياسة الاقراء بالمدينة توفي سنة ١٣٠هـ (الفهرست ٥٢ ، النشر ١/١٧٨) .

(٣٩) هو امام البصرة في القراءات يعقوب بن اسحاق الحضرمي مولاهم البصري ، كان ثقة عالما صالحا ، انتهت اليه رئاسة الاقراء بعد ابي عمرو بن العلاء توفي سنة ٢٥٠ هـ (النشر ١/١٨٦) .

(٤٠) هو خلف بن هشام بن ثعلب البزار ، قرأ على افاضل القراء منهم سليم صاحب حمزة ، وكان خلف اماما كبيرا عالما ثقة زاهدا عابدا توفي ببغداد سنة ٢٢٩هـ (التيسير ٧ ، النشر ١/١٩) .

(٤١) انظر النشر ١/٣٨ ، والابانة عن معاني القراءات ٤٩ والاتقان ١/٢٢٣ .

(٤٢) انظر النشر ١/٣٦ .

والتابعين[٤٣] ، ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق»[٤٤] .

القراءات ونحاة البصرة الاولون :

كان النحو في بدئه متصلا اتصالا وثيقا بالقرآن ، فالغرض من وضع النحو – كما مرّ في التمهيد – انما كان لأجل حماية القرآن من اللحن الذى وقع فيه بعض الناس وصيانته من التحريف ، فكان النحاة الأولون ، اما من القراء أو ممن اشتغل بالدراسات القرآنية[٤٥]، «فكان رجال مدرسة النحو منذ النشأة الاولى – وفيما يشتهرون به – هم رجال مدرسة القراءات لأن مرحلة التخصص العلمي لم تكن بعد ، فسعت هذه الى أداء القرآن ، وتجويد متنه وأدائه ، واقرائه ، وضبط تلقيه وتلقينه ، وترتيله ترتيلا ، وسعت الأخرى الى اعرابه ، وضبطه ، وتفسير معجمه مستعينة بحفظ اللغة والرواية عن الاعراب»[٤٦] . ثم مرّ النحو ككل كائن في سنّة النمو والارتقاء فتطورت دراسته على ايدى علماء ظهروا في تاريخه حيث بدأوا باستعمال القياس وتعليل الظواهر اللغوية كعبدالله بن أبي اسحاق وعيسى بن عمر الثقفي ، فأخذت العلاقة بين الدراسات النحوية والقرآنية تفتر بالتدريج كلما توسّع النحاة في القياس «حتى جاء الخليل ، فانفصلت الدراسة النحوية عن الدراسة القرآنية ، واخذ يعنى بالنحو لذاته»[٤٧] ، ولهذا لم يكن هناك من نقد وجهه أوائل النحاة الى القراء ، واذا وجد شيء من هذا فهو قليل جدا بحيث لا يتخذ ظاهرة عامة ، فكان كما دعاه احد الباحثين[٤٨] (موقف

(٤٣) الابانة ٣٢ ، غاية النهاية ١/٣٥٠ ، النشر ١/١٧ .
(٤٤) النشر ١/١٧ .
(٤٥) انظر مثلا غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٧٣ و ١٧٩ و ٢٧٥ و ٢٨٩ و ٣٠٢ و ٣٠٥ و ٣٤٦ و ٤١٠ و ٦١٣ و ٢/٣٣٦ و ٣٤١ و ٣٧٦ و ٣٨١ .
(٤٦) ابو علي الفارسي ١٧ .
(٤٧) الخليل احمد الفراهيدي ، اعماله ومنهجه ٢٥٠ .
(٤٨) هو الدكتور ابراهيم انيس .

مهادنة) ولا يعرضون للقراءات بخير أو شر[٤٩] .

وبانفصال الدراسات النحوية عن القرآنية صار كل منهما علما متميزا قائما بذاته له رجاله المتخصصون به المقتصرون عليه ، لكل منهما منهج يختلف اختلافا كليا عن الآخر ، «منهج عماده الرواية والسند الصحيح ، والاسناد الاصل الاعظم»[٥٠] وذلك هو منهج مدرسة القراءات ، «ومنهج عماده القياس ، والبحث في علل التأليف ، ولا يعني بالرواية الا بمقدار ما يستفيد منها في تأييد اصوله وتثبيت قواعده»[٥١] ، وذلك هو منهج المدرسة النحوية البصرية ، ومن هنا اتسعت شقة الخلاف بين رجال المدرستين لاختلاف منهجيهما الدراسي ، فبدأ النحاة يوجهون النقد الى القراء ، فادعوا ان (العربية) صناعة ، لايفهم القراء اسرارها ، ولا يدرون ماهي[٥٢] ، ويوضح جواب المازني لاحد السائلين الفكرة السيئة التى صار النحاة يحملونها عن القراء ، فقد سئل عن أهل العلم ، فقال : « اصحاب القران فيهم تخليط وضعف ، واهل الحديث فيهم حشو ورقاعة»[٥٣] ، وربما يمكن ان يعد سيبويه الحد الفاصل بين موقفين مختلفين للنحاة البصريين ، موقف يتسم بعدم التعرض للقراء ، وموقف يتعرض لهم بالنقد والتجريح ويحاول اخضاع قراءاتهم المستندة الى المشافهة والمنقولة بسند صحيح نقلا متسلسلا حتى رسول الله (ص) ، للقياس النحوي . اما سيبويه فقد « كان مترددا بين مدرسة القراء ... وبين مدرسة القياس ، وهو الى مذهب

---

(٤٩) من اسرار اللغة ١٣١ ولا اوافق الباحث الفاضل على نعته موقف النحاة الاول من القراء بـ (المهادنة) لانه لم يكن هناك خصام سابق بين الطرفين ثم توقف ، وكل ما في الامر ان النحاة الاولين كانوا ممن اشتغل بالقرآن ، ثم مضوا لسبيلهم فجاء تلاميذهم ثم تلاميذ تلاميذهم الذين طوروا النحو وكونوا منهجا مخالفا لمنهج القراءات ولهذا حصل بينهم عدم الوفاق.

(٥٠) مدرسة الكوفة ومنهجها ١٣٠ .

(٥١) المصدر نفسه ١٣٠ .

(٥٢) انظر البحر المحيط ٤/٢٧١ .

(٥٣) بغية الوعاة ١/٤٦٥ .

القياس ومدرسته أقرب[54] ، فقد كان يقول : « ان القراءة لا تخالف لأنها السنة»[55] ، فهو بهذا يعترف بأن للقراءة منهجا قائما على التلقي والرواية الثابتة بالأسانيد الصحيحة المعتبرة الموصولة برسول الله (ص) ، ولكن ذلك لم يثنه عن تبيان القياس الصحيح – في رأيه – دون ان يجعل القارىء من الجاهلين أو الواهمين أو اللاحنين كما فعل من جاء بعده من النحاة كالمازني والمبرد والزجاج وغيرهم . من ذلك مثلا كلامه على العطف على الضمير المجرور ، فقد بين مذهب البصريين القاضي بعدم جواز العطف على الضمير المجرور في النثر الا باعادة حرف الجر ، مجوزا ذلك في الشعر عند الضرورة[56] ، دون ان يتعرض لقراءة (حمزة الزيات) : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)[57] بجر الأرحام[58] ، التي تعرضت فيما بعد لنقد مر من النحاة . وكذلك بين مذهب البصريين وقاعدتهم بعدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه الا بالظرف وحرف الجر في ضرورة الشعر[59] ، دون ان يتعرض لقراءة ابن عامر : (قتل أولادهم شركائهم)[60] بنصب أولادهم وجر شركائهم[61] ، وقد هوجمت هذه القراءة كما سيأتي ذكره . ولكن لا نجده يشير الى ضعف القراءة أو ردائتها دون ذكر القارىء كما في قوله : « فاما قوله عز وجل : (إنا كل شيء خلقناه بقدر)[62] فانما جاء على : زيدا ضربته وهو عربي كثير ، وقد قرأ بعضهم : (وأما ثمود

---

(54) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ٥٦ .
(55) الكتاب ١/٧٤ .
(56) الكتاب ١/٣٩١ .
(57) سورة النساء من الآية ١ .
(58) التيسير ٩٣ ، النشر ٢/٢٤٧ ، اتحاف فضلاء البشر ١١١ .
(59) الكتاب ١/٨٩–٩١ .
(60) سورة الأنعام من الآية ١٣٧ .
(61) التيسير ١٠٧ ، النشر ٢/٢٦٣ .
(62) سورة القمر آية ٤٩ .

فهديناهم)[٦٣] ، الا أن القراءة لا تخالف لانها السنّة»[٦٤] . وقال في موضع آخر حول الآية : « والنصب عربي كثير والرفع اجـود »[٦٥] . ومـن ذلك ايضا تضعيفه قراءة ابن عامر : (كن فيكون)[٦٦] بالنصب[٦٧] ، دون أن يذكره بسوء حيث قال : « وقد يجوز النصب في الواجب في اضطرار الشعر ونصبه في الاضطرار من حيث انتصب في غير الواجب»[٦٨] ، وبعـد ان بيّن ما نصب في الشعر اضطرارا قال : « وهو ضعيف في الكلام»[٦٩] ، واحيانا يبيّن رداءة القراءة ناظرا اليها من خلال اقيسته النحوية ذاكرا اسم الجهة التى قرأ قراؤها بها دون ان يصرّح باسم قارىء معين كأن يقول : « وقد بلغنا ان قوما من أهل الحجاز من اهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة وذلك قليل رديء»[٧٠] .

وفي الكتاب تبدو البوادر الأولى للنحاة في تخطيء القراء الذين قرأوا خلاف

---

(٦٣) سورة فصلت من الآية ١٧ .

(٦٤) الكتاب ١/٧٤ وفي النسخة التى حققها الاستاذ عبدالسلام محمد هارون « لان القراءة السنة» ، الكتاب ١/١٤٨ هارون ، قول سـيبويه بأن القراءة سنة ، لاجماع القراء على قراءات مخالفة لما قرره النحويون ، فقد اجمع البصريون على ان رفع (كل) في قوله تعالى : (انا كل شيء خلقناه بقدر) أجود ، لعدم تقدم ما يقتضي اضمار ناصب . وقد اجمع القراء على نصبه وان كان نصبه في الظاهر خارج عن القياس . (أمالي ابن الشـجري ١/٣٠٤) .

(٦٥) الكتاب ١/٤٢ ذهب سيبويه الى جودة الرفع لانه وقع بعد حرف الابتداء « انظر الكشاف ٣/٣٨٨ » وقول سيبويه يشير الى تحكيمه القياس في القراءات . قال النحاس : «السلامة عند اهل الدين ، اذا صحت القراءتان الايقال : احداهما اجود ، لانهما جميعا عن النبي (ص) فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا» . (الاتقان ١/٢٢٩) .

(٦٦) سورة البقرة من الآية ١١٧ .

(٦٧) التيسير ٧٦ ، النشر ٢/٢٢٠ ، اتحاف فضلاء البشر ١٨٢ .

(٦٨) الكتاب ١/٤٢٣ .

(٦٩) الكتاب ١/٤٢٣ .

(٧٠) الكتاب ٢/١٧٠ .

القيس النحوي كقول سيبويه : «واما اهل المدينة فينزلون (هو) ها هنا بمنزلته بين المعرفتين ، ويجعلونها فصلا في هذا الموضع ، وزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحنا وقال : « إحتبى ابن مروان في هذه في اللحن»[71] .

ومن يرجع الى كتاب سيبويه يلحظ تناقضا بين قوله الذي يوحي باتباعه الرواية والنقل بأن القراءة سنة ، وبين اقواله التي مرت من تضعيفه القراءة ، أو تجويده لوجه منها ، كقوله : « ولو قرأوها : وانّ هذه امتكم امة واحدة كان جيدا»[72] ، او قوله : « ولو قرئت وإن المساجد [بكسر همزة ان] لله كان جيدا»[73] ، فالذي يتبع النقل والأثر لا يقول : ولو قرىء كذا لكان جيدا ، أو يجوّد وجها لم يقرأ به على قراءة مشهورة[74] ، لانه يدرك ان القراءة ليست من اجتهاد القراء واختيارهم لكي يقرأوا بالوجه الاقوى والاحسن ، وقد لاحظ مثل هذا التناقض احد الباحثين وأشار اليه[75] ، ولكنه ابدى عدم استطاعته تفسير هذين الموقفين المتناقضين ، ثم رجّح آخر الامر أن سيبويه كان يتخير القراءات على مذاهب العربية»[76] وهو — والله أعلم — صواب ، فسيبويه « في احتجاجه للقراءات انه اراد ان يجريها على مقاييس العربية ، ومن هنا رأينا أنه

---

(71) الكتاب ٣٩٧/١ يشير سيبويه الى قراءة نصب (اطهر) من قوله تعالى : (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) : هود من الآية ٧٨ وقراءة النصب تعد من الشواذ وقد قرأ بها ابن مروان وعيسى بن عمر (مختصر شواذ القرآن ٦٠) وها هو ذا المبرد في (المقتضب ١٠٥/٤) يردد أقوال سيبويه ويوسعها في الطعن بالقراء فيقول : «اما قراءة اهل المدينة (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) فهو لحن فاحش ، وانما هي قراءة ابن مروان ، ولم يكن له علم بالعربية».

(72) الكتاب ٤٦٤/١ .

(73) الكتاب ٤٦٤/١ .

(74) انظر الكتاب ٤٢/١ .

(75) هو الدكتور عبدالفتاح شلبي في (أبو علي الفارسي) ١٦٣ .

(76) ابو علي الفارسي ١٦٣ .

[كان] لا يتحرّج ان يصف كلا من القارئ والقراءة بالضعف ، لأنهما لم يتفقا مع ما انتهى اليه من قياس»(٧٧) .

استشهاد البصريين بالقراءات :

ان البصريين الذين لم يتوقفوا عن اخضاع نصوص القرآن لاصولهم وأقيستهم كان يسيرا عليهم أن يحتجوا للقراءات ويجروها على مقاييس العربية ، فكانوا - على العموم - يستشهدون بالقراءات ويقبلونها اذا جاءت موافقة للقياس ، أو اذا تأيّدت بالسماع من كلام العرب المنظوم او المنثور ، فسيبويه - مثلا - كان يستشهد بالقراءات كثيرا فيتخذها شواهد يقيم بها حجته ويثبت الاحكام التي توصلها بقياسه ، وهو لا يردّها اذا وافقت قياسا أو سماعا(٧٨) ، كقوله : « زعم يونس أنه سمع رؤبة يقول : ما جاءت حاجتك فرفع ، ومثل قولهم : ما جاءت حاجتك اذ صارت تقع على مؤنث قراءة بعض القراء : (ثمّ لم تكن فتنتهم إلا ان قالوا)(٧٩) و : (تلتقطه بعض السيّارة)(٨٠) وربما قالوا في بعض الكلام : ذهبت بعض اصابعه»(٨١) . أو يقول : « واعلم أنّ كفى بنا فضلا على منْ غيرنا اجود وفيه ضعف الا أن يكون فيه هو ، لأن هو من بعض الصلة وهو نحو : مررت بأيّهم افضل وكما قرأ بعض الناس هذه الآية(٨٢): (تماما على الذي أحسن)»(٨٣). أو يقول : « وحدثنا هرون أن الكوفيين يقرأونها : (ثم لننزعنّ من كل شيعة

(٧٧) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ٥٦ .

(٧٨) انظر الكتاب ١/٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٧٠ .

(٧٩) سورة الانعام من الآية ٢٣ .

(٨٠) سورة يوسف من الآية ١٠ .

(٨١) الكتاب ١/٢٥ .

(٨٢) سورة الانعام من الآية ١٥٤ .

(٨٣) الكتاب ١/٢٧٠ في تفسير القرطبي ٧/١٤٢-١٤٣ : «قرىء بالنصب والرفع ، فمن رفع - وهي قراءة يحيى بن يعمر وابن ابي اسحاق - فعلى تقدير : تماما على الذى هو احسن . قال المهدوي : وفيه بعد من أجل حذف المبتدأ العائد على الذى ... ومن نصب فعلى انه فعل ماض داخل في الصلة ، وهذا قول البصريين ، واجاز الكسائي والفراء ان يكون اسما نعتا للذي واجازا مررت بالذى اخيك ، وهذا محال عند البصريين لانه نعت للاسم قبل أن يتم» .

أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّا)[١] وهي لغة جيدة نصبوها كما جرّوها حين قالوا : امرر على أيّهم افضل فأجراها هؤلاء مجرى الذي اذا قلت : اضرب الذي أفضل»[٢] ٠ ٠ وسيبويه يكثر في كتابه من المفاضلة والاحتجاج لبعض القراءات التى قرئت بها شواهده من القرآن الكريم ٠ واكثر معوّله في ذلك على العربية ومبلغ القراءة التى يعرض لها من الموافقة للكثير الشائع من الاساليب واللغات ، وعلى تحليل النص لابراز معناه وايضاح ما قد يكون بينه وبين اشباهه من فروق»[٣]، كقوله : «وحدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول : ان عمرا لمنطلق ، وأهل المدينة يقرأون : (وان كلاّ لمّا ليوفينهم ربّك اعمالهم)[٤] ٠ يخففون وينصبون كما قالوا :

كأن ثدييه حقان

وذلك لان الحرف بمنزلة الفعل ، فلما حذف من نفسه شيء لم يغيّر عمله كما لم يغير عمل لم يك ولم ابل حين حذف»[٥] ٠

والبصريون ـ بعد ـ لا يهمهم امر القراءة ، اذا كانت مؤيدة للقياس ان تكون في السبعة أو العشرة أو شاذة ، فهم يستشهدون بها ، من ذلك مثلا استشهاد الرماني[٦] بقراءة يعقوب الحضرمي على ان ياء الاطلاق تقع في الشعر

---

(١) سورة مريم آية ٦٩ وفي المصحف رسمت (ايهم) بضم الياء ٠
(٢) الكتاب ١/٣٩٧ ٠
(٣) المحتسب/مقدمة المحققين ٩ ٠
(٤) سورة هود من الآية ١١١ ٠
(٥) الكتاب ١/٢٨٣ استشهد البصريون بقراءة من قرأ هذه الآية بالتخفيف وهي قراءة نافع وابن كثير (التيسير ١٢٦) على اعمال (ان) المخففة من الثقيلة النصب في الاسم ، على حين أعرض الكوفيون عن هذه القراءة السبعية ولم يأخذوا بها واحتجوا بالقياس على تجويز ذلك (انظر الانصاف ١/١٩٦ م٢٤) ٠
(٦) منازل الحروف ٥٥ ٠

وفي الفواصل قال : « هي تقع في اطلاق القافية في الشعر ، وفي الفواصل كقوله تعالى – على قراءة يعقوب الحضرمي – (وايّاي فارهبوني[٧] ، وايّاي فاتقوني[٨]». ومن ذلك ردّ الانباري على الكوفيين قولهم بأن الدليل على أن افعل في التعجب اسم تصحيح عينه في (ما أقومه ، وما أبيعه) مستشهدا بقراءة الحسن البصري ، فقال : « التصحيح حصل من حيث حصل التصغير ، ولا يخرجه عن أن يكون فعلا ، على ان تصحيحه غير مستنكر في كلامهم ، فانه قد جاءت افعال متصرفة مصححة في نحو قولهم : اغيلت المرأة ، قال الله تعالى : (استحوذ عليهم الشيطان)[٩] ، وقد قرأ الحسن البصرى : (حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت)[١٠] على وزن أفعلت[١١] . ومن ذلك استشهاد البصريين بالقراءة الشاذة في تدعيم اقيستهم وردّ مذهب الكوفيين كما في ردّهم عليهم تجويزهم عمل (أن) المصدرية محذوفة من غير بدل بقراءة ابن محيصن : (لمن اراد ان يتمّ الرضاعة) التى رواها ابو بكر بن مجاهد برفع الفعل ، على اعتبار عدم عملها تشبيها لها بـ (ما)[١٢] . ومثل ذلك كثير[١٣] ، كاستشهادهم بقراءة علي (كرّم الله وجهه) : (ونادوا يا مال ليقض علينا ربك)[١٤] على ترخيم الرباعي الثالث الساكن بحذف حرف واحد لا حرفين كما ذهب الكوفيون[١٥] .

وكانوا يبيّنون ما في القراءة من ضعف أو يصفونها بالرداءة أو الخطأ

---

(٧) سورة البقرة من الآية ٤٠ .
(٨) سورة البقرة من الآية ٤١ .
(٩) سورة المجادلة من الآية ١٩ .
(١٠) سورة يونس من الآية ٢٤ .
(١١) انظر الانصاف ١/١٤٤ ذهب الكسائي في هذه المسالة مذهب البصريين وخالفه جمهور الكوفيين .
(١٢) انظر الانصاف ٢/٥٦٣ .
(١٣) انظر الانصاف ١/١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠–٢٩١ ، ٢/٦٥٣ .
(١٤) سورة الزخرف من الآية ٧٧ .
(١٥) الانصاف ١/٣٦١ وانظر شرح الاشموني ٢/٤٧١ و٤٧٣ .

ناظرين اليها من خلال مقاييسهم النحوية كما مرّ بنا من تضعيف سيبويه قراءة ابن عامر : (كن فيكون)[١٦] بنصب النون[١٧] ، وتضعيفهم قراءة ابي جعفر : (للملائكة اسجدوا)[١٨] بضم التاء وصلا اتباعا لحركة الجيم[١٩] . ومن اقوالهم في هذه القراءة قول الزجاج : « هذا غلط من أبي جعفر »[٢٠] ، وذهب العكبري الى أنها ضعيفة جدا ، وقال : « ان احسن ما تحمل عليه ان يكون الراوي لم يضبط على القاريء ، وذلك ان القاريء اشار الى الضم تنبيها على ان الهمـــزة المحذوفة مضمومة في الابتداء ، ولم يدرك الراوي هذه الاشارة »[٢١] . وأما ابو علي الفارسي فقال : « لم يكن مصيبا من قرأ ذلك »[٢٢] ، « لان كسرة التاء كسرة اعراب ، وانما يجوز اذا كان ما قبل الهمزة ساكنا صحيحا نحو : وقالت اخرج »[٢٣] .

---

(١٦) سورة البقرة من الآية ١١٧ .

(١٧) وقال العكبري في (املاء مامن به الرحمن ١/٦٠) متابعا سيبويه : « هـو ضعيف لوجهين : احدهما ان كن ليس بأمر على الحقيقة اذ ليس هناك مخاطب به . الثاني ان جواب الامر لابد ان يخالف الامر اما في الفعل أو في الفاعل أو فيهما » .

(١٨) سورة البقرة من الآية ٣٤ .

(١٩) كان ابو جعفر يقرأها في خمسة مواضع : البقرة آية ٣٤ والاعراف آية ١١ والاسراء آية ٦١ والكهف آية ٥٠ وطه آية ١١٦ (اتحاف فضلاء البشر ٨٢) .

(٢٠) البحر المحيط ١/١٥٢ .

(٢١) املاء ما من به الرحمن ١/٣٠ .

(٢٢) الحجة في علل القراءات ١/٤٩ .

(٢٣) البحر المحيط ١/١٥٢ .

وقال الزمخشري : « لا يجوز لاستهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم : الحمد لله»[٢٤] .

كما أن القراءة كانت تخضع لتأويل البصريين اذا كانت مخالفة للقياس، فاذا قبلت تأويلا قبلت ، واليك مثلا قراءة الحسن : (صاد والقرآن)[٢٥] بكسر الدال[٢٦] ، فقد قبلها البصريون مؤولين لها . قال المبرد : « لم يجعلها الحسن حرفا ولكنه فعل ، انما اراد : صاد بالقرآن عملك ، وهذا تفسير الحسن ، أي عارض بالقرآن عملك ، من قولك : صاديت الرجل : أي عارضته ، ومنه : (فأنت له تصدّى)[٢٧] أي تعرّض»[٢٨] . اما العكبري فقد ذكر لها وجهين : احدهما : هي كسرها التقاء الساكنين والثاني كالوجه الذى ذكره المبرد[٢٩] .

---

(٢٤) الكشاف ٦٢/١ لاحق للنحاة في تخطيء ابي جعفر أو تضعيف قراءته لانها مستندة الى الرواية الصحيحة ، ولها وجه في العربية ومجازها الاتباع أو الحمل على الجوار وهو وان كان قليلا وليس على الوجه الافصح الا أنه سمع عن العرب (انظر الكتاب ٢١٧/١ واسرار العربية ١٣٤) ومرادهم بذلك « ان يناسبوا بين المتجاورين في اللفظ وان كان المعنى على خلاف ذلك» (شرح القطر ٢٨٧) قال الثعالبي في (فقه اللغة ٣٠٦) في فصل الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة : « العرب تفعل ذلك ، فتقول : هذا جحر ضب خرب ، والخرب نعت الجحر لانعت الضب ، ولكن الجوار حمل عليه ، كما قال امرؤ القيس :

كأن ثبيرا في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل

والمزمل نعت (للشيخ) لانعت للبجاد ، وحقه الرفع ، ولكن خفضه للجوار» . « ويلعب الانسجام بين اصوات اللين دورا هاما في هذه المسألة» (في اللهجات العربية ٦٨) ثم ان هذه القراءة لغة لازد شنوءة (النهر الماد ١٥٢/١) .

(٢٥) سورة ص من الآية ١ .

(٢٦) قرأ ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحاق صاد بكسر الدال (مجمع البيان ٩٤/٢٣ والبحر المحيط ٣٨٣/٧ واتحاف فضلاء البشر ٣٧١) .

(٢٧) سورة عبس آية ٦ .

(٢٨) المقتضب ٢٣٨/١ـ٢٣٩ .

(٢٩) املاء ما من به الرحمن ٢٠٨/٢ وانظر الكشاف ٣١٥/٣ .

اما اذا كانت القراءة خارجة على المألوف من كلام العرب ولم تقبل تأويلا فكانوا يرفضونها ولا يستشهدون بها ، ويعتبرونها بالشذوذ ، حتى اذا كانت قراءة صحيحة ثابتة بالاسانيد المعتبرة • وبعملهم هذا فاتهم الانتفاع من مصدر هام من مصادر الشواهد كان في امكانهم ان يفيدوا منه في وضع القواعد وتأصيل الاصول واغناء اللغة بأساليب وأوضاع تفتقر اليها • وقد اختلفوا في مستنكرها ، كما ذكر المعرّي : « فكان بعضهم يجتريء على تخطئة المتقدمين ، وكان بعضهم لا يقدم على ذلك ويجعل لكل شيء وجها وان كان بعيدا في العربية ، واحتج من اجاز غلط الرواة بأن الذين نقلوا القراءة كان فيهم قوم قد ادركوا زمن الفصاحة فجاءوا بها على ما يجب وقوم سبقتهم الفصاحة ولم يكن لهم علم بقياس العربية فلحقهم الوهم الذى لا يتعرّى منه ولد آدم (ص)»[٣٠] ، واذا كان هذا هو اعتقاد قسم من النحاة في القراء فلا عجب ان وجهوا حملتهم نحوهم يرمونهم بالسهو تارة[٣١] ، وبالوهم وعدم الضبط تارة أخرى[٣٢] •

رمي النحاة رواة القراءات بقلة الضبط او الوهم :

كان بعض البصريين يذهب الى هذا عندما تقضي قواعدهم بشيء ، ثم يروي القراء عن قاريء كبير ما يخالفها ، فيكبر صدورها عنه ، فلا يذهب الى تخطئته فيرمي راوي القراءة بعدم الضبط أو الوهم ، كما مر بنا من قول العكبري في قراءة ابي جعفر • وكثيرا ما وجهوا مثل هذا الطعن الى رواة قراءة ابي عمرو بن العلاء لاجلالهم له واكبارهم ان تأتي قراءته مخالفة القياس كأنما القراءة ذوق واختيار لاسنّة واتباع • من ذلك مثلا ان قواعدهم قضت بعدم جواز ادغام[٣٣]

---

(٣٠) رسالة الملائكة ٢٠٠ •

(٣١) انظر على سبيل المثال سر صناعة الاعراب ١/٦٥ •

(٣٢) انظر مثلا الحجة في علل القراءات السبع ١/٣٧ واسرار العربية ١٦٨ واملاء ما من به الرحمن ١/٣٠ •

(٣٣) الادغام : ان تصل حرفا بحرف مثله من غير ان تفصل بينهما بحركة أو وقف فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة (اسرار العربية ١٦٥) •

حرفين متماثلين قبلهما حرف ساكن غير لين نحو (شهر رمضان)(٣٤) ، فلما روي عن ابي عمرو انه «كان يدغم الاول في الثاني منهما سواء سكن ما قبله أو تحرك نحو قوله تعالى : (فيه‌هدى)(٣٥) و (انه هو)(٣٦) ، و (لا ابرح حتى)(٣٧) و(يشفع عنده)(٣٨) و (شهر رمضان) ...»(٣٩) انكروه وجعلوه اخفاءا(٤٠) ثم وجهوا الطعن الى الراوي . قال ابن جني : « وقول القراء ان هذا مدغم سهو منهم ، وقصور عن ادراك هذا الامر»(٤١) . وقال الرضي : « واما ما نسب الى ابي عمرو من الادغام نحو : (خذ العفو وامر)(٤٢) و (شهر رمضان)(٤٣) فليس بادغام حقيقي بل هو اخفاء أول المثلين اخفاءا يشبه الادغام ، فيجوز باطلاق اسم الادغام على الاخفاء قريبا منه»(٤٤) . ومن ذلك ايضا انهم قرروا عدم جواز ادغام الراء فيما يليها من الحروف ، وعلّلوا ذلك بأن في الراء زيادة صوت وهو التكرير وادغامها في غيرها من الحروف يسلبها مافيها من التكرير(٤٥) ، وعندما رويت قراءة ابي عمرو بادغام الراء في اللام في قوله تعالى : (نغفر لـكم خطاياكم)(٤٦) انكروا قراءته ، ووجهوا طعنهم الى راوي القراءة ، قال ابن جني : « فأما قراءة

---

(٣٤) سورة البقرة من الآية ١٨٥ .
(٣٥) سورة المائدة من الآية ٤٦ .
(٣٦) سورة الشعراء من الآية ٢٢٠ وسورة البروج من الآية ٦٣ .
(٣٧) سورة الكهف من الآية ٦٠ .
(٣٨) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .
(٣٩) انظر التيسير ٢٠ .
(٤٠) الاخفاء او الاختلاس : هو أن يأتي القارىء بثلثي الحركة ، وذلك باضعاف الصوت قليلا عند النطق بالحركة بحيث يكون الباقي منها اكثر من الذاهب (سراج القارىء ١٩٢ والارشادات الجلية ٥٤٣) .
(٤١) سر صناعة الاعراب ١/٦٥ .
(٤٢) سورة الاعراف من الآية ١٩٩ .
(٤٣) سورة البقرة من الآية ١٨٥ .
(٤٤) شرح الرضي على الشافية ٣٤٧ .
(٤٥) سر صناعة الاعراب ٢٠٦ ، أسرار العربية ١٦٨ .
(٤٦) سورة البقرة من الآية ٥٨ .

ابي عمرو : (يغفر لكم) بادغام الراء في اللام ، فمدفوع عندنا ، وغير معروف عند اصحابنا ، انما هو شيء رواه القراء ، ولا قوة له في القياس»[٤٧] . ثم نسبوا الغلط الى راويها . قال أبو البركات الانباري : «ولعل ابا عمرو أخفى الراء فخفي على الراوي فتوهمه ادغاما»[٤٨] . وحصل مثل هذا عندما روى الاصمعي قراءته : (الصراط المستقيم)[٤٩] الزراط بالزاي الخالصة ، حيث لم يردّوا القاريء الكبير ، وانما ردّوا على راويه متهمين اياه بالوهم ، رغم انه كان ممن اشتهر بسعة الرواية اللغوية والأدبية عن العرب . قال ابو بكر بن السراج بعد ان بيّن ما روي عن الأوجه المختلفة لقراءة هذا الحرف بالسين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد وبالزاي[٥٠] قال : « واما الزاي فأحسب الاصمعي لم يضبط عن ابي عمرو ، لأن الاصمعي كان غير نحوي ، ولست أحب ان تحمل القراءة على هذه اللغة ، واحسب انه سمع ابا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاي فتوهمها زايا»[٥١] . وقال ابو حاتم : «ليست الزاي الخالصة بمعروفة»[٥٢] . وقال ابو علي : « فأما القراءة بالزاي فليس بالوجه»[٥٣] . ثم اخذ يبيّن ذلك متبعا سبيل القياس .

وفي قراءته باسكان (بارئكم)[٥٤] مخالفا قاعدة البصريين القاضية بعدم اسكان حرف الاعراب الا في ضرورة الشعر[٥٥] ، بل عدّ من أقبح

---

(٤٧) سر صناعة الاعراب ٢٠٦/١ .
(٤٨) أسرار العربية ١٦٨ .
(٤٩) سورة الفاتحة من الآية ٦ .
(٥٠) انظر الحجة في علل القراءات السبع ٣٦/١ .
(٥١) الحجة في علل القراءات السبع ٣٧/١ .
(٥٢) المصدر نفسه ٣٧/١ .
(٥٣) المصدر نفسه ٣٩/١ .
(٥٤) سورة البقرة من الآية ٥٤ .
(٥٥) انظر الكتاب ٢٩٧/٢ .

الضرورة(٥٦) ، ولهذا لحّن بعضهم أبا عمرو(٥٧) ، وأراد آخرون نفي تهمة اللحن عن أبي عمرو كسيبويه ، الذى مرّ بنا ان موقفه من القراء كان مرنا ليس فيه عنف ، ولا تقريع فقال : « ان منهم من لا يشبعون الحركة بل يختلسونها اختلاسا كقولك : يضربها ، ومن مأمنك يسرعون اللفظ ، ومن ثم قال ابو عمرو (الى بارئكم)»(٥٨) . وذهب بعض النحاة مذهب سيبويه بعدم اسكان ابي عمرو ، وانما كان يختلس الحركة فلم يضبط الرواة عنه ذلك ، فرووا الاسكان ، قال ابن جني : « اختلسوا الحركات تخفيفا عن السنتهم ، واخفوها فلم يمكّنوها في اماكن كثيرة فلم يشبعوها ، الا ترى الى قراءة ابي عمرو قوله تعالى : (فتوبوا الى بارئكم)(٥٩) مختلسا غير ممكن كسر الهمزة ، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ ، الى ان ادّعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة ، لاحذفها البتة ، وهو اضبط لهذا الامر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ، ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف امانة ، لكن أتوا من ضعف دراية»(٦٠) . وقال ايضا : «رواها القراء عن ابي عمرو بالاسكان ، ورواها سيبويه بالاختلاس ، وان لم يكن كان ازكى فقد كان أذكى ، ولا كان بحمد الله مزّنا بريبة ، ولا مغموزا في رواية»(٦١) . ومغزى كلام ابن جني « ان الاسكان لا وجه له في العربية ، ولو كان القراء على دراية بذلك

---

(٥٦) تحصيل عين الذهب ٢/٢٩٧ ، العمدة ٢/٢٧٤ .

(٥٧) قال ابو جعفر النحاس في (اعراب القرآن الورقة ٥٤ ظهر) : « اما اسكان الهمزة فزعم ابو العباس [المبرد] انه لحن لا يجوز في كلام ولا شعر لانها حرف الاعراب» .

(٥٨) الكتاب ٢/٢٩٧ .

(٥٩) سورة البقرة من الآية ٥٤ .

(٦٠) الخصائص ٢/٧٢ـ٧٣ .

(٦١) المصدر نفسه ٢/٣٤٠ .

لترددوا في رواية الاسكان،(٦٢) • ومثل هذا كثير وفيه الكفاية للدلالة على الموضوع ، كما سيمرّ بنا شيء من اقوال النحاة في رمي رواة القراءات بالوهم وعدم الضبط في تضاعيف كلامهم برد القراءات •

تخطيء القراء السبعة :

ثم بلغ الامر ببعض النحاة البصريين ان دفعهم تمسكهم بالقياس النحوي وتحكيمه في القراءات ورغبتهم الملحّة في أن تسير اللغة وفق قواعد ثابتة وعلى سنن مستقيمة الى تخطيء قراءات لا يرقى الشك الى صحتها رواية واداء منسوبة الى أئمة كبار ممن اشتهر بالضبط والاتقان والصدق والدراية كالقراء السبعة ، فقد ضعّفوا قراءة (عاصم بن ابي النجود) مقريء اهل الكوفة واستاذ حمزة قوله

---

(٦٢) الخصائص ١/هامش ص٧٣ للمحقق · والرد على من انكر اسكان ابي عمرو بأن قراءته بالاسكان ثابته في السبعة وقد رواها علماء القراءات المحققون ، قال الشيخ ابو محمد قاسم بن فيره المعروف بالشاطبي في (الشاطبية) :

واسكان بارئكم ويامر لم له ويامرهم ايضا وتامرهم علا
وينصركم ايضا ويشعركم وكم جليل عن الدوري مختلسا تلا

وشرحهما ابن القاصح العذري في (سراج القاريء ١٩٢) بقوله : « الهاء في له عائد على ابي عمرو : يعني ان اسكان الكلم الست المذكورة في البيتين لابي عمرو ، ويريد اسكان الهمزة من بارئكم في الموضعين واسكان الراء فيما بقي حيث وقع وجملته اثنا عشر موضعا وهو (ينصركم) و (يامركم) و (يامرهم) و (تأمرهم) و (يشعركم) · وقال ابن الجزرى في (النشر ٢/٢١٢-٢١٣) : قرأ ابو عمرو باسكان الهمزة والراء في ذلك تخفيفا ، هكذا ورد النص عنه وعن اصحابه من اكثر الطرق وبه قرأ الداني في رواية الدوري عن قراءته بذلك على ابي طاهر بن أبي هاشم» · وانظر ايضا (التيسير ٧٣ واتحاف فضلاء البشر ٨٣ والبدور الزاهرة ٣٠) تجد اتفاقهم على ثبوت رواية اسكان حرف الاعراب عن ابي عمرو ·

تعالى : (كذلك نجي المؤمنين)(١) بنون واحدة وارساله الياء فيها على مثال فعّل(٢) • على اعتبار « انه لا يجوز في مضارع فعّل اذا ابتدأ بالنون ان تحذف النون الثانية الا في شذوذ»(٣) • كما ضعفوا قراءة حمزة مقرىء الكوفة واستاذ الكسائي قوله تعالى : (وما انتم بمصرخيّ)(٤) بكسر الياء(٥) ، حيث جعلها ابو عبيدة غلطا(٦) • وانكر الاخفش ان يكون سمع من العرب أو من النحويين مثيلا لها(٧) ، وشارك الفراء البصريين في الطعن بهذه القراءة ورمي القراء بالوهم بقوله : « ولعلّها من وهم القراء طبقة يحيى [يعني به يحيى بن وثاب] فانه قلّ من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن ان الباء في (مصرخيّ) خافضة للحرف كله»(٨) ، غير انه ذكر ما يؤيدها من السماع عن العرب: « وقد سمعت بعض العرب ينشد :

قال لها هل لك ياتا فيّ ؟ قالت له ما أنت بالمرضيّ»(٩)

---

(١) سورة الانبياء من الآية ٨٨ •

(٢) تأويل مشكل القرآن ٣٩ ، الحجة في القراءات السبع ٢٥٥ وقد قرأ بها ابن عامر كما في (التيسير ١٥٥) قال القرطبي في (تفسيره ١١/٣٣٥) : «وخطاها ابو حاتم والزجاج وقالوا : هو لحن ، لانه نصب اسم مالم يسم فاعله ، وانما يقال : نجي المؤمنون ، كما يقال كرم الصالحون» •

(٣) شرح التصريح على التوضيح ٢/٥٠٠ •

(٤) سورة ابراهيم من الآية ٢٢ •

(٥) قرأ بها : الاعمش ويحيى بن وثاب وسليمان بن مهران وحمران بن أعين وجماعة من التابعين (اعراب القرآن للنحاس الورقة ١٠٩ وجه ، التيسير ١٣٤ ، النشر ١٧١ ، مجمع البيان ١٣/٢١١ ، البحر المحيط ٥/٤١٩ اتحاف فضلاء البشر ١٦٥ ، البدور الزاهرة ١٧١) •

(٦) غيث النفع ١٨٥ •

(٧) اعراب القرآن للنحاس الورقة ١٠٩ وجه •

(٨) معاني القرآن ٢/٧٥ •

(٩) معاني القرآن ٢/٧٦ وفي هذا دليل على اعتماد النحاة على الشعر بالدرجة الاولى ، والحق ان الشعر يجب ان يصحح بالقراءة لا عكس ما وقع فعلا •

على ان الزجّاج لم يقبل هذا الشاهد لأنه ـ على رأيه ـ لا يعرف قائله ، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله تعالى ، ورأيه في القراءة انها رديئة مرذولة عند جميع النحويين[١٠] ، وهكذا تتوالى اقوالهم بتضعيف هذه القراءة . وها هو ذا العكبري يجعلها ضعيفة ويعلل ضعفها بثقلها[١١] ، وقال ابو جعفر النحاس : « ويجب على من كسرها ان يقرأ : هي عصاي بكسر الياء ... فقد صار هذا باجماع لايجوز ، وان كان الفراء قد نقض هذا بإنشاده شاهدا لها ، ولا ينبغي ان يحمل كتاب الله على الشذوذ»[١٢] . وقال الزمخشري مضعفا القراءة ومرددا ما قاله الزجاج عن جهله الشاهد المؤيد لها[١٣] .

كذلك غلطوا حمزة في قراءته : (ومكر السيء)[١٤] ، باسكان الهمزة وصلا[١٥] حتى «تجرأ بعضهم فقال انها لحن ، وحجتهم بأنه حذف حركة الاعراب وهو مما لا يجوز في نثر ولا شعر لانها اجتلبت للفرق بين المعاني وحذفها مخلّ بذلك»[١٦] . قال الزجاج : « وانما صار لحنا لأنه حذف الاعراب منه»[١٧] ، وقد اعظم بعض النحويين أن يكون الاعمش قرأ بهذا ، وقال : « انما كان يقف

---

(١٠) البحر المحيط ٥/٤١٩ ، خزانة الادب ٢/٢٥٩ .
(١١) إملاء ما من به الرحمن ٢/١٦٨ .
(١٢) اعراب القرآن الورقة ١٠٩ وجه .
(١٣) الكشاف ٢/٣٠٠ .
(١٤) سورة فاطر من الآية ٤٣ .
(١٥) التيسير ١٨٣ ، غيث النفع ٢٧٥ ، النشر ٢/٣٥٢ اتحاف فضلاء البشر ٢٢٣ ، البدور الزاهرة ٢٦٢ .
(١٦) غيث النفع في القراءات السبع ٢٧٦ وانظر اعراب القرآن للنحاس الورقة ١٨٧ وجه ومجمع البيان ٢٢/٢٥١ واملاء ما من به الرحمن ٢/٢٠١ وتفسير القرطبي ١٤/٣٥٨ .
(١٧) اعراب القرآن الورقة ١٨٧ وجه .

فغلط من أدعى عنه»[١٨] . أما الزمخشري فوضع اللوم على رواة القراءة حيث قال : « ولعل حمزة اختلس ، فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق»[١٩] .

وكذلك لحنوه في قراءته قوله تعالى : (واتّقوا الله الذى تساءلون به والارحام)[٢٠] بجر الأرحام[٢١] ، فقد قضت مقاييسهم وقواعدهم بعدم العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار الا في ضرورة الشعر لأنه عندهم بمنزلة التنوين[٢٢] . فلما قرأ (حمزة) قراءته[٢٣] وهي مخالفة للقاعدة ضعفها اكثر النحويين – كما قال المازني – وقد ردّ ابو العباس المبرد هذه القراءة ، وقال : « لا تحل القراءة بها»[٢٤] ، ونقل عنه قوله : « لو صلّيت خلف امام يقرأ (ما انتم بمصرخيّ) و (اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) لأخذت نعلي ومضيت . أو لقطعت صلاتي»[٢٥] . وأما الطبري فقال في تفسيره : « فعطف بظاهر على مكني مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب ، لأنها لا تنسق بظاهر على مكني في الخفض الا في ضرورة الشعر ، وذلك لضيق الشعر ، واما الكلام فلا شيء يضطر

---

(١٨) اعراب القرآن الورقة ١٨٧ وجه .

(١٩) الكشاف ٣/٢٧٨ .

(٢٠) سورة النساء من الآية ١ .

(٢١) التيسير ٩٣ ، النشر ٢/٢٤٧ ، اتحاف فضلاء البشر ١١١ ، البدور الزاهرة ٧٣ .

(٢٢) انظر الكتاب ١/٣٩١–٣٩٢ وشرح السيرافي على الكتاب ١/٣٩١ ومجالس العلماء ٣٢٠–٣٢١ واعراب القرآن للنحاس الورقة ٤٤ وجه .

(٢٣) هي ايضا قراءة ابن عباس والحسن وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش ورويت عن مجاهد (انظر اعراب القرآن للنحاس الورقة ٤٤ وجه وتفسير الرازي ٣/١٩٣ وشرح الاشموني ٢/٤٣٠) .

(٢٤) شرح للمفصل ٣/٧٨ وانظر الكامل ٢/٣٩ .

(٢٥) تفسير القرطبي ٥/٣ ، درة الغواص ٣٧ رد ابن يعيش على المبرد قوله هذا فقال : «وهذا القول غير مرضي من ابي العباس ، لانه قد رواها امام ثقة ، ولا سبيل الى رد نقل الثقة مع انه قد قرأتها جماعة من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس والقاسم وابراهيم النخعي والاعمش ، والحسن البصرى وقتادة ومجاهد ، واذا صحت الرواية لم يكن سبيل الى ردها » (شرح المفصل ٣/٧٨) .

المتكلّم الى اختيار المكروه من المنطق ، والرديء في الاعراب منه»[٢٦] . » واحتج الزجاج على فساد هذه القراءة من جهة المعنى بقوله (ص) : (لا تحلفوا بآبائكم) ، فاذا عطفت الأرحام على المكني عن اسم الله اقتضى ذلك جواز الحلف بالارحام»[٢٧] . وقال الزمخشري : «والجر على عطف الظاهر على المضمر ، وليس بسديد» . وبعد ان علل ذلك قال : « وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ، ونظيرها :

فما بك والأيام من عجب» [٢٨] .

وقال في مفصّله : « وقراءة حمزة ليست بتلك القوية»[٢٩] . والغريب في الامر ان الرضي ذهب الى ان حمزة «جوّز ذلك بناء على مذهب الكوفيين ، لأنه كوفي»[٣٠] ، وها هو ذا الفراء الكوفي يشارك البصريين فيجعل العطف على الضمير المخفوض وقد كني عنه فيه قبح ، وهو مما يجوز في الشعر لضيقه[٣١] .

وكان الحق يقضي على النحاة ان لا يتزمّتوا فيقفوا مثل هذه الوقفة المتصلبة

---

(٢٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥١٩/٧ .

(٢٧) تفسير الرازى ١٩٤/٣ واجيب بأنه حكاية عن فعل كانوا يفعلونه في الجاهلية لانهم كانوا يقولون : اسألك بالله وبالرحم ، وحكاية هذا الفعل عنهم في الماضي لاتنافي ورود النهي عنه في المستقبل .

(٢٨) الكشاف ٢٤١/١ .

(٢٩) المفصل ١٢٤ .

(٣٠) شرح الرضي على الكافية ٢٩٦/١ واني لا أقر الرضي على قوله ومتابعة الدمياطى له في (الاتحاف ١١١) بأن حمزة انما قرأ قراءته لانه كوفي وقال بمقالة الكوفيين الذين يجوزون العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار ، واتفق مع الدكتور مهدى المخزومي الذى ذهب الى ان العكس هو الصواب (مدرسة الكوفة ٣٩٢) فالكوفيون هم الذين قعدوا قاعدتهم مستشهدين بقراءة حمزة ، لا أنه قرأ متبعا قاعدتهم ، لانه لم يقرأ حرفا من كتاب الله الا بأثر (معرفة القراء الكبار ٩٥ ، النشر ١٦٦/١ ، غاية النهاية ٢٦٣/١) .

(٣١) معاني القرآن ٢٥٢/١-٢٥٣ .

محكمين قياسهم في القراءات ، بل يعدلوا شيئا من اصولهم ويوسعوا من اقيستهم الضيقة بحيث تستوعب تلك القراءات المتصلة اتصالا وثيقا بلغات العـــرب ، والمنقولة بسند صحيح عن رسول الله (ص) ، وبذلك يكون نحوهم اكثر تمثيلا لواقع اللغة ، ولكنهم استمروا على موقفهم المتصلب ازاء جميع القراءات كموقفهم من جميع النصوص ، فشملت حملتهم كافة القراء حتى اعلاها سندا ، فنافع بن ابي نعيم مقرىء المدينة ليس له علم بالعربية كما قال المازني ومن بعده المبرد[٣٢] ، لأنه قرأ (معائش) بهمز الياء[٣٣] في قوله تعالى : (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش)[٣٤] . قال الزجاج : « جميع نحـــاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ولا أعلم لها وجها الا التشبيه بصحيفة وصحائف ، ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة»[٣٥] ، وجعلها ابن خالويه وأبو جعفر النحاس لحنـــا[٣٦] ، والطبري شاذة[٣٧] . ثم توالت اقوال العلماء بتلحين نافع ورد قراءته وتضعيفها عبر العصور[٣٨] ، لأن حرف المد في المفرد اصلي ، وما كان كذلك امتنع قلبه همزة ، وانما يهمز اذا كان زائدا كمدائن وصحائف ووظائف .

---

(٣٢) قال ابو عثمان المازني في : (المنصف : شرح تصريف المازني ١/٣٠٧) : « فاما قراءة من قرأ من اهل المدينة (معائش) بالهمز فهي خطأ . فلا يلتفت اليها ، وانما اخذت عن نافع بن ابي نعيم ، ولم يكن يدري ما العربية ، وله أحرف يقرأها لحنا نحو من هذا » . وقال المبرد في (المقتضب ١/١٢٣): « من قرأ (معائش) فهمز فانه غلط ، وانما هذه القراءة منسوبة الى نافع بن ابي نعيم ، ولم يكن له علم بالعربية» .

(٣٣) غيث النفع ١٣١ ، اتحاف فضلاء البشر ١٣٣ .

(٣٤) سورة الاعراف من الآية ١٠ .

(٣٥) البحر المحيط ٤/٢٧١ .

(٣٦) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٤٩ ، اعراب القـــرآن للنحاس الورقة ٧٣ ظهر .

(٣٧) جامع البيان ١٢/٣١٧ .

(٣٨) انظر املاء ما من به الرحمن ١/٢٦٩ والشافية ٢٨٩ والمفصـــل ٢٨٣ والكشاف ٢/٥٤ والمثل السائر ١/١٥ والطراز ١/٢٢ .

ومع ذلك فلا أقر من رمى نافعا بالجهل من النحاة فهو « من اكبر القراء السبعة قدرا ، وأفخمهم شانا»[٣٩] ، وقراءته « أوثق القراءات واصحها سندا وأفصحها في العربية» [٤٠] ، على ان قراءته هذه المخالفة للقياس النحوي لم ينفرد بها وحده ، فقد «رويت عن ابن عامر وقرأ بهـا ايضا زيد بن علي والاعمش والأعرج»[٤١] ، ولها وجه في العربية سيأتي ذكره . فما ضرّ لو اخذ النحاة البصريون بها وصححوا قاعدتهم بمقتضاها «وعملوا على الافادة من هذه القراءة التى تعد احدى القراءات المشهورة»[٤٢] « وبذلك يزيد مذهبهم احكاما وانسجاما مع اصوله التى اهمها البناء على السماع الصحيح . وأيّ سماع أصح من قراءة نافع وابن عامر والأعرج والأعمش وزيد بن علي رواية عن عثمان عن النبي (ص) ؟ وهؤلاء الرواة فصحاء بمنابتهم ، علماء بتحصيلهم سليقيون عاشوا ولم يتطرّق الفساد الى ملكاتهم»[٤٣] . ولكنهم أعرضوا عنها كدأبهم في الاعراض عن كل قراءة خالفت القاعدة المقررة ، وان رويت عن افاضل العلماء وفصحائهم ، فلم يتورّعوا عن تلحين أئمة كبار لا يرقى الشك الى فصاحتهم لهم مكانتهم المرموقة بين القراء كالعربي الصراح (عبدالله بن عامر) مقرىء اهل الشـام وقاضي دمشق[٤٤] ، أو ممن كان له باع طويل في علوم اللغة والنحو وضرب بسهم وافر في الرواية عن العرب كأمام اهل البصرة في القراءة ابي عمرو بن العلاء ، الذي

(٣٩) المثل السائر ١/١٥ .
(٤٠) الابانة عن معاني القراءات ٥٠ .
(٤١) اعراب القرآن للنحاس الورقة ٧٣ ظهر ، حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردي للشافية ٢٩٠ وانظر البحر المحيط ٤/٢٧١ .
(٤٢) النحو العربي نقد وبناء ١٢٩ .
(٤٣) في اصول النحو ٣٣ـ٣٤ .
(٤٤) التيسير في القراءات السبع ٥ .

كان له نصيب في تثبيت دعائم علم النحو ، أو مقرىء الكوفة ومؤسس مدرستها النحوية علي بن حمزة الكسائي الذى خطىء في قراءته قوله تعالى : (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين)(٤٥) باضافة ثلثمائة الى سنين [أي بحذف التنوين](٤٦) ، وقد أنحى ابو حاتم على هذه القراءة(٤٧) ، وقال المبرد : « وهذا خطأ في الكلام غير جائز ، وانما يجوز مثله في الشعر للضرورة»(٤٨) .

اما تلحين ابن عامر فقد قرر البصريون عدم الفصل بين المضاف والمضاف اليه اختيارا «لأنه من تمامه ومنزل منه بمنزلة التنوين»(٤٩) ، الا في اضطرار الشعر حيث جوزوا الفصل بالظرف وحرف الجر كقولنا : ان في الدار زيدا ، وان اليوم زيدا قائم(٥٠) ، فلما قرأ قوله تعالى : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم)(٥١) بنصب دال (اولادهم) وخفض همزة (شركائهم) باضافة (قتل) اليه وهو فاعل في المعنى(٥٢) ، وجاءت قراءته مخالفة لما قرروه لقيت معارضة عنيفة منهم ، وشاركهم فيها الفراء الكوفي بل «هو الذي فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر» ـ كما قال البغدادي(٥٣) ـ ، حيث تعرض لهذه القراءة

---

(٤٥) سورة الكهف من الآية ٢٥ .

(٤٦) غيث النفع ١٥٥ ، التيسير ١٤٣ ، النشر ٣١٠/٢ ، البدور الزاهرة ١٨٩ وهي قراءة حمزة ايضا .

(٤٧) البحر المحيط ١١٧/٦ .

(٤٨) المقتضب ١٧١/٢ .

(٤٩) همع الهوامع ٥٢/٢ .

(٥٠) انظر الكتاب ٨٩/١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٣٤٧/٢ والمقتضب ٣٧٦/٤ وشرح السيرافي على كتاب سيبويه ٣٨٣/١ .

(٥١) سورة الانعام من الآية ١٣٧ .

(٥٢) التيسير ١٠٧ ، النشر ٢٦٣ ، البدور الزاهرة ١٠٩ .

(٥٣) خزانة الادب ٢٥٤/٢ .

في مكانين من معانيه في سورتي الانعام وابراهيم(٥٤) ، فوجه نقده لها ومما قاله : « وليس قول من قال (مخلف وعده رسله) ولا (زيّن لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم) بشيء»(٥٥) . ولم يقبل قول من اراد ايجاد وجه لقراءة ابن عامر وانشاده شاهدا لها بقوله : « وليس قول من قال : انما ارادوا مثـــل قول الشاعر :

فزججتهـا متمكّنـا   زجّ القلوص ابي مزادة(٥٦)

بشيء . وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية»(٥٧). وهو «باطل والصواب :

زج القلوص أبو مزادة»(٥٨)

وقال الطبري : « فرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه الأسم وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح ...»(٥٩) . وتكلّم فيها غير واحد من المفسرين

(٥٤) انظر معاني القرآن ١/٣٥٨ و ٢/٨١ـ٨٢ .

(٥٥) معاني القرآن ٢/٨١ .

(٥٦) هذا من الشواهد التى دونها العلماء على حواشي الكتاب ، فادخلهـــا النساخ ضمن شواهد سيبويه بمرور الازمان ، وهو مما أنشده الاخفش ، كما ذكرنا في هامش (١٤٧) ص٨٧ من هذه الرسالة ، ويروى صدره : فزججتها بمزجة ، وعجزه : زج الصعاب ابي مزادة . والشاهد فيه انه اضاف المصدر الى الفاعل وفصل بينهما بالمفعول .

(٥٧) معاني القرآن ٢/٣٥٨ .

(٥٨) معاني القرآن ٢/٨٢ .

(٥٩) جامع البيان عن تاويل آى القرآن ١٢/١٣٨ .

والنحويين كابن عطية ومكي بن ابي طالب وابن جني والنحاس والفارسي والزمخشري ، وقالوا : ان ذلك لا يجوز في النثر[٦٠] . قال احمد بن حمدان النحوي : « قراءة ابن عامر لا تجوز في العربية ، وهي زلّة عالم ، واذا زلّ العالم لم يجز اتباعه ، وردّ قوله الى الاجماع »[٦١] . وقال ابو علي الفارسي : « هذا قبيح في الاستعمال ، ولو عدل عنها (يعني ابن عامر) كان أولى لأنهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف وانما اجازوه في الشعر »[٦٢] . وتابعه تلميذه ابن جنّي حيث جعل الفصل بالظرف وحرف الجر قبيحا مع كثرته في الشعر عند الضرورة »[٦٣] « وفي النثر وحال السعة صعب جدا ، لاسيما والمفصول مفعول به (كقراءة ابن عامر) لا ظرف »[٦٤] . ومضى النحويون ممن سار على المذهب النحوي البصري يهاجمون هذه القراءة السبعية ، قال ابن خالويه : « الفصل بين المضاف والمضاف اليه قبيح في القرآن ، وانما يجوز في الشعر »[٦٥] . واما الزمخشري فقال عنها : « فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج وردّ :

زج القلوص ابي مزادة

فكيف به في الكلام المنثور ؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ؟ والذي حمله على ذلك (حمل ابن عامر على قراءته) ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ، ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء ، لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم ، لوجد مندوحة عن هذا الارتكاب »[٦٦] . وقال في (المفصل) : « وما يقع في بعض نسخ الكتاب من قوله :

فزججتها بمزجّــه زجّ القلوص ابي مزادة

(٦٠) انظر غيث النفع ١٢٥ وتفسير القرطبي ٩٢/٧ .
(٦١) تفسير القرطبي ٩٢/٧ .
(٦٢) البحر المحيط ٢٣٠/٤ .
(٦٣) الخصائص ٣٩٠/٢ .
(٦٤) الخصائص ٤٠٦/٢ .
(٦٥) الحجة في القراءات السبع ١٢٥ .
(٦٦) الكشاف ٤٢/٢ .

فسيبويه بريء من عهدته»[1] . والظاهر ان كلام النحويين هذا يوحي بعدم تسليمهم بتواتر القراءات السبع ، وقد صرّح بهذا الرضي حيث قال : « قراءة ابن عامر ليست بذاك ، ولا نسلم تواتر القراءات السبع»[2] ، واحسن رد على اقوال النحاة في هذه القراءة المتواترة ما قاله البغدادي : « وهذه الأقوال كلّها لاينبغي ان يلتفت اليها لأنها طعن في المتواتر ، وان كانت صادرة عن أئمة أكابر»[3] .

وان تعجب فعجب قولهم بتلحين ابي عمرو بن العلاء امام النحو واللغة والرواية ، وثاني اثنين عرب من القراء السبعة ـ أحدهما ابن عامر ـ الذي قال فيه يونس بن حبيب : «لو كان احد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي ان يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كلّه في العربية»[4] . فقد حكي عن ابي العباس المبرد انه قال : «ما عرفت أو علمت ان أبا عمرو بن العلاء لحن في صميم العربية الا في حرفين : أحدهما : (عادا الاولى)[5] ، والآخر : (يؤده اليك)[6] ،

(١) المفصل ١٠١ـ١٠٢ ذكر الزمخشري هذا عن الشاهد « لان سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف والجار والمجرور فكيف يحتج بما يخالف مذهبه؟» . (المفضل في شرح ابيات المفصل ١٠٣) وهو مما انشده الاخفش من الشواهد في هذا الباب ، انظر هامش (٥٦) ص٢٥٤ .

(٢) شرح الرضي ١/٢٧١ قال السيد الشريف (في حاشيته على شرح الرضي على الكافية ١/٢٧١) : « منع الرضي تواتر القراءات السبع موافقة للزمخشري في هذه الزلة وجمهور المحققين ذهبوا الى ان القراءات السبع متواترة ، ذكر ذلك المولى التفتازاني في شرحه على الكشاف » .

(٣) خزانة الادب ٢/٢٥٤ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ١٥ ، نزهة الالباء ١٥ .

(٥) سورة النجم من الآية ٥٠ وقد قرأ ابو عمرو ونافع وابو جعفر ويعقوب بادغام التنوين في اللام بعد نقل حركة الهمزة اليها وصلا (التيسير ٥٣ ، اتحاف فضلاء البشر ٣٠٦ ، البدور الزاهرة ٣٠٦) .

(٦) سورة آل عمران من الآية ٧٥ وقرأ ابو بكر وابو عمرو وحمزة (يؤده اليك ولا يؤده اليك ونؤته منها) في هذه الآية والآية ١٤٥ في الموضعين وفي سورة النساء آية ١١٥ (نوله ونصله) وفي سورة عسق آية ٢٠(نؤته منها) باسكان الهاء في السبعة (التيسير ٨٩ ، البحر المحيط ٢/٤٩٩ ، البدور الزاهرة ٦٤) .

وانما صار لحنا لأنه ادغم حرفا في حروف ، فأسكن الأولى ، والثاني حكمه السكون ، وانما حركة عارضة ، فكأنه قد جمع بين ساكنين ، وأما (يؤدّه) فلا يجوز اسكان الهاء الا في الضرورة عند بعض النحويين ومنهم من لايجيزه البتة»(٧) .

وقال الزجاج عمن قرأ الآية الثانية وفيهم ابو عمرو : « وهذا الاسكان الذى روي عن هؤلاء غلط ، لأن الهاء لا ينبغي ان تجزم واذا لم تجزم فلا أن تسكن في الوصل ، واما ابو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فغلط عليه كما غلط عليه في : (بارئكم)(٨) ، وقد حكى عنه سيبويه وهو ضابط لمثل هذا انه كان يكسر كسرا خفيفا»(٩) . ولقد لحنّه بعض النحويين في قراءته باسكان (بارئكم) مخالفا قاعدة البصريين القاضية بعدم اسكان الحرف الا في ضرورة الشعر(١٠) ، بل عدّ من اقبح الضرورة(١١) ، قال النحاس : « اما اسكان الهمزة فزعم ابو العباس [اي المبرد] انه لحن لا يجوز في كلام ولا شعر لأنها حرف الاعراب ، وقد اجاز ذلك النحويون القدماء الأئمة وانشدوا :

اذا اعوججن قلت صاحبْ قوّم»(١٢) .

وقد مرّ بنا أن بعض النحويين كسيبويه نفى تهمة اللحن عن ابي عمرو ، وذكر أن أبا عمرو اختلس الحركة فنقل الرواة عنه انه اسكن .

وبعد . فان ما تقدم ذكره عن تلحين النحاة أئمة القراء ورمي قراءاتهم الصحيحة المتواترة بالشذوذ ، ورواتهم بالوهم هو غيض من فيض تركت الكثير

---

(٧) نزهة الالباء ٢٠٢ .

(٨) سورة البقرة من الآية ٥٤ .

(٩) البحر المحيط ٢/٤٩٩ .

(١٠) انظر الكتاب ٢/٢٩٧ والمقتضب ١/٣٩ ، ٢٦٧ .

(١١) العمدة ٢/٢٧٤ ، تحصيل عين الذهب ٢/٢٩٧ .

(١٢) اعراب القرآن ، ابو جعفر النحاس الورقة ٥٤ ظهر .

منه لضيق المجال ، ولذا لا يقبل قول الدكتور شوقي ضيف الـذى حاول التهوين من أمر الحملة التى شنها البصريون فزعم « ان بصريي القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات ، وهي امثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة ولا خاصة عامة»(١٣) • فهل ما ذكرناه لا يعد ظاهرة عامة ؟ وتخطيء النحاة للقراء ماليء كتب النحو ! ثم هل كان النحاس والعكبري وأبو علي الفارسـي وابن جني والزمخشري وابن خالويه ممن مرّت اقوالهم في الطعن بالقراءات السبعة وتلحين قارئيها من نحاة القرن الثالث ؟

ومن الجدير بالذكر أن الوزر في ذلك لا يقـع عـلى عاتق البصريين وحدهم ، بل يقع على بعض الكوفيين ، فالواقع ان جمهور الكوفيين وان عرف عنهم انهم لم يردوا قراءة او يلحّنوا قارئا ، حيث قبلوا القراءات واعتدوا بها في الاستشهاد ، كما سيأتي تفصيل ذلك ، الا ان (الفراء) كان له نصيب من الحملة ضد القراء • فلا نكران لاستشهاده بكثير من القراءات الصحيحة والشاذة(١٤) ، التي كان ايضا يظهر صوابها(١٥) ، بل يفضلها ـ احيانا ـ على قراءة سبعية(١٦) ، الا ان مفاضلته بين القراءات كانت تقوم على نظرته اليها من خلال المقاييس النحوية ، والأساليب العربية ، ولهذا كان يحاول اخضاعها للقياس النحوي ، كما كان البصريون يفعلون ، والأدلة كثيرة على ذلك ، فقد كان يقول عن قراءات يراها مخالفة للقياس منها قراءات سبعية : « لست اشتهي ذلك»(١٧) أو يقول : ان

---

(١٣) المدارس النحوية ١٩ •
(١٤) معاني القرآن انظر ١/١٤٥ و ١٨٦ و ٢٠٠ مثلا •
(١٥) معاني القرآن ١/٤١ •
(١٦) معاني القرآن ١/٣٤٥ •
(١٧) معاني القرآن ١/١٢٥ ، ٢/٥٣ •

الكسر[١٨] أو النصب[١٩] أو الرفع[٢٠] أحبّ اليّ . ولهذا السبب كان يفترض على القارىء الأوجه التي يراها صالحة عربية[٢١] كقوله في قوله تعالى : (إلاّ أن يكون ميتة)[٢٢] : « في الميتة وجهان : الرفع والنصب ، ولا يصلح الرفع في القراءة، لأن الدم منصوب بالرد على (الميتة) وفيه الف تمنع من جواز الرفع»[٢٣] . وما لم يصلح عند الفراء قرأ به ابن عامر[٢٤] . فشتان بين القراءة والقيـــاس ، لأن القراءة لا تجوز بالقياس المطلق ، وانما تؤخذ بالسند والرواية واتباع الأثر .

« والملاك العام عند الفراء الاعتداد بالشاذ وتصويب القراءة مادامت موافقة لوجه من وجوه العربية»[٢٥] . ولهذا لم يتورع عن رمي قراء كبار كأبي عمرو بن العلاء وحمزة ويحيى بن وثاب بالوهم[٢٦] ، واسمع قوله في قراءة حمزة (الا أن يخافا) في قوله تعالى : (إلاّ أن يخافا ألاّ يقيما حـــدود الله)[٢٧] « لا يعجبني ذلك»[٢٨] . وقد مرّ بنا قوله بعدم تجويز قراءة حمزة بجر (والأرحام) وجعله العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار مما لا يجوز الاّ في الشعر لقبحه ، كذلك طعنه في قراءة ابن عامر لفصله بين المضاف والمضاف اليه .

---

(١٨) معاني القرآن ٢/٣٥١ .

(١٩) معاني القرآن ٢/٦٣ .

(٢٠) معاني القرآن ٢/٣٨٤ .

(٢١) معاني القرآن ١/١٠١ ، ٤٤١ ، ٢/٧٣ ، ٤٠١ .

(٢٢) سورة الانعام من الآية ١٤٥ وتمام الآية : (قل لا أجد في ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحـم خنزير فانه رجس أو فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) .

(٢٣) معاني القرآن ١/٣٦٠ .

(٢٤) التيسير ١٠٨ .

(٢٥) ابو علي الفارسي ٢٦٣ .

(٢٦) انظر معاني القرآن ٢/٧٥ .

(٢٧) سورة البقرة من الآية ٢٢٩ ولم ينفرد حمزة بهذه القراءة بل قرأ بهـا ايضا ابو جعفر المدني ويعقوب الحضرمي وهما من القراء العشرة (التيسير ٨٠ ، البحر المحيط ٢/١٩٧ ، البدور الزاهرة ٤٨) .

(٢٨) معاني القرآن ١/١٤٥ .

ان مثل هذا الموقف الذى وقفه الفراء من القراء دفع احد الباحثين الى القول بأن الفراء ، كان مع البصريين ، بل انه سبق البصريين جميعـــا فكانوا معه،[٢٩] مستندا الى ما قاله البغدادى : إن الفراء ، هو الذي فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر،[٣٠] • وايا ما كان الأمر فالمهم في الموضوع ان الفراء شارك بعض المشاركة مع البصريين في تخطيء القراء ،كما كان للكسائي مشاركة في ذلك،[٣١] ، فقد قيل : إنّه : قال : من قرأ (قد سمع)[٣٢] فبّن الدال عند السين فلسانه أعجمي ليس بعربي • وقال ابو حيان : ولا يلتفت الى هذا القول فالجمهور على البيان[٣٣] ، وقد ذكر أبو عمرو الداني ان بيان الدال من القراءات السبع حيث كان ابن كثير وقالون وعاصم يظهرون الدال[٣٤] • ويظهر ان الكسائي كنحوي ينسى امور القراءة وأحكامها فيستيقظ فيه الجانب البصري ويظهر اثـر دراسته البصرية فيقول بالقياس •

تخطيء القراء خطا عظيم :

ان تخطيء القراء ورميهم بالوهم أو الجهل أو اللحن ورد قراءاتهم المتواترة ، لاسيما قراءات صحيحة مشهورة كقراءات القراء السبعة خطأ عظيم وضعف في المنهج ، لما اشتهر به القراء من ضبط في التلقّي والعرض ، وعناية فائقة في الأداء ، فلم يكتفوا بالسماع طريقا لأخذ القراءة فحسب ، بل اشترطوا تلقيّها عـن الشيوخ وعرضها عليهم ، وبذا يتم ضبطها على احسن الوجوه واكملها ، فربّ

(٢٩) الدكتور احمد مكي الانصارى في كتابه (ابو زكريا الفراء ٣٩١) •
(٣٠) خزانة الادب ٢/٢٥٤ •
(٣١) المقتضب/مقدمة المحقق ١١١ •
(٣٢) سورة المجادلة من الآية ١ •
(٣٣) البحر المحيط ٨/٢٣٢ •
(٣٤) التيسير ٤٢ •

سامع حرف لا يستطيع تأدية نطقه على الوجه الصحيح ، ولهـذا قالوا : « ان التحديث بالقراءة يفيد ثبوتها ولا يبيح القراءة بها ، بخلاف القراءة فانه يفيد الثبوت واباحة القراءة بها ، ولهذا نجدهم يجمعون بين التحديث والقـراءة ، فيقول من تعرّض منهم لاثبات القراءة : حدثني فلان بقراءته لفلان ، ثم يقول : وقرأت بها القرآن كلّه على فلان»[٣٥] . وفي هذا مافيه من حرص زائد على النقل الصحيح واحكام الضبط ما بعده من إحكام ، ومن ألمّ بعلم القراءات عرف ما كان عليه القراء من « غاية الاعتناء ونهاية الاهتمام في حفظ القرآن وضبطه حتى مقادير المدّات وتفاوت الامالات ، ويعرف مالهم من مزيد العناية ، في ضبـط الاحاديث والرواية ، حفظ وكتابة ومن وفور الاحتياط وعظيم التثبت عند ادائها وتبليغها للامة»[٣٦] . وكان الحق يقضي «على النحاة ان يستفيدوا من هذا التشدد في التقيّد ، ويصرفوا جلّ عنايتهم الى الاستعانة بتلك القراءات التى تتمثل فيها أفصح لغات العرب واسماها»[٣٧] ، بدلا من الاعراض عنها وعدم الاستشهاد بها ، بله تضعيفها وتلحين قارئيها ورمي رواتها بالوهم وعدم الضبط .

ان رمي رواة القراءات بالوهم وعدم الضبط مردود من أساسه لاشتهارهم بعكس مارموا به ، ولو استعرضنا بعض من اصابهم هذا الطعن لوجدنا أنه يبعد ان يصدق عليهم هذا الزعم ، فالاصمعي الذى روى قراءة ابي عمرو (الصراط) بالزاي ، كان من كبار رواة اللغة والشعر ، وقد أخذ العلماء بكثير مما روى ، كما عرف بقوة الذاكرة حيث كان يحفظ كثيرا من الشـعر والرجز والنـوادر ، فكيف يتوهم برواية حرف من القراءة له اتصال بالدين ؟ واذا رجعنا الى القراءة المذكورة

---

(٣٥) غيث النفع في القراءات السبع ٣١٥ .
(٣٦) تاريخ القرآن والمصاحف ٣٣ .
(٣٧) نظرات في اللغة والنحو ١٦ .

وجدناها قراءة صحيحة وفصيحة[٣٨] ، قياسا وسماعا ، فالتقارب ما بين السين والزاى والصاد لانها حروف الصفير ، وتقارب مخارجها يجعل التأثر التبادل بينهما ممكنا[٣٩] . ومما يؤيد قراءة ابي عمرو ويجعلها فصيحة قول سيبويه : «وسمعنا العرب الفصحاء يجعلون الصاد زايا خالصة ، كما جعلوا الاطباق ذاهبا في الادغام ، وذلك قولك في التصدير : التزدير ، وفي الفصد : الفزد ، وفي اصدرت : ازدرت ، وانما دعاهم الى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد ، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد»[٤٠] . وسمع المبرد ام الهيثم تقول: «جاء فلان يضرب اصدريه وازدريه واسدريه»[٤١] . وروي « ان اعرابيين تشاجرا فقال احدهما سقر ، وقال آخر : صقر ، فاحتكما الى اعرابي شيخ لهما كبير فقال : هو زقر»[٤٢] . كل هذا يؤيد ان قراءة ابي عمرو فصيحة واردة في لسان العرب ، فتقلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا ، فيقولون في سقر : زقر وفي (مس سقر)[٤٣] : مس زقر[٤٤] ، ، وحكى سلمة عن الفراء قال : الزراط بإخلاص الزاي : لغة لعذرة ، وكلب ، وبني القين ، قال : وهؤلاء يقولون في اصدق : ازدق وقد قالوا : الأزد في الأسد[٤٥] .

اما الراوي الثاني الذي كان ممن تناوله النقد ورمي بقلة الضبط والوهم فهو أبو محمد اليزيدي[٤٦] لروايته ادغام الحرفين المتماثلين كـ (شهر رمضان)

---

(٣٨) انظر الابانة عن معاني القراءات ٧٨ .
(٣٩) انظر مقدمتان في علوم القرآن ١٤٨ .
(٤٠) الكتاب ٢/٤٣٦ .
(٤١) الفاضل ٢٣ .
(٤٢) الابدال والمعاقبة ٦٤ــ٦٥ .
(٤٣) سورة القمر من الآية ٤٨ .
(٤٤) سر صناعة الاعراب ١/٢٠٨ .
(٤٥) تفسير القرطبي ١/١٢٨ .
(٤٦) هو يحيى بن المبارك اليزيدي البصري النحوي ، وعرف باليزيدي لاتصاله بيزيد بن منصور خال المهدي ، وكان ثقة علامة فصيحا مفوها ، بارعا ، اخذ عن الخليل وغيره (معرفة القراء الكبار ١٢٥) .

واسكان الحرف كما في (بارئكم) عن أبي عمرو ، فهو ايضا ممن لا تتطرق اليه التهمة ولا تحوم حوله الشكوك ، فقد كان «الغاية في قراءة ابي عمرو ، وبروايته يقرأ اصحابه[٤٧] ، ، وهو ثقة امين مقدم مكين»[٤٨] ، وقد أجمع العلماء على أنه «ثقة صدوق لا يدفع عن سماع ولا يرغب عنه في شيء»[٤٩] فمثله « ما كان ليرمي باساءة السمع ، وقد روى أدق من هذا وأمنع عن ابي عمرو ، فقد ذكر ان ابا عمرو كان يشمّ الهاء من (يهدي) والخاء من (يخصمون) شيئا من الفتح ، وهذا من اللطف بمكان »[٥٠] وقال ابن مجاهد : «وانما عوّلنا على اليزيدي وان كان سائر اصحاب ابي عمرو اجل منه لأجـل انه انتصب للرواية عنـه وتجرّد لها ولم يشتغل بغيرها وهو اضبطهم»[٥١] • والحق ان اسناد الوهم الى حفظة القرآن وقرائه ورواته لأمر عظيم يدعو الى التأمل ، لأن دستور الاسلام الذي قامت عليه الشريعة الاسلامية السمحة هو القـرآن • وآياته البينـات جاءتنا عن طريق اولئك الرواة الحفاظ ، فان رميهم بالوهم وترديد قول عدم ضبطهم لما قرأ القارىء معناه ان ما جاءنا عنهم غير مضبوط ، وهذا خطأ عظيم كان ينبغي على النحاة اجتنابه ، ومثل هذا الاعتقاد في رواة القراءات باطل كما قال الصفاقسي « لأنا لو أخذنا بهذه التجويزات العقلية في حملة القرآن لأدى ذلك الى الخلل فيه بل المظنون بهم التثبت التام والحرص الشديد على تحرير الفاظ كتاب الله وعدالتهم وخشيتهم من الله عز وجل تمنعهم من التساهل في تحمله لاسيما فيما فيه مخالفة الجمهور فعندهم فيه مزيد اعتناء وهم اعلم بالعربية وأشـد لهـا استحضارا وأقرب بها عهدا ممن يعترض عليهم وينسبهم للوهم والغلط بالتجويزات

---

(٤٧) اخبار النحويين البصريين ٣٦ •
(٤٨) مراتب النحويين ٩٨ •
(٤٩) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٧٦ •
(٥٠) الخصائص ١/هامش ص٧٢ للمحقق •
(٥١) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٧٧ •

العقلية ، ولم يكن يتصدر في تلك الأزمان الفاضلة لأقراء كتاب الله الا من هو أهل لذلك»[٥٢] .

ونعود الى ما رواه اليزيدي عن ابي عمرو وانكره عليه النحاة كالادغام الذى جعلوه اخفاءا ، فقد ثبت رواية عن ابي عمرو ، وكان الرواة على العموم لا يغفلون عن أمور كهذه بل نقلوا ما هو ادق واخفى من هذا ، واذا كان البصريون لم يجوزوه فليس معناه انه غير موجود في لسان العرب ، « فان لسان العرب ـ كما يقول ابو حيان ـ ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه ... وقد اتفق على نقل ادغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم ابو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وكبراء اهل الكوفة الرواسي والكسائي والفراء وأجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع فيه الى علمهم ونقلهم اذ من علم حجة على من لم يعلم»[٥٣] . ومما يؤيد قول ابي حيان ان الفراء ذكر هذا الأدغام عند كلامه على (شهر رمضان) وتطرقه الى قراءة الاية[٥٤] ، وقال السيوطي : « الذين رووا الأدغام عن ابي عمرو أئمة ثقات ومنهم علماء بالنحو كأبي محمد اليزيدي وغيره فوجب قبوله»[٥٥] .

اما ما رواه من اسكان ابي عمرو حرف الاعراب الذى جعله البصريون اختلاسا ، فهو صحيح نقلا وقياسا ، فقراءة ابي عمرو بالاسكان ثابتة ، وقد ذكر ابو عمرو الداني روايته للاسكان ، وبه قرأ على شيخه الفارسي كما تقدم[٥٦] . ولهذه القراءة وجه في العربية صحيح، ووجهها هو التخفيف لتوالي الحركات[٥٧]،

---

(٥٢) غيث النفع ٢٧٧ .
(٥٣) البحر المحيط ٢/٣٦٢ـ٣٦٣ .
(٥٤) انظر الايام والليالى والشهور ٥٤ .
(٥٥) همع الهوامع ٢/٢٢٦ .
(٥٦) انظر هامش (٦٢) ص٢٤٦ من هذه الرسالة .
(٥٧) المحتسب ١/١٠٩ـ١١٠ ، الحجة في القراءات السبع ٥٤ وانظر شرح القصائد السبع الطوال ١٠ـ١١ .

وهو من « اجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة نحو ابل وعضد»(٥٨) ، وقد حكى ابو زيد : (بلى ورسلنا لديهم يكتبون)(٥٩) بسكون اللام ، وانشد أبو علي لجرير :

سيروا بني العمّ فالاهواز منزلكم ونهر تيرى فلا تعرفْكم العرب

يريد تعرفُكم • ومن ابيات الكتاب :

فاليوم اشربْ غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

أي أشربُ(٦٠) « واذا جاز اسكان حرف الاعراب واذهابه في الأدغام فاسكانه وابقاؤه أولى»(٦١) • وهو [أي الاسكان] « لغة بني أسد وتميم»(٦٢) ، وبذلك سقط ما رمي به ابو محمد اليزيدي من الوهم وعدم الضبط ، وبرّيء ابو عمرو من تهمة اللحن التي الصقت به ، وجازت قراءته رواية وقياسا وعربية •

اضافة الى الضبط الذى اشتهر به القراء وعنايتهم الفائقة بتناقل القراءة وروايتها ، فان القراءات « مروية عن الصحابة وقراء التابعين ، وهم جميعا ممن يحتج بكلامهم العادي بله قراءاتهم التى تحرّوا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من رسول الله»(٦٣) • ولهذا كان بعض النحاة المتاخرين يخطّئون الذين عابوا القراء ونسبوهم الى اللحن ، لثبوت قراءاتهم « بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لا مطعن فيها وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية»(٦٤) ، وكان بعض العلماء ممن سار على المذهب البصري يتجشّم متاعب التأويل البعيد في سبيل عدم الطعن

(٥٨) النشر ٢/٢١٣ وانظر املاء مامن به الرحمن ١/٣٧ •
(٥٩) سورة الزخرف من الآية ٨٠ •
(٦٠) المحتسب ١/١٠٩-١١٠ •
(٦١) غيث النفع ٥٠ •
(٦٢) الصاحبي في فقه اللغة ١٩ ، غيث النفع ٥٠ •
(٦٣) في أصول النحو ٢٥ •
(٦٤) الاقتراح ١٥ •

بهؤلاء القراء الكبار ، قال السكاكي بعد أن اوّل قراءة ابن عامر : (قتل اولادهم شركائهم) ... » وما ذكرت وان كان فيه نوع من البعد فتخطئه الثقات والفصحاء أبعد» (٦٥) ، كما « ان قراء القرآن كانوا في نفس الوقت علماء بالعربية»(٦٦) ، يحثّون الناس على طلبها . قال عاصم بن ابي النجود : « من لم يحسن من العربية الا وجها واحدا لم يحسن شيئا» (٦٧) . وان منهم من كان عالما في اللغة والنحو عالما في القراءات كأبي عمرو بن العلاء والكسائي مثلا(٦٨) .

ويظهر ان بعض النحاة ذهبوا الى رد القراءات الخارجة على الشائع المشهور وتضعيفها او تلحين قارئها – لأن بعضهم ربما ظن أن القراءة من اجتهاد القارئ واختياره «أو انها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقـــل»(٦٩) ، قال ابن المنـير الاسكندري في بعض ردوده على الزمخشري لانكاره بعض القراءات : « وقد تقدم الانكار عليه في مثل هذا القول فانه يوهم ان القراءات موكولة الى رأي الفصحاء واجتهاد البلغاء فتتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع ، والحـــق انه لا يجوز لاحد أن يقرأ الا بما سمعه فوعاه متصلا بفلق(٧٠) فيه (ص) منزلا كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وانما هو ناقل كغيره»(٧١) . او لذهاب بعضهم الى عدم تواتر القراءات السبع(٧٢) ، او نقول الاخرين بانها متـــواترة

---

(٦٥) مفتاح العلوم ٦٢ .
(٦٦) مقدمة الانصاف ، فايل ١ قال ابن قتيبة في (المعارف ٤٢٧) : كان عبدالله ابن مسعود يسأل زر بن حبيش عن العربية .
(٦٧) معرفة القراء الكبار ٧٥ .
(٦٨) في اصول النحو ٢٥ وانظر مقدمة الانصاف ، فايل ١ .
(٦٩) الانتصاف ، ابن المنير الاسكندرى ٢/٤٢ .
(٧٠) كذا في الاصل ، ولعلها : بما نطق به .
(٧١) الانتصاف ٢/٣٩٢ .
(٧٢) انظر شرح الرضي على الكافية ١/٢٩٧ .

فيما لم يكن من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمز والأدغام والاخفاء كما ذكره ابن الحاجب في اصوله[٧٣] . وقد اجاب العلماء عن هذا الرأى مفترضين صحة ماذهب اليه ابن الحاجب ، فمما قوله الدمايني في آخر الباب السابع من هنديته في هذا الصدد : «فان قلت القراءات السبع متواترة فيما لم يكن من قبيل الاداء ... قلت : نعم ، لكن لا يكون نقل القراء هذه الاشياء أقل من نقل ناقلي العربية والأشعار والأقوال ، فكيف يطعن فيما نقله القراء الثقات بأنه لم يجيء مثله ولو نقل ناقلون عن مجهول الحال لقبلوه فقبول هذا أولى»[٧٤] . وقد نقل الصفاقسي عن ابن الحاجب ما معناه : « اذا اختلف النحويون والقراء كان المصير الى القراء أولى لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته من الغلط ولأن القراءة ثبتت تواترا ، وما نقله النحويون فآحاد ، ثم لو سلم ان ذلك ليس بمتواتر ، فالقراء أعدل واكثر فالرجوع اليهم أولى ، وايضا فلا ينعقد اجماع النحويين بدونهم لانهم شاركوهم في نقل اللغة وكثير منهم من النحويين»[٧٥] ، ومن البداهة أن القراءات لم تكن بتخيّر من القراء أو اجتهاد منهم وانما هي « سنّة يأخذها الآخر عن الاول ... ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وابي عمرو يقول : لولا أنه ليس لي أن أقرأ الا بما قرأت لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا»[٧٦] . فالقراءة كما يوضحها المعرّى : « سماع وقياس واختيار فاذا سمع الحرف وكان السامع له من اهل المعرفة قاسه على نظائره بعد صحة الخبر فيه فاذا وضح له أنه

---

(٧٣) النشر ١/٣٠ .
(٧٤) المواهب الفتحية ١/٥٤ .
(٧٥) غيث النفع ٦٥ .
(٧٦) النشر ١/١٧ وانظر ٢/٢٣٣ وانظر معرفة القراء الكبار ٨٥ وغاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٩٠ .

مستقيم كان الاختيار بعد ذلك اليه ، ولم يطالبوا بأن يحملوا القراءة على ما يجوز في كلام العرب كما لا يلزمهم اذا كان في الحرف من الكتاب لغتان أو ثلاث ان يستعملوا ذلك كلّه بل قراءاتهم مردودة الى الرواية»[٧٧] . ولهذا كان القراء يخالفون لهجة بيئتهم التي نشأوا فيها وتعوّدتها ألسنتهم ، متبعين سبيل الرواية «كمخالفة ابن كثير بيئته في تسهيل الهمز وميله الى تحقيقه وهو مكي ، ومخالفة عاصم بيئته في الامالة والادغام رغم انه كوفي»[٧٨] ، فمال الى الفتح والاظهار[٧٩]، قال الدكتور ابراهيم أنيس : « اما ميل ابن عامر لاصحاب الادغام وهو من البيئة الشامية وميل يعقوب لاصحاب الاظهار وهو من البيئة العراقية فمن الصعب تعليله »[٨٠] ، وتعليله غير عسير اذ أنه يثبت بأن القراءة رواية لا تخضع لقانون صوتي أو لغوي ، وليس فيها اختيار للقاري، الا ّ ما تلقاه في رواية صحيحة عن شيوخه وقرأ بها عليهم وهو أبلغ دليل على أن القراءة لا تعتمد على القياس وانما على النقل والأثر . والدليل على هذا ما ذكره كثير من النحاة عن جواز أشياء في العربية لم تأت بها القراءات ، فلم يستطيعوا تعليل ذلك غير أن قالوا : بأن القراءة سنّة ، نذكر من ذلك مثلا ماقاله أبو علي الفارسي بأن «الامالة في (مالك)[٨١] في القياس لا تمتنع ، لانه ليس في هذا الاسم مما يمنع الامالة شيء ، وعقب قائلا : «وليس كل ما جاز في قياس العربية تسوغ التلاوة به حتى ينظم الى ذلك الاثر

---

(٧٧) رسالة الملائكة ١٨٨ .
(٧٨) في اللهجات العربية ٧٦ .
(٧٩) انظر في اللهجات العربية ٧٢ .
(٨٠) في اللهجات العربية ٧٢ .
(٨١) سورة الفاتحة من الآية ٤ .

المستفيض بقراءة السلف له ، وأخذهم به لان القراءة سنّة »[٨٢] . وما قاله ابن خالويه : إنه « يجوز في النحو (مالك يوم الدين)[٨٣] ، بالرفع على معنى هو مالك، ولا يقرأ به لأن القراءة سنة ولا تحمل على قياس العربية»[٨٤] . وقال ايضا : « فلو قرأ قاريء (فلينظر الأنسان)[٨٥] بكسر اللام لكان سائغا في العربية ، غير أنه لا يقرأ به اذ لم يتقدم له امام ، والقراءة سنّة يأخذها آخر عن اول ولا تحمل على قياس العربية»[٨٦] . وفي قوله تعالى : (ومنْ يقنط من رحمــــة ربّه الاّ الضالّون)[٨٧] قال ابن هشام : « قرأ الجميع بالرفع على الأبدال من الضمير في (يقنط) ولو قريء (الضالين) بالنصب لجاز ، ولكن القراءة سنّة متبعــــة ... ومرجعها الرواية لا الرأي»[٨٨] ، « فالقراءة لا تتبع العربية بل العربية تتبـع القراءة لأنها مسموعة من أفصح العرب باجماع وهو نبيّنا (ص)»[٨٩] .

ورب قائل يقول اذا كان النحاة يعلمون بأن القراء سنّة بدليل ترديدهم

---

(٨٢) الحجة في علل القراءات ١/٢٩ .

(٨٣) سورة الفاتحة من الآية ٤ .

(٨٤) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٢٣ـ٢٤ .

(٨٥) سورة الطارق من الآية ٥ .

(٨٦) اعراب ثلاثين سورة ٤٢ .

(٨٧) سورة الحجر من الآية ٥٦ .

(٨٨) شرح قطر الندى ٢٤٥ .

(٨٩) غيث النفع ٦٥ .

لهذه العبارة ، فما بالهم تجاهلوا ذلك حينما وجّهوا طعنهم الى القـــراء وعابوا قراءاتهم التى فيها بعد في العربية ؟ الواقع أن مثل هذا السلوك من النحاة قولهم بأن القراءة سنّة من جهة ، ثم تخطيئهم القراء ورد القراءات من جهة اخرى فيه بعض التناقض ، والظاهر ان احدهم «كان لا يقول بأن القراءة سنّة الا حين لا يستطيع أن يجري مقاييس العربية ، على قراءة من القراءات المروية»(٩٠) .

كل ما قرىء من القراءات التى خطأها النحاة ظهر له وجه صحيـــح في العربية او جاء على لغة من لغات العـــرب ، أذكـــر مثـــلا قراءة حمـــزة(٩١) (بمصرخيّ) (٩٢) بكسر ياء المتكلم عند الاضافة ، التي عيبت من قبل كثير مـــن النحاة كما مرّ ، قد صوّبها (القاسم بن معن) كما « قال الفراء في كتابه (في التصريف) ، وكان كما قال عنه ــ ثقة بصيرا . كما نقل عن قطرب انها لغـة بني يربوع يزيدون على ياء الاضافة ياءا وأنشد :

ماض اذا ما همّ بالمضيّ قال لها هل لك ياتا فيّ ؟

قالت له ما أنت بالمرضيّ»(٩٣) .

---

(٩٠) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ٧٠ .
(٩١) لم ينفرد بها حمزة بل قرأ بها الاعمش ويحيى بن وثاب وسليمان بن مهران وحمران بن أعين وجماعة من التابعين (اعراب القرآن للنحـــاس الورق ١٠٩ وجه ، مجمع البيان ٢١١/١٣ ، النشر ٢٩٩/٢) .
(٩٢) سورة ابراهيم من الآية ٢٢ .
(٩٣) مجمع البيان ٢١٢/١٣ ، خزانة الادب ٢٥٩/٢ .

« اراد فيّ ثم اشبع الكسرة للأطلاق ، وأنشأ عنها ياءا نحو منزلي وحوملي»[1] .
قال ابن جني بعد أن روى الشاهد السابق ذكره عن قطرب : « وروينا عنه ايضا :

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب[2]

و : انّ بنيّ صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون

فخفض الياء من عليّ في الشاهد الأول منهما ، والياء من بني في الثاني»[3] . وقد اجاز هذه القراءة وحسنها ابو عمرو بن العلاء[4] ، فهي «لغة وان شذت وقلّ استعمالها»[5] . وقد ذكر ابو حيان : « انها باقية شائعة ذائعة في أفواه اكثر الناس الى اليوم ، يقولون : ما فيّ افعل كذا ، ويطلقونها في كل ياءات الاضافة المدغم فيها فيقولون : ما عليّ منك ولا امرك اليّ ، وبعضهم يبالغ في كسرتها حتى تصير ياءا»[6] ، اضافة الى انها لغة فان لها وجها في النحو « فالحجة لمن كسر انه جعل الكسرة بناءا لا اعرابا ، واحتج بأن العرب تكسر لالتقاء الساكنين»[7] .

اما قول الزجاج ومن بعده الزمخشري بأنهم استشهدوا لها ببيت مجهول وهو البيت الذى رواه قطرب : قال لها ما أنت ... فمردود من وجهين :

---

(١) المحتسب ٢/٤٩ .
(٢) البيت الشاهد للنابغة كما نسبه في (البحر المحيط ٥/٤٢٠) .
(٣) المحتسب ٢/٤٩ .
(٤) انظر رسالة الغفران ٤٥٥ ، زعم المعري ان ابا عمرو لم يقل بتحسين القراءة الا متهزأ (رسالة الغفران ٤٥٦) وهذا لا يعقل ، اذ لا يتصور أن ابا عمرو وهو القاري الكبير يستهزيء بقراءة سبعية ، وهو يعلم حق العلم طرق القراء في نقل القراءة ، والا لقال قولا صريحا بتخطيء القراءة .
(٥) خزانة الادب ٢/٢٥٩ .
(٦) البحر المحيط ٥/٤١٩ وما يزال الكثيرون من ابناء البلاد السورية ينطقون بها في لهجتهم العامية الى يومنا هذا .
(٧) الحجة في القراءات السبع ١٧٨ .

الأولَ ردّ ابي حيان بأنه ليس بمجهول وانه للاغلب العجلي[٨] ، وهو راجز مخضرم[٩] ، وقد ذكر البغدادي رؤيته البيت في أولَ ديوان الاغلب[١٠].

الثاني : ان مثل هذا القول يدل على اعتمادهم الزائد على الشعر ، وفي ذلك ما فيه من ضعف في المنهج النحوي ، لان القراءة الصحيحة اذا ثبتت لا يستشهد على صحتها ببيت شعر ، وانما تصحح بموجبها القواعد والاصول مادامت منقولة نقلا صحيحا عن رسول الله (ص) • قال ابو نصر القشيري في تفسيره : « فمـــا ثبت بالتواتر عن النبي (ص) فلا يجوز ان يقال : هو خطأ أو قبيح ورديء ، بل في القرآن فصيح وفيه ما هو افصح »[١١] •

اما قراءة عاصم : (وكذلك نجّي المؤمنين)[١٢] ، بنون واحدة ، فوجهها أنه حذف النون تخفيفا ، «والنحويون يقولون : وقد يفعل ذلك ـ اي التخفيف بالحذف ـ بما تصدّر فيه نونان ، فالأصل تنجّي ، ولذلك سكن آخره»[١٣] ، وهكذا القول في أي قراءة رفضها البصريون • وليس أدل على ذلك من قراءة نافع (معايش)[١٤] بهمز الياء ، تلك القراءة التى لقيت رفضا قاطعا وهوجم قارئهـــا بعنف ، جوزّها بعض العلماء ، وأوجد لها آخرون وجوها صحيحة في العربيـــة

---

(٨) البحر المحيط ٤١٩/٥ •

(٩) هو الاغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل ، كان جاهليا ـ اسلاميا ، وعمر عمرا طويلا ، كان في الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعد ايامهم ووقائعهم ، ثم ادرك الاسلام وحسن اسلامه • قتل في واقعة نهاوند سنة ٣١هـ (طبقات فحول الشعراء ١١٤ ، الشعر الشعراء ٢٣٥) •

(١٠) خزانة الادب ٢٥٩/٢ •

(١١) خزانة الادب ٢٥٩/٢ •

(١٢) سورة الانبياء من الآية ٨٨ وهي قراءة ابن عامر ايضا كما في التيسير ١٥٥•

(١٣) شرح الاشموني ٨٩٥/٣ وانظر الحجة لابن خالويه ٢٢٥ـ٢٢٦ •

(١٤) سورة الاعراف من الآية ١٠ وسورة الحجر من الآية ٣٠ •

فقد حكى ابو عمر الجرمي ان ذلك جائز[١٥] ، وهذا الفراء يقول بمـــا يؤيد تجويز الجرمي : « وربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهـّمون انها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدد الحروف ، وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة ، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام»[١٦] ، وقال ابن خالويه : « من العرب من يهمز ما لا يهمز تشبيها بما يهمز»[١٧] • ولم تكن هذه الكلمة هي الوحيـــدة التي همـــزت وخولف فيها القياس ، فمن ذلك همـــز العـــرب (منـــائر) و (مزائد) و (مصائب) وقياسها : مناور ومزاود ومصاوب[١٨] • قال ابن السكّيت : ويقال : « اصابتهم مصيبة ، فالجمع مصاوب ومصائب»[١٩] •

وقل مثل ذلك في القراءات السبع أو العشر التي خطأها النحاة ، فـان انت أنعمت النظر فيها وجدتها لم تخرج عن كلام العرب في شيء لان القراء كانوا يتوخّون سلامة اللغة ويحرصون عليها كحرص النحاة[٢٠] ، ولهذا « جاءت القراءات ـ كما قال العلماء ـ السبع بل العشر ثابتة ، وموافقة قواعد العربية»[٢١] وها هو ذا ابن خالويه يصنف كتابه (الحجة في القراءات السبع) فيبيّن فيه حجة كل قراءة قرئت مخالفة للقياس ، ويظهر وجهها الصحيح في العربية ، وهو يقول في

---

(١٥) رسالة الملائكة ١٧٥ •

(١٦) معاني القرآن ١/٣٧٣ـ٣٧٤ وانظر قولا لابن الانبارى مشابها لقـــول الفراء في (شرح القصائد السبع الطوال ٥٩٥) •

(١٧) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٨٥ •

(١٨) انظر الخصائص ١/٣٢٨ـ٣٢٩ •

(١٩) اصلاح المنطق ١٤٠ •

(٢٠) انظر الانتصاف على هامش الكشاف ١/٢٣٧ •

(٢١) المواهب الفتحية ٢/٨٧ •

أول كتابه المذكور : « وبعد فاني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة ، المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في اعراب ما انفرد به من حرف منحها من العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجها لا يمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار»[٢٢] .

لا نكران في أن قسما من هذه القراءات فيها بعد في العربية أو لم تكن على الوجه الافصح او الاكثر شيوعا في اللغة ، وهذا لا ضير فيه ، فليس من شروط القراءة الصحيحة أن تكون على أفصح الوجوه ، بل ان صحتها في النقل وثبوتها في الاثر هو الاصل . قال ابو عمرو الداني في كتابه (جامع البيان) : « وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والاصح في النقل ، والرواية اذا ثبتت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنّة متبعة ، يلزم قبولها والمصير اليها »[٢٣] .

ليست القراءات السبع أو العشر المخالفة للقياس النحوي هي التى أوجد لها العلماء وجوها في العربية فحسب ، بل حتى القراءات الشاذة ذكر لها العلماء الوجوه الصحيحة ، ومن يرجع الى كتاب (المحتسب) يجد مصنّفه ابو الفتح ابن جني لاينى يجد وجها صحيحا في اللغة للقراءة الشاذة مخالفا من يتجاهل تلك

---

(٢٢) الحجة في القراءات السبع ٣٧ــ٣٨ .
(٢٣) النشر ١/١٠ــ١٢

القراءة اورادا عليه[٢٤] ، من ذلك مثلا رده على سيبويه لكونه عندما سئل عن تنوين عيسى بن عمر (تقوى) من قوله تعالى : (على تقوى من الله)[٢٥] قال لا أدري ولا أعرفه • قال ابن جني : « فأما التنوين فانه وان كان غير مسموع الا في هذه القراءة فانقياسه أنتكونألفه للالحاق لا للتأنيث•وكانالاشبه بقدر سيبويه الا يقف في قياس ذلك والا يقول : لا أدري • ثم يعلّق ابن جني على الحكاية : ولولا ان هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ورويناها عن شيخنا ابي بكر لتوقفت فيها • فاما أن يقول سيبويه : لم يقرأ بها أحد فجائز يعني ما سمعه ، لكن لا عذر له في أن

---

(٢٤) المحتسب انظر مثلا ١/٤٢ و ٤٦ و ٤٧ و ٧٣ و ١٤٩ من الملاحظ أن ابن جني في كتبه النحوية واللغوية كالخصائص وسر صناعة الاعراب غيره في (المحتسب) ففي المحتسب ينبري مدافعا عن القراء ، يجهد نفسه في ايجاد الوجه الصحيح للقراءة الشاذة التي يتنكر لها النحاة ، وهناك يقــول بالقياس ، ويحكمه في القراءات ، ولذلك تراه يضعف القراءات حتى ولو كانت سبعية ، ويخطيء القراء الكبار • وقد مر بنا شيء من ذلك عند الكلام على تخطيء النحاة للقراء • وقد لاحظ مثل هذا التغاير في موقف ابن جني من القراءات والقراء الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شبلي وأشار اليه في : (ابو علي الفارسي ٣٧٢) ، وعزا السبب : أما لاستئناس ابن جني بالآراء الموثقة للشواذ من القراءات ، أو : لاستقراره الذهني أثر في رحابة صدره نحو المذاهب النحوية واللغوية المختلفة ، وقد رجح السبب الاول ، وهو ـ والله اعلم ـ صواب ، اذ ان ابن جني أعرب في (مقدمتـه للمحتسب ١/٣٣) عن اعتقاده بقوة الشاذ وجوازه رواية ودراية • كما لاحظ مثل هذا التناقض أيضا في موقف ابن جني من القراءات محققو كتاب (المحتسب لابن جني) واشاروا اليه دون ان يذكروا السبب (انظر المحتسب /مقدمة المحققين ١٧) •

(٢٥) سورة التوبة من الآية ١٠٩ •

يقول : لا أدري ، لأن قياس ذلك أخف وأسهل»[٢٦] ! ومن ذلك ايضا ما ذكره ابن خالويه في شواذ سورة يونس أنّ أبا حيوة قرأ : (انّ العزّة لله)[٢٧] بفتح الهمزة ، وان ابن قتيبة قال : من فتح انّ ها هنا فقد كفر . فيردّه ابن خالويه : « له وجه عندي ذهب على ابن قتيبة : ينصب أن بتقدير فعل غير القول . والتأويل : ولا يحزنك قولهم انكارهم أنّ العزة»[٢٨] . ومثل هذا ايضا تلحين ابن مجاهد من قرأ : (ثلاث عورات)[٢٩] . قال ابن خالويه : « فان جعله لحنا وخطأً من قبل الرواية ، والاّ فله مذهب في العربية : بنو تميم تقول : روضات وجوزات وعورات، وسائر العرب بالاسكان وهو الاختيار لئلا تنقلب الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها»[٣٠] . ومثل هذا كثير[٣١] . وكان بعض النحويين كأبي حيان لا يرضون للعلماء اللجوء الى تغليط القراء بل يتطلبون لقراءاتهم وجها[٣٢] ، وليس أدلّ على أن لكل قراءة قرئت ظهر لها وجه مقبول في العربية مما ذكره ابو حيان في قوله تعالى : (ان البقر تشابه علينا)[٣٣] ان في (تشابه) اثنتا عشرة قراءة ، أوجد أبو حيان لكل قراءة وجها سائغا في العربية ، حتى قراءة ابن أبي اسحاق (تشّابهت) بتشديد الشين التى قيل أن لا وجه لها ، فانه أوجد لها أوجها صحيحة لا وجها ! منها : أن اصله اشابهت والتاء هي تاء البقرة وأصله أن

---

(٢٦) المحتسب ١/٣٠٤ .

(٢٧) سورة يونس من الآية ٦٥ .

(٢٨) مختصر في شواذ القرآن ٥٧ .

(٢٩) سورة النور من الآية ٥٨ .

(٣٠) مختصر في شواذ القرآن ١٠٣ .

(٣١) انظر مثلا الكشاف ٢/٢٠٢ وتفسير الرازى ٣/٥٧ والبحر المحيط ٣/٤١٧

(٣٢) انظر البحر المحيط ٨/٤١٣ .

(٣٣) سورة البقرة من الآية ٧٠ .

البقرة اشابهت علينا • ويقوّي ذلك لحاق تاء التأنيث في آخر الفعل[٣٤] ، واذا كانت بعض القراءات قد خفيت على العلماء وجوهها ولم يعرفوها ، فليس معنى ذلك انها غير صحيحة ، لأن اللغة واسعة ، ولا يستطيع احد الادعاء بأنه قد احاط بها علما ، ففي قراءة (ضللْنا)[٣٥] قال الفراء : ذكر عن الحسن وغيره أنه قرأ (صللنا) بالصاد حتى لقد رفعت الى عليّ (ع) خفيت هذه القراءة على الفراء فقال : «ولست اعرفها ، الا ان تكون لغة لم نسمعها»[٣٦] • وقال ابن جني مثل هذا القول في قراءة من قرأ : (وليلبسوا عليهم دينهم)[٣٧] بفتح الباء[٣٨] • وكان بعض النحاة اذا سمع قراءة تخالف الشائع المشهور ولم يجد لها وجها سارع الى تلحين القارئ ورفض قراءته ، فهل استقرى النحاة جميع كلام العرب لكي يلحّنوا قارئا مشهورا كابن عامر وابي عمرو بن العلاء وحمزة ونافع مثلا ويردوا قراءاتهم الصحيحة الثابتة ؟ والجواب ان ذلك لم يكن بدليل سماع ابي زيد عمرو بن عبيد يقرأ : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جأن)[٣٩] وقوله : « ظننته قد لحن ، حتى سمعت العرب تقول : شأبة ودأبة»[٤٠] • « وهذه الحكاية مع دلالتها على مذهب النحاة في تقديم ما يرويه العرب على ما يقرأ به القراء تشير الى أن كلام العرب لم ينقص كلّه كما تدل على صحة ما رواه القراء»[٤١] •

---

(٣٤) انظر البحر المحيط ١/٢٥٤ •
(٣٥) سورة السجدة من الآية ١٠ •
(٣٦) معاني القرآن ٢/٣٣١ •
(٣٧) سورة الانعام من الآية ١٣٧ •
(٣٨) انظر المحتسب ١/٢٣١ •
(٣٩) سورة الرحمن آية ٣٩ •
(٤٠) المنصف : شرح تصريف المازني ١/٢٨١ ، سر صناعة الاعراب ١/٨٢ •
(٤١) ابو علي الفارسي ٢٤٢ •

مما تقدم يظهر ان النحاة الذين لحنوا القراء وخطّئوهم واعرضوا عن القراءات واهملوها ولم يتخذوا منها شواهد للنحو كانوا مجانبين للصواب ، وفيما ذكر كاف للدلالة على ذلك . «فقراءات القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وآحادها وشاذها ، وأكبر عيب يوجه اليهم عدم استيعابهم اياها . واضاعتهم على انفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها ، ولو فعلوا لكانت قواعدهم أشدّ احكاما»[٤٢] ، لأنهم يكونون قد «أفادوا من أوجه الخلافات في القراءات وذلك لأنها لون من ألوان اللغات الخاصة وهو ما ندعوه بـ (اللهجات) ، وبهذا يكون قد تم لهم علم لغوي تأريخي متطور في الفاظه وتراكيبه»[٤٣] ، « فقد بني النحويون قواعدهم على كلام تلقوه من العرب لم يبلغ في الصحة مبلغ القراءة الشاذة ولا قاربها وقبلوا من ذلك ما خرج عن القياس كقولهم استحوذ وقياسه استحاذ كما تقول : استقام واستجاب وكقولهم : لدن غدوة بالنصب والقيـــاس بالجر»[٤٤] . « وعهدنا بهم يستشهدون بالروايات المختلفة في البيت الواحد ، فكيف لا يحتجون بالقراءات المختلفة في الآية الواحدة»[٤٥] ، وهذه نقطة ضعف في منهج البصريين يؤاخذون عليها ، وقد كان جمهور الكوفيين أسلم منهم منهجا وأصوب رأيا حينما جعلوا من القراءات مصدرا من مصادر شواهدهم النحوية .

---

(٤٢) في اصول النحو ٤٠ .

(٤٣) التطور اللغوى التاريخي ٨٧ .

(٤٤) غيث النفع ١٢٧ ينصبون (غدوة) بعد (لدن) على التمييز ، واستندوا في ذلك الى شاهد مجهول القائل ، هو قول الشاعر :ــ

وما زال مهري مزجر الكلب منهم   لدن غدوة حتى دنت لغروب

(٤٥) نظرات في اللغة والنحو ١٤ـ١٥ .

استشهاد الكوفيين بالقراءات :

ان منهج جمهور الكوفيين سليم ورأيهم صائب حينما اعتدوا بالقراءات فجعلوها مصدرا من مصادر شواهدهم النحوية ، يستشهدون بها في تثبيت وتأييد مذهبهم النحوي ، كما كانوا يقيسون عليها ، فأقاموا بعضا من اصولهم مستندة اليها ، وربما كان لعناية الكوفيين ـ كما مر بنا في التمهيد ـ بالقراءات منذ تمصير مدينتهم ، واشتغال بعض رجال نحوهم بالقراءات أثر في ذلك ، فان مؤسس مدرستهم النحوية (الكسائي) كان احد القراء السبعة كما تقدم ، كما كان للفراء اختيار في القراءة ، وعناية بتفسير القرآن الكريم[1] • وربما كان ذلك لانهم لم يأخذوا بأساليب الفلسفة والمنطق ويطبّقوا أقيستهم على النصوص كما كان البصريون يفعلون ، بل كانوا ـ كما تقدم ـ كثيرا ما يغيرون من اصولهم لكي تلاءم مع المسموع ، وايا ما كان الأمر ومهما كانت الاسباب فقد اعتمد الكوفيون القراءات شواهد صحيحة في نحوهم ، ونعم ما صنعوا ، فان أي قراءة ثبتت صحتها هي خير من أي بيت شعر في الاستشهاد لانها تمثل الواقع اللغوى تمثيلا صحيحا لاتصالها بلهجات العرب ، اضافة الى كونها نثرا لا تخضع للضرورة ولا لقيود الوزن ، وروايتها أصح بكثير من رواية الشعر ، ولكن البصريين الذين ضعفوا هذه القراءات ولم يقبلوها ولحنوا قارئيها كما مر ذكره ، كان طبيعيا أن يردوا على الكوفيين استشهادهم بها ولم يجوّزوا أبدا ما جوزوه •

فمن المسائل التى جوزها الكوفيين مستندين إلى شواهد من القراءات ـ وهي كثيرة ـ اذكر منها مثلا تجويزهم الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٧١ •

وحرف الجر لضرورة الشعر [٢] مستشهدين بقراءة ابن عامــر ـ التى ردّها البصريون ولحّنوا قارئها ـ (وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتــل اولادهم شركائهم)[٣] ، واسندوا هذه القراءة بكثير مما ورد في لغة العرب من نثر وشعر فصل فيه بين المضاف والمضاف اليه ، «فقد حكى الكسائي عن العرب : هذا غلام والله زيد ، وحكى ابو عبيدة قال : سمعت بعض العرب يقول : ان الشاة تجتر فتسمع صوت والله ربّها »[٤] • ومن الشعر الذى دلّ على الفصل ابيات أنشدها سيبويه في كتابه[٥] حيث قال : « ومما جاء في الشعر قد فصل بينه وبين المجرور [يعني به المضاف اليه] قول عمرو بن قميئة :

لما رأتْ ساتيدما استعبرت　　　لله درّ اليوم من لامهــا

وقال ابو حية النميري :

كما خطّ الكتاب بكفّ يوما　　　يهودي يقارب أو يزيل

ومن الشواهد التى انشدها الاخفش :

فزججتها بمزجّة　　　زجّ القلوص أبي مزادة[٧]

---

(٢) انظر الانصاف ٢/٤٢٧ وهمع الهــوامع ٢/٥٢ والموفي في النحـــو الكوفي ٥٢ـ٥٣ •

(٣) سورة الانعام من الآية ١٣٧ •

(٤) الانصاف ٢/٤٣١ ، همع الهوامع ٢/٥٢ •

(٥) الكتاب ١/٩١ •

(٦) ساتيدما : جبل سمي بهذا الاسم لأنه كان يسفك فيه دم كل يوم • وصف بالبيت : امرأة نظرت الى الجبل فبكت •

(٧) شرح المفصل ٣/٢٣ •

قال ثعلب : « وأنشد بعضهم : زج الصعاب ابي مزادة • أراد : زج ابي مزادة الصعاب ، ثم اعترض بالصعاب »[8] • وقال ابن جني : « فصل بينهما بالمفعول به • هذا مع قدرته على أن يقول : زجَّ القلوص أبو مزادة»[9] •

وعلى الرغم من هذا النقل الكثير الذى استند اليه الكوفيون في هذه المسألة وأخذهم بالقراءة المتواترة عن العربي المحض ابن عامر اليحصبي الذى كان قبل ان يكون اللحن[10] ، لم يشأ البصريون أن يغيّروا شيئًا من اصولهم وبقـــوا متمسكين بها ، فلم يجوّزوا الفصل بين المضاف والمضاف اليه ، معللين منعهـــم انهما في حكم الشيء الواحد والكلمة الواحدة[11] • وردّوا الأبيـــات التى استشهد بها الكوفيون بأنها قليلة ومجهولة القائلين[12] ، وقد مرّ بنا موقفهـــم الشنيع من قراءة ابن عامر المتواترة ، واذا كانوا ردوها ولحنوا قارئهـــا ، كان طبيعيا أن ينكروا على الكوفيين استشهادهم بها • قال الانبارى : « والبصريون يذهبون الى وهي القراءة ووهم القاريء ، اذ لو كانت صحيحة لكان ذلك من أفصح الكلام ، وفي وقوع الاجماع على خلافه دليل على وهي القراءة»[13] • وقد كفانا العلماء مؤونة الرد على مثل هذه المزاعم في انكار هذه القراءة المتواترة ، فممن ردّ وأجاد في الرد على المنكرين ابن المنير الاسكندري[14] وعلي النوري

---

(٨) مجالس ثعلب ١/١٢٥ـ١٢٦ ، ذكرت في هامش (٥٦) ص ٢٥٤ أن هذا الشاهد ينشد باختلاف في بعض كلماته •

(٩) الخصائص ٢/٤٠٦ وتخلص ابن جني الى ان الشاعر ارتكب ضرورة فيه ، وذهب العيني في (المقاصد النحوية ٣/٤٦٩) الى ذلك •

(١٠) غيث النفع ١٢٧ ، النشر ٢/٢٦٤ أتحاف فضلاء البشر ١٣١ •

(١١) الانصاف ٢/٤٣١ •

(١٢) انظر الانصاف ٢/٤٣٥ •

(١٣) الانصاف ٢/٤٣٦ •

(١٤) انظر الانتصاف ٢/٤١ـ٤٢ •

الصفاقسي[١٥] ، وابن الجزري[١٦] وابو حيان[١٧] ، « فابن عامر اعلى القراء السبعة سندا وأقدمهم هجرة من كبار التابعين الذين اخذوا عن الصحابة ، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب وكلامه حجة وقوله دليل لأنه كان قبل ان يوجد اللحن فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وسمع ورأى»[١٨] . وقول البصريين بأن المضاف والمضاف اليه شيء واحد «قول يتسق لو ان اللغة اخترعوها هم واخترعوا لها مقاييسها ، اما واللغة سماع فقولهم لا ينهض حجة في شيء»[١٩] ، ولماذا جوزوا الفصل بالظرف والمجرور ولم يجوزوا الفصل بغيرها ؟ ومن هنا يبدو « أن حجج البصريين لا يؤيدها الأستقراء ولا تعتمد على الواقع اللغوي بقدر اعتمادها على اساليب المناطقة»[٢٠] . بعكس الكوفيين فانهم اعتمدوا على القراءة المتواترة والنقل الكثير فكانوا على صواب ولهذا « ذهب الاخفش الى جواز ذلك في الكلام»[٢١] ، وجوز ذلك عن المتأخرين ابن مالك[٢٢] بقوله : « واذا كان المضاف مصدرا جاز أن يضاف نظما ونثرا الى فاعله مفصولاً بمفعوله ، وربما فصل في الاختيار اسم الفاعل المضاف الى المفعول بمفعول آخر او جار

---

(١٥) انظر غيث النفع ١٢٦ـ١٢٨ .

(١٦) انظر النشر ٢/٢٦٣ـ٢٦٥ .

(١٧) انظر البحر المحيط ٤/٢٢٩ـ٢٣٠ .

(١٨) اتحاف فضلاء البشر ١٣١ وانظر تفسير القرطبي ٧/٩٣ .

(١٩) في اصول النحو ٣٧ .

(٢٠) النحو العربي نقد وبناء ١٣١ .

(٢١) منهج السالك ٣٠٣ .

(٢٢) قال في كافيته الشافية كما ذكر في النشر (٢/٢٦٤) :

وحجتي قراءة ابن عامر   فكم لها من عاضد وناصر

وقال في الالفية ص (٣٨) :

فصل مضاف شبه فعل ما نصب   مفعولا او ظرفا اجز ولم يعب

فصل يمين واضطرارا وجدا   بأجنبي او بنعت او ندا

ومجرور،[٢٣] • وتبعه ابن هشام حيث فصّل القول في هذه المسألة[٢٤] ، وجوّز ذلك خلافا لأكثر البصريين[٢٥] •

كذلك جوز الكوفيون العطف على الضمير المجرور دون اعادة حرف الجر في سعة الكلام[٢٦] ، مستشهدين بالقراءة التي رفضها البصريون : (واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)[٢٧] بجر الارحام ، «وهي قراءة (حمزة) احد القراء السبعة ، وابراهيم النخعي وقتادة ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش ، ورواية الاصفهاني والحلبي عن عبدالوارث»[٢٨] • ودعم الكوفيون استشهادهم هذا بايات من التنزيل وجهوا اعرابها تبعا لقاعدتهم هذه ، كقوله تعالى : (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهنّ وما يتلى عليكم)[٢٩] ، فـ (ما) في موضع خفض

---

(٢٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ١٦٠ـ١٦١ •

(٢٤) اوضح المسالك ٢/٢٢٦ قال ابن هشام : « والحق ان مسائل الفصل سبع ثلاث جائزة في السعة واربع في الشعر فالجائزة في سعة الكلام هي:
١ ـ ان يكون المضاف مصدرا والمضاف اليه فاعله والفاصل اما مفعوله كقراءة ابن عامر ، واما ظرفه كقول بعضهم : (ترك يوما نفسك وهواها سعي لها في رداها) • ٢ ـ ان يكون المضاف وصفا والمضاف اليه اما مفعوله الاول والفاصل مفعوله الثاني كقراءة بعضهم : (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) ، أو ظرفه ، كما في قوله (ع) : (هل انم تاركولي صاحبي) • ٣ ـ ان يكون الفاصل قسما كقولهم : (هذا غلام والله زيد) ، حكى ذلك الكسائي ، وحكي ابو عبيدة : (ان الشاة لتجتر فتسمع صوت والله ربها) » • (أوضح المسالك ٢/٢٢٦ـ٢٣٠ وانظر شرح الاشموني ٢/٣٢٧ـ٣٢٨ وشرح التصريح على التوضيح ٢/٧٢) •

(٢٥) شرح شذور الذهب ١٥٣ •

(٢٦) املاء ما من به الرحمن ١/١٦٥ ، شرح الرضي على الكافية ١/٢٩٦ ، الاشباه والنظائر ٢/٢٤٦ ، همع الهوامع ٢/١٣٩ ، الموفي في النحو الكوفي ٦٣ •

(٢٧) سورة النساء من الآية ١ •

(٢٨) الانصاف ٢/٤٦٣ •

(٢٩) سورة النساء من الآية ١٢٧ •

لأنه عطف على الضمير المخفوض في فيهن»[٣٠] ، وقوله تعالى : (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة)[٣١] قال الكسائي : « (والمقيمين) موضعه خفض يرد على قوله (بما انزل اليك وما انزل من قبلك) ويؤمنون بالمقيمين الصلاة هم والمؤتون الزكاة . قال : هو بمنزلة قوله : (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين)[٣٢] ، قال الفراء : « وكان النحويون يقولون : (المقيمين) مردودة على (بما انزل اليك وما انزل من قبلك ـ الى المقيمين) وبعضهم «لكن الراسخون في العلم منهم) ومن (المقيمين) وبعضهم (من قبلك) ومن قبل (المقيمين) »[٣٣] . وقوله تعالى : (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام)[٣٤] فعطف (المسجد الحرام) على الهاء من (به)[٣٥] ، « وقال تعالى : (وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين)[٣٦] فمن : في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في (لكم) »[٣٧] . « وقوله تعالى : (قل الله يفتيكم

---

(٣٠) الانصاف ٢/٤٦٣ املاء ما من به الرحمن ١/١٩٦ .

(٣١) سورة النساء من الآية ١٦٢ .

(٣٢) سورة التوبة من الآية ٦١ .

(٣٣) معاني القرآن ١/١٠٧ .

(٣٤) سورة البقرة من الآية ٢١٧ . قال ابن الناظم في (شرح الالفية ٢٢٣ـ٢٢٤): « ومما يجب ان يحمل على ذلك [يعني العطف على الضمير المجرور] قوله تعالى : (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام) لان جر المسجد بالعطف على سبيل الله ممتنع مثله باتفاق لاستلزامه الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبي فلم يبق سوى جره بالعطف على الضمير المجرور بالباء » .

(٣٥) الانصاف ٢/٤٦٣ ، شواهد التوضيح ٥٤ ، شرح التصريح على التوضيح ٢/١٩١ .

(٣٦) سورة الحجر آية ٢٠ .

(٣٧) معاني القرآن ٢/٨٦ .

فيهن وما يتلى)[٣٨] فـ (ما) في موضع خفض : أي يفتيكم الله فيهن وما يتلى عليكم غيرهن،[٣٩] • وغيرها من الآيات[٤٠] ، ودعموا وجهة نظرهم في هذه المسألة بما جاء من كلام العرب ، فقد حكى قطرب : « ما فيها غيره وفرسه»[٤١] وبما ورد في الشعر • من ذلك ما انشده سيبويه في كتابه :[٤٢]

فاليوم قرّبت تهجونا وتشتمنا فاذهبْ فما بك والأيام من عجب[٤٣]

وأبيات أخرى[٤٤] •

وقد تمسك البصريون برأيهم ولم يتنازلوا عنه ، على الرغم من الشواهد الكثيرة البيّنة المؤيدة لهذه المسألة ، ومنها القراءة السبعية التي قرأ بها احد القراء السبعة وجماعة من التابعين ، فلم يلغوا ما قرروه من عدم جواز العطف على الضمير المجرور دون اعادة حرف الجر[٤٥] ، وقالوا « ان ضمير المجرور كالجزء من قبله لشدة ملازمته له ، أو انه يشابه التنوين من حيث انه لا يفصل بينه وبين ما

(٣٨) سورة النساء من الآية ١٢٧ وأول الآية : (ويستفتوك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء ••• الآية) •

(٣٩) معاني القرآن ١/٢٩٠ ، الانصاف ٢/٤٦٣ ، املاء ما من به الرحمن ١/١٩٦ •

(٤٠) انظر املاء ما من به الرحمن ١/١٩٦ ، ٢/١٠ والبحر المحيط ٢/١٤٧–١٤٨ ، ٨/٤٢ والنهر الماد ٢/١٤٦ •

(٤١) اوضح المسالك ٣/٦١ •

(٤٢) الكتاب ١/٣٩٢ •

(٤٣) من شواهد سيبويه الخمسين المجهولة (انظر خزانة الادب ٢/٣٣٨) •

(٤٤) انظر الانصاف ٢/٤٦٤–٤٦٦ •

(٤٥) انظر الكتاب ١/٨٩–٩٢ ، ٢/٣٤٧ والكافية ٢٠ والاظهار ٧٩ وشرح الرضي على الكافية ١/٢٩٦ •

يتصل به[٤٦] ، واوّلوا القراءة على ان الباء مقدرة[٤٧] ، أو أن الواو في قوله (والارحام) للقسم لا واو العطف على عادة العرب من تعظيم الارحام والأقسام بها وجملة (ان الله) جوابه[٤٨] . والتأويلان ضعيفان[٤٩] . اما آيات التنزيل فقد اعربوها اعرابا آخر لا يكون فيه عطف على الضمير المجرور[٥٠] .

ويبدو ان الكوفيين على صواب باعتمادهم على قراءة متواترة صحيحة ثابتة في السبعة قرأ بها رجال من السلف الصالح ، وعلى ما ورد في التنزيل ، وفي كلام العرب نثرا وشعرا ، ولهذا وافقهم من البصريين : يونس وقطرب والأخفش[٥١] ، واختاره الاستاذ ابو علي الشلوبين[٥٢] ، وتابعهم ابن مالك فقال في (الخلاصة الالفية[٥٣] :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا
وليس عندي لازما اذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا

---

(٤٦) الاشباه والنظائر ٢/٢٤٦ .
(٤٧) انظر الخصائص ١/٢٨٥ـ٢٨٦ وعلى هذا يكون الجر بالباء المقدرة ضعيفا لان حرف الجر لا يعمل مقدرا في الاختيار (انظر شرح الرضي على الكافية ١/٢٩٦) .
(٤٨) انظر املاء ما من به الرحمن ١/١٦٥ .
(٤٩) قد بينت ضعف التأويل الاول اما الثاني فقد ذكر الرضي (الشرح ١/٢٩٦) ان الواو لا يكون للقسم لانه يكون قسم السؤال لان قبله (واتقوا الله الذى تساءلون به) وقسم السؤال لا يكون الا مع الباء .
(٥٠) انظر الكشاف ١/٣١٣ ، ٢/١٣٣ والانصاف ٢/٤٦٧ـ٤٦٨ .
(٥١) شواهد التوضيح ٥٣ ، شرح الاشموني ٢/٤٢٩ـ٤٣٠ .
(٥٢) البحر المحيط ٨/٤٢ . الشلوبين هو : عمر بن محمد ابو علي الاشبيلي الازدي ، كان امام عصره في العربية بلا مدافع ، آخر ائمة هذا الشأن بالمشرق والمغرب . صنف تعليقا على كتاب سيبويه ، وشرحين على الجزولية وكتاب التوطئة في النحو ، توفي سنة ٦٤٥هـ (بغية الوعاة ٢/٢٢٤ـ٢٢٥)
(٥٣) الفية ابن مالك (المتن) ٤٨ .

وجوّزه ابو حيان[٥٤] .

لقد اهتم الكوفيون بالقراءات على اختلافها سواء كانت قراءة القراء السبعة أو العشرة أو كانت شاذة واخذوا بها ، وبنوا قواعدهم على كثير من تلك القراءات ، فقد استشهدوا بقراءة ابي جعفر (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون)[٥٥]، وقول الشاعر[٥٦] .

لم يعن بالعلياء الا سيّدا   ولا شفى ذا الغيّ الا ذو هدى

وقوله: أتيح لي من العدا نذيرا   به وقيت الشر مستطيرا

على اقامة غير المفعول به نائبا عن الفاعل عند حذفه : كالمصدر ، والظرف ، والجار والمجرور ، مع وجود المفعول به ، كما في قراءة ابي جعفر ، مخالفين في ذلك البصريين ـ عدا الاخفش ـ الذين منعوا ذلك ، اذ لا يجوز عندهم مع وجود المفعول به ، فلا يقال على مذهبهم:(ضرب ضرب شديد زيدا)،أو (ضرب زيدا ضرب شديد) أو (ضرب اليوم زيدا)[٥٧] .

وقد جعل البصريون البيتين المذكورين من الضرورة[٥٨] ، وغيرهما من

---

(٥٤) انظر البحر المحيط ٤٢/٨ ومنهج السالك ٣٢٣ .

(٥٥) سورة الجاثية من الآية ١٤ لم ينفرد ابو جعفر بهذه القراءة بل قرأ بها شيبة ، وجاءت ايضا عن عاصم ، قال ابن الجزري : وهذه القراءة حجة على اقامة الجار والمجرور وهو (بما) مع وجود المفعول به الصريح وهو (قوما) مقام الفاعل . النشر ٣٧٢/٢ .

(٥٦) ينسب الى رؤبة وهو موجود مع الابيات المنسوبة اليه في زيادات ديوانه ص١٧٣) المطبوع بعنوان : (مجموع اشعار العرب) في ليبسك سنة ١٩٠٣م .

(٥٧) انظر شرح الفية ابن مالك لابن الناظم ٩٥ وشرح ابن عقيل ٤٣٢/١ . وشرح شذور الذهب ٦٠ـ٦١ والموفي النحو الكوفي ٢١ .

(٥٨) حاشية الصبان ٦٨/٢ .

الأبيات الشعرية التى فيها ما يدل ظاهره انه أقيم غير المفعول به نائبا عن الفاعل كبيت جرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق :

ولو ولدت قفيرة جرو كلب   لسب بذلك الجرو الكلابا(٥٩)

قال ابن يعيش : «لم يجز (يعني اقامة الجار والمجرور محل الفاعل مع وجود المفعول به) وكنت قد خرجت عن كلام العرب ، والفرض بالنحو أن ينحو المتكلم به كلام العرب ، وسبيل ما يجيء من ذلك أن يتأول ويحمل على الشذوذ»(٦٠) • أما قراءة أبي جعفر فقالوا انها شاذة(٦١) • وقد أولها آخرون تأويلا يتفق مع ما قرروه من قواعد ، بحيث لا تخدم استشهاد الكوفيين بها ، قال العكبري : « فيه وجهان :

احدهما : وهو الجيد أن يكون التقدير : ليجزي الخير قوما على أن الخير مفعول به في الأصل كقولك : جزاك الله خيرا ، واقامة المفعول الثانى مقام الفاعل جائزة •

الثاني : ان يكون القائم مقام الفاعل المصدر : ليجزى الجزاء ، وهو بعيد»(٦٢) •

ان الكوفيين قد اعتمدوا على القراءات في مسائل كثيرة(٦٣) ، وان ما ذكر

---

(٥٩) انظر الخصائص ١/٢٩٧ وشرح المفصل ٧/٧٥-٧٦ •

(٦٠) شرح المفصل ٧/٧٤ •

(٦١) شرح قطر الندى ١٩٠ كيف تكون هذه قراءة شاذة ؟ • والشاذ ما وراء السبعة وهو اختيار طائفة من الفقهاء والاصوليين ، وذهب كثيرون الى أن الشاذ ما وراء العشرة فلا تكون على هذا شاذة (حاشية السجاعي على شرح القطر ٧٦) •

(٦٢) املاء ما من به الرحمن ٢/٢٣٢ •

(٦٣) الانصاف انظر مثلا ١/٢٥٣ و ٢٧٢ و ٢/٥٢٤ و ٧١٠ و ٧٤١ •

كان في معرض المثل ليس غير ، وكانوا يستشهدون بالقراءات الشاذة ايضا ويعتمدون عليها في اصولهم «واذا اجلنا النظر في شواهدهم القرآنية وجدناهم يفيدون من القراءات التي خالفت المشهور لاثبات وجه نحوي يخالف الكثير المألوف»[٦٤] . فالاستشهاد بقراءات كهذه في النحو « يتفق مع منهج الكوفيين في الاحتجاج بالمثال الواحد والبيت الذى لا يعرف قائله ، فاذا كان هذا شأنهم مع الشواهد التى قالها العرب فما بالك بقراءة منسوبة الى قارئها ، مشهور بين الناس أمرها ، متصلة بالرسول في سندها ، موافقة للعربية على وجه من وجوهها»[٦٥] . فمن ذلك مثلا قولهم «إن الفعل يرفع بعد ان المخفّفة من الثقيلة واستشهدوا بقراءة ابن محيصن :(لمن اراد ان يتم الرضاعة)[٦٦] ، وبقول الشاعر :

ان تقرآن على اسماء ويحكما　　　منى السلام وان لا تشعرا أحدا[٦٧]

ولم يجوّز البصريون ذلك وذهبوا الى انها ان الناصبة وقد اهملت حملا على (ما) المصدرية[٦٨] . ومن ذلك ايضا تجويزهم اعمال أن المصدرية مع الحذف من غير بدل [٦٩] مستشهدين بقراءة عبدالله بن مسعود وابي بن كعب : (وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدوا الا الله)[٧٠] ، حيث انتصب الفعل (تعبدون)

(٦٤) النحو العربي نقد وبناء ١٢٥ .
(٦٥) ابو علي الفارسي ٢٦٢ .
(٦٦) سورة البقرة من الآية ٢٣٣ .
(٦٧) مغني اللبيب ١/٢٩ ، شرح الاشموني ٣/٥٥٣ ، الموفي في النحو الكوفي ١٥٠-١٥١ والشاهد مجهول القائل (حاشية محمد الامير على المغني ١/٢٩) .
(٦٨) المفصل ٣١٤-٣١٥ ، شرح الرضي على الكافية ٢/٢١٧ ، مغني اللبيب ١/٢٩ ، ٢/٢٠١ ، شرح ابن عقيل ٢/٢٧٠ .
(٦٩) الانصاف ٢/٥٥٩ .
(٧٠) سورة البقرة من الآية ٨٣ .

بأن مقدرة ، وتقديره : ان لا تعبدوا الا الله ، فحذفت أن واعملت مع الحذف(٧١). وأيدوا وجهة نظرهم بشاهدين من شواهد سيبويه هما قول طرفة بن العبد :

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي(٧٢)

وقول عامر بن الطفيل :

فلم أر مثلها خباسة واحد ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله(٧٣)

حيث نصب (احضر) في البيت الاول ، ونصب (افعله) في الثاني(٧٤) .

ولم يجوز البصريون ذلك(٧٥) ، فقالوا بشذوذ القراءة ، ثم اولوها على ان الفعل « تعبدوا منصوب بـ لا ، المراد بها النهي ، وردوا رواية بيت طرفة على ان روايته الصحيحة بالرفع ، وعلى فرض صحته أولوه مع البيت الثاني(٧٦).

الكوفيون حينما يأخذون بالشاذ من القراءات ويستشهدون به لم يخرجوا عن المنهج السليم ، فمما لاشك فيه «انه يجوز الاحتجاج بالشاذ على اللغة وتقعيد القواعد ، قال السيوطي : « وقد اطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية اذا لم تخالف قياسا معروفا ، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وان لم يجز القياس عليه»(٧٧) . ولا ينكر أن « القراءة الشاذة أقوى سندا

---

(٧١) انظر معاني القرآن ١/٥٣ والانصاف ٢/٥٦٠ .

(٧٢) من شواهد الكتاب ١/٤٥٢ .

(٧٣) وهذا الشاهد ايضا من شواهد الكتاب ١/١٥٥ نسب فيه الى عامر بن جوين الطائي ، كذا نسبه الاعلم أيضا . والخباسة : الظلامة . ونهنهت : كففت . وصف ظلامة كاد يفعلها .

(٧٤) الانصاف ٢/٥٦٠_٥٦١ .

(٧٥) معللين بأن عامل الاسم الذى شابهته لا يضمر ويعمل فكيف بعامل الفعل وهو دونه في القوة ؟ وعوامل الافعال ضعيفة (شرح اللمع الورقة ٦٧ وجه ، الانصاف ٢/٥٦٢ .

(٧٦) انظر الانصاف ٢/٥٦٤_٥٦٨ والاغراب في جدل الاعراب ٦٧ .

(٧٧) الاقتراح ١٤ .

وأصح نقلا من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن .. اذ كان رواتها الأعلون عربا فصحاء سليمة سلائقهم ، تبنى على اقوالهم قواعد العربية ، والنحاة يحتجون بكلام من لم تفسد سلائقهم من تابعي التابعين ، فلأن يحتجوا بقراءة اعيان التابعين والصحابة أولى »[٧٨] ، فالقراءات الشاذة هي ايضا مروية بالسند الذى يرتفع الى السلف ، فهي لا تختلف عن بعض القراءات الصحيحة كالسبعة مثلا فكل جائز رواية ودراية كما قال ابن جني ، « فانا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا ، واكثر ما فيه ان يكون غيره من المجتمع عندهم عليه اقوى منـــــه اعرابا وانهض قياسا ، اذ هما جميعا مرويان مسندان الى السلف (رضي الله عنهم) فان كان هذا قادحا فيه ، ومانعا من الأخذ به فليكونن ما ضعف اعرابه مما قرأ به بعض السبعة هذه حاله»[٧٩] . وقد مر بنا كثير من القراءات التي جاءت على غـير القياس مخالفة للكثير الشائع فشذّذها علماء ، وصححها آخرون موجدين لها المسوغات فنسبوها الى لغة معروفة أو وجهوها في العربية ، فقد حاول ابن جني بكل جهده ايجاد وجه صحيح في العربية لكل قراءة شاذة[٨٠] ، «فالقــراءات الشاذة كانت صورة للهجات مفرّقة في قبائل متعددة ، ولم يرزق كثير من هذه القبائل حظا من الشهرة بين العرب فشذّذت القراءات التى تصوّر لهجات هــذه القبائل»[٨١] ، فالشاذ من القراءات هو الذي «دوّن بعض العلماء منها تبعا للهجة

---

(٧٨) في اصول النحو ٣٦ .
(٧٩) المحتسب ١/٣٣ .
(٨٠) المحتسب انظر مثلا ١/٣٧ و ٤٢ــ٤٣ و ٨٥ــ٨٦ و ٢٩٦ .
(٨١) ابو علي الفارسي ٣٧٤ .

غير مسموعة،(٨٢) • ويبدو أن هذه القراءات كلّها فصيحة(٨٣) •

وقد تابع الكوفيين في الاعتداد بالقراءات والاستشهاد بها بعض متأخّري النحاة ، ومنهم ابن مالك فقد « ردّ على من عاب على القراء قراءاتهم من النحـــاة بأبلغ رد ، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربية وان منعه لاكثرون مستدلا به ، من ذلك احتجاجه على جواز العطف على الضمير المجرور من غـير اعادة الجار بقراءة حمزة : (تساءلون به والارحام)(٨٤) وعلى جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول ، بقراءة ابن عامر : (قتل اولادهم شركائهم)(٨٥) ، وعلى جواز سكون لام الأمر بعد ثم ، بقراءة حمزة(٨٦) : (ثم(٨٧) ليقطع)،(٨٨)، واعتداد ابن مالك بالقراءات جعله يستشهد بالشاذ منها • فمن ذلك تجـــويزه حذف أل من (الذى والتي واللذان واللاتي) مستشهدا بقراءة من قرأ في الشواذ: (صراط لذين انعمت)(٨٩) ، قال ابو حيان : « لم يورد ابن مالك شاهدا سوى

---

(٨٢) تطور القراءات للاستاذ عباس العزاوى ، مجلة بغداد العدد ٢٤ بغداد/ شباط ١٩٦٥ ص٨ •

(٨٣) رد الاستاذ احمد الاسكندري على الاستاذ فيشر قوله : أن فقهاء اللغـة يختلفون في عد القبائل الفصيحة واللهجات القديمة كثيرة ونجد اكثرها ظاهرا في قراءات القرآن : « بأن هذه القراءات كلها فصيحة» • (محاضر جلسات مجمع اللغات العربية بمصر ، دور الانعقاد الاول الجلسة ٢١ ص٢٩٦) •

(٨٤) سورة النساء من الآية ١ •

(٨٥) سورة الانعام من الآية ١٣٧ •

(٨٦) لم تكن هذه قراءة حمزة وحده ، بل هى قراءة عاصم وحمزة والكسائي ونافع وابن كثير (التيسير ١٥٦ ، البدور الزاهرة ٢١١) •

(٨٧) سورة الحج من الآية ١٥ •

(٨٨) الاقتراح ١٥ •

(٨٩) سورة الفاتحة من الآية ٧ •

هذه القراءة وجوّز الباقي قياسا لا سماعا ، وهو من الشذوذ بحيث لا يقاس عليها[90] .

كذلك سلك أبو حيان سبيل ابن مالك في الاستشهاد بالقراءات ، فوقف مدافعا عن القراء ورادّا الطعن الذى وجّهه اليهم النحاة المتعصبون لأقيستهم من البصريين ، وقد امتلأ كتابه الكبير في التفسير (البحر المحيط) ومختصره (النهر الماد) بالدفاع الحار عن القراء ولاسيما الكبار منهم كالقراء السبعة وقد جوّز قراءاتهم التى لم يجوّزها البصريون ، وكان يقول : « ليس العلم محصورا ولا مقصورا على ما نقله وقاله البصريون فلا تنظر الى قولهم : ان هذا لا يجوز»[91]، ولهذا كان لا يرى تلحين القارىء ، وعلى الخصوص اذا كان من القراء السبعة ، ومن اقواله مثلا : «اما التلحين فلا سبيل اليه البتة لانها منقولة نقل التواتر في السبعة»[92] . وكان لا يرى الترجيح بين القراءات مقتديا بجمهور الكوفيين : «وقد تقدم لنا غير مرة انا لا نرجّح بين القراءتين المتواترتين»[93] . كما كان لا يني يجد وجها صحيحا في العربية وتخريجا لكل قراءة كيفما رآها النحاة السابقون من البصريين : ضعيفة أو شاذة أو لحنا[94] ، وقد تقدم شيء غير قليل من أقواله في الدفاع عن القراء وتصويب قراءاتهم فيما تقدم من صفحات هذا الفصل .

وخلاصة القول : إن القراءات الصحيحة أو الشاذة شواهد نحوية فصيحة،

---

(٩٠) همع الهوامع ١/٨٣ .
(٩١) البحر المحيط ٢/٣١٧ .
(٩٢) انظر الاشباه والنظائر ٢/٢٢٤ .
(٩٣) البحر المحيط ٤/٨٧ .
(٩٤) انظر البحر المحيط ١/٢٥٤ و ٢/٢٨٨ و ٤/٢٧١ و ٧/٣٢٠ و ٤١٧ و ٨/٤٩٣ والنهر الماد ٢/١٤٦ .

اذ هي خير وأقوم من الشواهد الشعرية ، حيث وردت في روايات هي أصح بكثير من رواية الشعر ، وكل نحوي اتخذ القراءات مصدرا لشواهده هو على صواب ، وقد اهدر البصريون جانبا كبيرا من الاستعمالات الفصيحة واللهجات العربية حين لم يعتمدوا على القراءات واخضعوها للتأويل فشذذوا مالم يكن يتفق مع اقيستهم • والواجب يقضي بالاخذ بالقراءات الصحيحة الثابتة وتعديل بعض قواعد النحو وتصحيحها استنادا اليها ، وبذلك يكون النحو اقرب الى واقع لغتنا يوم وضعت لها قواعدها •

الفصل الرابع

الاستشهاد بالحديث الشريف

الفصل الرابع

الاستشهاد بالحديث الشريف

الحديث من وجهة النظر اللغوية وقيمته كشاهد نحوي :

الحديث النبوي الشريف منبع ثر ومصدر اصيل من مصادر الشـواهد النحوية ، تغني به اللغة العربية ، وتفيد منه ثروة تضاف الى متنها ، واساليب جديدة تدخل استعمالاتها ، اذ هو « من وجهة النظر اللغوية نثر مرسل موضـوعي يستعمل اللغة استعمالا عمليا»[1] . فأحـاديث الرسـول (ص) والروايات الصحيحة المتناقلة عن اعماله (ص) واعمال صحابته ، «نمـوذج حقيقي للنثر القديم»[2] . وعلى سبيل المثال «تعتبر الوثيقة التي نظم فيها الرسول (ص) بعد وصوله للمدينة احوال المسلمين واليهود وثيقة لغوية من الطراز الاول»[3] ، فلا يعرف في تاريخ العربية بعد (القرآن الكريم) كلام «قط اعم نفعا ولا اصدق لفظا ولا اعدل وزنا ولا اجمل مذهبا ولا اكرم مطلبا ولا اسهل مخرجا ولا افصح عن معناه ولا ابين عن فحواه من كلامه (ص)»[4] ، وهو « وان كان نازلا عـن فصاحة القرآن وبلاغته ، في الطبقة العليا بحيث لا يدانيه كلام »[5] ، فلا يماري أحد بأن الرسول الكريم « كان افصح العرب لسانا واوضحهم بيانا واعذبهم نطقا واسدهم لفظا وابينهم لهجة واقومهم حجة واعرفهم بمواقع الخطاب واهداهم الى

---

(١) محاضرات في اللغة ١/٧٤ .

(٢) اللغات السامية ، نولدكه ٨٢ .

(٣) تاريخ الادب العربي ، بلاشير ٨٠ .

(٤) البيان والتبيين ١/١٥ .

(٥) الطراز ١/١٦١ .

طريق الصواب»[٦] ، وقد اوتي جوامع الكلم وهي المقدرة على تأدية المعـــاني الواسعة بألفاظ قليلة[٧] ، « فمن فصاحته انه تكلّم بألفاظ[٨] اقتضبها لم تسمع من العرب قبله ، ولم توجد في متقدم كلامها ... في الفاظ عديدة تجري مجـرى الامثال»[٩] وكانت موضع اعجاب كبار الصحابة . قال عليّ (رض) : « مـا سمعت كلمة عربية من العرب الاّ وقد سمعتها من النبي (ص) وسمعته يقول : مات حتف انفه ، وما سمعتها من عربي قبـــله» . وقال ابن دريد في المجتبى : « ومن الالفاظ التى لم تسمع من عربي قط قبله قوله : (لا ينتطح فيها عنزان) وقوله : (الآن حمي الوطيس) وقوله : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) وقوله : (الحرب خدعة) وقوله : (اياكم وخضراء الدمن)»[١٠] . وكان المحيطـــــون بالرسول (ص) وهم من فصحاء العرب لا يكتمون اعجابهم بفصاحته ويصارحونه به فكان جوابه لهم : « وما يمنعني من ذلك فانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين»[١١] . قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن احد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله (ص) »[١٢] .

وكان (ص) يكلّم العرب على اختلاف قبائلهم وتباين لهجاتهم كلا بما يفهمون فقد كان مطلعا على اللهجات العربية ، ولا ادلّ على ذلك من تفاهمه مع وفد همدان برياسة (مالك بن نمط) وكتابته لوفدهم كتابا على مقتضى لهجتهم ضمّ كثيرا من

---

(٦) النهاية في غريب الحديث والاثر ٣/١ .
(٧) انظر البيان والتبيين ١٤/٢ والمثل السائر ٥٢/١ .
(٨) كذا في الاصل والكلام لابي سليمان حمد بن محمد الخطابي كما نقله في المزهر .
(٩) المزهر ١٢٦/١ .
(١٠) المزهر ١٧٧/١ .
(١١) انظر امالي القالى ٨/١ والمزهر ١٢٦/١ .
(١٢) البيان والتبيين ١٥/٢ .

الكلمات الغريبة على القرشيين[١٣] • روي أن رجلا قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى • فقال له النبي (ص) : بئس الخطيب انت ! قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى • قال ابن الاثير : « انما ذمه لانه جمع في الضمير بين الله وبين رسوله في قوله (ومن يعصهما) فأمره ان يأتي بالمظهر ليترتب اسم الله تعالى في الذكر قبل اسم الرسول (ص)»[١٤] • فاذا أضيف الى كل هذا العناية التى بذلها المحدثون وتحوّطاتهم الكثيرة في روايته وتمييز الصحيح من الموضوع عناية تضرب بها الامثال ، برزت قيمة الحديث كشاهد مهم من شواهد النحو ، ولذا «كان من المنهج الحق بالبداهة ان يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الاعراب»[١٥] ، ولكن النحويين اعتمدوا الشعر مصدرا جعلوه اهم المصادر لاستقاء الشواهد النحوية منه ، كما تقدم تفصيله •

النحويون الاولون والاستشهاد بالحديث :

الرأي السائد على ان البصريين لم يستشهدوا بالحديث البتة ، وقد استند العلماء قديما والباحثون حديثا في هذا الى ما قاله ابو الحسن بن الضائع « المتوفى سنة ٦٨٠ هـ»[١٦] في شرح الجمل الزجاجية ردا على ابن خروف «المتوفى سنة

---

(١٣) انظر امالي الزجاجي ٩٩–١٠٠ والعقد الفريد ١/١٧٩ •
(١٤) النهاية في غريب الحديث والاثر ٣/١١٧ •
(١٥) في اصول النحو ٤١ •
(١٦) هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الاشبيلي المعروف بابن الضائع ، بلغ الغاية في النحو ••• له : شرح الجمل ، شرح كتاب سيبويه ، جمع بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار حسن ، توفي سنة ٦٨٠ هـ • (بغية الوعاة ٢/٢٠٤) •

٦٠٩هـ»[١٧] ، وتابعه أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي «المتوفى سنة ٧٤٥هـ»[١٨] في شرح التسهيل رادا على ابن مالك ومنكرا عليه استشهاده بالحديث بكثرة ، وسيأتي تبيان ضعف هذا الرأي السائد منذ قرون عديدة واظهار فساده :

استشهد الواضعون الاولون بالحديث النبوي ، وذلك حين لم يكن الفساد اللغوي قد عمّ وطمّ على الألسنة ، وكان رواة الحديث يتشدّدون في نقل الحديث على الوجه الصحيح المروي الموثوق به ، ولم يكن وضعة الحديث قد ظهروا بعد ولاسيما ان الاستشهاد كان اكثر ما يكون بما هو مروي بالتواتر ، أو الاحاديث المشهورة التى رواها كثرة من المحدثين بلفظ واحد . فان اكثر رجال الطبقة الاولى والثانية من النحويين البصريين قد استشهدوا به ، وكذلك استشهد به (الكسائي) و (الفراء) وبعض النحاة الكوفيين الآخرين ، وكان البصريون في الحقيقة اكثر تشددا في عدم الاستشهاد حين كثرت رواية الحديث بالمعنى ، فلم يطمئنّوا الى روانه[١٩] . والواقع ان الباحث ليجد سكوتا مطبقا من العلماء

(١٧) هو علي بن محمد بن علي ابو الحسن بن خروف الاندلسي النحوي كان إماما في العربية ، محققا مدققا ، ماهرا مشاركا في الاصول . صنف شرح سيبويه وشرح الجمل ، توفي بأشبيلية سنة ٦٠٩هـ باختلاف (بغية الوعاة ٢/٢٠٣) .

(١٨) بغية الوعاة ١/٢٨٣ .

(١٩) انظر اقوال المرحوم الشيخ احمد الاسكندري في الجلسة ٢١ من جلسات مجمع اللغة العربية في مصر (دور الانعقاد الاول ص٢٩٩) . و (فياللهجات العربية ص٥٠) . فقد ذهب الاستاذان الفاضلان الاسكندري والدكتور ابراهيم انيس الى ما ذهبنا اليه . ومما يؤيد ذلك ايضا قول الدكتور شوقي ضيف في (المدارس النحوية ص٤٧) : « ان الخليل هو الذى ثبت فكرة عدم الاستشهاد بالحديث النبوى ، لان كثيرين من حملته كانوا من الاعاجم ، وهم لا يوثق بهم في الفصاحة» .

الأقدمين حول الاستشهاد بالحديث ، فلم يصدر عن احدهم كلام صريح « ما يفيد انهم منعوه ، بل ونجد في كتبهم استشهادا بالحديث وان كان قليلا .... وقد اشتد هذا الخلاف واصبح واضحا كل الوضوح في القرنين السابع والثامن من الهجرة»[٢٠] ، حيث انقسم العلماء الى فئات ثلاث : فئة جـوّزت الاستشهاد بالحديث وفئة منعته واخرى توسّطت بينهما .

الفئة الاولى : وهي التي جوّزت الاستشهاد بالحديث مطلقا ، واكثرت من الاستشهاد به ، وعدّته مصدراً من مصادر النحو ، وفي طليعتها محمد ابن مالك الاندلسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ . ومن ابرز رجالها (ابن خروف) الذى سبق ابن مالك الى هذا الامر ، لأنه اقدم زمنا منه . ونجم الدين محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي «المتوفى سنة ٦٨٦هـ»[٢١] ، وجمال الدين بن هشام الانصارى المتوفى سنة ٧٦١ ، وبعض شراح الالفية كبدر الدين بن الناظم «المتوفى سنة ٦٨٦هـ»[٢٢] (وهو ابن صاحب الألفية) . وبهاء الدين بن عقيل المتوفى سنة ٧٦٩هـ وعلي بن محمد الاشموني «المتوفى سنة ٩٠٠هـ»[٢٣] ، وغيرهم من اصحاب الشروح والحواشي كالشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي المتوفى سنة ١١٩٧هـ ، والشيخ محمد بن مصطفى الخضري «المتوفى سنة ١٢٨٧هـ»[٢٤] . « وممن انتصر لمذهب هذه الفئة بدر الدين محمد بن ابي بكر الدماميني [المتوفى سنة ٨٣٨هـ] ، في شرحه لكفاية المتحفّظ المسمّى بتحرير الرواية»[٢٥] ، كما

---

(٢٠) في اللهجات العربية ٥٠ .
(٢١) بغية الوعاة ٥٦٨/١ .
(٢٢) بغية الوعاة ٦٩/٢ .
(٢٣) الاعلام ١٦٢/٥ .
(٢٤) الاعلام ٣٢٢/٧ .
(٢٥) دراسات في العربية وتاريخها ١٦٨ .

استشهد بالحديث في « شرحه للمغني والتسهيل والبخاري»[٢٦] ٠

اما ابن مالك فقد توسّع في الاستشهاد بحيث كان من اهم مميزات مذهبه النحوي ، حيث كان ـ كما يذكر عنه ابو حيان ـ « يكثر من الاستدلال بما وقع في الاحاديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب»[٢٧] ٠ اذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر : تجويزه ثبوت الخبر بعد لولا مستشهدا بالحديث[٢٨] ، واستشهاده به في تجويز العطف على الضمير المجرور مؤيدا قراءة حمزة التي ضعّفها البصريون ولم يجوزوها[٢٩] ، كذلك استشهد بالحديث في تجويز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف والجار والمجرور في سعة الكلام ، مسندا به قراءة ابن عامر[٣٠] ، وتجويزه اضافة الصفة الى الموصوف حيث قال : « في اضافة نساء الى المؤمنات في الحديث : (كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله (ص) صلاة العصر) شاهد على اضافة الموصوف الى الصفة ، عند امن اللبس ٠ لأن الاصل : وكن النساء المؤمنات ٠ وهو نظير : حبة الحمقاء ، ودار الآخرة ، ومسجد الجامع ، وصلاة الاولى»[٣١] ٠ وليس أدلّ على توسع ابن مالك الزائد في الاستشهاد بالحديث من اطلاقه تسمية لغة (يتعاقبون) بدلا من قول النحاة : لغة (أكلوني البراغيث)[٣٢] ٠ آخذا هذه التسمية من حديث جاءت

---

(٢٦) دراسات في العربية وتاريخها ١٧٧ ٠
(٢٧) خزانة الادب ١/٥ ٠
(٢٨) انظر شواهد التوضيح ٦٥ـ٦٧ ٠
(٢٩) انظر شواهد التوضيح ٥٣ ٠
(٣٠) انظر شواهد التوضيح ١٦٧ ٠
(٣١) شواهد التوضيح ١٩٣ ٠
(٣٢) انظر تسهيل الفوائد ٤٤ ، ١٤٠ ، ٢٢٦ وهى لغة جماعة من العرب يقال هم طيء ويقال هم ازد شنوءة وعندهم أن الفعل اذا اسند الى ظاهر مثنى او مجموع اتوا فيه بعلامة تدل على التثنية او الجمع فيقولون : قاما الرجلان ، وقاموا الجالسون وقمن الجالسات ٠ وهي لغة قليلة يعبر عنها النحويون بلغة أكلوني البراغيث ٠ (انظر شرح ابن عقيل ١/٣٩٦ـ٤٠١ وشرح الاشموني ١/١٧٠ـ١٧١) ٠

فيه هذه الكلمة . قال السيوطي : «استشهد ابن مالك على لغة (أكلوني البراغيث) بحديث الصحيحين : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) واكثر من ذلك حتى صار يسمّيها : (لغة يتعاقبون) »[٣٣] . قال معرّفا المبتدأ : « وهو ما عدم حقيقة او حكما عاملا لفظيا من مخبر عنه أو وصف سابق رافع ما انفصل وأغنى ... ولا خبر للوصف المذكور لشدة شبهه بالفعل ، ولهذا لا يصغر ولا يوصف ولا يعرّف ولا يثنّى ولا يجمع الا على لغة : (يتعاقبون فيكم ملائكة)»[٣٤].

اما رضي الدين الاسترابادي فقد استشهد كثيرا بالحديث «وزاد عليه بالاحتجاج بكلام اهل البيت رضي الله عنهم»[٣٥] ، وانت واجد استشهاده بالحديث في كل باب من ابواب شرحه على كافية ابن الحاجب . كذلك فعل ابن هشام حيث كان يكثر من الاستشهاد بحيث لم يخل باب او مسألة من مسائل النحو في كتبه : كالمغني وشرح شذور الذهب وشرح قطر الندى وغيرها من الحديث ، يورده للاستشهاد به في المسائل اللغوية او النحوية ، حتى كان يستعين به في تفسير الشعر احيانا[٣٦] . ومما يدل على اعتماده الفائق في الاستشهاد بالحديث على اثبات القواعد النحوية رده على الفراء قوله في (نعم وبئس) انهما اسمان ، وعلى ابي علي الفارسي قوله في (الحلبيات) ان (ليس) حرف نفي بمنزلة (ما) النافية ، وعلى الكوفيين قولهم ان (عسى) حرف ترج بمنزلة (لعلّ) ، وتبعهم على ذلك ابن السراج بأنها جميعا (اى : نعم وبئس وما النافية وعسى) افعال

---

(٣٣) الاقتراح ١٩ وانظر شرح ابن عقيل ١/٤٠١ وشرح الاشموني ١/١٧١ والمغني ٣٧ .
(٣٤) تسهيل الفوائد ٤٤ .
(٣٥) خزانة الادب ١/٤ .
(٣٦) انظر مغني اللبيب ١/١٠٠ .

مستشهدا بحديث شريف . قال : « والصحيح ان الاربعة افعال ، بدليل اتصال تاء التأنيث الساكنة بهن ، كقوله عليه الصلاة والسلام : (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل افضل) »(٣٧) . وهو يستشهد به ايضا على أي رواية ورد فيها كاستشهاده – مثلا – في باب الفاعل على الحاق بعض العرب علامة تثنية أو جمع » بالعامل فعلا كان كقوله (ص) : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) أو اسما كقوله (ص) : (أو مخرجيّ هم ؟) قال ذلك لما قال له ورقة بن نوفل : وددت ان اكون معك اذ يخرجك قومك . والاصل : او مخرجوي هم ، فقلبت الواو ياء ، وادغمت الياء في الياء»(٣٨) . وهذا الحديث ورد في رواية مختلفة ، قال السجاعي في حاشيته على الشرح : « لعل ما ذكر المصنف [يعني ابن هشام] رواية لبعضهم او رواية بالمعنى والا فالذي في البخاري وشروحه : (ياليتني فيها جذعا ياليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال (ص) : أو مخرجي ... الخ) »(٣٩) . وفي هذا دليل على ان مجوّزي الاستشهاد يأخذون بكل رواية ترد فيها الاحاديث . اما ابن الناظم فقد استشهد في شرحه على الفية والده ابن مالك بالحديث في مواضع عديدة من شرحه(٤٠) . من ذلك مثلا استشهاده به في (عوامل الجزم) على جواز مجيء جواب الشرط ماضيا اذا كان الشرط مضارعا» قال : « واكثر النحويين يخصّون هذا النوع بالضرورة وليس بصحيح بدليل ما رواه البخاري من قول النبي (ص) : (من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفـــر له)(٤١) » . واستشهد ايضا على حذف الفاء من جواب الشرط في الندرة بالحديث الذى اخرجه البخاري من قوله (ص) لأبي بن كعب(٤٢) : (فان جاء صاحبها والا

(٣٧) شرح قطر الندى ٢٨ .
(٣٨) شرح قطر الندى ١٨٢ .
(٣٩) حاشية السجاعي على شرح القطر ٧٢ .
(٤٠) شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك انظر مثلا ص١٢ و ٤٢ و ٥٥ و١٢٩.
(٤١) شرح ابن الناظم ٢٨٧ .
(٤٢) انظر صحيح البخارى ٣/٩٢ .

استمتع بها)[٤٣] . وكان ابن عقيل يستشهد بالحديث بقلة[٤٤] . من ذلك مثلا استشهاده على جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بشبه الظرف[٤٥] . ومن شراح الألفية كان الاشموني يستشهد كثيرا بالحديث[٤٦] ، ففي أول شرحه يواجهك استشهاده بحديث شريف على جواز اضافة آل الى الضمير خلافا للكسائي والنحاس وأبي بكر الزبيدي الذى زعم انه من لحن العوام[٤٧] . ومن ذلك مثلا آخر : هو رده على ابي علي الفارسي قوله : اثبات الميم في (فم) مع الاضافة ضرورة ، بأنه لا يختص بالضرورة واستشهد بالحديث الشريف : (لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك ...)[٤٨] . واستشهد الشيخ احمد بن احمد السجاعي في حاشيته على شرح القطر في النحو[٤٩] . وسيأتي رده على من انكر على ابن هشام الاستشهاد بحديث لانه مروي بالمعنى[٥٠] ، كما استشهد الشيخ محمد الخضري في عدة مواضع من حاشيته على شرح ابن عقيل[٥١] . والحق ان الكلام يطول في ذكر من استشهد بالحديث من النحاة الذين جاءوا بعد ابن مالك . وفيما ذكرناه يعطي فكرة واضحة عن الفئة التي جوّزت الاستشهاد بالحديث مطلقا من النحويين .

الفئة الثانية : وهي التى لم تتطرّف في الاستشهاد بالحديث كما لم تمنعه ، فوقفت موقفا وسطا بين الفئتين المجوّزة والمانعة ، ومن ابرز رجالها ابو اسحاق

---

(٤٣) شرح ابن الناظم ٢٨٨ .
(٤٤) شرح ابن عقيل انظر مثلا ٢/٧٠ و ١٤٥ .
(٤٥) شرح ابن عقيل ٢/٧٠ .
(٤٦) شرح الاشموني انظر مثلا ١/٥ و ١٤ و ٣١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٧ و ٢/٢٩٨ و ٣٣٦ و ٣/٦٢١ .
(٤٧) شرح الاشموني ١/٥ .
(٤٨) شرح الاشموني ١/٣١ .
(٤٩) الحاشية انظر مثلا ٢٨ و ٣١ و ٧٢ .
(٥٠) حاشية السجاعي ١٠٥ .
(٥١) حاشية الخضرى / انظر مثلا ١/٧٩ و ٢/٧٢ و ١٢٠ و ١٧٨ و ٢٠٨ .

الشاطبي ، المتوفى سنة ٧٩٠هـ ، وجلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١هـ ، فقد « جوّز علماء هذه الفئة الاستشهاد بالاحاديث التي اعتني بنقل الفاظها»[٥٢]، ولم يرضوا عمن منع الاستشهاد بالحديث كما نقدوا على من جوّز الاستشهاد به دون تمييز بين ما روي منه بالمعنى او اللفظ ، وقد أوضح الشاطبي هذا في شرحه على الفية ابن مالك حيث قال : « لم نجد احدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله (ص) ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على اعقابهم ، واشعارهم التي فيها الفحش والخنى ، ويتركون الاحاديث الصحيحة لأنها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها والفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم فانّ رواته اعتنوا بألفاظها لما ينبنى عليه من النحو ، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات . وأمّا الحديث فعلى قسمين : قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه فهذا لم يقع به استشهاد اهل اللسان وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص ، كالاحاديث التي قصد بها بيان فصاحته (ص) ككتابه الى همدان ، وكتابه لوائل بن حجر ، والامثال النبوية فهذا يصحّ الاستشهاد به في العربية»[٥٣] . ولكون ابن مالك استشهد بجميع الاحاديث دون تمييز ردّ الشاطبي عليه بقوله : « وابن مالك لم يفصّل هذا التفصيل الضروري الذي لابد منه وبنى الكلام على الحديث مطلقا ولا أعرف له سلفا الا ابن خروف فانه أتى بأحاديث في بعض المسائل»[٥٤] . ثم قال مخطئا ابن مالك لاعتباره ان الاصل في نقل الحديث هو باللفظ : « والحق ان ابن مالك غير مصيب في هذا فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى وهو قول ضعيف»[٥٥] . وقد ذهب السيوطي مذهب الشاطبي وتابعه في الاستشهاد بالاحاديث الصحيحة

---

(٥٢) خزانة الادب ١/٦ .
(٥٣) خزانة الادب ١/٦ .
(٥٤) خزانة الادب ١/٦ .
(٥٥) خزانة الادب ١/٦ .

المروية بلفظها فقال : « واما كلامه (ص) فيستدل منه بما ثبت انه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جدا ، انما يوجد في الاحاديث القصار على قلّة ايضا ، فان غالب الاحاديث مروي بالمعنى ، وقد تداولتها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما ادّت اليه عبارتهم فزادوا ونقّصوا وأخّروا وبدّلوا ألفاظا بألفاظ ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويا على اوجه شتّى بعبارات مختلفة ، ومن ثم انكر على ابن مالك اثبات القواعد النحوية بالالفاظ الواردة في الحديث»(٥٦) . ويبدو من اقوال السيوطي انه كان يميل مع المانعين (٥٧) ، وان كان ممن توسط في الاستشهاد فمما دلّ على ذلك قوله بعد أن اورد كلام ابن الضائع وأبي حيان : «ومما يدل على صحة ما ذهب اليه ابن الضائع وابو حيان انّ ابن مالك استشهد على لغة (أكلوني البراغيث) بحديث الصحيحين : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) واكثر من ذلك حتى صار يسمّيها : (لغة يتعاقبون) . وقد استدلّ به السهيلي .. ثم قال : لكنّي اقول ان الواو فيه علامة اضمار ، لأنه حديث مختصر رواه البزار مطولا مجردا قال فيه : (إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) »(٥٨) . وتبعا لموقفه هذا فقد كان ينكر الاستشهاد ببعضها لانها رويت بالمعنى ، ودليله على ذلك الاختلاف الحاصل في رواية الفاظها . قال عند كلامه على حذف الخبر بعد لولا واستشهاد بعض

---

(٥٦) الاقتراح ١٦ وكان مجوزو الاستشهاد بالحديث لا يرضون عن الكلام الذى ذكره السيوطي فممن رد على السيوطي في قوله : «ان غالب الاحاديث مروي بالمعنى ملا علي القاري» . قال الامير : وشنع على ذلك ملا علي قاري بأن الاصل ان الراوى لم يغير اللفظ ، وحمله على الصلاح مقدم ، وقد استشهدوا بكلام العرب مع ان رواته مولدون » اهـ . (ذكر هذا الشيخ حسين والي في محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في مصر . دور الانعقاد الاول الجلسة ٢٢ ص٣٤٤) .

(٥٧) ذهبت الى هذا الرأي أيضا الدكتور خديجة الحديثي في كتاب (ابو حيان النحوى) ص٤٣٦ .

(٥٨) الاقتراح في علم اصول النحو ١٩٩ . والحديث رواه البخاري في صحيحه مطولا ونصه : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ... الحديث) (انظر صحيح البخارى ١/١٣٩) .

النحاة كابن مالك ـ مثلا ـ على ثبوت الخبر بعد لولا بالحديث الشريف : (لولا قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد ابراهيم) : « والظاهر ان الحديث حرفه الرواة بدليل أن في بعض رواياته (لولا حدثان قومك) وهذا جار على القاعدة»(٥٩) . ومن ذلك ايضا ردّه على استشهاد ابن مالك على حذف حرف النداء من اسم الجنس بالحديث : (ثوبي حجر) بقوله : « واما الحديث فلم يثبت كونه بلفظ الرسول (ص) كما تقرر غير مرة ويؤيده وروده في بعض الطرق بلفظ : يا حجر »(٦٠) .

الفئة الثالثة : هذه الفئة من النحاة تطرّفت فمنعت الاستشهاد بالحديث مطلقا متذرعة بوقوع الاختلاف في ألفاظه لروايته بالمعنى دون اللفظ ، وكذلك وقوع اللحن فيه ، لأن كثيرا من رواته كانوا من الاعاجم ، ولهذين السببين لم يستشهد به ـ على رأيهم ـ المتقدمون من النحويين ولا المتأخرون ، ومن ابرز رجال هذه الفئة (ابو الحسن علي بن محمد الاشبيلي المعروف بابن الضائع المتوفى سنة ٦٨٠ هـ ، واثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان ، المتوفى سنة ٧٤٥هـ ، حيث منعا الاستشهاد للاسباب المار ذكرها . قال ابو الحسن بن الضائع في شرح الجمل للزجاجي مبينا سبب منعه الاستشهاد بالحديث : « تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الائمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الاولى في اثبات فصيح اللغة كلام النبي (ص) لانه افصح العرب» (٦١) . ولرأيه هذا فقد انكر على ابن خروف استشهاده الكثير بالحديث فقال : « وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا

---

(٥٩) همع الهوامع ١/١٠٥ .
(٦٠) المصدر نفسه ١/١٧٤ .
(٦١) الاقتراح ١٨ ، خزانة الادب ١/٥ .

فان كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروي فحسن ، وان كان يرى ان من قبله اغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى»[٦٢] . وقال ايضا متسائلا : « لا اعرف هل يأتي بها مستدلا بها ، أم هي لمجرد التمثيل؟»[٦٣] .

اما ابو حيان فقد اطال القول وأسهب فيه منكرا على ابن مالك اكثاره من الاستشهاد بالحديث فقال في شرح التسهيل : « قد اكثر المصنف (يعني به ابن مالك) من الاستدلال بما وقع في الاحاديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب ، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره ، على ان الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين للاحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من ائمة البصريين ، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد واهل الاندلس . وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الاذكياء فقال : انما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك لفظ الرسول (ص) ، اذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في اثبات القواعد الكلية به ، وانما كان كذلك لأمرين :

احدهما : ان الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه (ص) لم تنقل بتلك الالفاظ جميعها ، نحو ما روي من قوله : (زوجتكها بما معك من القرآن) (ملكتكها بما معك من القرآن) (خذها بما معك من القرآن)، وغير ذلك ن الالفاظ الواردة . فنعلم يقينا انه (ص) لم يلفظ بجميع هذه الالفاظ ، فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه ، اذ المعنى هو المطلوب ولاسيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة ، والاتكال على الحفظ ، والضابط منهم من ضبط المعنى ، واما من ضبط اللفظ فبعيد جدا لاسيما في الاحاديث الطوال . وقد قال

---

(٦٢) الاقتراح ١٨ ، خزانة الادب ١/٥ .
(٦٣) خزانة الادب ١/٦ .

سفيان الثوري : « ان قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني انما هو المعنى» ، ومن نظر في علم الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين انهم يروون المعنى .

الأمر الثاني : انه وقع اللحن كثيرا فيما روي من الحديث ، لان كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك وقد وقع في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب . ونعلم يقينا من غير شك ان رسول الله (ص) كان افصح الناس ، فلم يكن ليتكلّم الا بأفصح اللغات واحسن التراكيب واشهرها واجزلها ، واذا تكلّم بلغة غير لغته فانما يتكلّم بذلك مع اهل تلك اللغة على طريق الاعجاز وتعليم الله ذلك له من غير معلّم . والمصنف [يعني به ابن مالك] قد اكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر متعقبا بزعمه على النحويين ، وما أمعن النظر في ذلك ولا صحب من له التميز .. وقد قال لنا بدر الدين ابن جماعة [(١)] ـ وكان ممن اخذ عن ابن مالك ـ : قلت له : يا سيدي ! هذا الحديث رواية الاعاجم ووقع فيه من روايتهم ما يعلم انه ليس من لفظ الرسول . فلم يجب بشيء»[(٢)] إنتهى . هذه هي الاسباب والتبريرات التى استند اليها مانعو الاستشهاد بالحديث بسطها ابو حيان ، وامعن الكلام في هذه المسئلة ـ كما قال ـ لئلا يقول مبتديء : « ما بال النحويين يستدلّون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر ، ولا يستدلّون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم وأضرابهما ؟ فمن طالع ما ذكرناه ادرك السبب الذى لأجله لم يستدل النحاة بالحديث»[(٣)] . واودّ التعقيب على ما ذكره ابو حيان ومانعو الاستشهاد بالحديث بما يلي :ـ

---

(١) هو بدر الدين محمد بن ابي بكر المعروف بابن جماعة ، وهو ممن برع في النحو توفي سنة ٨١٩هـ (بغية الوعاة ١/٦٦) .
(٢) الاقتراح ١٦ـ١٨ ، خزانة الادب ١/٥ـ٦ .
(٣) الاقتراح ١٨ ، خزانة الادب ١/٦ .

١ ـ رواية الحديث بالمعنى :

ان حجة الذين منعوا الاستشهاد بالحديث التى تذرعوا بها ، وهي روايته بالمعنى لا تنهض دليلا على منع الاستشهاد به بصورة باتة ، فلا ينكر ان هناك من الاحاديث ما روي بالمعنى الى جانب الاحاديث التى رويت باللفظ ، والواقع أن قسما من المحدثين كانوا متشددين في الرواية فلا يسمعون حديثا ولا يحدثون بحديث الا على لفظه ، حتى منع بعضهم روايته بالمعنى ، وجوّزها الآخرون مشترطين شروطا لها[٤] ، لهذا ذهب قسم من العلماء بأن الاصل في نقل الاحاديث انما كان بلفظها ، قال الصفاقسي : « وأما الأحاديث فالأصل نقلها بلفظها وادعاء انها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت الا بدليل ومن مارس الاحاديث ورأى تثبت الصحابة والآخذين عنهم (رض) وتحريهم في النقل حتى انهم اذا شكّوا في لفظ أتوا بجميع الالفاظ المشكوك فيها أو تركوا روايته بالكلية علم اليقين انهم لا ينقلون الاحاديث الا بألفاظها »[٥] ، فلا عجب اذا ما اعتمد كثير من العلماء المحققين كابن مالك وابن هشام اعتمادا كليا على الحديث وعدّوه مصدرا من مصادر شـــواهدهم النحوية ، وكان سندهم هو أن غلبة الظن تدل على أن ما استشهدوا به من الحديث لم يبدل لأن الأصل عدم التبديل ، قال الشيخ احمد السجاعي المتوفى سنة ١١٩٧هـ مؤيدا وجهة نظر ابن هشام في استشهاده على (اعمال المصدر) عمل فعله اذا اضيف الى المفعول بقوله عليه الصلاة والسلام : (وحج البيت من استطاع اليه سبيلا)[٦] ردا على من قال لا شاهد فيه لروايته بالمعنى : « وقول بعضهم : يحتمل ان يكون الحديث مرويا بالمعنى فلا شاهد فيه مردود بأن الأصل الرواية باللفظ فاذا قصد الرواية بالمعنى اشار الراوي لذلك بقوله : قالَ ما معناه • وفتح هذا الباب يتطرّق

---

(٤) انظر الالماع ١٧٤ ومقدمة ابن الصلاح ١٠٦ والكفاية ١٩٨ـ١٩٩ •
(٥) غيث النفع ١٢٧ •
(٦) شرح قطر الندى ٢٦٨ •

منه عدم الاستدلال بالاحاديث على الأحكام الشرعية وهو مخالف للاجماع»(٧).

وكانت هذه وجهة نظر ابن مالك والمجيزين ، وهو كما قال عنه ابو عبدالله محمد الاندلسي المشهور بالراعي بأنه في العربية نظير المجتهدين(٨) • وقد كان على مذهب ابن مالك كثير من النحاة الذين اكثروا من الاستشهاد بالحديث ممن مرّ ذكرهم ، وقد رد بعضهم المانعين • فممن ردّ واجاد في الرد ـ كما يقــول البغدادي ـ بدر الدين الدماميني حيث ذكر في شرح التسهيل : بأنه قد عرض على بعض مشايخه موقف ابن مالك من الحديث وتشنيع ابن حيان عليه بأن ما استند اليه لا يقوم على اساس لروايته بالمعنى • « فصوّب رأي ابن مالك فيما فعله بناء على ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب وانما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناط الاحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفــردات الالفاظ وقوانين الاعراب فالظن في ذلك كلّه كاف ولا يخفى انه يغلب على الظن ان ذلك المنقول المحتج به لم يبدل لأن الأصل عدم التبديل لاسيما والتشديد في الضبط والتحرّي في نقل الأحاديث شائع بين النقلة والمحدثين ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذى لا ينافي وقوع نقيضه فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون مع قولهم بجــواز النقل بالمعنى فيغلب على الظن من هذا كلّه انها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها ، ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يدوّن ولا كتب وأما ما دوّن وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل الفاظه من غير خــلاف بينهــم ••••»(٩) ثم قال : « وتدوين الاحاديث

---

(٧) حاشية السجاعي على شرح القطر ١٠٥ •

(٨) المواهب الفتحية ١/٤٣ •

(٩) خزانة الادب ١/٧ •

والاخبار بل وكثير [كذا] من المرويات وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ثم دوّن ذلك المبدل على تقدير التبديل ومنع من تغييره ونقله بالمعنى كما قال ابن الصلاح ، فبقي حجة في بابه ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر والله اعلم بالصواب»[10] . ومن البديهي ان الرواة «كانوا على نقل احاديث النبي احرص منهم على اشعار الجاهليين ، وكانوا يعتقدون ان هذا الأمر دين ، فبالغوا في رواية الحديث باللفظ ، وشددوا في روايته بالمعنى»[11] ، ولذا وافقنا من يقول ان الحديث روى بالمعنى « فان الذين كانوا يروون بالمعنى ـ في اغلب الظن ـ انما هم العرب الذين كانوا يعتدون بسلامة سلائقهم ، اما الموالي الذين لم يأخذوا بأسباب العربية فهم ابعد ما يكونون عن ان يتصرفوا في متون الاحاديث»[12] ، فلم لا يعدّ كالشعر الذى وضعه الرواة ونحلوه الشعراء الجاهليين فعدّ جاهليا واستشهد به النحاة ؟ على اعتبار ان كلام اولئك الرواة يحتج به في اللغة كحمّاد الراوية مثلا[13] ، قال الاصمعي لأبي حاتم : « ما أروي للأغلب العجلي الا اثنتين ونصفا[14] . قال ابو حاتم : وطلب منه اسحاق ابن العباس رجز الاغلب ، فاخرج منه نحوا من عشرين قصيدة قال : فقلت له : ألم تزعم انك لا تعرف الا اثنتين ونصفا ؟ قال : بلى ، ولكن انتقيت ما أعرف فان لم يكن له فهو لغيره ممن هو ثبت أو ثقة »[15] .

---

(١٠) خزانة الادب ١/٧ .
(١١) دراسات في فقه اللغة ١٢٤ـ١٢٥ .
(١٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٧٩ .
(١٣) انظر خزانة الادب ٤/١٢٩ .
(١٤) يعني قصيدتين ونصف .
(١٥) فحولة الشعراء ٢٥ .

ويبدو على صواب من قال : ان ما ذهب اليه مجيزو الاستشهاد بالحديث كالدماميني مثلا بأن تدوين الاحاديث والاخبار وكثير من المرويات وقع في الصدر الاول قبل فساد العربية لا تتفق مع الواقع[16] ، فانّ تدوين الحديث بمعناه الواسع لم يتم الاّ على رأس المائة الأولى حينما أمر عمر بن عبدالعزيز ، بتدوينه[17] . وان « اول تدوين للسنن بالمعنى الحقيقي يقع ما بين سنة ١٢٠ هـ (٧٣٨م)وسنة ١٥٠هـ (٧٦٧م) »[18] .ويعتبرون سنة١٤٣هـ هي السنة التي كانت مبدأ لهذه النهضة[19] ، فالمعروف ان عصر الرسول (ص) « استمر الى حين وفاته على الفصاحة ، وجاء العصر الثاني وهو عصر الصحابة جاريا على هذا النمط سالكا هذا المنهج ، فكان اللسان العربي صحيحا لايتداخله الخلل ولا يتطرق اليه الزلل»[20] ، وقد ظهر اللحن في أوائل عهد بني امية ، الأمر الذى اضطر معه الغيارى على اللغة الى وضع علم النحو كما مرّ بنا في التمهيد ، وكان « انقراضها سنة ١٣٢هـ »[21] ، « ومع ذلك توجد أحاديث في الصحاح عما دوّن على زمن الأمويين»[22] ، وما توصلت اليه من نتائج مما ذكر عن رواية الحديث وتدوينه[23] تتفق مع ما توصل اليه أحد الباحثين[24] حيث ذكر بأن : « ما يستفاد من حقائق التاريخ ان قسما كبيرا من الاحاديث دوّنه رجال يحتج بأقوالهم في العربية ، وأن كثيرا من الرواة كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها ، وذلك

---

(١٦) ذهب الى هذا الرأى الشيخ محمد الخضر حسين في (دراسات في العربية وتاريخها ١٧٥) والدكتور ابراهيم انيس في (في اللهجات العربية ٥٠) .

(١٧) صحيح البخارى ١/٣٣ .
(١٨) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ١٩٨ .
(١٩) تاريخ آداب اللغة العربية ، احمد الاسكندري ٧٣ .
(٢٠) النهاية في غريب الحديث والاثر ١/٤ .
(٢١) تاريخ الرسل والملوك ١٠/٢٣ .
(٢٢) عقيدة الشيعة ٢٨٠ .
(٢٣) انظر صحيح البخارى ١/٣٣ وجامع بيان العلم ١/٨٨ . ومفتاح السنة ٢١
(٢٤) هو الشيخ محمد الخضر حسين .

مما يساعد على روايتها بألفاظها ، فيضاف هذا وذاك الى ما وقع من التشديد في رواية الحديث بالمعنى ، وما عرف من احتياط أئمة الحديث وتحريهم في الرواية ، فيحصل الظن الكافي لرجحان ان تكون الاحاديث المدوّنة في الصدر الأول مروية بألفاظها ممن يحتج بكلامه ،[٢٥] .

وأما ما ادعاه مانعو الاستشهاد من إختلاف الفاظ الحديث الواحد بسبب روايته بالمعنى فلا تقوم على دليل ، لأن اختلاف اللفظ لا يعود السبب كلّه الى روايته بالمعنى ، بل كان لتعدد مجالس النبي (ص) المختلفة زمانا ومكانا أثر كبير في ذلك ، فربما سئل الرسول الكريم السؤال نفسه في مجالس مختلفة فتكون اجابته مختلفة لفظا متفقة معنى ، فقد كانت له (صلوات الله وسلامه عليه) مجالسه التي كان يجلس فيها الى صحبه الكرام يعظهم ويهديهم سبل الرشاد ، فيقصده المسلمون ما بين سائل او مستفت ، متخاصم أو مستقض ، طالب علم أو حاجة فتختلف الفاظ احاديثه تبعا لمقتضيات الاحوال ، واختلاف افهام ولهجات السامعين[٢٦] . روي ان رجلا قال : يا رسول الله ايدالك الرجل امرأته ؟ قال : نعم اذا كان ملفجا بفتح الفاء وكسرها ، فقال ابو بكر (رض) ما قلت له ؟ وما قال لك يا رسول الله ؟ فقال (ص) : قال لي : إيماطل الرجل امرأته فقلت : نعم اذا كان فقيرا[٢٧] ، وحتى لو فرض ان الحديث الواحد ورد بألفاظ مختلفة ، فان لكل رواية قيل فيها ذلك الحديث وجه صحيح في العربية وان كان في بعضها بعد

---

(٢٥) دراسات في العربية وتاريخها ١٧٥ .

(٢٦) ذهب الى هذا بعض الباحثين منهم : الدكتور عبدالرحمن السيد في كتاب (مدرسة البصرة النحوية) ص٢٥٧ . طبع بمطابع سجل العرب بالقاهرة سنة ١٩٦٨م . والاستاذ محمد محمد ابو زهو في كتاب (الحديث والمحدثون) ص٢٠٧ ، طبع بمطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م.

(٢٧) المواهب الفتحية ١/٤٠-٤١ .

ومثال ذلك استشهاد ابن‌هشام في (التوكيد بأجمع) بالحديث الآتي : (اذا صلّى الأمام جلوسا فصلّوا جلوسا اجمعون) فقال : « يروى بالرفع تأكيدا للضمير ، وبالنصب على الحال وفيه ضعف لاستلزامه تنكيرها ، وهي معرّفة بنية الاضافة» (٢٨) .

٢ - وقوع اللحن في الحديث لان اغلب رواته اعاجم :

وكانت حجة المانعين الأخرى وقوع اللحن فيه لأن كثيرا من رواته كانوا من الأعاجم ، هي ايضا حجة واهية ، لأن كثيرا من رواة اللغة والشعر كانوا أعاجم كخلف الأحمر وحماد الراوية مثلا ، بل ان «حملة العلم كما قال ابن خلدون في الأمة الأسلامية كان اكثرهم من العجم ... وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته»(٢٩) . ويرجع السبب الى طموح الأعاجم لاسيما الفرس ورغبتهم في ان يرتفعوا بمنزلتهم الى مستوى اصحاب السلطان من العرب ، الذى دفعهم الى سلوك سبيل العلم ، فالمعروف ان الامويين كانوا متعصبين للعرب واللغة العربية حتى كان يطلق على الفرس الذين اسلموا بـ (الموالي) وكانت المراكز الحساسة في امور السياسة والقيادة وولاية الأقاليم والقضاء تناط بالعرب ، وتركوا لغير العرب الوظائف والاعمال الاخرى ، «فأقبلوا على تعلّم العربية حتى مهروا فيها كما أقبلوا على القرآن يحفظونه ويتدارسونه وعلى الأحاديث يروونها فكان منهم قراء ومحدثون ، وأقبلوا على الشعر يروونه ويقرضونه وظهر منهم شعراء مجيدون كبشار بن برد ، وأبي نواس ، ومسلم الخاسر وابان اللاحقي وغيرهم»(٣٠) ، فكان كثير منهم لا يختلف عن العربي

---

(٢٨) شرح قطر الندى ٢٩٤ .
(٢٩) مقدمة ابن خلدون ٥٤٣ .
(٣٠) الخليل بن احمد الفراهيدى ١١ .

في فصاحته كالحسن البصري وعمرو بن قائد الاسواري وموسى بن سيار وغيرهم(٣١) ، قال الزهري : « كنت عند عبدالملك بن مروان فدخل عليه رجل حسن الفصاحة ، فقال له عبدالملك : كم عطاؤك ؟ قال : مئتا دينار ، قال : في كم ديونك ؟ قال : في مائتي دينار ، قال : أما علمت اني أمرت ان لا يتكلم احد باعراب ؟ قال : ما علمت ذلك . قال : أمن العرب انت أم من الموالي ؟ فأجابه : إن تكن العربية أبا فلست منها ، وان تكن لسانا فاني منها»(٣٢) . فان صحت هذه الرواية فهي تدل على مقدار تعلّق الموالي باللغة وفصاحتهم فيها . وليس ادل على فصاحة بعض هؤلاء الموالي مما روي عن أمر الحجاج بن يوسف الثقفي بأن لا يؤم بالكوفة الا عربي فلم يمتثل (يحيى بن وثاب) للأمر وبقي يؤم قومه بني أسد وهو مولى لهم ، فلما طلبوا منه الاعتزال أجابهم : ليس عن مثلي نهى ، انا لاحق بالعرب . ثم قصد الحجاج وقرأ امامه فأقره الحجاج معترفا بفصاحته وقال : ليس عن مثل هذا نهيت ، يصلي بهم(٣٣) . واما علم النحو « فهو وان كان في نشأته عملا عربيا بكرا ، غير ان عددا من اكبر النحاة كانوا من العجم »(٣٤) كسيبويه إمام النحويين البصريين ، والكسائي امام النحويين الكوفيين وكثيرين غيرهما ، ومع ذلك فان هؤلاء الأعاجم قد خدموا الدين الاسلامي والعلوم العربية الاسلامية . ومما تقدم يظهر ضعف حجتهم فليس كل اعجمي غير فصيح أو ليس له بصر بالعربية « ولو وصل الأمر برواة الحديث الى هذه الدركة [كذا] من الجهل بالعربية سليقة وصناعة ، لما صح الاحتجاج بمروياتهم في الشريعة ، يجهلون العربية من طرفيها ، ولم يقل بذلك قائل»(٣٥) .

---

(٣١) انظر البيان والتبيين ١/٢٨٥ والفهرست ٦٨ ووفيات الاعيان ١/٣٥٤ .
(٣٢) البصائر والذخائر م٢ القسم ٢/٣٣٢ .
(٣٣) انظر العقد الفريد ١/٢٧٦ - ٢٧٧ ، البدء والتاريخ ٦/٣٩ ، معرفة القراء الكبار ٥١ .
(٣٤) تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ٢/٨ .
(٣٥) نظرات في اللغة والنحو ٢٢ .

اما عن اللحن فلا نكران لوقوعه في الحديث بقلّة ، بدليل ترخيص بعض أئمتهم اصلاح اللحن ان وجد فيه[٣٦] . سئل ابو عبدالرحمن النسائي عن اللحن في الحديث فقال : «ان كان شيئا تقوله العرب ـ وان كان في غير لغة قريش ـ فلا يغيّر ، لأن النبي (ص) كان يكلّم الناس بلسانهم ، وان كان لا يوجد في كلام العرب فرسول الله (ص) لا يلحن»[٣٧] . وكان منهم من لا يجيز تغيير الحديث وان كان لحنا كعلي بن المديني « الا أن يكون من لفظ النبي (ص) فكأنه يجوّز اللحن على من سواه»[٣٨] . وقد ذكر عن بعض المحدّثين بأنهم كانوا يلحنون في الحديث ، كهشيم بن بشير الذى رماه النضر بن شميل باللحن ووصفه بأنه لحانة[٣٩] ، كذلك ذكر الجاحظ[٤٠] عنه ، وقيل إنه : « لحن في كلمة (سداد) فتح السين ، والصواب ان يقال بالكسر ، وذلك في الحديث الذي روي عن النبي : (اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز)[٤١] . وذكر ابو عمر الزاهد ان اصحاب الحديث يخطئون في لفظة ثلاثية في ثلاثة مواضع فيقولون في حراء اسم الجبل (حرى) فيفتحون الحاء وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون الألف وهي ممدودة[٤٢] .

لكن هؤلاء اللاحنين من المحدثين ـ ان وجدوا وصح ما روي عنهم ـ لم

---

(٣٦) انظر الكفاية في علم الرواية ١٩٦ وجامع بيان العلم وفضله ١/٩٤ والالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع ١٨٤ و١٨٥ والف باء البلوي ١/٤٤ .

(٣٧) الالماع ١٨٣ .

(٣٨) مراتب النحويين ٦ .

(٣٩) انظر انباه الرواة ٣/٣٥٠ .

(٤٠) البيان والتبيين ٢/١٧٤ـ١٧٥ .

(٤١) درة الغواص ٦٤ ، طبقات النحويين واللغويين ٥٥ قال عبداللطيف البغدادى في (ذيل فصيح ثعلب ١٢٢) : «هو سداد من عوز وسداد القارورة وكل ما تسد به شيئا فهو بالكسر . فأما السداد بالفتح ففي القول والفعل ومعناه الصواب» .

(٤٢) درة الغواص ٨٦ .

يكونوا شيئا يذكر بازاء مئات العلماء الأفذاذ الذين كانوا لا يلحنون كقتادة وحماد ابن سلمة[٤٣] ، وخالد بن الحارث وبشر بن المفضل وكثيرين غيرهم[٤٤] ، وكانت مجالسهم وحلقاتهم الحافلة بالعلماء يغشاها النحويون ويقصدونهم طلبا للعلم ، وكان حماد بن سلمة يقول : « مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها»[٤٥] . وعن حماد اخذ كبار العلماء البصريين العربية كيونس بن حبيب[٤٦] ، وكانت دراسة سيبويه الأولى على يديه ، حيث كان السبب في دفعه الى دراسة النحو على الخليل ثم نبوغه فيه حتى صار امام النحاة هو تلحين حماد له عند استملاء سيبويه حديثا عليه[٤٧] . وكان الرجل منهم يعدّ اللحن من الذنوب[٤٨] ، وكانوا يحثّون على تعلّم النحو[٤٩] ، فتراهم على اتصال مستمر باللغة والنحو وما يفتئون يطلبونها ، وها هوذا ابو العباس ثعلب يقول عن احدهم وهو ابراهيم الحربي : « ما فقدته من مجلس لغة او نحو خمسين سنة»[٥٠] ، وقد أوجبوا على طالب الحديث «أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلّص به عن شين اللحن والتحريف ومعرّتهما»[٥١]. ومن هذا يتضح جليا ان طعن النحاة على المحدثين « بقلّة المعرفة لما يحملون ، وكثرة اللحن والتصحيف [لا يتجه اليهم جميعا] فان الناس لا يتساوون جميعا في

---

(٤٣) الكفاية في علم الرواية ١٩٦ ، الف باء البلوى ١/٤٤ .
(٤٤) البيان والتبيين ٢/١٧٥ .
(٤٥) انباه الرواة ١/٣٢٩ .
(٤٦) انباه الرواة ١/٣٣٠ ، طبقات النحويين واللغويين ٤٨ .
(٤٧) اخبار النحويين البصريين ٣٤ ، انباه الرواة ٢/٣٥٠ ، نزهة الالباء ٢٦ـ٢٧ .
(٤٨) أدب الكتاب ٢/١٢٩ .
(٤٩) البيان والتبيين ٢/١٧٤ .
(٥٠) انباه الرواة ١/١٨٥ .
(٥١) انظر مقدمة ابن الصلاح ١٠٧ـ١٠٨ .

المعرفة والفضل . وليس صنف من الناس الا وله حشو وشوب . فأين هـذا العائب لهم عن الزهري ، وحماد بن سلمة ، ومالك بن أنس ، وابن عون ، وأيوب ، ويونس بن عبيد ، وسليمان التيمي ، وسفيان الثوري ، ويحيى بن سعيد ، وابن جريج ، والأوزاعي ، وشعبة ، وعبدالله بن المبارك ، وامثال هؤلاء من المتقنين ؟»(٥٢) . فان وجد شيء من اللحن قد وقع في الحديث فهو مقليل جدا لا يبنى عليه حكم ، وقد تنبه اليه الناس وتحاموه ولم يحتج به أحد ، ولا يصح أن يمنع من اجله الاحتجاج بهذا الفيض الزاخر من الحديث الصحيح الا ان جاز اسقاط الاحتجاج بالقرآن الكريم لأن بعض الناس يلحن فيه »(٥٣) ، « واذا وقع في رواية بعض الأحاديث غلط أو تصحيف ، فان الاشعار يقع فيها الغلط والتصحيف ، وهي حجة من غير خلاف»(٥٤) . « بل ان اللحن في رواية الأشعار اكثر ، وذلك لأن الوازع الديني يساعد على تذكّر نصوص الاحاديث ويعمل على صيانتها من أي انحراف»(٥٥) . كما أن ممن لحن من المحدثين كما يلحن الرواة ما كانوا يقصدون الى التساهل في النحو ، وانما يريدون ان يتخففوا من كل عمل شخصي لهم في الرواية لأنهم نقلة ، وانما يبلّغ الناقل الشيء كما سمعه ، دون تغيير ، ولا زيادة ، ولا نقصان»(٥٦) . وربما كانت بعض الاحاديث التي ظن انها خطأ أو لحن قد وردت على لغة من لغات القبائل غير المشهورة(٥٧) ، وكثير مما ظن انه لحن وانكره بعض العلماء لعدم جريانه على سنن العربية ، ظهر له وجه في العربية صحيح ، قال ابن الصلاح : « كثيرا ما نرى

---

(٥٢) تاويل مختلف الحديث ٧٨ .
(٥٣) في اصول النحو ٤٨ .
(٥٤) دراسات في العربية وتاريخها ١٧٦ .
(٥٥) في اللهجات العربية ٥٠ .
(٥٦) دراسات في فقه اللغة ١٢٥ .
(٥٧) انظر مثلا شواهد التوضيح ٩٧ـ٩٨ .

ما يتوهمه كثير من اهل العلم خطأ وربما غيروه صوابا ذا وجه صحيح وآن خفي واستغرب لاسيما فيما يعدونه خطأ من جهة العربية ، وذلك لكثرة لغات العرب وتشعبها ،(٥٨) • من ذلك مثلا الحديث الذى اخرجه البخاري في صحيحه وهو قول البراء : (اذا صلّوا مع النبي (ص) فرفع رأسه من الركوع قاموا قياما حتى يرونه قد سـجد)(٥٩) • قال ابن مالك : «ان حتى فيه بمعنى (الى أن) والفعل مستقبل بالنسبة الى القيام فحقه ان يكون بلا نون ، لاستحقاقه النصب ، لكنه جاء على لغة من يرفع الفعل ، بعد (أن) حملا على اختها (ما) كقراءة ابن مجاهد : (لمن اراد أن يتمّ الرضاعة)(٦٠) برفع يتمّ ،(٦١) ، وليس أدلّ على ان ما انكر من الاحاديث ظهر انها صحيحة من جهة الرواية وان لها في العربية وجها صحيحا مما روي عن تغليط ابي عمرو بن العلاء للأعمش عندما حدّث عن ابي وائل عن عبدالله بن مسعود : (كان النبي (ص) يتخوّلنا بالموعظة مخـافة السآمة) وعقّب الأعمش : يتعاهدنا ، فرد عليه ابو عمرو : ان كان يتعـاهدنا فيتخونا ، فأما (يتخوّلنا) فيستصلحنا،(٦٢) • ثم ظهـر ان ما رواه الاعمش صحيح ، فقد قال ابن جني انّ : « يتخوّلنا صحيحة ، واصحابنا يثبتونها،(٦٣) ، ثم ذكر ان معنى يتخوّلنا بالموعظة يفرقها ولا يتابعها(٦٤) • وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال : (كان النبي (ص) يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)(٦٥) ، وقد صوّب ابن حجر رواية الاعمش وقال : « واذا ثبتت الرواية

---

(٥٨) مقدمة ابن الصلاح ١٠٨ •
(٥٩) صحيح البخارى ١/١٨٢ •
(٦٠) سورة البقرة من الآية ٢٣٣ •
(٦١) شواهد التوضيح ١٨٠ •
(٦٢) مراتب النحويين ١٦ـ١٧ •
(٦٣) الخصائص ٣/٢٩٠ وقال في (المحتسب ١/٨٦) قولا مشابها لهذا •
(٦٤) الخصائص ٣/٢٩٠ •
(٦٥) صحيح البخارى ١/٢٥ •

وصحّ المعنى بطل الاعتراض»[٦٦] . ومن يقرأ كتاب (التوضيح في حل مشكلات الجامع الصحيح) يجد ان ابن مالك ألّف هذا الكتاب لبيان اعراب كثير من الاحاديث التي اشكل اعرابها وايجاد الوجوه الصحيحة لها في العربية ، «فالحديث على مثال القرآن الكريم ... قد يأتي فيه المعنى اللطيف الذى يتحيّر فيه العالم المتقدم ، ويقرّ بالتقصير عنه النقّاب المبرّز»[٦٧] ، وعلى كل «فان وجود الفاظ غير موافقة للقواعد المتفق عليها ، لا يقتضي ترك الاحتجاج بالحديث جملة»[٦٨] . ويظهر ان عدم استشهاد بعض النحويين بالحديث لا يرجع الى روايته بالمعنى ، أو ان رواته أعاجم كما ادّعوا ، وانما يرجع الى خلاف بين منهجين متباينين : منهج النحاة القائم على القياس والعقل ، ومنهج المحدّثين القائم على النقل والرواية[٦٩] .

رد على ابي حيان :

ولي ردّ على ابي حيان الذى زعم ان المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين لم يستشهدوا بالحديث . والرد من ثلاثة أوجه : (الأول) استشهاد المتقدمين والمتأخرين . (الثاني) تحامله على ابن مالك . (الثالث) استشهاده هو نفسه بالحديث .

الوجه الأول : كان الرأي السائد لدى العلماء والباحثين ان أئمة البصريين والكوفيين لم يستشهدوا بالحديث ، فمذ قال ابو حيان قوله منكرا على ابن مالك استشهاده بالحديث زاعما فيه ان ابن مالك سلك بعمله طريقة لم يسلكها غيره من المتقدمين والمتأخرين[٧٠] ، والعلماء يتداولونه كأنه أمر مسلّم به ،

(٦٦) فتح البارى ١/١٤٩ .
(٦٧) القرطبي ١/٩٢ .
(٦٨) دراسات في العربية وتاريخها ١٧٦ .
(٦٩) انظر مدرسة الكوفة ومنهجها ٧٠ .
(٧٠) سبقه الى هذا الانكار (ابن الضائع) المتوفى سنة ٦٨٠هـ حيث انكر على ابن خروف كثرة استشهاده بالحديث واعتماده عليه كما ذكرنا .

وتبعهم الباحثون المحدثون الى يومنا هذا . وقد سبق ان ذكرنا ان الواضعين الأولين كانوا يستشهدون بالحديث بقلة ، ولا يستشهدون الا بالاحاديث المتواترة ، كما استشهد به البصريون الآخرون الذين جاءوا بعدهم ، فممن استشهد بالحديث : ابو العباس المبرّد المتوفى سنة ٢٨٠هـ حيث استشهد بقلة في كتابه (المقتضب)(٧١)، فلم يستشهد في ذلك الكتاب الضخم سوى خمس مرات(٧٢) ، ولكنه لم يشر الى الاحاديث الا في موضع واحد(٧٣) ، كما استشهد بالحديث واشار اليه في كتابه (الكامل)(٧٤) غير انه على النقيض من ذلك وجدته قد استشهد بكتاب صغير له(٧٥) بخمسة احاديث(٧٦) ، فقد فسرّ بيتين من الشعر مستشهدا بالحديث(٧٧) واستشهد به في مسألة لغوية(٧٨) ، كما استشهد به في النحو على

---

(٧١) المقتضب / مقدمة المحقق ١١٦ .

(٧٢) المقتضب / انظر ١/٣٤ و ٢٣٣ و ٢/١٨٤ و ٢١٧ و ٤/٢٥٤ .

(٧٣) المقتضب / انظر ٢/٢١٧ ــ ٢١٨ حيث استشهد بالحديث على جمع (فعلاء) مؤنث أفعل صفة للالوان جمع مؤنث سالما اذا سمي به مؤنث ، قال : وجاء عن النبي (ص) : (ليس في الخضراوات صدقة) وقد ذكر الاستاذ عبدالخالق عضيمة محقق الكتاب في (هامش ص٢١٨) : « أنه حديث ضعيف ، ضعفه السيوطي في الجامع الصغير والغرياني في مختصر الدارقطني وغيرهما» . وقد رأيت الخفاجي استشهد به في (شرح الدرة ١٦٤) على الغرض نفسه .

(٧٤) استشهد بالحديث في (الكامل ٢/١٦٨) على فتح لام الاستغاثة كما استشهد بالحديث نفسه في (المقتضب ٤/٢٥٤) قال : « وفي الحديث : لما طعن العلج ، أو العبد عمر (ر) صاح : يالله للمسلمين» . وذكر المحقق ان عدم اشارة المبرد الى الاحاديث انما كان لان المبرد اراد منها الخبر (المقتضب / مقدمة المحقق ١١٦ ، المقتضب ٤/هامش ص٢٥٤) .

(٧٥) هو كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) .

(٧٦) انظر ما اتفق لفظه واختلف معناه ص١٥ و ٢١ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٦ وقد اشار اليها جميعا انها حديث شريف .

(٧٧) المصدر نفسه ١٥ .

(٧٨) المصدر نفسه انظر ص ٢١ـ٢٢ .

حذف الخبر لعلم المخاطب به ارادة تعظيم الأمر كقول البعض : «لو رأيت فلانا وفي يده السيف : أي لرأيت بارعا • قال : فاستغنى عن ذلك ، ويروى عن النبي (ص) انه استقى على المنبر فسقي فقال : (يا أبا طالباه ، لو رأيت ابن اخيك اذ تقول : وابيض يستسقي الغمام بوجهه) ولم يقل ما يسرك»[٧٩] • أما ابو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧هـ فقد كان « يحتج بالحديث الشريف في مسائل النحو ، كما كان يحتج به كذلك في مسائل اللغة »[٨٠] • من ذلك مثلا استشهاده به على المعنى اللغوي بقوله : « وفي الحديث : (أشعرنها ايّاه) ، أي اجعلنها الشعار الذي يلي الجسد»[٨١] ، ومثال استشهاده بالحديث في النحو عند كلامه على حذف المفعول به ، قال : « ومنه في الحديث (لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده) ، المعنى : ولا ذو عهد في عهد بكافر»[٨٢] • وقد سار ابو الفتح عثمان بن جنّي المتوفى سنة ٣٩٢هـ على نهج استاذه أبي علي الفارسي فاستشهد بالحديث ، وكان يستشهد به في معناه الواسع ، اي يستشهد بأحاديث الصحابة (ر) واقوالهم[٨٣]، وكان كثيرا ما يستشهد بالحديث اما في مسائل اللغة[٨٤] ، أو على توجيه القراءة

---

(٧٩) ما اتفق لفظه واختلف معناه ص٢٩ـ٣٠ • وذكر الاستاذ عبدالعزيز الميمني في هامش ص٣٠) : ان الحديث رواه ابن هشام في السيرة بتغيير يسير بهامش الروض الانف ١/١٧٩ •

(٨٠) ابو علي الفارسي ٥٠٢ ، وفي ص٢٠٣ قال الدكتور عبدالفتاح شلبي : « ان ابا علي الفارسي سبق ابن خروف في الاحتجاج بالحديث والاستشهاد به في مسائل اللغة والنحو والصرف» • وقد ذكر مانعو الاستشهاد ان ابن خروف لم يكن مسبوقا في عمله (انظر ص٣٠٨ و٣٠٩ من هذه الرسالة) •

(٨١) الحجة في علل القراءات السبع ١/١٩٦ وانظر ايضا ١/٢٥٦ و ٢٣٠ فانه استشهد بالحديث في مسائل لغوية •

(٨٢) الحجة ١/٢٦ •

(٨٣) انظر الخصائص ١/٣٨٦ والمحتسب ١/٣٤٣ و ٢/٢٤٦ •

(٨٤) انظر الخصائص ١/٣٨٦ و ٢/١٣٠ والمحتسب ١/٨٦ و ١٨٦ و ١٩٥ و ٣٣٤ و ٣٤٣ و ٣٥١ و ٣٦٠ و ٢/١٧ و ٤٥ و ١١٨ و ٢٤٦ و ٣٦١

وتصويبها[٨٥] ، او يستشهد به في التصريف[٨٦] او النحو[٨٧] ، من ذلك مثلا استشهاده على كون الفاء للاتباع في قوله تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب)[٨٨] وقوله جلّ اسمه : (افكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم)[٨٩] وفي قول الناس : (افا لله لتصنعنّ كذا وكذا) خلافا لأبي الحسن الأخفش • قال ابن جني : « الوجه ان تكون هنا غير زائدة ، وأن تكون للاتباع ، لتعلّق ما قبلها بما بعدها ، وعلى هذا قول رسول الله (ص) ـ وقد قيل له : لما رئي قد جهد نفسه بالعبادة ، يا رسول الله ! : اتفعل هذا وقد غفرَ الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ـ (أفلا اكون عبدا شكورا ؟) »[٩٠] • ومن النحاة الذين كانوا يكثرون من الاستشهاد بالحديث الحسين بن احمد بن خالويه «المتوفى سنة ٣٧٠هـ»[٩١] ،استشهد احد عشر مرة في كتابه (ليس في كلام العرب) على الرغم من صغر الكتاب[٩٢] • وكان ممن يستشهدون بالحديث بمعناه الواسع الذى يشمل اقوال الصحابة[٩٣] •

ومن النحاة الذين استشهدوا بالحديث ممن سار على المذهب البصري من نحاة الاقاليم أبو العباس احمد بن ولاد «المتوفى سنة ٣٣٢هـ»[٩٤] وأبو جعفر النحاس « المتوفى سنة ٣٠٧هـ[٩٥] وهما مصريان ، فقد استشهد ابن ولاد في (المقصور والممدود) خمس مرات ، عند كلامه على (طوبى)[٩٦] وعلى

(٨٥) انظر المحتسب ١/٢٩٦ و ٢/٣٦٧ •
(٨٦) انظر المحتسب ١/٨٨ و ٢/٣٣٢ •
(٨٧) انظر المحتسب ٢/٣٣ و ٢٠٤ •
(٨٨) سورة الحديد من الآية ١٣ •
(٨٩) سورة البقرة من الآية ٨٧ •
(٩٠) سر صناعة الاعراب ١/٢٦٩ـ٢٧٠ •
(٩١) معجم الادباء ٩/٢٠٤ •
(٩٢) انظر ص١٤ و١٥ و٢٤ و٢٧ و٣٠ و٣١ و٦٩ و٦٠ و٦٣ و٦٩ •
(٩٣) انظر اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٩٩ و ٢٠٢ و ٢٣٤ وليس في كلام العرب ٦٠ و ٦٩ •
(٩٤) طبقات النحويين واللغويين ٢٣٩ •
(٩٥) طبقات النحويين واللغويين ٢٤٠ ، وذكر السيوطي في (بغية الوعاة ١/٣٦٢) أن وفاته كانت سنة ٣٣٨هـ •
(٩٦) انظر المقصور والممدود ١/٦٩ •

(العدوى)[1] و (الملطى)[2] و (الميناء)[3] و (الوجاء)[4] ، وفي كل هـــذه المواضيع كان اعتماده على الحديث وحده الا في كلامه على (طوبى) فقد اردف الحديث بآية كريمة[5] . وأما النحاس فقد استشهد بالحديث في مسائل اللغة والنحو[6] ، فمن ذلك مثلا استشهاده في توجيه اعراب غير في قوله تعـــالى : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر)[7] على انها منصوبة عـــلى الاستثناء أو الحال . أي لا يستوي القاعدون في حال صحتهم ، قال : « والحديث يدل على معنى النصب ، ثم روى الحديث ...»[8] . اما ابو البركات الانباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ فقد كان هو ايضا يعتد بالحديث ويستشهد به في اللغة[9] ، كما يستشهد به في النحو[10] ، من ذلك مثلا استشهاده بالحديث على معنى كلمـــة اعراب[11] ، واستشهاده به محتجا للبصريين ومصوّبا مذهبهم في اعمال الثاني

---

(١) انظر المقصور والممدود ١/٧٤ .
(٢) انظر المقصور والممدود ٢/١٠٥ .
(٣) انظر المقصور والممدود ٢/١٠٨ .
(٤) انظر المقصور والممدود ٢/١١٦ .
(٥) انظر المقصور والممدود ١/٦٩ .
(٦) إنظر اعراب القرآن الورقة ١ وجه والورقة ١٣١ ظهر والورقة ٤٤ وجه .
(٧) سورة النساء من الآية ٩٥ .
(٨) والحديث رواه ابو بكر بن عياش وزهير بن معاوية عن أبي اسحاق عن البراء قال : كنت عند النبي (ص) فقال : ادع لي زيدا وقل له : يأت بالكتف والدواة . فقال له : اكتب : (لا يستوي القاعـدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فقال ابن مكتوم : فأنا ضرير فما برحت حتى انزل الله : (غير اولي الضرر) « اعراب القرآن الورقة ٥٢ وجه وظهر » .
(٩) انظر حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود ص٥ و ٢٢ و ٢٣ و ٣٤ و ٤٦ و ٤٧ وأسرار العربية ٩ .
(١٠) انظر الانصاف ١/١١٠ و ٢/٥٢٢ و ٦٣٣ و ٧٦٣ .
(١١) اسرار العربية ٩

في مسألة التنازع ، قال : وجاء في الحديث : (ونخلع ونترك من يفجرك)[١٢] ، واستشهد به في رد مذهب الكوفيين بأن هؤلاء يجوز أن يكون اسما موصولا مستشهدين بقوله تعالى : (ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم)[١٣] على أن «هؤلاء باق على اصله اسم اشارة ويكون في موضع نصب على الاختصاص أي (اعني هـؤلاء) كما قال عليه السلام : (سلمان منّا أهل البيت) فنصب اهل على الاختصاص • وخبر انتم : تقتلون»[١٤] •

كذلك كان محمود بن عمر الزمخشري « المتوفى سنة ٥٣٨هـ»[١٥] ممن يستشهدون بالحديث بكثرة حتى كان يعتمد عليه احيانا وحده دون ان يعضده بشعر كقوله : « وقد وقع الفعل موقع الاسم المستثنى في قولهم : نشدتك بالله الاّ فعلت ، والمعنى ما اطلب منك الاّ فعلك • وكذلك اقسمت عليك الاّ فعلت ، وعن ابن عباس بالأيواء والنصر الاّ جلستم ، وفي حديث عمر : (عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطا) بمعنى : الاّ ضربت[١٦] • ومن ذلك ايضا استشهاده بالحديث عند كلامه على أفعل التفضيل • قال : «وقد اجتمع الوجهان في قوله عليه السلام : (ألا اخبركم بأحبّكم اليّ واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ••• الحديث) »[١٧] • ومثل هذا كثير[١٨] ، وهو يستشهد بأقوال الصحابة والتابعين[١٩] •

---

(١٢) الانصاف ١/٨٧ •
(١٣) سورة البقرة من الآية ٨٥ •
(١٤) الانصاف ٢/٧١٩ •
(١٥) بغية الوعاة ٢/٢٨٠ •
(١٦) المفصل ٧٢ •
(١٧) المفصل ٨٩ •
(١٨) انظر المفصل ١٥ و ١٨٦ و ٣٦٦ مثلا •
(١٩) انظر المفصل ٢٩ و ٧٢ و ١٠٨ و ١١٥ و ١٧٩ •

اما الكوفيون فقد استشهد بالحديث من ائمتهم الكسائي والفراء وابن الأنباري • أما الكسائي فعلى الرغم من أن كتبه النحوية لم تصل الينا كما تقدم ذكره[٢٠] ، الا ان ما تناثر هنا وهناك في كتب النحاة المتأخرين يدلّ على انه كان ممن يستشهدون قليلا بالحديث ، فمن ذلك مثلا ما ذكره ابن هشام[٢١] ، عن تمسك الكسائي بما جاء في الحديث : (يا ربّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة) ، ويقول اعرابي بعد انقضاء رمضان : (يا ربّ صائمه لن يصومه ، يا ربّ قائمه لن يقومه) على اعمال اسم الفاعل المجرّد بمعنى الماضي،[٢٢] • ومن ذلك ايضا تجويزه جزم جواب النهي مطلقا محتجا بقول الصحابي : (يا رسول الله لا تشرف يصبك سهم) ، ورواية من روى قوله (ص) : (من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مسجدنا يؤذنا بريح الثوم) ، وردّ بأن ذلك مخرّج على الأبدال من فعل النهي لا على الجواب ،[٢٣] • ومن ذلك ايضا ذهابه والفراء الى جواز أن يسدّ الحال الذى هو جملة اسمية مقترنة بالواو مسد الخبر مستشهدين بقول الشاعر[٢٤] : * وشر بعدى عنه وهو غضبان * وقوله عليه السلام : (أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد) فان الجملة الأسمية المقرونة بالواو في كلّ منهما قد سدّت مسد الخبر خلافا لسيبويه الذى منع ذلك واجاز في حالة كونها اسما منصوبا كما في قوله : خير اقترابي من المولى حليف رضا[٢٥] •

---

(٢٠) انظر ص ١٠٧ من هذه الرسالة •

(٢١) مغني اللبيب ١/١١٩ •

(٢٢) وهذا لا يجوز عند البصريين لانه يعمل عمل فعله في التعدى واللزوم ان كان بمعنى الحال او الاستقبال ، لانه انما عمل حملا على الفعل المضارع (شرح الاشموني ٢/٣٣٩) •

(٢٣) شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك ٢٨٢ •

(٢٤) لا يعرف قائله (المقاصد النحوية ١/٥٧٩) •

(٢٥) هذا هو الشطر الاول للعجز الذى استشهد به الكسائي والفراء وهو قوله : وشر بعدى ••• الذى مر ذكره قبل أسطر •

فحليف رضا هي التي تسد مسد الخبر على رأى سيبويه[٢٦] .

اما الفراء فقد اعتمد على الحديث كركن من اركان الاستشهاد حتى كان يستشهد بأقوال الصحابة[٢٧] ، وكان يستشهد به كثيرا في المسائل اللغـــوية والنحوية[٢٨] ، فما يكاد المرء يتصفح بضع صفحات من (معاني القرآن) حتى يواجهه حديث[٢٩] يؤيد كسرهم أم من قوله تعالى : (وانّه في أم الكتاب)[٣٠] ، وقـد استشهد الفراء بالحديث في عدة مواضع من (المعاني) على اغراض متنوعة : على المعنى اللغوي[٣١] ، أو على توجيه قراءة شاذة[٣٢] ،او في مسائل نحـوية[٣٣] ، فمن ذلك مثلا استشهاده بما روي عن رسول الله (ص) انه نهى عن قيل وقال وكثرة السؤال على علة بناء (الآن) وهو ان اصلها فعل (آن) ادخلت عليها الألف واللام ، وبقيت الفتحة كما بقيت في الفعل[٣٤] ، ومن ذلك ايضا استشهاده به في كتبـه الاخرى كالمذكر والمؤنث عند كلامه على تأنيث (المعا) و (الذود) معتمدا عـلى الحديث وحده[٣٥] ، كذلك استشهاده به في مواضع عدة من كتابه (المنقـوص

---

(٢٦) المقاصد النحوية ١/٥٧٩ـ٥٨٠ .

(٢٧) انظر المنقوص والممدود ١٦ .

(٢٨) ذهب الى هذا الدكتور احمد الانصارى في (ابو زكريا الفراء ٣٩٤) فقال : «ان الفراء اعتمد الحديث واحتج به في النحو واللغة احتجاجا مباشرا » .

(٢٩) معاني القرآن ١/٥ .

(٣٠) سورة الزخرف من الآية ٤ .

(٣١) انظر معاني القرآن ١/٢١٨ و ٢٦٦ و ٢/٥٩ و ٤٠٠ .

(٣٢) انظر معاني القرآن ١/٤٧٠ .

(٣٣) انظر معاني القرآن ١/٣٠٢ و ٣٠٣ و ٤٦٨ .

(٣٤) معاني القرآن ١/٤٦٨ .

(٣٥) قال في (المذكر والمؤنث ١٣ـ١٤) : و (المعا) اكثر الكلام تذكيره ، يقال : هذه معي وثلاثة امعاء ، وربما ذهبوا به الى التأنيث كأنه واحد دل عـلى الجمع ، جاء في الحديث : (المؤمن يأكل في معا واحدة) . وقال في ص٢١ : والذود من الابل مؤنث . جاء في الحديث : (ليس في اقل من خمس ذود صدقة) .

والممدود)[٣٦] ، كما كان ابو بكر بن الانباري من المستشهدين بالحديث حيث استشهد في (الأضداد) بـ (٥٢) اثنين وخمسين حديثا ، وليس ادل على كثرة اعتماده عليه في الاستشهاد من استشهاده بحديث على معنى كلمة وردت بحديث آخر كان قد استشهد به[٣٧] ، وأما في كتابه (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) فقد استشهد بـ (٣١) واحد وثلاثين حديثا في مسائل لغوية ٠

من هذا العرض يظهر ان الاستشهاد بالحديث سلسلة متصلة الحلقات من النحاة المتقدمين حتى المتأخرين (ابن مالك وفئته) ، لا ينقصها سوى حلقات مفقودة عن النحاة الأولين الذين لم تصلنا كتبهم ، وقد وقفت على بعض الاحاديث في (الكتاب) حيث كان سيبويه يفسّر بعضها حينا ، ويستشهد ببعضها الآخر احيانا أخرى ، ولكنه لم يشر اليها انها من الحديث[٣٨] فالحديث الذى بيّن وجهه في

---

(٣٦) انظر ص١٦ و ٤٣ و ٥٠ وانظر المذكر والمؤنث ٤٤ ٠

(٣٧) قال في (الاضداد ص٣١) : « من الحجة لمن قال : القرء : الحيض ، الحديث الذى يروى عن النبي (ص) انه قال للمرأة : (دعي الصلاة ايام اقرائك) ويقال قد تحيضت المرأة اذا تركت الصلاة ايام الحيض من ذلك الحديث الذى يروى في المستحاضة » ٠ ثم ذكر الحديث ٠

(٣٨) كان بعض العلماء لا يشيرون الى الاحاديث عند استشهادهم بها ، وقد مر بنا ان (المبرد) فعل ذلك في (المقتضب) كما ان (الرماني) لم يشر الى حديث استشهد به في كتابه (الحدود في النحو ٤٩) وهو قوله (ص) : (مامن ايام احب الى الله فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة) عند كلامه على النعت السببي ٠ وكان (ابن جني) احيانا لا يشير الى الحديث الذى يستشهد به ، كما فعل عند كلامه على قراءة (امرنا) بكسر الميم (انظر المحتسب ١٦/٢ وهامشها للمحققين) قال : ومنه قولهم : (خير المال سكة مأبورة ، أو مهرة مأمورة) ٠ وكان بعض العلماء يعدون مثل هذا التصرف قصورا في المعرفة ، فعندما تكلم ابو علي القالي على الآية نفسها التى تكلم عنها ابن جني واستشهد بالحديث نفسه ولم يشر اليه فقال : وقال ابو عبيدة (ر) يقال : (خير المال ٠٠٠) الحديث (امالي القالي ١٠٣/١) رماه ابو عبيد البكرى في (التنبيه ٤٢) بتقصيره في المعرفة بأن ينسب حديث النبي (ص) الى ابي عبيدة ٠٠٠ ويظهر ان عدم اشارة سيبويه الى الاحاديث وترك نسبتها الى الرسول كان بسبب ذهابه الى انها من الخبر الذى يستشهد به على اعتبار ان الحديث روي بالمعنى ، فليس الذي يرويه هؤلاء المحدثون من لفظه (ص) ٠ والله اعلم ٠

العربية قوله في (باب ما يكون فيه هو وانت وانا ونحن واخواتهن فصلا) : « واما قولهم : (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواهما اللذان يهوّدانه وينصّرانه) ففيه ثلاثة اوجه فالرفع من وجهين والنصب من وجه واحد(٣٩) . ثم بيّن الوجوه(٤٠) . ومن استشهاده بالحديث قوله في (باب تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الاسماء) : « فان اردت حكاية الحروف تركتها على حالها كما قال : (ان الله ينهاكم عن قيل وقال)(٤١) ومنهم من يقول : عن قيل وقال لما جعله اسما ، قال ابن مقبل :

اصبح الدهر وقد ألوى بهمْ   غير تقوالك من قيل وقال

والقوافي مجرورة»(٤٢) . ومن ذلك استشهاده بالحديث عند كلامه على افعل التفضيل وتبيانه حالة صحة رفعه الظاهر في القياس المطّرد ، لصلاح وقوع فعل بمعناه موقعه ، وهي المسألة المعروفة بمسألة الكحل ، « فلم يرفع [افعل التفضيل] الظاهر عند اكثر العرب الا اذا ولي نفيا او استفهاما وكان مرفوعه أجنبيا مفضلا على نفسه باعتبارين نحو قولهم : ما رأيت رجلا احسن في عينه الكحل منه في عين زيد»(٤٣) . قال سيبويه : « ومن ذلك (ما من أيام أحب الى الله فيها الصوم منه في عشر ذى الحجة) ، وان شئت قلت ما رأيت احدا احسن في عينه الكحل منه

---

(٣٩) الكتاب ١/٣٩٦ وهو حديث من احاديث الجامع الصحيح (انظر صحيح البخارى (كتاب الجنائز ٢/٩٨ وكتاب القدر ٧/٢١١)وقد اشار الى هذا ايضا الاستاذ عبدالسلام محمد هارون (الكتاب ٢/٣٩٤ هارون)٠

(٤٠) انظر الكتاب ١/٣٩٦ ٠

(٤١) هذا حديث شريف اورده البخاري في (صحيحه في كتاب الرقاق ، باب ما يكره من قيل وقال ٧/١٨٤) وقد استشهد به الفراء في (معانيه ١/٤٦٨) والانباري في (الانصاف ٢/٥٢٢) واشارا الى انه حديث شريف لرسول الله (ص) ٠

(٤٢) الكتاب ٢/٣٥-٣٦ ٠

(٤٣) شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك ١٩٩ ٠

وما رأيت رجلا ابغض اليه الشر منه ، و (ما من أيام احب الى الله فيها الصوم من عشر ذي الحجة) »(٤٤) • هذا عن النحويين المتقدمين ، « واما ما ادعاه ابو حيان من أن المتأخرين من نحاة الأقاليم تابعوا المتقدّمين في عدم الاحتجاج بالحديث ، فمردود بأن كتب النحاة من اندلسيين وغيرهم مملوءة بالاستشهاد بالحديث • وقد استدل بالحديث : الشريف الصقلي والشريف الغرناطي في شرحيهما لكتاب سيبويه ، وابن الحاج في شرح المقرب ، وابن الخباز في شرح الفية ابن معطي ، وابو علي الشلوبين في كثير من مسائله ، وكذلك استشهد بالحديث السيرافي والصفار في شرحيهما لكتاب سيبويه»(٤٥) • وبهذا يظهر واضحا بأن ما زعمه ابو حيان من عدم استشهاد المتقدّمين والمتأخّرين بالحديث عار عن الصحة ، وان نقده لابن مالك لاستشهاده بالحديث وبيان المحاذير الناجمة عنه ، وقد اطال في ذكرها ليس له من سند الا التحامل عليه ، والدليل على ذلك امران :

أولهما : ان ابا حيان لم يطعن على ابن مالك كثرة استشهاده بالحديث فحسب ، بل طعن عليه في اشياء كثيرة ، مما يستنتج منه التحامل ، قال عنه في مقدمة (منهج السالك) وهو : شرحه على الخلاصة (الالفية) : « وربما اختار [أي ابن مالك] ما ليس بالمختار ولا المشهور ، وترك ما عليه العمل من مذاهب الجمهور مقتفيا في ذلك مقالة كوفي ضعيف الاقوال او بصري لم ينسج له لشذوذه على منوال وبانيا قواعد على نادر في المنقول شاذ في القياس ، خارج عن الاصول»(٤٦) ، وقال عنه ايضا : «بحثت عن شيوخه فلم اجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه ، ويرجع في

---

(٤٤) الكتاب ١/٢٣٢-٢٣٣ وهو حديث شريف ذكره السيوطي في (الجامع الصغير ٢/١٤٩) ببعض اختلاف في لفظه : (ما من ايام احب الى الله ان يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة ••• الحديث) •

(٤٥) دراسات في العربية وتاريخها ١٧٦-١٧٧ •

(٤٦) منهج السالك ص١ •

حل المشكلات اليه »[٤٧] . ومما قاله عنه ايضا : « لا يحتمل المباحثة ، ولا يثبت للمناقشة ، لأنه انما اخذ هذا العلم بالنظر فيه بخاصة نفسه»[٤٨] . وكيف يقول ابو حيان هذا عن رجل قال عنه الصلاح الصفدي : « كان ابن مالك يقول عن الشيخ جمال الدين بن الحاجب : «انه أخذ نحوه من صاحب المفصل ، وصاحب المفصل نحوي صغير ، ثم قال : وناهيك بمن يقول هذا في حق الزمخشري!»[٤٩]، « ولعلّك لا تجد مؤلفا ـ ممن صنّف في قواعد العربية ـ قد نال من الحظوة عند الناس ، والأقبال على تصانيفه : قراءة ، واقراء ، وشرحا ، وتعليقا ، مثل ابي عبدالله محمد جمال الدين بن مالك ، صاحب التآليف المفيدة ، والتصنيفات الممتعة ، وأفضل من كتب في علوم العربية من اهل طبقته علما ، وأوسعهم اطلاعا ، واقدرهم على الاستشهاد لما يرى من الآراء بكلام العرب »[٥٠] . وربما يعود سبب هذا التحامل الى ان ابن مالك كان يميل الى الكوفيين في مسائل كثيرة ، على حين كان ابو حيان يميل الى البصريين[٥١] .

ثانيهما : استشهاد ابي حيان نفسه بالحديث ، وقد اشار الى هذا قديما ابن الطيب الفاسي حيث قال : « بل رأيت الاستشهاد بالحديث في كلام ابي حيان نفسه»[٥٢] . وقد صح ما ذكره ابن الطيب ، فظهر ان أبا حيان لم يقتصر في استشهاده بالحديث الشريف على تفسير معنى او تخريج آية[٥٣] فحسب ، بل كان

---

(٤٧) بغية الوعاة ١/١٣٠ .
(٤٨) بغية الوعاة ١/١٣١ .
(٤٩) بغية الوعاة ١/١٣٤ .
(٥٠) شرح ابن عقيل/مقدمة الطبعة الاولى للشيخ محيي الدين عبدالحميد .
(٥١) ممن ذهب الى هذا الرأى الدكتورة خديجة الحديثي في (ابو حيان النحوى) ص٣٣٩ .
(٥٢) دراسات في العربية وتاريخها ١٧٧ .
(٥٣) انظر مثلا البحر المحيط ١/٢٨٩ و ٤/١٤٩ .

يستشهد به في المسائل النحوية على اثبات القواعد[٥٤] ، تماما كما كان يفعل ابن مالك ! فمن ذلك مثلا استشهاده على ان من معاني الباء البدل بقوله (ص) : (لو سرني بها حمر النعم) أي بدلها،[٥٥] ، وعلى مجيء اللام بمعنى بعد بقوله (ص) : (صوموا لرؤيته) أي بعد رؤيته،[٥٦] ، وعلى حذف تاء العدد المذكر بقلة اذا حذف المعدود[٥٧] ، عند كلامه على قوله تعالى : (إن لبثتم الا يوما)[٥٨] . وكان أبو حيان في بعض المسائل النحوية يعتمد على الحديث وحده دون الاستعانة بالقرآن أو الشعر ، فمن ذلك مثلا ردّه على الزجاج قوله بعدم جواز اتباع معمول الصفة المشبهة مستشهدا بالحديث الشريف . قال : « واعلم انه يجوز ان يتبع معمول الصفة المشبهة بجميع التوابع ما عدا الصفة فانه لم يسمع من كلامهم ، هكذا زعم الزجاج ، وقد جاء في الحديث في صفة الدجال : (اعور عينه اليمنى) و (اليمنى) صفة لـ (عينه) وهو معمول للصفة فينبغي ان ينظر في ذلك »[٥٩] . كذلك استشهاده بالحديث على مجيء (بيد) للاستثناء مشابهة لـ (غير) بقوله : « فأما بيد

---

(٥٤) انظر البحر المحيط ٢٩٠/١ و ٢٠٩/٦ ، ومنهج السالك ٢٠٦ و ٣٠٢ و ٣٠٦ و ٣٩٠ و ٤١١ مثلا .

(٥٥) منهج السالك ٢٤٤ .

(٥٦) منهج السالك ٢٤٥ .

(٥٧) قال ابو حيان في (البحر المحيط ٢٧٩/٦) : « حكى الكسائي عن ابي الجراح : صمنا من الشهر عشرا ، ومنه ما جاء في الحديث : (ثم اتبعه بست من شوال) يريد ستة أيام ، وحسن الحذف هنا كون ذلك فاصلة رأس آية وهي : ان لبثتم الا يوما ... » .

(٥٨) سورة طه من الآية ١٠٤ .

(٥٩) منهج السالك ٣٦٦ .

فانها تساوى (غير) في الاستثناء المنقطع مضافا لـ (أن) وصلتها نحو قوله (ص) : «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش واسترضعت في بني سعد» (٦٠) .

ان موقف ابي حيان من المستشهدين بالحديث يدعو الى الدهش والاستغراب، فقد مرّ بنا كلامه المسهب بمنع الاستشهاد بالحديث وانكاره على ابن مالك اعتماده عليه في الاستشهاد ، ثم استشهاده كثيرا بالحديث معتمدا عليه في بعض المسائل كما رأينا ، ولو كان استشهاده به على تفسير معنى أو تخريج آية لهان الأمر ، ولكنه كان يستشهد به في اثبات القواعد تماما كما كان يفعل ابن مالك ، فاذا كان الاستشهاد بالحديث كما زعم طريقة لم يسلكها غير ابن مالك بسبب روايته بالمعنى أولا ، ووقوع اللحن كثيرا فيما روي فيه لان من الرواة كانوا غير عرب ثانيا ، فما باله عمل ما انكره على غيره ؟ ، وبماذا نفسر انكاره على ابن مالك ؟ اللهم الاّ التحامل عليـــه .

ويبدو ان ابن مالك وكل نحوي من المتقدمين أو المتأخرين اعتمد الحديث مصدرا من مصادر شواهده لم يكن مخطئا (٦١) ، ولذا صحّ رأي القائل : إنّ «الاحاديث الصحيحة اهم كثيرا اثناء البحث اللغوي من الشعر الجاهلي الصحيح لأنها من النثر وهو دائما يعطي الباحث اللغوي صورة لروح عصره بخـــلاف الشعر لأنه يحتوى على كثير من الصيغ الفنية والعبارات المتكلفة التى تبعده عن تمثيل الحياة العادية الحقة وتنبه عن الروح السائدة في عصره بغير تكلّف» (٦٢) .

---

(٦٠) منهج السالك ١٧٧ .

(٦١) قال البغدادى في (خزانة الادب ١/٥) : «والصواب جواز الاحتجـــاج بالحديث للنحوي في ضبط الفاظه ، ويلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت» .

(٦٢) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ٢١١ .

« وقد تعلّل مانعو الاستشهاد بالحديث بعلل ، كلها وارد بصورة اقوى على ما احتجّوا به هم انفسهم من شعر ونثر)[٦٣] . » فقد عرف المجيزون والمانعون أن ما في روايات الحديث من ضبط ودقة وتحر لا يتحلّى ببعضه كل ما يحتج به النحاة واللغويون من كلام العرب»[٦٤] . ولو انصف المانعون « لعدلوا عما ذهبوا اليه ، لأنهم كانوا يعلمون مدى حرص المحدّثين على سلامة الاحاديث ، ومدى ما قاموا به في سبيل المحافظة عليها ، وكان المحدّثون ، ولاسيما المتأخرون منهم ، من الدقة بحيث يستبعد عن صنيعهم كثير من الشكوك التي اقامها النحاة عقبات في طريق الاستشهاد بها ، والأخذ منها»[٦٥] ، كما لا ينكر « ان المتقدمين الأولين من نقلة الحديث معظمهم ممن كلامه حجة في العربية ، فاذا ابدلوا بعض الفاظ الحديث بألفاظ من عندهم فليس معنى ذلك انهم خرجوا به عن العربية المعربة الى غيرها »[٦٦] ، يضاف الى ذلك انهم كانوا من الورع والتقى بحيث لا يجوز على مثلهم الكذب وكانوا يعلمون أن ما يروونه له مساس بالدين ، فكانوا في خيفة وتحرّج من تحريف أي نص لئلا يدخلوا في زمرة الذين يكذّبون على الرسول (ص) فيتبوأوا مقعدا في النار[٦٧] . ولهذه الاعتبارات بادر مجمع اللغة العربية في مصر فعالج هذا الموضوع معالجة سليمة ووضع الامور في نصابها ، فأصدر قراره القاضي بجواز الاحتجاج بالحديث الشريف ، مبيّنا انواع الاحاديث التي يجوز

---

(٦٣) في اصول النحو ٤١ .

(٦٤) المصدر نفسه ٤٧ .

(٦٥) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ٧٨ .

(٦٦) تاريخ علوم اللغة العربية ١١٤ .

(٦٧) انظر الالماع الى معرفة اصول الرواية ١٨٤ .

الاحتجاج بها[٦٨] ، وقد أخذ المجمع بعين الاعتبار الظروف التى مرّ بها الحديث قبل تدوينه ، وتجويز بعض علمائه روايته بالمعنى • وهو قرار جدير أن يتبع ويؤخذ به ، خدمة لهذه اللغة الكريمة ، وتوسيعا لقواعدها وتمتينا لها ، لكي تكون اكثر تمثيلا للغة ومحاكاة لها •

* * *

واذ تراءى لي ان الرسالة قد أوفت على الغاية التى كتبت من أجلها اختمها بخلاصة وافية تبيّن أهمّ معالمها ، والنتائج التى توصلت اليها •

---

(٦٨) نشر القرار في مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الرابع لشهر شعبان سنة ١٣٥٦ ـ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٣٧ ص٧ وهذه صورة القرار :

(قرار الاحتجاج بالحديث الشريف)

اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالاحاديث النبوية ، لجواز روايتها بالمعنى ، ولكثرة الاعاجم في رواتها ، وقد رأى المجمع الاحتجاج ببعضها في احوال خاصة مبينة فيما ياتي :

١ ـ لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الاول ، كالكتب الصحاح الست ، فما قبلها •

٢ ـ يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي :

أ ـ الأحاديث المتواترة المشهورة •
ب ـ الأحاديث التى تستعمل الفاظها في العبارات •
جـ ـ الأحاديث التى تعد من جوامع الكلم •
د ـ كتب النبي (ص) •
هـ ـ الاحاديث المروية لبيان انه كان (ص) يخاطب كل قوم بلغتهم •
و ـ الاحاديث التى عرف من حال رواتها انهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل القاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وابن سيرين •
ح ـ الاحاديث المروية من طرق متعددة والفاظها واحدة • اهـ •

خلاصة الرسالة ونتائج البحث

استهدفت الرسالة دراسة (شواهد النحويين) لأنها جانب مهم من النحو ، حيث انها موضع استنباط القواعد ، اذ كان (الشاهد) حجة النحوي في اثبات صحة القاعدة النحوية وتقريرها ، او تجويز ما جاء مخالفا القياس ، او الرد على المخالف وتفنيد رأيه واظهار ضعف مذهبه النحوي ، او عدم جوازه ... الخ ومن هنا إن دراستها وكيفية استشهاد النحويين بها تبيّن الاسس التى ارتكز عليها النحويون، وما طرأ على النحو من تغيّر وتطورٌ فيمسيرته الطويلة خلال نموه وتكامله ونضجه ، ابعده غير قليل عن طبيعته وعن الغاية التي ارادها واضعوه الأوّل ، حتى تباعد ما بينه وبين واقع الحياة ، وصارت دراسته عبءا على الدارسين ، يدرسونه مدة طويلة ، ثم لا يظفرون منه بطائل ، فلا يفيدون منه في تقويم السنتهم او استعمال لغة القرآن كتابة وقراءة كما ينبغي .

لم يكن بالعرب في جاهليتهم وصدر الاسلام حاجة الى الشـــواهد او الاستشهاد في اللغة ، اذ كانوا يتكلمون اللغة على الوجه الصحيح بالسليقة التي ربوا عليها ، وعندما بدأت بوادر اللحن تظهر على الالسنة في البصرة نتيجة اختلاط العرب بالاعاجم ، ووقع في القرآن الكريم ، فكر المخلصون مو الغيارى عـــلى اللغة العربية في وضع الضوابط والقوانين حفظا لها من الفساد والذوبان في لغات الامم الاخرى ، ثم ضياعها . ولابد لمن يروم وضع قواعد للغة ما من استقراء كلام اهلها ، ليتمكن من كشف اسرارها ومعرفة خصائصها بالسماع من الناطقين بها والنقل عنهم . ومن ثم تقعيد القواعد لكي تكون اقرب الى واقع اللغة ، وعندما بديء بوضع النحو شرع (البصريون) باستقراء اللغة واستخراج (الشواهد) التى يستندون إليها عند وضعهم القواعد ، فاتخذوا (السماع) من العرب الفصحـــاء وسيلة لاستقرائها وجمع الشواهد ، وكانوا ـ وهم في الاصل من قبائل ممعنة في البداوة ـ حريصين على تنقية اللغة وحفظها حرصا شديدا ، وهذا ما دفعهم الى

وضع النحو ، كما دفعهم الى التشدد في (السماع) ، فلم يسمعوا الا من الفصحاء بشروط مشددة ، فكانوا لا يأخذون الا عن الثقات من الرواة ، او فصحاء الاعراب، كما حددوا سماعهم من قبائل قليلة كانت تقطن في بوادي وسط وشرق الجزيرة كقيس وتميم واسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، وتركوا القبائل التى كانت تسكن في اطراف الجزيرة لاتصالها بامم اجنبية ٠

وكان حرصهم الزائد على السماع الصحيح واخذ اللغة من منابعها الصافية ان جعلهم يضيّقون من رقعة السماع ، مما ترك اثرا سيئا في اللغة والنحو ، واختلافا بين العلماء في (الاستشهاد بالشواهد) ، وبموجب هذا الاستقراء الناقص اخذ دارسو النحو يضعون القواعد ويؤصلون الاصول ، لأن اللغة العربية واسعة ، يتكلّم فيها كثير من القبائل غير التى عدها البصريون فصيحة واقتصروا عليها في السماع ، وهي لا تمثل اللغة كلّها طبعا ٠ ومهما قيل تبريرا لسلوكهم ذلك المسلك في السماع ، عن انعزال تلك القبائل وعدم اختلاطها بالاعاجم ، فهذا لا يمنع كون الاستقراء ناقصا ، اذ لا يمكن حصر الفصاحة في قبائل معدودة ٠

فلما وضعوا اصولهم بموجب ذلك الاستقراء الناقص تمسكوا بها ولم يشاؤا تغييرها ، ثم اخذوا يخضعون (القرآن الكريم) و (قراءاته) وكلام العرب لها ، فورد عليهم مالم يسمعوه (شواهد) جاءت مخالفة لما قرروه من الاصول ، صحت روايتها ، مسموعة عن فصحاء لا يرقى الشك الى فصاحتهم ، او آيات وردت في التنزيل ، او قراءات قرأ بها كبار القراء ، فتحايلوا عليها بالتأويل والتعليل والتقدير ، فكانوا يقبلونها اذا قبلت تأويلا ، او يحملونها على الضرورة ـ اذا كانت شعرا ـ او على الشذوذ ٠ والشاذ عندهم ان صحت روايته عن الفصحاء يحفظ ولا يقاس عليه ، وبهذا عزلوا جانبا كبيرا من كلام العرب ، وكانت نتيجة ذلك ما رمي به فضلاء القراء وارباب الكلام وفصحاء الشعراء وفحولهم بالوهم او اللحن او الجهل بأساليب العربية ٠

ومن هنا بدأت نقطة الخلاف بينهم وبين الكوفيين في كثير من الاصـــول ، فالكوفيون حينما درسوا النحو ـ بعد قرن تقريبا ـ على البصريين واخذوا عنهم اصولهم ، لم يكن نحوهم يختلف في شيء عن نحو البصريين ، حتى ظهـر (الكسائي) الذى يعتبر المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة النحوية ـ وكان من القراء ، وعماد منهجهم الرواية ـ فسمع من المناطق التى سمع منها البصريون ، وسمع من مناطق اخرى لا يعتدون بفصاحة افرادها ، فسّن ـ متأثرا بالقراء ـ لجمهور الكوفيين الذين درسوا عليه ، او جاءوا بعده طريق التوسع بالسماع والأخذ بالرواية الكثيرة ، واحترام المسموع عن العرب ، ولذلك كان الكوفيون لا يهمهم اذا سمعوا (شاهدا) من اى عربي ولو كان نادرا ان يبوبوا له بابا ويقيسوا عليه ، وكانوا اذا تعارض المسموع مع اصولهم يلجأون الى تغييرها لكي تتفق مع المسموع ، ولذا قل عندهم ما كثر عند البصريين مـن التـأويل والحمل عـــلى الضرورة او الشذوذ . وقد ادى هذا الى أن كثيرا من الروايات الضعيفة جازت عليهم ، ومن ثم كثر عندهم الشاهد المروي بروايات مختلفة ، او المجهول قائله ، او المصنوع ، لهذا نظر البصريون الى رواياتهم نظرة الريبة والشك ، ولم يعتدّوا بشواهدهم وطعنوا في روايتها وردوها ، ولم يقبلوا قواعدهم التى وضعت بمقتضاها، ووجهوا الى الكوفيين النقد في شخص رئيس مدرستهم (الكسائي) وعدوا عمله افسادا للنحو ، وما كان بافساد وانما هو خروج على الاصول البصرية ، ولذلك اعتمد الكوفيون على القرآن الكريم وقراءاته اكثر من البصريين ، فأقاموا بعضا من مسائلهم النحوية معتمدين فيها على القرآن أو قراءاته كما استشهدوا بالحديث الشريف ، فهم حينما قبلوا كل ما يروى لهم من القليل والنادر والشاذ ، كان اعتمادهم ـ من باب اولى ـ على القرآن وقراءاته والحديث اكثر لانها اصح بكثير مما روي لهم من كلام العرب ، ولم يسمع عن نحاتهم تخطيء للعرب في لغتهم ، ـ كما فعل بعض البصريين ـ او نقد وجهوه الى القراء الا ما كان من (ابي زكريا الفراء) الذى شارك في حملة البصريين على القراء لتأثره كثيرا بالمقاييس البصرية

واعتداده بسماعه من العرب .

كان نحو الكوفيين اكثر تمثيلا للغة اذ نجد لهجاتها ممثلة فيه ، على حين كان نحو البصريين اكثر تنظيما واصح قياسا ، لأنهم ارادوا ان تسير اللغة في قواعد منظمة ـ متأثرين بالبيئة البصرية الآخذة بأسباب المنطق فوضعوا منهجهم العام في الاستشهاد بالكثير الشائع على ألسنة الفصحاء ، وقد ساعدهم موقع البصرة الفذ على طرف من البادية ، وقربها من بوادي الاعراب الفصحاء في نجد ، ووجود (المربد) محج الاعراب الفصحاء الى جانبها ، في الحصول على الشواهد الصحيحة الوفيرة ، فكانت شواهد البصريين أصح الشواهد باعتراف جميع النحاة فلم نسمع عن الكوفيين نقدا وجهوه اليها ، بل كان أئمتهم كالفراء ـ مثلا ـ يستشهدون بشواهد (سيبويه) كما ثبت بنتيجة البحث .

ان منهج الكوفيين العام (في الاستشهاد) يقوم على الاهتمام بكل ما سمعوه وصحت روايته عندهم ، والاستشهاد بالشواهد الكثيرة ، أو القليلة او النادرة او الشاذة والقياس عليها ، فقد استشهدوا بالبيت الواحد من الشعر ، بل بنصف بيت واقاموا قاعدتهم محتجين به . أما موقفهم من (السماع والقياس) ، فهم على الرغم من اهتمامهم الكثير بالسماع وتوسّعهم فيه ، فانهم كانوا ـ احيانا ـ يلجأون الى الاخذ بالقياس النظري دون الاستناد الى شاهد من كلام العرب ، حين لم يظفروا بالشاهد ، على حين كان البصريون يقدمون السماع على القياس عند تعارضهما . وربما كان لموقع الكوفة وتوغلها في داخل العراق بعيدا عن بوادي الجزيرة العربية ، المعروفة بفصاحة اهلها ، وعدم استقرارها بالنسبة الى البصرة ، أن جعل قصد الاعراب اليها قليلا مفضلين البصرة عليها ، مما جعل الكوفيين يلجأون الى القياس النظري ، ومهما كانت الأسباب التى دفعتهم الى الاخذ بالقياس النظري ، كان جديرا بالكوفيين ـ وهم كما عرف عنهم اهل سماع ـ ان لا يلجأوا الى القياس النظري ولا يعملوا به ، لان اللغة تؤخذ من واقع الاستعمال اللغوي .

في استشهاد النحويين بالحديث مشكلة أثارها نحاة القرنين السابع والثامن

الهجريين ، حيث انقسم النحاة منذ ذلك الحين الى ثلاث فئات ازاء الاستشهاد بالحديث : فئة جوّزت الاستشهاد به مطلقا ، وابرز رجالها (ابن خروف) و (ابن مالك) ، وفئة منعته ، وابرز رجالها (ابن الضائع) و (ابو حيان) وفئة توسطت بينهما فجوزت الاستشهاد بالاحاديث التى اعتنى بنقل الفاظها ، وابرز رجالها (الشاطبي) و (السيوطي) •

ومنذ أن قال ابو حيان قوله منكرا على ابن مالك كثرة استشهاده بالحديث : «بأن الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين للاحكام من لسان العرب كأبي عمرو ابن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من ائمة البصريين ، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد واهل الاندلس ••• ، والعلماء والباحثون المحدثون يرددونه دون تمحيص عبر القرون •

وبنتيجة البحث تبين : أن واضعي النحو الاولين كانوا يستشهدون بالحديث قليلا ، ولا يستشهدون الا بالاحاديث المتواترة ، ولكن بعد أن ظهر المبتدعة وكثر الوضع بالحديث تحرّجوا عن الاستشهاد به ، غير انه لم يردنا عن النحاة القدامى كلام حول جواز الاستشهاد به او منعه ، حتى القرن السابع حيث انكر (ابو الحسن بن الضائع ت ٦٨٠هـ) على (ابي الحسن بن خروف ت ٦٠٩هـ) كثرة استشهاده بالحديث ، ومنذ ذلك الحين اثيرت المشكلة وانقسم العلماء الى ثلاث فئات كما مر ذكره • وقد ظهر ان ما قاله ابو حيان عن عدم استشهاد ائمة النحو من البصريين والكوفيين والبغداديين وغيرهم غير صحيح ، فقد استشهد بالحديث (ابو العباس المبرد) و (ابو علي الفارسي) و (ابن خالويه) و (أبو البركات الانباري) و (ابو جعفر النحاس) و (الزمخشري) وهم من البصريين او السائرين على مذهبهم في الاقاليم الاخرى ، كما استشهد به (الكسائي) و (الفراء) و (أبو

بكر بن الانباري) من الكوفيين في المسائل اللغوية والنحوية • وقد أثبتّ استشهاد (سيبويه) في كتابه بـ (ثلاثة احاديث) لم يشر اليها • وهذا على عكس ما كان يظنه ويردده الباحثون • وبذلك يظهر عدم صحة ما زعمه ابو حيان •

وقد اثبتّ ان أبا حيان كان متحاملا على ابن مالك في هذه القضية ، بدليل انه انتقص دراسته وضعّف منهجه النحوي ، وردّ على مذهبه في الضرورة اولا ، والدليل الثاني هو ان ابا حيان نفسه قد استشهد بالحديث في كثير من المسائل اللغوية والنحوية ، وكان في بعضها يعتمد على الحديث وحده •

مما يؤاخذ عليه النحويون جميعا هو اعتمادهم على (الشعر) كثيرا في الاستشهاد وقد أثبتّ باحصاء اجريته لشواهد كتب عدة نحاة من مختلف المذاهب والاقاليم ، بأن الشعر كان يحتل المرتبة الاولى ، ثم يليه القرآن الكريم ، فالحديث اذا كان النحوي ممن يجيز الاستشهاد بالحديث ، ثم الامثال ومأثور كلام العرب • فشواهد النحويين شعرية غالبا •

ومهما كانت الاسباب التى جعلت النحويين يركنون الى الشعر ، فان الاعتماد على الشعر وحده في الاستشهاد ـ كما كان يفعل النحويون في كثير من المسائل ـ ضعف في المنهج ، وكان حريّا بهم الاعتماد على الشواهد النثرية التى ليس فيها ضرورة ، وغير مقيدة بما قيد به الشعر من الوزن والقافية • فللشعر طبيعة مختلفة عن طبيعة النثر • كما ان هذا الشعر الذي اعتمد عليه النحاة كثيرا ، وصل الى العلماء عن طريق الرواية الشفوية ، وبقي يتداوله الرواة مدة تزيد على قرنين قبل تدوينه في بطون الكتب ، وكانت طريقة المشافهة في رواية الشعر ـ على الرغم مما ذكر عن ذاكرة البدوي وصفاء ذهنه فان الذاكرة تخون ـ سببا في ضياع كثير من الآثار او طمس معالمها او تشويهها ، او نسيان اسماء قائليها ، كما اتاحت للرواة الوضّاعين الذين ظهروا في تاريخ الرواية الادبية واللغوية ، فرصة التزيّد

والانتحال والوضع في المرويات بدوافع مختلفة ، كما ساعدت العصبية القبليـــة على ذلك ، فدخل من ذلك شيء كثير في (الشواهد الشعرية) .

وقد ظهر تأثير الرواية في الشواهد النحوية واضحا في اختلاف النحاة في نسبة كثير من الشواهد الى قائليها ، ووجود الشواهد المجهولة ، أو اختلافهم في رواية الشواهد . على ان سبب الاختلاف لا يعود كلّه الى عيوب الرواية ووضع الرواة ، فقد اتهم بعض النحاة بتغيير رواية الشواهد عمدا لتأتي وفقا لما يقصدونه من القواعد ، وكان ذلك قليلا . واذا صح فان هدف النحاة انما كان لاصلاح ما شذّ من الشواهد بغية الحصول على قواعد مطردة ، كما ساعد وجود الشواهد المجهولة التى ليس لها سوابق او لواحق في النحو ، واستشهاد النحويين بها وقبولها ، على اختلاطها بشواهد مصنوعة صنعها الرواة الوضّاعون ، أو بعض النحاة ، على على انها مما قالته العرب . وكان جديرا بالنحاة وهم الذين عرفوا باخلاصهم وحبهم اللغة ، ابعاد الشواهد المصنوعة ـ التى كانوا يشيرون الى صنعتها احيـــانا ثم يستشهدون بها ـ والمشكوك بصحتها ، والشواهد الضعيفة عن مواضع الاستشهاد لكي يكون النحو اكثر تمثيلا لواقع اللغة ، فالقواعد لا تبنى على شاهد من الشعر مصنوع تظهر أثر الصنعة فيه ، أو ضعيف قد يكون قائله مضطرا لاقامة وزنه.

وقد اثبت بنتيجة البحث أن الاعتماد على النثر في الشواهد أصلح ، ويأتي القرآن الكريم في الطليعة ، اذ هو الينبوع الثر والمعين الذى لا ينضب للشواهد النثرية ، فهو نثر في قمة الفصاحة العربية ، ونصه موثوق كل التوثيق لا يقاربه أي كلام اطلاقا او يدانيه أيّ نص آخر . وقد كان من الرأي الصائب ان يعتمد النحويون عليه اعتمادا كليا في استقاء شواهدهم منه ، وان لا يجعلوا آياته موضع اخذ ورد بينهم ، فالقواعد تؤخذ مما اقرّ العلماء بعلوّه في الفصاحة . كمـــا ان (القراءات القرآنية) التى لها اتصال وثيق بلهجات العرب ، وكانت سببا في نشوئها، وقد نقلت نقلا متواترا بسند عال عن رسول الله (ص) افصح العرب باجمـــاع

العلماء ، وما عرف عن أئمة القراء من احكام الضبط في التلقّي والتلقين واعتمادهم السماع والعرض طريقا في رواية القراءة واخذها ، كل ذلك يجعلها تأتي بعد القرآن مباشرة في الاعتماد عليها في الاستشهاد ، وقد أحسن الكوفيون وبعض متأخري النحاة كابن مالك وابي حيان صنعا في استشهادهم بالقراءات كثيرا • فقد بنوا بعض مسائلهم النحوية على قراءات ردّها البصريون وخطأوا قرّاءها كتجويزهم العطف على الضمير المجرور مستشهدين بقراءة (حمزة) قوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) بجر الارحام ، وتجويزهم الفصل بين المضاف والمضاف اليه في سعة الكلام مستشهدين بقراءة (ابن عامر) قوله تعالى : (قتــل اولادهم شركائهم) بنصب الدال من (اولادهم) وخفض همزة (شركائهم) •

اما حديث رسول الله (ص) فيأتي بعد القرآن الكريم وقراءاته في الاعتماد عليه في الاستشهاد ، واقتباس الشواهد النحوية منه ، ولا يضير ما احتــج به المانعون من روايته بالمعنى ، فحجتهم واهية ، لان الذين كانوا يروونه بالمعنى من الفصاحة بمكان ، وكان كلامهم المعتاد حجّة في اللغة ، كما ان روايته بالمعنى لها شروط ، ولا تجوز فيما دون في بطون الكتب ، وقد مرّ بنا ان ابا حيان وهو رأس مانعي الاستشهاد بالحديث قد استشهد به في كتبه المختلفة في مسائل لغوية ونحوية بل كان في بعضها معتمدا على الحديث وحده • وقد انهى مجمع اللغة العربيــة في مصر هذه القضية حين اصدر قرارا يقضي بجواز الاستشهاد بالحديث ، وقد جاءت نتيجة هذا البحث متفقة مع قرار المجمع المذكور •

أما المصدر الثالث للشواهد فهو كلام العرب الفصحاء الذين يستشهــد بأقوالهم ، نثرا او شعرا ، وفق قرار مجمع اللغة العربية في مصر الذى حدد فيه زمن الاستشهاد ، وجاء فيه :

« العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم ، هم فصحاء الأمصار الى نهاية القرن الثاني وفصحاء البادية الى آخر القرن الرابع الهجري » • (انظر : محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في مصر ـ دور الانعقاد الاول ـ محضر الجلسة ٢٢ ص٣٠٨) •

وقد جاءت نتيجة البحث على عكس ما صنع النحويون اذ جعلوا الشعر مصدرهم الأول في الاستشهاد • ولو اعتمد النحويون على القرآن الكريم وجعلوه مصدرهم الاول في الاستشهاد لجاءت قواعدهم أشد احكاما ، وأبعد عن الاضطراب ، وشواهدهم أكثر فصاحة ، ولما اتعبوا انفسهم في تأويل الشواهد وتعليلها ، او حملها على الضرورة والشذوذ ، ولما امتلأت كتب النحو بالشواهد المجهولة او الضعيفة او المصنوعة ، ولما حدث الاختلاف بين النحاة في نسبة الشواهد الى قائليها ، أو في روايتها ، واتهام بعضهم بعضا بتغيير رواية الشاهد ، أو وضعه • أنى يكون كل ذلك ؟ ونص القرآن قيّم ليس فيه عوجا ! ، وقد كان مثل النحويين في طلب المرويات والسعي وراءها في البوادي ، وتجشمهم العناء ، وتركهم نص القرآن الكريم :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

وآخر قولي : أن الحمد لله رب العالمين •

عبدالجبار علوان

المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم ، المصدر الاول ٠

٢ ـ الابانة عن معاني القراءات : مكي بن ابي طالب حموش ٣٥٥ـ٤٣٧هـ ٠ تحقيق : الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ، ط (١) ، نشر : مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٢٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ٠

٣ ـ الابدال والمعاقبة والنظائر : الزجاجي (ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق ٣٣٧هـ) ٠ تحقيق : عزالدين التنوخي ، مطبعه المجمع العلمي العربي ، دمشق ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م ٠

٣ ـ ابو حيان النحوي : الدكتورة خديجه الحديثي ٠ ط (١) مطابع دار التضامن، بغداد ١٣٨٥ = ١٩٦٦م ٠

٥ ـ ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، الدكتور احمد مكي الانصاري٠ مطبوعات المجلس الاعلى لرعايه الفنون والاداب والعلوم الاجتماعيه ، سلسلة نشر الرسائل الجامعيه (٦) ، القاهره ١٣٨٤ = ١٩٦٤م ٠

٦ ـ ابو علي الفارسي ، حياته ومكانته بين ائمة العربيه ، وآثاره في القراءات والنحو : الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ، مطبعه نهضة مصر (الفجالة) ، ١٣٧٧هـ ٠

٧ ـ اتحاف الامجاد في ما يصح به الاستشهاد : ابو المعالي محمود شكرى ابن عبدالله شهاب الدين محمود الألوسي ـ ١٣٤٢هـ ٠ رسالة مخطوطه ، فرغ من جمعها وتاليفها في ٢١ صفر الخير سنة ١٣٠١هـ ٠ نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، رقم ٢٧٥م ٠

٨ ـ اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر : الدمياطي (احمد بن محمد ابن احمد) ٠ طبع بالمطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣١٧هـ ٠

٩ ـ الاتقان في علوم القرآن : السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن محمد ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط (١) ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م ٠

١٠ ـ احياء النحو : ابراهيم مصطفى · ط (١) ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ ·

١١ ـ الاخبار الطوال : ابو حنيفة الدينوري (احمد بن داود ـ ٢٨٢هـ) · تحقيق : عبدالمنعم عامر · ط (١) ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٦٠م ·

١٢ ـ اخبار النحويين البصريين : ابو سعيد السيرافي (الحسن بن عبدالله ـ٣٦٨هـ) تحقيق : طه الزيني ومحمد خفاجي · ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥ م ·

١٣ ـ أدب الكتاب : ابو بكر الصولى (محمد بن يحيى ـ ٣٣٦هـ) · نسخ وتصحيح : محمد بهجه الاثرى ، مراجعة : السيد محمود شكري الالوسي، ط(١) المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤١هـ ·

١٤ ـ ارشاد الفحول : الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ـ ١٢٥٥هـ) · ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م ·

١٥ ـ الارشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية : محمد محمد سالم محيسن · ط (١) ، مطبعه النهضة الجديدة ، القاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م ·

١٦ ـ اسرار العربية : ابو البركات الانبارى (عبدالرحمن بن محمد ـ ٥٧٧هـ) · ط (١) ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٣هـ = ١٨٨٦م ·

١٧ ـ الاشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي ـ ٩١١هـ · ط (٢) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ ·

١٨ ـ اصلاح المنطق : ابن السكيت (ابو يوسف يعقوب بن اسحاق ١٨٦ ـ ٢٤٤هـ) تحقيق : احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون · ط (٢) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٦٥م ·

١٩ ـ الاضداد : ابو بكر الانبارى (محمد بن القاسم ـ ٣٢٨هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، «سلسلة التراث العربي ـ ٢» ط (١) في الكويت ١٩٦٠م ·

٢٠ ـ اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ابن خالويه (ابو عبدالله الحسين ابن احمد ـ ٣٧٠هـ) ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة) ، ١٣٦٠هـ = ١٩٤١م · (تحت اشراف جمعية دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن) ·

٢١ ـ اعراب القرآن : أبو جعفر النحاس (احمد بن محمد بن اسماعيل ـ ٣٣٨هـ) مخطوط كتبه : محمد بن يوسف بن محمد بن عبيدالله البغدادي سنة ٥٩٩هـ · محفوظ في مكتبة محمد الفاتح باستانبول رقم ٨٨ ، (نسخة مصورة عن المخطوط) ·

٢٢ ـ اعراب القرآن : منسوب للزجاج (ابو اسحاق ابراهيم بن السرى ٢٤١ ـ ٣١١هـ) · تحقيق : ابراهيم الابيارى · ط (١) · نشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ١٩٦٣م ·

٢٣ ـ الاعلام : خير الدين الزركلي · ط (٣) ، بيروت ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م ·

٢٤ ـ اعلام الكلام : ابن شرف القيرواني (ابو عبيدالله محمد بن شرف ـ ٤٦٠هـ)· تصحيح : عبدالعزيز الخانجي · ط (١) مطبعة النهضة ، القاهرة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م ·

٢٥ ـ الاغاني : ابو الفرج الاصبهاني (علي بن الحسين بن محمد المرواني الاموي القرشي ٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ) · ط (١) ، دار الطباعة العامرة ببولاق ، القاهرة ١٢٨٥هـ ، ورمزه في هوامش الرسالة : (بولاق) ·

٢٦ ـ الاغراب في جدل الاعراب : ابو البركات الانبارى (عبدالرحمن بن محمد ـ ٥٧٧هـ) تحقيق : سعيد الافغاني · ط (١) ، مطبعة الجامعة السورية دمشق ، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م ·

٢٧ ـ الاقتراح في علم اصول النحو : جلال الدين السيوطي ـ ٩١١هـ · مطبعة المجتبائي (طبعة حجرية) دهلي (دلهي ـ الهند) ١٣١٤هـ ·

٢٨ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : البطليوسي (ابو محمد عبدالله بن السيد ـ ٥٢١هـ) ، تصحيح ومراجعة : عبدالله البستاني ، ط (١) ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٩٠١م ·

٢٩ ـ الف باء : البلوي (ابو الحجاج يوسف بن محمد ـ ٥٧٦هـ) ، الجزء الاول ، نشر : جمعية المعارف بمصر . ط (١) ، مطبعة بولاق ١٢٨٧هـ .

٣٠ ـ الفية ابن مالك في النحو والصرف (متن الالفية) : محمد بن مالك الاندلسي ـ٦٧٢هـ . ط (٢) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م .

٣١ ـ الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع : القاضي عياض بن موسى اليحصبي ٤٧٩ـ٥٤٤هـ . تحقيق : السيد احمد صقر ، نشر : دار التراث ـ القاهرة ، والمكتبة العتيقة ـ تونس ١٣٨٩هـ = ١٩٧٠م .

٣٢ ـ أمالي ابن الشجري : ابن الشجري (أبو السعادات هبة الله بن علي ـ ٥٤٢هـ) تصحيح : مصطفى محمد عبدالخالق ، مطبعة الامانة بالفجالة ، القاهرة ١٩٣٠م .

٣٣ ـ الامالي : ابو القاسم الزجاجي (عبدالرحمن بن اسحاق ـ ٣٣٧هـ) شرح احمد بن الامين الشنقيطي . ط (١) مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٤هـ .

٣٤ ـ الامالي : القالي (ابو علي اسماعيل بن القاسم ـ ٣٥٦هـ) . ط (٢) ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م .

٣٥ ـ أمالي المرتضى (الغرر والدرر) : الشريف المرتضى (ابو القاسم علي بن الحسين الموسوى العلوى ٣٥٥ـ٤٣٦هـ) . تصحيح محمد بدرالدين النعساني . ط (١) مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م .

٣٦ ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن : ابو البقاء العكبرى (عبدالله بن الحسين بن عبدالله ٥٣٨ـ٦١٦هـ) . تصحيح وتحقيق : ابراهيم عطوة عوض ، ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م .

٣٧ ـ انباه الرواة على انباه النحاة : ابو الحسن القفطي (علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني ٥٦٨ـ٦٤٦هـ) . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم . ط (١) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠م .

٣٨ ـ الانتصاف : ابن المنير الاسكندري (احمد بن محمد بن منصور ٦٢٠ـ٦٨٣هـ) ط (١) بهامش الكشاف ، على نفقة المكتبة التجارية الكبرى بمصر . مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٣٥٤هـ .

٣٩ ـ الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصـــريين والكوفيين : ابو البركات الانبارى (عبدالرحمن بن محمد ـ ٥٧٧هـ) وبهامشه كتـــاب (الانتصاف من الانصاف) لمحمد محيي الدين عبدالحميد (ط ٤) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م ٠

٤٠ ـ اوضح المسالك الى الفية ابن مالك : ابن هشام الانصارى (ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف ـ ٧٦١هـ) وبهامشه كتاب «هداية السالك الى تحقيق اوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبدالحميد» ٠ ط (٤) ، نشر : المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م ٠

٤١ ـ الايام والليالى والشهور : الفراء (ابو زكريا يحيى بن زياد ـ ٢٠٧هـ) ٠ تحقيق ابراهيم الابيارى ٠ ط (١) ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٦م ٠

٤٢ ـ الايضاح في علل النحو : الزجاجي (ابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق ـ ٣٣٧هـ) ٠ تحقيق : الدكتور مازن المبارك ٠ ط (١) ، مطبعة المدنى ٠ نشر مكتبة دار العروبة ، مصر ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م ٠

٤٣ ـ البحر المحيط : أبو حيـــان (اثير الدين ابو عبدالله محمـــد بن يوسف الاندلسي الغرناطي الشهير بـ (ابن حيان) أو (ابو حيان) ـ ٧٤٥ هـ) ٠ ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٨هـ ٠

٤٤ ـ البحوث والمحاضرات : مجمع اللغة العـــربية في مصر (الدورة الحادية والثلاثون) سنة ١٩٦٤ـ١٩٦٥م ٠

٤٥ ـ البخلاء : الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ـ ٢٥٥هـ) ، تحقيق : الدكتور طه الحاجرى ٠ ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٨م ٠

٤٦ ـ البدء والتاريخ : ابو زيد البلخي (احمد بن سهل ـ ٣٢٢هـ) ٠ طبـــع بمطبعة برطرند في مدينة شالون ـ فرنسا سنة ١٨٩٩م ٠

٤٧ ـ البداية والنهاية : ابن كثير (ابو الفدا اسـماعيل بن عمر الدمشقي القرشي ـ ٧٧٤هـ) • طبع في بيروت على نفقة : مكتبة المعارف ـ بيروت ، ومكتبة النصر ـ الرياض ، سنة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٦م •

٤٨ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، من طريق الشاطبية والدرة : الشيخ عبدالفتاح القاضي • ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م •

٤٩ ـ البصائر والذخائر : ابو حيان التوحيدى ـ ٤٠٠هـ • تحقيق : الدكتور أبراهيم الكيلاني • ط (١) ، مكتبة اطلس ومطبعة الانشاء ، دمشق ١٩٦٤م •

٥٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيـوطي • تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م •

٥١ ـ البيان والتبيين : الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر ـ ٢٥٥هـ) تحقيق : حسن السندوبي ، ط (٢) ، نشر : المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م •

٥٢ ـ تأملات عامة في اللهجات العربية ، بحث للاستاذ ج • فانتينو ، استاذ علم اللغة العام والالسنة السامية في جامعة الجزائر • مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق • المجلد ١٥ الجزء ٣ و ٤ ، آذار ونيسان ١٩٣٧م •

٥٣ ـ تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة الدينورى ـ ٢٧٦هـ • تصحيح الشيخ محمد زهري النجار ، ط (١) ، نشر : مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م •

٥٤ ـ تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة الدينورى ـ ٢٧٦هـ • تحقيق السيد احمد صقر • ط (١) دار احياء الكتب العربيةعيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م •

٥٥ ـ تاريخ الادب العربي : الدكتور ريجيس بلاشير ، تعريب : الدكتـور ابراهيم الكيلاني ، ط (١) ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م •

٥٦ ـ تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ، نقله الى العربية : الدكتور عبدالحليم النجار · الجزء الاول · ط (٢) سنة ١٩٦٨ ، الجزآن الثاني والثالث · ط (١) سنة ١٩٦١ ،دار المعارف بمصر ·

٥٧ ـ تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، ط (٢) ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م ·

٥٨ ـ تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي : الشيخ احمد الاسكندرى · ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٣٠هـ = ١٩١٢م ·

٥٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان · اعتمدت على الجزء الاول منه المطبوع طبعة ثالثة سنة ١٩٣٦ ، والثاني المطبوع سنة ١٩٣٠ والثالث المطبوع سنة ١٩٣١ ، والرابع المطبوع طبعة ثانية سنة ١٩٣٧م · وقد طبعت الاجزاء كلها في مطبعة الهلال بمصر ·

٦٠ ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، ط (٧) ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦م ·

٦١ ـ تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى (ابو بكر احمد بن علي ـ ٤٦٣هـ) ، نشر : دار الكتاب العربي ، بيروت (بدون تاريخ) ·

٦٢ ـ تاريخ الرسل والملوك : الطبرى (ابو جعفر محمد بن جرير ٢٢٤ـ٣١٠هـ)· مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨١ـ١٨٨٣م · (مطبوع بالاوفسيت من قبل دار « منشورات جهان» شارع بوذر جمهرى ـ طهران) ·

٦٣ ـ تاريخ علوم اللغة العربية : طه الراوى ، ط (١) ، مطبعة الرشيد ، بغداد ١٣٦٩هـ = ١٩٤٩م ·

٦٤ ـ تاريخ الفلسفة في الاسلام : ت·ج· دى بور ، نقله الى العربية وعلق عليه : الدكتور محمد عبدالهادى ابو ريدة ، ط (٤) ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م ·

٦٥ ـ تاريخ القرآن والمصاحف : موسى جار الله روستوفدوني ، ملتزم الطبع : محمد حسن الكوكرجيني ، ط (١) ، المطبعة الاسلامية بترسبورغ ١٣٢٣ هـ ·

٦٦ ـ تاريخ الكوفة : حسين احمد البراقي ـ ١٣٣٢هـ ، ط (١) ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٥٦هـ ٠

٦٧ ـ تاريخ اللغات السامية : الدكتور اسرائيل ولفنسون ، ط (١) ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م ٠

٦٨ ـ تاريخ النحو : بحث للاستاذ محمد اسعد طلس ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ١٤ ، الجزء ٢ و ٦ سنة ١٩٣٦م ٠

٦٩ ـ التبيان في شرح الديوان : منسوب خطأ الى : ابي البقاء العكبرى (عبدالله ابن الحسين ـ ٦١٦هـ) ، ط (١) ، دار الطباعة ، القاهرة ١٢٨٧هـ ٠

٧٠ ـ تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب (شرح شواهد كتاب سيبويه) : الاعلم الشنتمري (ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى ـ ٤٧٦هـ) بهامش كتاب سيبويه ، ط (١) ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر (١٣١٦ـ١٣١٨هـ) ٠

٧١ ـ تذكرة ابن حمدون : السياسة والآداب السلطانية : ابو المعالي بهاء الدين محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي البغدادى ـ ٥٦٢هـ ، ط (١) ، نشرته : مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٤٥هـ = ١٩٢٧م ٠

٧٢ ـ الترخص والتوسع في بعض القواعد النحوية : بحث للاستاذ عبدالحميد حسن ، البحوث والمحاضرات ، الدورة الحادية والثلاثون لمجمع اللغة العربية في مصر ٦٤ـ١٩٦٥م ٠

٧٣ ـ التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) : ابن مالك (ابو عبدالله جمال الدين محمد بن مالك الطائي ـ ٦٧٢هـ) ٠ تحقيق : محمد كامل بركات ، ط (١) ٠ نشر : دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م ٠

٧٤ ـ التطور اللغوى التاريخي : الدكتور ابراهيم السامرائي ، ط (١) ، دار الرائد للطباعة ، القاهرة ١٩٦٦م ٠

٧٥ ـ تفسير الرازى (التفسير الكبير : مفاتيح الغيب) : فخر الدين الرازى (ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين المعروف بابن الخطيب ـ ٦٠٦هـ) ، ط (١) ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٩ هـ ٠

٧٦ ـ تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) : القرطبي (محمد بن احمد الانصاري) • الجزء الاول : ط (١) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م والاجزاء التسعة المتممة للاول : ط (٢) مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ٥٤ـ١٣٥٩هـ = ٣٦ـ١٩٤٠م •

٧٧ ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : الشيخ مصطفى عبدالرازق ، ط (١) ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م •

٧٨ ـ التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه : البكرى (ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز ـ ٤٨٧هـ) ط (١) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦م •

٧٩ ـ التنبيهات على اغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات : ابو القاسم علي ابن حمزة البصرى التميمي • تحقيق : عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ، ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٧ م •

٨٠ ـ تهذيب اللغة : ابو منصور الازهرى (محمد بن احمد بن الازهر الهروى ٢٨٢ـ٣٧٠هـ) ، الجزء الاول ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون • ط (١) ، دار القومية العربية للطباعة ، القاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م •

٨١ ـ التيسير في القراءات السبع : ابو عمرو الداني (عثمان بن سعيد القرطبي ـ ٤٤٤هـ) عني بتصحيحه : اوتوبرتزل • مطبعة الدولة ، استانبول ١٩٣٠م • (مطبوع بالاوفسيت من قبل مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب) •

٨٢ ـ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : (١) بيان اعجاز القرآن ، لابي سليمان حمد بن محمد الخطابي (٢) النكت في اعجاز القرآن ، لابي الحسن الرماني ـ ٣٨٤هـ • (٣) الرسالة الشافية ، لعبدالقاهر الجرجاني ـ ٤٧١هـ • تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام : ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة •

٨٣ ـ ثلاث رسائل في النحو (مجموعة في كتاب واحد) :

١ ـ الاظهار : محمد بن علي البركري •

٢ ـ العوامل المائة : عبدالقاهر الجرجاني ـ ٤٧١هـ •

٣ ـ الكافية : ابو عمرو بن الحاجب ـ ٦٤٦هـ ، ط (١) ، مطبعة الجوائب ، استانبول ١٣٠٢هـ •

٨٤ ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله : القرطبي (ابو عمر يوسف بن عبدالبر ـ ٤٦٣هـ) تصحيح : عبدالرحمن محمد عثمان ، ط (٢) ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م ، نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة ٠

٨٥ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى) : الطبرى (ابو جعفر محمد بن جرير ـ ٣١٠هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٠م ٠

٨٦ ـ جامع الشواهد : محمد باقر الشريف الاردكاني ، تصحيح : علي محمد الخوانساري ، طبع طبعة حجرية في مطبعة دار الخلافة ، طهران ١٢٩٣هـ ٠

٨٧ ـ الجامع الصغير في احاديث البشير النذير : جلال الدين السيوطي ، ط (٤) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م ٠

٨٨ ـ حاشية الامير على مغنى اللبيب لابن هشام : الشيخ محمد الامير الازهري ـ ١٢٣٢ هـ بهامش كتاب المغنى المذكور ، مطبعة حجازى ، القاهرة ١٣٧٢هـ ٠

٨٩ ـ حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : الشيخ محمد الخضري ١٢١٣ـ١٢٨٧هـ ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م ، نشر : المكتبة التجارية الكبرى ٠

٩٠ ـ حاشية السجاعي على شرح قطر الندى لابن هشام : احمد بن احمد السجاعي ـ ١١٩٧ هـ ٠ ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩م ٠

٩١ ـ حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك : الصبان (ابو العرفان محمد بن علي ـ ١٢٠٥ هـ) ، ومعه نقول من كتاب « شرح الشواهد الكبرى » لمحمود بن احمد العينى » ، طبع دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (بدون تاريخ) ٠

٩٢ ـ الحجة في علل القراءات السبع : ابو علي الفارسي (الحسن بن احمد ـ ٣٧٧هـ) ، الجزء الاول ، تحقيق : علي النجدى ناصف والدكتور عبدالحليم النجار والدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ، ط (١) ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م ٠

٩٣ ـ الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه (الحسين بن احمد ـ ٣٧٠هـ) ، تحقيق : الدكتور عبدالعال سالم مكرم ، ط (١) ، مطبعة دار الشروق ، بيروت ١٩٧١م ٠

٩٤ ـ حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود : ابو البركات الانبارى ، تحقيق : الدكتور عطية عامر ، ط (١) ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٦م ٠

٩٥ ـ الحماسة السنية الكاملة المزية : الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي ، ط (١) ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ١٣١٩هـ ٠

٩٦ ـ الحيوان : الجاحظ (عمرو بن بحر ـ ٢٥٥هـ) ٠ تحقيق : المحامي فوزى عطوى ، مطابع دار الغد ، بيروت ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨م ٠

٩٧ ـ خاص الخاص : ابو منصور الثعالبي (عبدالملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى ـ ٤٣٠هـ) ، تصحيح : الشيخ محمود السكرى ، ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م ٠

٩٨ ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : الشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادى ١٠٣٠ـ١٠٩٢هـ (وبهامشه كتاب «المقاصد النحوية» شرح الشواهد الكبرى ، لمحمود بن احمد العيني) ، ط (١) ، مطبعة بولاق الاميرية ، القاهرة ١٢٩٩هـ ٠

٩٩ ـ الخصائص : ابن جني (ابو الفتح عثمان بن جني ـ ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط (٢) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م ٠

١٠٠ـ خطط الكوفة وشرح خريطتها : لويس ماسينيون ، ترجمة : تقي المصعبي ، ط (١) ، مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م ٠

١٠١ـ الخليل بن احمد ، اعماله ومنهجه : الدكتور مهدى المخزومي ، ط (١) ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٦٠م ٠

١٠٢ـ دراسات في العربية وتاريخها : الشيخ محمد الخضر حسين ٠ ط (٢) ، مطابع دار المنار ، دمشق ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م ٠

١٠٣- دراسات في فقه اللغة : الدكتور صبحي الصالح ، ط (١) مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م ٠

١٠٤- دراسات في اللغة : الدكتور ابراهيم السامرائي ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦١م ٠

١٠٥- دراسات نقدية في النحو : الدكتور عبدالرحمن ايوب ٠ ط (١) ، نشر : مكتبة الانكلو - المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠

١٠٦- درة الغواص في أوهام الخواص : الحريرى (ابو محمد القاسم بن علي - ٥١٦هـ) ، ط (١) ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية (استانبول) ١٢٩٩م٠

١٠٧- دلائل الاعجاز في علم المعاني : عبدالقاهر الجرجاني - ٤٧١هـ ، تعليق : السيد محمد رشيد رضا ، ط (١) ، نشرته : مكتبة القاهرة ، القاهرة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م ٠

١٠٨- ديوان ابي الاسود الدؤلي : تحقيق : عبدالكريم الدجيلي ٠ ط (١) ، شركة النشر للطباعة العراقية ، بغداد ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م ٠

١٠٩- ديوان ابي الاسود الدؤلي : تحقيق : محمد حسين آل ياسين ٠ ط (١) ، دار المعارف للتأليف والترجمة (سلسلة نفائس المخطوطات) بغداد ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م ٠

١١٠- ديوان الاعشى (ميمون بن قيس) ، ط (١) ٠ طبعته : دار صادر ، دار بيروت، بيروت ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م ٠

١١١- ديوان امرىء القيس (حندج بن حجر الكندى) ٠ تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٨م٠

١١٢- ديوان زهير بن ابي سلمى ٠ تحقيق وشرح : كرم البستاني ٠ اصدار : دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م ٠

١١٣- ديوان قيس بن الخطيم ٠ تحقيق : الدكتور ناصر الاسد ٠ ط (١) ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م ٠

١١٤ـ ديوان قيس بن الخطيم • تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي ، والدكتور احمد مطلوب • ط (١) ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م •

١١٥ـ ذيل الامالي والنوادر : القالي (ابو علي اسماعيل بن القاسم ـ ٣٥٦هـ) ط (٢) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦م •

١١٦ ـ الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبي (ابو العباس احمد بن عبدالرحمن ـ ٥٩٢هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ط (١) ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م •

١١٧ـ رسائل في النحو واللغة : وهي ثلاث رسائل :

١ ـ تمام فصيح الكلام : احمد بن فارس ـ ٣٩٥هـ •

٢ ـ الحدود في النحو : ابو الحسن علي بن عيسى الرماني ٣٨٤هـ•

٣ ـ منازل الحروف : للرماني ايضا •

تحقيق : الدكتور مصطفى جواد ، ويوسف يعقوب مسكوني • اصدرته وزارة الثقافة والاعلام (سلسلة كتب التراث ـ ١١) • طبع في المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، دار الجمهورية ـ بغداد ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م•

١١٨ـ الرسالة : محمد بن ادريس الشافعي ١٥٠ـ٢٠٤ • تحقيق وشرح : احمد محمد شاكر • ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٨هـ = ١٩٤٠م •

١١٩ـ رسالة الغفران : ابو العلاء المعري ٣٦٣ـ٤٤٩هـ ، تحقيق وشرح : الدكتورة عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطيء» • ط (٣) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٣م •

١٢٠ـ رسالة الملائكة : ابو العلاء المعري • تحقيق : محمد سليم الجندى • ط (١) ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م •

١٢١ـ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات : الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي • ط (١) ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م •

١٢٢ـ روضات الجنات في احوال العلماء والسادات : محمد باقر الموسوي الخوانساري ١٢٢٤ـ١٣١٣هـ ، تصحيح : محمد علي الروضاني · ط (٢) طهران ١٣٦٧هـ ·

١٢٣ـ سر صناعة الاعراب : ابن جني (ابو الفتح عثمان ـ ٣٩٢هـ) الجزء الاول ، تحقيق : مصطفى السقا ، محمد الزفزاف ، ابراهيم مصطفى ، عبدالله امين ، ط (١) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م ·

١٢٤ـ سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي «شرح الشاطبية» : ابن القاصح العذري (ابو القاسم علي بن عثمان بن محمد ٧١٦ـ٨٠١هـ) ، «ومعه» كتاب : غيث النفع في القراءات السبع «لعلي النوري الصفاقسي» · ط (١) ، مطبعة الاستقامة ، على نفقة المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٥٢هـ = ١٦٢٤م ·

١٢٥ـ سيبويه امام النحاة : علي النجدي ناصف · ط (١) ، مطبعة مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م ·

١٢٦ـ السيرة النبوية : عبدالملك بن هشام المعافري ـ ٢١٢هـ · تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي · ط (٢) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٢٧٥هـ = ١٩٥٥م ·

١٢٧ـ سؤالات نافع بن الازرق الى عبدالله بن عباس · تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي · ط (١) ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨م ·

١٢٨ـ شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ابن عقيل (بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ٦٩٨ـ٧٦٩هـ) · ومعه كتاب «منحة الجليل ، بتحقيق شرح ابن عقيل» تأليف : محمد محيي الدين عبدالحميد · ط (١٣) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م ·

١٢٩ـ شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك : ابن الناظم (ابو عبدالله بدر الدين محمد بن محمد بن مالك الاندلسي ـ ٦٨٦هـ) · ط (١) ، المطبعة العلوية ، النجف ١٣٤٢ هـ ·

١٣٠ـ شرح الاشموني على ألفية ابن مالك : الاشموني (علي بن محمد ـ نحو سنة ٩٠٠هـ) · تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد · ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م ·

١٣١ـ شرح الفية ابن مالك : المرادى (ابو علي الحسن بن ام قاسم ـ ٧٤٩هـ) ٠ مخطوط سنة ٨٦٦هـ ٠ من مخطوطات مكتبة الاوقاف ببغداد ، رقم ١٢٢١ ٠

١٣٢ـ شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد بن عبدالله الازهري ٠ ط (١) مصر ، ١٢٩٤هـ ٠

١٣٣ـ شرح درة الغواص في اوهام الخواص للحريرى : شهاب الدين احمد الخفاجي ـ ١٠٦٩ هـ ٠ ط (١) ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية (استانبول) ١٢٩٩هـ ٠

١٣٤ـ شرح ديوان جرير : محمد اسماعيل عبدالله الصاوى ٠ ط (١) ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٣٥٣هـ ٠

١٣٥ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى ٠ شرح : ابراهيم جزيني ٠ منشورات دار القاموس الحديث في بيروت ، ومكتبة النهضة في بغداد (بدون تاريخ) ٠

١٣٦ـ شرح الرضي على الشافية لابن الحاجب ـ ٦٤٦هـ : الرضي الاسترابادى (نجم الدين محمد بن الحسن ـ ٦٨٦هـ) ٠ ط (١) شركة الصحافة العثمانيه ، استانبول (بدون تاريخ) ٠

(١٣٧)ـ شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب : الرضي الاسترابادى ٠ تعليق : السيد الشريف ٠ ط (١) ، المطبعة العامرة ، استانبول ١٢٧٥هـ ٠

١٣٨ـ شرح شذور الذهب : جمال الدين بن هشام الانصارى ـ ٧٦١ هـ ٠ ط (١) ، دار الطباعة العامرة ، بولاق ١٢٥٣هـ ٠ ومعه « رسالة : موقد الاذهان وموقظ الوسنان» للمؤلف ٠

١٣٩ـ شرح شواهد المغني لابن هشام : جلال الدين السيوطي ـ ٩١١هـ ٠ تعليق : محمد محمود الشنقيطي ٠ ط (١) ٠ طبعته : لجنة التراث العربي ، دمشق ١٩٦٦م ٠

١٤٠ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ابو بكر الانبارى (محمد بن القاسم ـ ٣٢٨هـ) ٠ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ٠ ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٣م ٠

١٤١ـ شرح قطر الندى وبل الصدى : جمال الدين بن هشام الانصارى ـ ٧٦١هـ. ومعه كتاب «سبيل الهدى ، بتحقيق شرح قطر الندى» . تأليف : محمد محيى الدين عبدالحميد . ط (١١) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م .

١٤٢ـ شرح كتاب اللمع لابن جني : ابن الدهان (ابو محمد سعيد بن المبارك ـ ٥٦٩هـ) . نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة «سليمانية» باستانبول ، صورها المجمع العلمي العراقي . محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب ـ جامعة بغداد ، رقم ٣٣٣.

١٤٣ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : العسكرى (ابو احمد الحسن ابن عبدالله بن سعيد ـ ٣٨٢هـ) . تحقيق : عبدالعزيز احمد . ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م .

١٤٤ـ شرح المفصل للزمخشري : ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ـ ٦٤٣هـ) . تصحيح : مشيخة الازهر . ط (١) . نشر : ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

١٤٥ـ الشعر والشعراء : ابن قتيبة الدينورى ـ ٢٧٦هـ . تصحيح وتعليق : مصطفى السقا . ط (١٢) ، مطبعة المعاهد ، القاهرة ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م.

١٤٦ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : ابن مالك الاندلسي (ابو عبدالله محمد جمال الدين بن مالك ـ ٦٧٢هـ) . تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي . ط (١) ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .

١٤٧ـ الشواهد على شرح الفية ابن مالك لابن الناظم : السيد محمد السيد علي الموسوي العاملي . ط (١) ،المطبعة العلوية ، النجف ١٣٤٣هـ .

١٤٨ـ الصاحبي في فقه اللغة : احمد بن فارس ـ ٣٩٥هـ . تصحيح ونشر : المكتبة السلفية . ط (١) ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م .

١٤٩ـ صحيح البخارى «جامع الصحيح» : البخارى (ابو عبدالله محمد بن ابي الحسن اسماعيل ـ ٢٥٦هـ) . ط (١) ، دار الطباعة العامرة ، القاهرة ١٣١٥هـ .

١٥٠ـ صرف العناية في كشف الكفاية : عبدالله بن محمد البيتوشي · ط (١) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٤١هـ = ١٩٢٢م ·

١٥١ـ ضحى الاسلام : احمد امين · ط (٣) ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م ·

١٥٢ـ الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر : محمود شكرى الآلوسي · شرح : محمد بهجة الاثرى · ط (١) ، المطبعة السلفية بمصر ، القاهرة ١٣٤١ ·

١٥٣ـ طبقات الشعراء : عبدالله بن المعتز · تحقيق : عبدالستار احمد فراج · ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م ·

١٥٤ـ طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ـ ٢٣٢هـ · شرح : محمود محمد شاكر · ط (١) ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢م·

١٥٥ـ طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدى (محمد بن الحسن الاندلسى الاشبيلي ٢١٦ـ٣٧٩هـ) · تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم · ط (١) وقف على طبعه ونشره : محمد سامي امين الخانجي ، القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤ ·

١٥٦ـ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : العلوى (يحيى بن حمزة بن علي ـ ٧٤٩هـ) ، ط (١) ، مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م ·

١٥٧ـ العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب : يوهان فك · نقله الى العربية وحققه : الدكتور عبدالحليم النجار · ط (١) ، مطبعة دار الكاتب ، مصر ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م ·

١٥٨ـ العقد الفريد : ابن عبد ربه (احمد بن محمد عبد ربه القرطبى الاندلسى ـ ٣٢٨هـ) · ط (١) · نشر : المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م ·

١٥٩ـ عقيدة الشيعة : دوايتم · رونلدسن · تعريب : ع·م· ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م ·

١٦٠ـ العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني (ابو علي الحسن بن رشيق الازدى ٣٩٠هـ ـ٤٥٦هـ) · تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد · ط (٢) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م ·

١٦١ـ العين (أول معجم في اللغة العربية) : الخليل بن احمد الفراهيدى ١٠٠ـ ١٧٠هـ · الجزء الاول · تحقيق : الدكتور عبدالله درويش · ط (١) مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م ·

١٦٢ عيون الاخبار : ابن قتيبة الدينورى ـ ٢٧٦هـ · نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية · نشر : المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، بوزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية · في المحرم سنة ١٣٨٣هـ = يونية (حزيران) ١٩٦٣م ·

١٦٣ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء : ابن ابي اصيبعة (ابو العباس احمد بن القاسم بن ابي اصيبعة السعدى ـ ٦٦٨هـ) · الجزء الثالث ، ط (١) ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م ·

١٦٤ـ غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجرزى (ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي ـ ٨٣٣هـ) · عني بنشره : ج· بركشتراسر · ط (١) · نشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م ·

١٦٥ـ غيث النفع في القراءات السبع : الصفاقسي (الشيخ علي النورى) · انظر «سراج القاريء المبتدىء» ·

١٦٦ـ الفاضل : المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد ـ ٢٨٥هـ) · تحقيـــق : عبدالعزيز الميمني · ط (١) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م ·

١٦٧ـ فتح الباري بشرح البخاري : ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي ـ ٨٥٢هـ) ، ط (١) ، مطبعـــــة بولاق بمصر ١٣٠٠هـ ·

١٦٨ـ فتوح البلدان : البلاذرى (احمد بن يحيي بن جابر ـ ٢٧٩هـ) · ط (١) ، شركة طبع الكتب العربية ، القاهرة ١٣١٩هـ = ١٩٠١ م·

١٦٩ـ فحولة الشعراء : الاصمعي ـ ٣١٤هـ · شرح وتحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي وطه محمد الزيني · ط (١) ، المطبعة المنيرية بالازهر ، القاهرة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م ·

١٧٠ـ ذيل الفصيح لثعلب : املاء الشيخ موفق الدين ابي محمد عبداللطيف البغدادى النحوى اللغوى ـ ٦٢٩هـ · تصحيح : السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي · ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهـــرة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م · (طبع مع كتاب «فعلت وافعلت» لابي اسحاق الزجاج ، في كتاب واحد ، بعنوان : (كتاب «الطرف الادبية لطلاب العلوم العربية») ·

١٧١ـ فضائل القرآن : ابن كثير القرشي ـ ٧٧٤هـ · تصحيح وتعليق : محمد رشيد رضا · ط (١) ، مطبعة المنار ـ مصر ١٣٤٧هـ ·

١٧٢ـ الفعل زمانة وأبنيته : الدكتور ابراهيم السامرائي · ط (١) ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م ·

١٧٣ ـ فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي (عبدالملك بن محمـــد النيسابورى ـ ٤٢٩هـ) · تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابيـارى وعبدالحفيظ شلبي · ط (٢) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م ·

١٧٤ـ الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية : جرجي زيدان · ط (٣) ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٩٢٣م ·

١٧٥ـ الفهرست : ابن النديم (ابو الفرج محمد بن اسحاق ـ ٣٨٥هـ) · توزيع المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر · مطبعة الاستقامة ، القاهرة ·

١٧٦ـ فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ـ ٧٦٤هـ · تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد · ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهـــرة ١٩٥١م ·

١٧٧ـ في اصول النحو : سعيد الافغاني · ط (٢) ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م ·

١٧٨ـ في الدراسات القرآنية واللغوية ، الامالة في القراءات واللهجات العربية : الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي · ط (١) ، مطبعة نهضة مصـــر ، القاهرة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م ·

١٧٩ـ في قراءات القرآن بحث للدكتور عبدالحليم النجار · مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة · المجلد ١٠ الجزء ٢/ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٤٨م ·

١٨٠ـ في اللهجات العربية : الدكتور ابراهيم انيس · ط (٣) ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥م ·

١٨١ـ في اللهجات العربية واصول اختلافها : بحث للدكتور عبدالحليم النجار · مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة · المجلد ١٥ الجزء ١/مايو (مايس) ١٩٥٣م ·

١٨٢ـ في النحو العربي ، نقد وتوجيه : الدكتور مهدى المخزومي ، ط (١) · نشر : المكتبة العصرية ـ صيدا ١٩٦٤م ·

١٨٣ـ قرار الاحتجاج بالحديث : اصدار مجمع اللغة العربية المصري · مجلةمجمع اللغة العربية · الجزء الرابع · شعبان ١٣٥٦ هـ = اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧م ·

١٨٤ـ كتاب القرطين « كتابا مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة الدينـــورى ٢٧٦هـ» : ابن مطرف الكناني · نشر : محمد امين الخانجى الكتبي · ط (١) مطبعة الخانجى ، القاهرة ١٣٥٥هـ ·

١٨٥ـ القواعد النحوية ، مادتها وطريقتها : عبدالحميد حسن · ط (٢) ، مطبعة العلوم ، القاهرة ١٩٥٣م ·

١٨٦ـ القياس في اللغة العربية : محمد الخضر حسين · ط (١) ، المطبعـــة السلفية ، القاهرة ١٩٥٣م ·

١٨٧ـ الكامل في التاريخ : عزالدين بن الاثير (ابو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزرى ٥٥٥ـ٦٣٠هـ) · دار صادر · دار بيروت للطباعة والنشـــر ، بيروت ٨٥ـ١٣٨٧هـ = ٦٥ـ١٩٦٧م ·

١٨٨ـ الكامل في اللغة والادب : المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد ـ ٢٨٥هـ) · ط (١) ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة (بدون تاريخ) · وما ذكر في هوامش الرسالة (الكامل) ، فهو كامل المبرد ·

١٨٩ـ كتاب سيبويه : سيبويه (ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ـ ١٨٨هـ) . ط (١) ، المطبعة الاميرية ، بولاق ١٣١٦هـ . مذيل بكتاب « تحصيل عين الذهب» وهو شرح شواهد كتاب سيبويه للاعلم الشنتمري . وبالهامش : نقول من شرح السيرافي على الكتاب .

١٩٠ـ كتاب سيبويه : تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون . ط (١) . صدر منه جزآن : طبع الجزء الاول في مطابع دار القلم في القاهرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م ، والثانى في دار الكاتب العربي في القاهرة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م . وقد اعتمدت اعتمادا كليا على طبعة بولاق ، واستأنست باراء الاستاذ هارون في بعض شواهد الكتاب .

١٩١ـ الكسائي رئيس مدرسة الكوفة النحوية . بحث للاستاذ كمال ابراهيم مجلة الاستاذ . اصدار : كلية التربية ـ جامعة بغداد . المجلد ١٣ سنة ١٩٦٦م .

١٩٢ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : الزمخشري (محمود بن عمر ـ ٥٢٨هـ) . ط (١) ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٣٥٤هـ . وبهامشه : كتاب « الانتصاف من الكشاف» لابن المنير الاسكندري . نشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

١٩٣ـ الكفاية في علم الرواية : الخطيب البغدادى ـ ٤٦٣هـ . ط (١) ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ١٣٥٧هـ .

١٩٤ـ كيف نشأت اللغة العربية . بحث للاستاذ كارلو نلينو . مجلة الهلال الجزء الاول السنة ٢٦ . أول اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٣٣٥هـ = ١٩١٧م .

١٩٥ـ اللامات : ابو القاسم الزجاجي ـ ٣٧٧هـ . تحقيق : الدكتور مازن المبارك ط (١) ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

١٩٦ـ لسان العرب : ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ـ ٧١١هـ) . دار صادر . دار بيروت . ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م .

١٩٧ـ اللغات السامية : تيودور نولدكه ، ترجمة : دكتور رمضان عبدالتواب . نشر : دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣م .

١٩٨ـ اللغات في القرآن : اسماعيل بن عمرو المقرىء المصري . تحقيق : صلاح الدين المنجد . ط (١) ، مطبعة الرسالة ، القــاهرة ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م .

١٩٩ـ اللغة : جوزيف فندريس . تعريب : عبدالحميد الدواخلي ومحمدالقصاص. ط (١) ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٠م .

٢٠٠ـ اللغة والنحو «دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة» : الدكتور حسن عون. ط (١) ، مطبعة رويال ، الاسكندرية ١٩٥٢ م .

٢٠١ـ اللغة والنحو بين القديم والحديث : عباس حسن . ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٦م .

٢٠٢ـ لمع الادلة في اصول النحو : ابو البركات الانباري ـ ٥٧٧هـ . تحقيق : سعيد الافغاني . ط (١) ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م .

٢٠٣ـ ليس في كلام العرب : ابن خالويه ـ ٣٧٠هـ . شرح : احمد بن الامين الشنقيطي . ط (١) ، المطبعة المحمودية التجارية ، القــاهرة (بدون تاريخ) .

٢٠٤ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد : ابو العباس المبرد ـ ٢٨٥هـ . تحقيق : عبدالعزيز الميمني . ط (١) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

٢٠٥ـ المباحث اللغوية في العراق : الدكتور مصطفى جواد . ط (١) ، تولى طبعه : معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٥م .

٢٠٦ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير (ابو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ـ ٦٣٧هـ) . تحقيق: محمد محيي الد ينعبدالحميد . طه (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩م .

٢٠٧ـ مجاز القرآن : ابو عبيدة (معمــر بن المثنى التيمي ـ ٢١٠هـ) . الجــزء الاول . تحقيق : الدكتور محمد فؤاد سزكين . ط (١) ، مطبعة محمد سامي امين الخانجي ، القاهرة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥م .

٢٠٨ـ مجالس ثعلب : ابو العباس ثعلب ـ ٢٩١ هـ ٠ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ٠ ط (٢) ، دار المعارف بمصر ، القـــاهرة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م ٠

٢٠٩ـ مجالس العلماء : ابو القاسم الزجاجي ـ ٣٣٧هـ ٠ تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ٠ طبع ط (١) في الكويت «سلسلة التراث العربي ٩» سنة ١٩٦٢م ٠

٢١٠ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٠ الجزء الاول / سنة ١٩٣٤م ٠

٢١١ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٠ المجلد السابع / يولية (تموز) سنة ١٩٤٤م «أداة التعريف في اللغة العربية» بحث للاستاذ فؤاد حسنين ٠

٢١٢ـ مجمع الامثال : الميداني (ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد النيسابورى ـ ٥١٨هـ) ٠ مطبعة عبدالرحمن محمد ، القاهرة ١٣٥٢هـ ٠

٢١٣ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي (ابو علي الفضل بن الحسن ـ ٥٠٢هـ) ٠ طبع ونشر : دار الفكر ، ودار الكتاب اللبنـــاني ، بيروت ١٣٧٧هـ = ١٩٥٥م ٠

٢١٤ـ مجموعة الشافية :
الشافية : ابن الحاجب (ابو عمرو عثمان بن ابي بكر ـ ٦٤٦هـ) والشروح عليها :
شرح الشافية : الجاربردى (احمد بن الحسن ـ ٧٤٦هـ) ٠
شرح الشافية : سيد عبـدالله ، الشـــهير بـ (نقرة‌كار) ـ ٧٧٦هـ ٠
حاشية على شرح الجاربردى على الشافية : ابن جماعة (عز الدين محمـد بن احمد ـ ٨١٩هـ) ٠
الدرر الكافية في حل شرح الشافية : الحسين الرومي ٠
مناهج الكافية : الشيخ زكريا بن محمد الانصارى المصرى ـ ٩٢٦هـ
طبعت المجموعة في دار الطباعة العامرة ، باستانبول سنة ١٣١٠هـ ٠

٢١٥ـ محاضر جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة :
١ ـ دور الانعقاد الاول (٣٠/١/١٩٣٤ ـ ١٨/٣/١٩٣٤) القاهرة ، المطبعة الاميرية (بولاق) ١٩٣٦م ٠
٢ ـ دور الانعقاد الرابع ، القاهرة ـ دار الطباعة المصرية ١٩٣٩م ٠

٢١٦ـ محاضرات في اللغة (القسم الاول) : دكتور عبدالرحمن ايوب ٠ ط (١) ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦م ٠

٢١٧ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : ابن جني (ابو الفتح عثمان بن جني - ٣٩٢هـ) الجزء الاول : تحقيق : علي النجدى ناصف والدكتور عبدالحليم النجار والدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي٠ القاهرة ١٣٨٦هـ ٠ والجزء الثاني : تحقيق : علي النجـدى ناصف والدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي ٠ القاهرة ١٣٨٩هـ ٠

٢١٨ـ مختارات ابن الشجرى : ابو السعادات هبة الله بن الشجرى - ٥٤٢ هـ٠ ط (١) ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٥م ٠

٢١٩ـ مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي : سيد أمير علي ٠ نقـله الى العربية : رياض رأفت ٠ ط (١) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨م ٠

٢٢٠ـ مختصر في شواذ القرآن : ابن خالويه - ٣٧٠هـ ٠ نشر : بركشتراسر٠ ط (١) ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٣٤م ٠

٢٢١ـ مختصر كتاب البلدان : ابن الفقيه الهمذاني (ابو عبدالله احمد بن محمد ابن اسحاق) ٠ ط (١) ، مطبعة بريل ، ليدن ١٣٠٢هـ ٠

٢٢٢ـ المدارس النحوية : الدكتور شوقي ضيف ٠ ط (١) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨م ٠

٢٢٣ـ مدرسة الكوفة النحوية : الاستاذ كمال ابراهيم ٠ محاضرات القيت عـلى طلبة الدراسات العليا (الماجستير) في كلية الآداب - جامعة بغداد سنة ١٩٦٨/٦٧م ٠

٢٢٤ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : الدكتور مهدى المخزومي٠ ط (١) ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ١٣٨٤هـ = ١٩٥٥م ٠

٢٢٥ـ المذكر والمؤنث : ابو زكريا الفراء - ٢٠٧هـ ٠ تصحيح وتعليق : مصطفى احمد الزرقا ٠ ط (١) ، المطبعة العلمية ، حلب ١٣٤٥هـ ٠

٢٢٦ـ مراتب النحويين : ابو الطيب اللغوى (عبـدالواحد بن عـلي الحلبي - ٣٥١هـ) ٠ تحقيق وتعليق : محمد ابو الفضل ابراهيـم ٠ ط (١) ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥م ٠

٢٢٧ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودى (ابو الحسن علي بن الحسين ـ ٣٤٦هـ) • تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد • ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٥٣٨هـ = ١٩٣٩م •

٢٢٨ـ المزهر في علوم اللغة وانواعها : جلال الدين السيوطى ـ ٩١١هـ • مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ، القاهرة (بدون تاريخ) •

٢٢٩ـ مسائل خلافية في النحو : ابو البقاء العكبرى ـ ٦١٦هـ • تحقيق : محمد خير الحلواني • ط (١) • منشورات مكتبة الشهباء ، حلب (بدون تاريخ) •

٢٣٠ـ المعارف : ابن قتيبة الدينورى ـ ٢٧٦هـ • تحقيق : ثروت عكاشة • ط (١) مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م •

٢٣١ـ معاني القرآن : ابو زكريا الفراء ـ ٢٠٧هـ • تحقيق : احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ط (١) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م •

٢٣٢ـ معجم الادباء (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) ياقوت الحموي (ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله ـ ٦٢٦هـ) مطبعة دار المأمون (سلسلة الموسوعات العربية) • القاهرة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م •

٢٣٣ـ معجم البلدان : ياقوت الحموى ـ ٦٢٦هـ • دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م •

٢٣٤ـ معجم الشعراء : المرزباني (ابو عبدالله محمد بن عمران ـ ٣٨٤هـ) • تحقيق : عبدالستار احمد فراج • ط (١) ، دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م •

٢٣٥ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار : شمس الدين الذهبي (أبو عبدالله محمد بن احمد ـ ٧٤٨هـ) • تحقيق : محمد سيد جاد الحق • ط (١) ، مطبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٩م •

٢٣٦ـ مغنى اللبيب من كتب الاعاريب : ابن هشام الانصارى (٧٦١هـ) • مطبعة حجازى القاهرة ١٣٧٢هـ • مع (حاشية الشيخ محمد الامير على المغنى) في الهامش •

٢٣٧ـ مفتاح السنة ، أو : تاريخ فنون الحديث : محمد عبدالعزيز الخولي . ط (٢) ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م . «نشرته المكتبة التجارية الكبرى» .

٢٣٨ـ مفتاح العلوم : السكاكي (ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر ـ ٦٢٦هـ) . ط (١) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهـــرة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م .

٢٣٩ـ المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصبهاني (ابو القاسم الحسين بن محمد ـ ٥٠٢هـ) . ط (١) ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٢٤هـ .

٢٤٠ـ المفصل في علم العربية : الزمخشري ـ ٥٣٨هـ . وبذيله : « المفضل في شرح ابيات المفصل » لمحمد بدر الدين النعساني الحلبي . ط (١) ، مطبعة التقدم بمصر ، غرة سنة ١٣٢٣هـ .

٢٤١ـ المفضليات : (مختارات المفضل الضبي) . تصحيح : ابو بكر بن عمر داغستاني المدنى . مطبعة التقدم ، مصر ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م .

٢٤٢ـ المقابسات : ابو حيان التوحيدى . تحقيق : حسن السندوبي . ط (١) ، نشرته : المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٤٧هـ = ١٩٢٩م .

٢٤٣ـ المقاصد النحوية «شرح الشواهد الكبرى» : العيني (بدر الدين محمود ابن احمد ٨٥٥هـ) انظر : خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للبغدادى .

٢٤٤ـ مقالة كلا وماء جاء منها في كتاب الله سبحانه : احمـد بن فارس ـ ٣٩٥هـ . تصحيح وتعليق : عبدالعزيز الميمني . ط (١) ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٤هـ .

٢٤٥ـ المقتضب : ابو العباس المبرد ـ ٢٨٥هـ . تحقيق : محمد عبـــدالخالق عضيمة . ط (١) . نشرته : لجنة احياء التـراث الاســـلامي ، القاهرة ١٣٨٥ـ١٣٨٨هـ .

٢٤٦ـ مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون (ابو زيد عبدالرحمن بن محمد ـ ٨٠٨هـ) . مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٤٧ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث : الحافظ ابو عمرو الشهرزورى ـ ٦٤٢هـ . ط (١) المطبعة القيمة ، بمبي ١٣٥٧هـ .

٢٤٨ـ مقدمة في النحو : خلف الاحمر (خلف بن حيان ـ ١٨٠ هـ) ٠ تحقيق : عز الدين التنوخي ٠ ط (١) ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٨١هـ = ١٩٦١م ٠

٢٤٩ـ مقدمة كتاب الانصاف : كوتولد فايل ٠ ترجمة : الدكتور عبدالحليم النجار ٠ طبع على الآلة الكاتبة ووزع على طلبة الدراسات العليا (الماجستير) في كلية الآداب ـ جامعة بغداد سنة ٦٩/١٩٧٠م ٠

٢٥٠ـ مقدمة لدرس لغة العرب : الشيخ عبدالله العلايلي ٠ ط (١) ، المطبعة العصرية ، القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٢٥١ـ مقدمتان في علوم القرآن «مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية» ٠ وقف على تصحيحهما وطبعهما : آرثر جفري ٠ ط (١) ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٤م ٠

٢٥٢ـ المقصور والممدود : ابو العباس احمد بن ولاد ـ ٣٣٢هـ ٠ تصحيح : محمد بدر الدين الحلبي ٠ ط (١) مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م ٠

٢٥٣ـ من اسرار اللغة : الدكتور ابراهيم أنيس ٠ ط (١) ٠ نشر : مكتبة الانكلو المصرية ، القاهرة ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م ٠

٢٥٤ـ من تاريخ النحو : سعيد الافغاني ، طبع في : دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ) ٠

٢٥٥ـ من حديث الشعر والنثر : الدكتور طه حسين ٠ ط (٢) دار المعـــارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٧م ٠

٢٥٦ـ المنصف : شرح تصريف ابي عثمان المازني ـ ٢٤٩هـ ـ ابو الفتح عثمان ابن جني ـ ٣٩٢هـ ٠ تحقيق : ابراهيم مصطفى وعبدالله امين ، ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م ٠

٢٥٧ـ منطق ارسطو والنحو العربي ٠ بحث للدكتور ابراهيم بيومي مدكور ٠ مجلة الازهر ٠ المجلد ٢٣ الجزء ١٠/في ٢٣/يونيه (حزيران) ١٩٥٢م ٠

٢٥٨ـ المنقوص والممدود : ابو زكريا الفراء ـ ٢٠٧هـ ٠ تحقيق : عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ٠ ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٧م ٠

٢٥٩ـ منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك : ابو حيـــان الاندلسي الغرناطي ـ ٧٤٥ هـ ٠ تحقيق : سدني جليزر ، نيوهافن ١٩٤٧م ٠

٢٦٠ـ الموازنة بين الطائيين : الآمدى (ابو القاسم الحسن بن بشر ـ ٣٧٠هـ) ٠ تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ٠ ط (٢) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م ٠

٢٦١ـ المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية : حمزة فتح الله ـ ١٣٣٦هـ ٠ ط (١) ، المطبعة الاميرية ، بولاق ١٣١٢هـ ٠

٢٦٢ـ المؤتلف والمختلف : الحسن بن بشر الآمدى ـ ٣٧٠هـ ٠ تحقيـــق : عبدالستار احمد فراج ٠ ط (١) ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م ٠

٢٦٣ـ الموشح في ماخذ العلماء على الشعراء : المرزباني (ابو عبيدالله محمد بن عمران ـ ٣٨٤هـ) ٠ نشرته : جمعية نشر الكتب بالقاهرة ، طبع المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٣هـ ٠

٢٦٤ـ الموطأ : مالك بن انس الاصبحي ـ ١٧٩هـ ٠ ط (١) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٣٩هـ ٠

٢٦٥ـ الموفي في النحو الكوفي : صدر الدين الكنغراوى الاستانبولي ـ ١٣٤٩ هـ ٠ شرحه وعلق عليه : محمد بهجة البيطار ، ط (١) ، من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (بدون تاريخ) ٠

٢٦٦ـ موقد الاذهان وموقظ الوسنان : ابن هشام الانصارى ـ ٧٦١هـ ٠ انظر : شرح شذور الذهب ٠

٢٦٧ـ نحو التيسير : الدكتور احمد عبدالستار الجوارى ٠ ط (١) ، نشر : جمعية نشر العلوم والثقافة ، بغداد ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م ٠

٢٦٨ـ النحو العربي ، نقد وبناء : الدكتور ابراهيم السامرائي ٠ ط (١) ، مطبعة دار الصادق ، بيروت ١٩٦٨م ٠

٢٦٩ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء : ابو البركات الانبارى ـ ٥٧٧هـ ٠ تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي ٠ ط (١) ، مطبعة المعارف ـ بغداد ، ١٩٥٩م ٠

٢٧٠ـ نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة : الشيخ محمد الطنطاوى ٠ ط (٤) ، مطبعة وادى الملوك ، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م ٠

٢٧١ـ النشر في القراءات العشر : ابو الخير بن الجزري ـ ٨٣٣هـ ٠ تصحيح ومراجعة : علي محمد الضباع ٠ نشر : المكتبة التجارية في مصر (بدون تاريخ) ٠

٢٧٢ـ نظرات في اللغة والنحو : طه الراوى ٠ منشورات المكتبة الاهلية ـ بيروت ٠ ط (١) ، المطبعة التجارية ـ بيروت ١٩٦٢م ٠

٢٧٣ـ نقائض جرير والفرزدق : ابو عبيدة معمر بن المثنى ـ ٢١٠هـ ٠ تصحيح: محمد اسماعيل الصاوى ٠ ط (١) ، مطبعة الصاوى ، القاهرة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م ٠

٢٧٤ـ نقض كتاب في الشعر الجاهلي : محمد الخضر حسين ٠ ط (١) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٥هـ ٠

٢٧٥ـ نقول من شرح السيرافي على كتاب سيبويه ٠ أبو سعيد السيرافي ـ ٣٦٨هـ ٠ على هامش كتاب سيبويه المطبوع بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣١٦هـ ٠

٢٧٦ـ نقول من كتاب «شرح الشواهد الكبرى» لمحمود بن احمد العيني ٠ وهي كل ما تعرض لشرحه من شواهد الاشموني ٠ طبعت بهامش حاشية الصبان ٠ انظر : حاشية الصبان في هذا الثبت ٠ وقد اشير اليها في هوامش الرسالة بـ «شرح الشواهد الصغرى للعيني» تمييزا لها عن «شرح الشواهد الكبرى» التى ذكرت باسم «المقاصد النحوية» ٠

٢٧٧ـ النهاية في غريب الحديث والاثر : ابن الاثير الجزرى ، (ابو السعادات المبارك مجد الدين بن محمد ـ ٦٠٦هـ) ٠ ط (١) ، المطبعة الخيرية بمصر ، القاهرة ١٣٢٣هـ ٠

٢٧٨ـ النهر الماد من البحر : ابو حيان الاندلسي الغرناطي ـ ٧٤٥هـ ٠ طبع على هامش «البحر المحيط» للمؤلف نفسه ٠ ط (١) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٨هـ ٠

٢٧٩ـ النوادر : ابو علي القالي البغدادى ـ ٣٥٦ هـ ٠ ط (١) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م ٠

٢٨٠ـ النوادر : ابو مسحل الاعرابي (عبدالوهاب بن حريش ٠ «وقيل : ابن احمد ») ٠ تحقيق : الدكتور عزة حسن ٠ ط (١) ، مطبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م ٠

٢٨١ـ النوادر في اللغة : ابو زيد الانصارى (سعيد بن أوس بن ثابت ـ ٢١٥هـ) ومعه «كتاب مسانية» للمؤلف نفسه ٠ تصحيح وتعـليق : سـعيد الشرتوني ٠ ط (١) المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٤م ٠

٢٨٢ـ نور القبس المختصر من المقتبس في اخبار النحاة والادباء والشعراء والعلماء: تأليف محمد بن عمران المرزباني (٤١٤هـ) اختصار : ابي المحاسن يوسف ابن أحمد الحافظ اليغمورى (٦٩٤هـ) ٠ تحقيق : رودلف زلهايم ٠ ط (١) ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م ٠

٢٨٣ـ هذا النحو ٠ بحث للاستاذ امين الخولي ٠ مجلة كلية الآداب ـ جامعـة القاهرة ٠ المجلد السابع / يولية (تموز) ١٩٤٤ ٠

٢٨٤ـ همع الهوامع ، شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي ـ ٩١١ هـ ٠ تصحيح : محمد بدر الدين النعساني ٠ ط (١) ، مطبعة السـعادة ، القاهرة ١٣٢٧هـ ٠

٢٨٥ـ الواضح في مشكلات شعر المتنبي : الاصفهاني (أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن) تحقيق : محمد الطاهر بن عاشور ٠ ط (١) ، طبـع الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٨م ٠

٢٨٦ـ كتاب الورقة : ابو عبدالله محمد بن داود الجراح ٠ تحقيق : الدكتور عبدالوهاب عزام وعبدالستار احمد فراج ٠ ط (١) ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٣م ٠

٢٨٧ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني (ابو الحسن علي بن عبدالعزيز ـ ٣٩٢هـ) ٠ تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجارى ٠ ط (٢) ، طبع في دار احياء الكتب العربيـــة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م ٠

٢٨٨ـ وفيات الاعيان وانباء الزمان : ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد ابن محمد ٦٠٨ـ٦٨١هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد٠ ط (١) ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م ٠

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

جـدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	١١	من نقص	من تقص
١١	١٥	اقامة	أقامه
١٤	١١	توجيهة	توجيهه
١٤	١٨	التسيلات	التسهيلات
٢٢	٧ من الحاشية	جدول	جدل
٣٠	٤	المقصود	العقود
٣١	١	مشهرا	مشهورا
٣١	٤	وايجار	وايجاز
٣٣	٥	فلمه	فانه
٤٢	١٠	فنسبة	فنسبه
٤٩	٢ من الحاشية	الشمنتري	الشنتمري
٥٤	١٠	عن عينيك	من عينيك
٥٦	١٣	كيثا	كثيرا
٥٩	١	قل	قول
٦١	٢ من الحاشية	اغضون	اتمضون
٧٤	٤ من الحاشية	ورفق	ورقق
٧٥	١٠ من الحاشية	هامش (٥٣)	يحذف الهامش
٨٤	١٧	استخراجها	استخرجها
٨٥	١٣	يزني	يزني
٨٦	١	منها	عنها
١٠٠	٣	يشبت	يتشبث
١٠٣	١٠	ذهابة	ذهابه
١٠٧	٨ من الحاشية	(٤) الفهرست ١٤٠	(٤) الفهرست ١٠٤
١٠٩	١ من الحاشية	٨٧٨	٨٢٨

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١٣٨	١٠ من الحاشية	٤٨ـ٤٩	١/٤٨ـ٤٩
١٤٣	٢ من الحاشية	ج٢/٥٦٠	ج٢/٦٥٠
١٥١	١٨	تستلم	تستسلم
١٦٣	٦	مو	من
١٦٥	٢	الغرضين	لغرضين
٢٠٩	١٠ من الحاشية	مشرح	شرح
٢٢٠	٦ من الحاشية	١/٣٨	١/٢٨
٢٣٨	١	عنيا	عتيا
٢٤٢	١٣	او الوهم	او بالوهم
٢٤٢	١٦	او الوهم	او بالوهم
٢٦٣	٥	ليرمي	ليرمى
٢٦٦	٢	فتخطئه	فتخطئة
٢٦٧	٣	الدمايني	الدماميني
٢٧٢	٤ من الحاشية	ووقائقهم	ووقائعهم
٢٧٨	٨	بني	بنى
٢٨٦	٦	التزيل	التنزيل
٢٩٢	٤	لاكثرون	الاكثرون
٢٩٢	٦ من الحاشية	اللغات	اللغة
٣٠١	٧	ابن	بن
٣١٣	١٦	الاعلب	الاغلب
٣٣٠	٢٠ من الحاشية	يزويه	يرويه
٣٣٨	١٥	مو	من
٣٣٩	٤	كتانة	كنانة
٣٥٢	٥	مبعة	مطبعة
٣٥٦	١١	زمانة	زمانه

Generally speaking, Arabic grammarians can be blamed on relying, to a large extent, on the poetical examples rather than the prose examples which are more practical and correct. The best example of that is Qur'an which is the most reliable source in examples and quotations. Had grammarians relied on Qur'an and considered it their indispensable source, the grammatical rules would have been weel-constructed, and less confused. The readings of Qur'an were related to Arabs dialects which were confirmed by Mohammad whose language, all grammarians admitted, was the most refined one. The Apostelic traditions came next to Qur'an examples. The third source is Arabs speech which is exemplified and quoted through prose and poetry in accordance with limitation of time which has been approved of by Arabic language academy in Egypt, the quotations of Arabs living in towns and the desert. Grammarians used peetry as the reliable sources in quotations. On the other hand, the findings of the thesis revealed different facts from Arabic grammarians believed in.

cal exceptional uses.

Arabs, during the pre-Islamic, and mid-Islamic periods, did not need examples and quotations in language. They spoke the language properly. They could do so, because they learned their language habitually. When variations in Arabic language pronunciation began to be used, as a result of the contacts with the non-Arabs, the deadly keen people on Arabic language throught of setting up the linguistic restric-

tions and rules lest their language should be spoiled and fused in the other languages. Accordingly, Basra grammarians started surveying the language and collecting examples as to rely on in constructing the grammatical rules. Thus they adopted what Arabs said properly as a means of refining and reforming the language.

Basra grammarians were keen on purifying Arabic language. This characterised them of establishing Arabic grammar, and to be very strict on the right uses which relied on what Arabs said. These grammarians accepted the language of these Arabic tribes: Qais, Tameem, As'ad, and some people of Kinana and some Ta'iyin. The language used by the non-Arabs was not accepted. They believed that Arabic language would be spoiled if it was not restricted to the Arabs lived in the middle of the desert. Therefore grammarians did not rely on the language used by these tribes: Lakham, Ghasan, Ayad, Taghlab, or Bakar, because these tribes were close to the non Arabs. Quraish was considered the tribe that used the most refined Arabic language because it did not mingle with foreigners.

٢٩٢	٦ من الحاشية	اللغات	اللغة
٣٠١	٧	ابن	بن
٣١٣	١٦	الاعلب	الاغلب
٣٣٠	٢٠ من الحاشية	يزويه	يرويه
٣٣٨	١٥	مو	من
٣٣٩	٤	كتانة	كنانة
٣٥٢	٥	مبعة	مطبعة
٣٥٦	١١	زمانة	زمانه

"EXAMPLES AND QUOTATIONS IN ARABIC GRAMMAR"

The thesis treats "Arabic Grammar", and its title "examples and quotations in Arabic Grammar". It consists of four chapters, and preceded by preface and ended with a conclusion.

The preface deals with the foundations of "Basrah" and "Kufa" cities.

The first chapter treats the grammatical examples and their type. This gave rise to the differences of the stated examples.

As for chapter two, it shows the principles grammarians of Basrah and Kufa used in stating the examples. Chapter three illustrates the examples taken from Kur'an. The fourth chapter was confined to the quotations of the traditions.

The whole thesis aims at the examples and quotations of the grammarians, as they were the sources for forming the Arabic grammar rules; or permitting the use of the grammatical exceptional uses.

Arabs, during the pre-Islamic, and mid-Islamic periods, did not need examples and quotations in language. They spoke the language properly. They could do so, because they learned their language habitually. When variations in Arabic language pronunciation began to be used, as a result of the contacts with the non-Arabs, the deadly keen people on Arabic language throught of setting up the linguistic restric-

EXAMPLES AND QUOTATIONS
IN
ARABIC GRAMMAR

By

Abdul Jabbar Alwan

First Edition

1976

Zahra Press—Baghdad